

شرح مقامات الحریری

المعروف بالشريشي

لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن الضبي الشريشي

عشر مقامات حسب مسهلح

الوافق المدارس العربية

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



منشورات
إدارة القرآن
كرانشي

اعتنى طبعه
في شهر رجب سنة ١٤٠٢



تمام فنون کے کتب ہمارے ویب سائٹ اور پلے سٹور سے فری ڈاؤن لوڈ کریں۔ ہم روزانہ کی بنیاد پر اس میں مزید نئے کتب شامل کر رہے ہیں نئے شامل شدہ کتب لیے روزانہ ہمارے پلے سٹور اور ویب سائٹ کو باقاعدگی سے چیک کیا کریں۔

اپنی کتاب کو ہمارے ویب سائٹ پر شائع کرنے کے لیے رابطہ کریں

منطق	خطبات	تفاسیر
معانی	سیرت	احیث
تصوف	تاریخ	فقہ
تقابل ادیان	صرف	سوانح حیات
تجوید	نحو	درس نظامی
نعت	فلسفہ	لغت
تراجم	حکمت	فتاوی
تبلیغ و دعوت	بلاغت	اصلاحی
تمام فنون	مناظرے	آڈیو درس

شرح مقامات الحری

المعروف بالشری

لأبی العباس أحمد بن عبد المؤمن الفیسی شری

عشر مقامات حسب منهج الوفاق المدارس العربیہ

تحقیق

محمد أبو الفضل إبراهیم

الناشر

دار الفکر والعلم والحدیث والفتاویٰ
الشریة والحدیث والفتاویٰ

۴۳- ڈی۔ بی۔ بی۔ جی۔ کراچی۔ ۷۴۵۵۰۔ فون ۴۲۲۳۹۸۸ - ۴۲۱۶۳۸۸

الطبعة الثانية : ١٤١٨ هـ
أشرف على طباعته : فهيم أشرف نور

من منشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D / ٤٣٧ كاردن ايسٹ، لسييلہ كراتشي - ٥ ، باكستان

الهاتف : ٧٢١٦٤٨٨ فاكس : ٧٢٢٣٦٨٨ - ٠٠٩٢٢١

E. Mail: quran@biruni.erum.com.pk

ويطلب أيضا من :

المكتبة الإمدادية باب العمرة مكة المكرمة - السعودية
مكتبة الإيمان السمانية، المدينة المنورة - السعودية
مكتبة الرشيد الرياض - السعودية
إدارة إسلاميات انار كلی لاہور - باكستان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

مقامات الحريري

١ - لم يبلغ كتاب من كتب الأدب ما بلغته هذه المقامات - التي أبدع إنشاءها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري - من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ، واستطارة الشهرة . فإنه لم تكد تصدر منها النسخة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ؛ ذكروا أن الحريري وقع بخطه في شهر سنة أربع عشرة وخمسة على سبعمائة نسخة^(١) ؛ كما أن العلماء في جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرءونها في الأندية والمحافل ، بل إن شهرتها امتدت في حياته إلى الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريري ببغداد - منهم الحسن بن علي البطليوسي ، والحجاج بن يوسف القضاة ، وأبو القاسم عيسى ابن جهور - وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظاً ، ومدارسة وشرحاً . .

ولمؤرخي الآداب العربية أقوال مختلفة في سبب إنشائها . .

نقل ياقوت من عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد ، قال : سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات . يقول : أبو زيد

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ .

السُّرُوجِيّ، كان شيخاً شعاذاً بليفاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام ، فسلم ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحظته ، ثم ذكر أمر الروم ولده . . واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وظرافة إشارته في تسهيل إيرادِهِ ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجلسه مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يثير في كل مسجد زِيَّةً وشكلاً ، ويظهر في فنون الحيل فضله ، فتعجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلون إحسانه . فأنشأت اللقمة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر اللقاعات ، وكان أول شيء صنعت . وذكر ابن الجوزي هذه الحكاية في تاريخه ، وزاد فيها أن الحريري عرض هذه اللقمة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأتمها خمسين مقامة^(١).

وفي رواية لابن خلكان ، قال : لما عمل الحريري اللقاعات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وأدعاها ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فأدعاها . فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فأقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة بعينها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شَيْخُ لَنَا مِنْ رِيْعَةِ الْقَرْسِ يَنْتِفُ عُنُونَهُ مِنَ الْهُوسِ
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسْطَ الدِّيْوَانِ بِالْحَرْسِ

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة القرس ، وكان مولعاً بانتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أخر ، وسيرهن إليه ، واعتذر من عييه وحصره في الديوان للحلقه من المهابة^(١).

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت في شهور سنة ست وخسين وخسمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب أيضا بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن ابن أبي المز علي بن صدقة وزير المسترشد . قال : ولا شك أن هذه الرواية أصح لكونها بخط المصنف^(٢).

٢- وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعنى بهذا الاسم نفسه ، ونظر في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث وكلكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام .

وجمل بطل هذه المقامات أبا زيد السروجي ؛ وتختلف الروايات أيضا في حقيقة أمره ، فن قائل : إنه اسم خيالي وضعه الحريري واستوحاه من صورة الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيقي

(٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

لرجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره القفطى فى إنباه الرواة ضمن تراجم النحاة ، وقال فى حقه : صاحب أبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فيه فضل وأدب ، وله معرفة بالنحو واللغة والعربية ، قرأ على أبى محمد الحريرى بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه ^(١) .

وأبنا كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبى زيد ، فإن هذه المقامات عمل فنى رائع منقطع القرن ، حوى من متخير الألفاظ ومنتخل الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعد عن الركافة والابتذال - ما جعلها قمة فى الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدى والمعارض على السواء . وقد صاغها بحال متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التى تخيل أنه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها فى قوالب طريفة فى الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجعلها فى أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشأها بألوان البديع ؛ من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف فى صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة - خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجى النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحبرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الملهية .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجى فى صنعاء ؛ وكانا فى رُواء الشباب وربيع العمر ، حيث لقي الحارث أبازيد خطيبا واعظا ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلا ، وعليه بنى الحريرى المقامة الأولى وأسماها المقامة الصناعية . ثم

(١) إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦ .

أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويحج الفياق والقفار ؛ ليلقى أبا زيد ؛ مرة في ساحة القضاء ، وأخرى في مجالس الولاية ، وآونة في أندية الأدباء ؛ واعظا أو شاعرا ، أو شعاذا أو مخلصا ؛ ثم يمضي بهما العمر وتتابع الأيام ؛ إلى أن يلتقيا في أخريات عمرهما بالمسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلقت جذتهما ، وذوى عودهما ، ورث بُرد شبابهما ؛ وإذا أبو زيد يقف في حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم من ذنوب وآثام ، وينشد :

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديتُ
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الفتن واعتديتُ
وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت
فأثمتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجنر ما جنيتُ
يارب عفوا ، فأنت أهل للعفو عني ، وإن عصيت
ثم يحتج أبو زيد ويعود إلى بلده سرّوج ، يلبس الصوف ، ويؤم الصفوف ،
ويمنح الحارث بعدها إلى الراحة ويكفّ عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ،
وبه تنهى المقامة المحسون ، آخر المقامات .

٣- ولم يكن الحريري مبتدع فن المقامات ولا أبا عذرها ، بل سبقه إلى هذا الفن بديع الزمان الهمداني ، وإلى ذلك يشير بقوله في صدر المقامات يتحدث عن سبقه : هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبقني غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدّي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يفترق إلا من فضالته ، ولا يسرى هذا السرى إلا بدلالته ؛ والله درّ القائل :

فلا قبل مبكها بكيت صبا
بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بَكَتَ قَبْلِي فَمَتَّجَ لِي الْبِكَاءَ بِكَاءِهَا قُلْتُ الْفَضْلُ لِلتَّقَدُّمِ
ومع ذلك فإن من جاء بعدها من كتاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة
الحريري والنسج على منواله ، والسَّير في دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفق ، ومنهم
من عمل ولكنه أخفق . . .

فيمَن حاول ذلك عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ ، قال ياقوت :
وردتْ آمِدٌ في سنة ثلاث وتسعين وخمسة وأُتاني عنفوان الشباب وريُّه ؛ فبلغني
أن بها عليّ بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحليّ — وكان من العلم بمكان
مَكِين ، واعتلق من حباله بركن ركين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم
المُتقدمين ولا المتأخرين وزناً ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقرّ لأحد بإحسان
في شيء من العلوم ولا حُسْن ، فحضرتُ عنده ، وسمعت من لفظه إزراره على أولى
الفضل ، وتندبده بالغيب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرمى وأضجر ، وامتدّ في
غيِّه وأصحر ، قلت له : أما كان فيمن تقدّم على كثرتهم وشَفَّ الناس بهم عندك
مجيد قط ! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المتنبّي في مديحه خاصة ،
ولو سلك طريقه لما برز عليّ ، ولسقت فضيلته نحوى ونسبتها إليّ ، والثاني
ابن نباته في خطبه ، وإن كانت خطبي أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس
قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريريّ في مقاماته . قلت : فما منعك أن تسلك
طريقته ، وتنشد مقاماتٍ تحمد بها جهرته وتملك دولته ؟ فقال : يا بنيّ ، الرجوع
إلى الحق خير من النمادى في الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها
فأستردّ لها ، وأُعد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال : وما أظنُّ الله خلقني إلا لإظهار
فضل الحريريّ ^(١) !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطيّ الأشتر الكوفيّ ^(٢) المتوفى بقرطبة سنة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) منسوب إلى أشتر كوى ، من أعمال طليّة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨ ، أنشأ كتاب «الحسين مقامة اللزومية» ^(١) عارض بها مقامات الحريري، ولزم في نثرها مالا يلزم ، متأثراً بالمرعي في لزومياته، فأبعد النجعة، وأتعب خاطرهم، وكبد ذهنه، وأسهر جفنه، وصعب على نفسه المسالك، وقيد كلامه نظماً ونثراً. واتخذ راويه المنذر بن همام، وجعل بطله السائب بن تمام؛ ولكن هذه المقامات ذهبت بها عوادي الأيام، فلم تصل إلينا.

ثم قام جارا لله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ أيضاً، فأنشأ مائة مقامة كالمقالة، تدور كلها حول الوعظ؛ ولكن ليس فيها راوٍ، ولا بطل؛ بل خاطب في جميعها نفسه، وذكرها بالآخرة، ورغبها في الأعمال التي تؤدي بها إلى نعيم الله ورضوانه.. وكان الزمخشري أحسن في هذه المقامات بمقصوده عن غاية الحريري، وبُمدّه عن مداه، فقال:

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
أن الحريري حرى بأن نكتب بالتبر مقاماته

ثم توالى المقلدون جيلاً بعد جيل، كابن الجوزي وأبي العلاء أحمد بن أبي بكر الرازي وابن نايقا وابن الصيقل الجزري وابن حبيب الحلبي وابن الوردى والسيوطي وغيرهم؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف اليازجي، أحد أعيان البيان بלבnaan في القرن التاسع عشر الميلادي؛ فدرس مقامات الحريري وحفظها، ثم أخذ يروض قلمه على مقامات تنحو نحوها؛ وتسلك نهجها، وما زال يلتمس الوسائل، ويتطلب الذرائع، ويرتاد نواحي الظفر، ويتوخى وجوه التنجيح، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين»، أي النثر والنظم؛ وجعل راويها سهيل بن عباد، وبطلها ميمون بن حزام؛

(١) فهرست ابن خلدون ٣٨٧

وتنقل بسهيل بن عباد في البلدان — كما تنقل الحريري بالحارث بن همام —
يلقي ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبي زيد في المكاييد وطرق التنكير
والتملق بصحيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة في بعض هذه المحاولات ، فإن الحريري يبقى
منفردا ببقته ، واحداً في أسلوبه ؛ لا يدانيه أحد منهم في نثره أو نظمه ، بذً من
قبله ، وأتنب من بعده ، وستظل مقاماته من أجود ما جادت به القرائح ، وأجل
مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ المصور والأيام . .

٤ - وإن كان لهذه المقامات منزلة عند القدماء ، عبر عنها ياقوت بقوله :
« واقع من السعد ما لم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة
وأتسمت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ربقها ، وأحسن نسخها ؛ حتى
لو ادعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ،
فضلا عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق
على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحققت به وأكثر ... » ، فإنها
لم تخل من نقدٍ بمضهم وتجريحهم له ؛ منهم ابن الأثير في المثل السائر وابن الطقطقي
في الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن
الخشاب ، وضع رسالة جمع فيها المأخذ التي وقع عليها في المقامات ؛ قال في
مقدمتها : « وله أشياء في أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ
ساكتاً فسلم ، أو لنازع مباحثاً . وأنا أسوقها على التوالي موضعاً فموضعاً ، مع
تمهيد عذره ؛ لقدّمها في جنب صوابه ، وما مر به من الحسن في أثناء كتابه ،
علماً بأن الكامل من عدّت سقطاته ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبدالله بن بري فألف رسالة انتصر فيها للحريري من

مأخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البندادي ، فنصب نفسه حكماً بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب في كلامهما على المقامات .

٥- وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التي أحدثتها المقامات في المشرق ؛ في العراق والشام ومصر ، فإن مثل هذه الحركة قامت في الغرب أيضا ؛ في أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ما عمل من ذلك ما قام به المستشرق الهولندي جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها في الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أرينيوس في ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندي شولتنس ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده فانتوردي بارادي منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفي فرنسا قام المستشرق كوساندي برسفال بنشر المتن العربي الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢م كما قام الأستاذ دي ساسي بجمع مخطوطات المقامات وشروحها ، وعمل منها شرحاً عربياً ، وطبع المتن والشرح في باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى في باريس أيضا بين سنتي ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة في الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجي .

أما في ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكّرت ، وترجم هذه المقامات سجعاً باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهداً في استعمال كلمات نادرة الاستعمال في هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن رُكّرت أجبر لنته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمتعت هذه الترجمة بشهرة عظيمة في عالم الاستشراق .

وفي اللغة الإنجليزية قام تشنري بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبعه استجاس فترجمها أيضا في سنة ١٨٩٨م .

وفى أسبانيا ترجم الشاعر اليهودى بوراي الحريرى هذه المقامات إلى العبرية، وطُبعت هذه الترجمة فى لندن سنة ١٨٧٢ م.
وفى كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ماناله الحريرى فى الحلقات الاستشرافية من التقدير فى نواحى الغرب^(١).

٦- وقد كانت المقامات من أوائل ما طبع من الكتب العربية ؛ وأول طبعة لها كانت هى الطبعة التى ذكرت أنها كانت فى باريس سنة ١٨١٩م بعناية كوسان دى يرسفال، ثم توالى طبعاتها بعد ذلك فى باريس ولندن وليدن وكلكتة ولكناو ودهلى بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت^(٢).

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية فى الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أو شرحاً ، وفى دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة ؛ غالبها نفيس ، ومنها نسخة برقم ١٠٥- أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه ، وفى أولها إجازة بخطه ، ونسخة برقم ٤٤٧٩- أدب طلعت ، وعليها خط المؤلف أيضاً ، ونسخة برقم ٢٥٩- أدب ، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣ ، ونسخة بخط مرتضى الزبيدى كتبت سنة ١١٦٥ ، ونسخة برقم ١٥٢٩- أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩ ، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة^(٣).

(١) أفندت هذه المعارف الاستشرافية ؛ مما كتب به إلى العلامة الدكتور أرنت بائرت أستاذ اللغات العبرية فى جامعة فينا .
(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨ ، ٧٤٩
(٣) انظر فهرس دار الكتب .

صاحب المقامات

١ - ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريريّ منسوباً إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن في محلة بني حرام - وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة - وتأدب بها ، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال الجاشعيّ شيخ إمام الحرمين ، والفقه على أبي إسحاق الشيرازي . وعيّن صاحب الخبر بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد العباد الأصمعيّانيّ الذي زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريريّ - إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها - من ذوى الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يفلها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصة بعد أن ألف المقامات وذاع أمرها بين الناس . وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئاً ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُبليّ عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سارٍ غَرَّه قَمَرٌ ورائد أعجبه خُضرة الدَّمَنِ
فاختر لنفسك غيري إنا نرى رجل مثل الميديّ فاسمع بي ولا ترقِ
نحجل الرجل وانصرف عنه .

٢ - وللحريريّ ديوان رسائل أورد ياقوت شيئاً منها ، وله الرسالة السينية التي ألهم في جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية التي ألهم في جميع كلماتها حرف الشين ، وأوردها ياقوت أيضاً .

وله شعر في غير المقامات ، ذكر منه ابن خلكان قوله :
قال المواصل ما هذا الغرامُ به أما ترى الشعر في خَدَيْهِ قد نبَّتا

فقلت والله لو أن المفسد لي
ومن أقام بأرض وهي مجذبة
تأمل الرشد في عينيه ما تبنا
فكيف يرحل عنها والربيع أتى !
وأورد له صاحب الخريدة :

كم ظباء بمحاجرٍ فتنت بالمحاجر
ونفوسٍ نفائسٍ خُدرت بالخادرِ
وتتنّ لخاطرٍ هاج وجداً لخاطر
وعِذارٍ لأجله عاذلي عاد عاذري
وشجون تضافت عند كشف الضفائر
وأورد له ياقوت :

لا تخطون إلى خطّ ولا خطٍ من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
وأى عذر لمن شابت ذوائبه إذا سرى في ميادين الصبا وخطا
وله غير الشعر والرسائل والمقامات ما يأتي :

١ - درة النواص في أوهام الخواص ، بين فيه أغلاط الكتاب فيما
يستعملونه من الألفاظ بغير معناه في غير موضعه . طبع في مصر سنة ١٢٧٢ هـ ،
وفي ليسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجي في الأستانة سنة ١٢٩٩ هـ .
٢ - ملحّة الأعراب في صناعة الإعراب ، وهي أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول شديد الحول
طبعت في باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمي ، وأسمى
الشرح « تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .
٣ - قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطة في مكتبة برلين برقم
٧٧٩ ، وأوردها السيوطي في الزهر ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وأولها :

أبها السائل عن الظاء والضّاء في إكثلا تُضِلُّه الألفاظُ

شرح المقامات

١ - وتعتبر مقامات الحريري أكثر الكتب حفظاً فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تعليقات ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً ، منهم محمد بن علي بن عبد الله الحلبي ، ومحمد بن علي المعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكي الصقلي المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلبي ، وسليمان بن عبد الباقي بن سلامة الضرير ، والشهاب الحجازي ، وعبد الله بن الحسين المكي ، وقاسم بن قاسم الواسطي ، عبد اللطيف بن يوسف البغدادى ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزي ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود القندجيهي ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسي المعروف بالشريشي ، وسليمان ابن عبد القوى الحنبلي المعروف بنجم الدين الطوفي ، وأحمد بن المظفر الرازي وغيرهم .

ومن قام بشرحها من المتأخرين المستشرق دى ساسي - كما ذكرنا - عمل شرحاً من الشروح التي وقت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هذا الشرح في باريس مع فهرس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا العدد من الشارحين يرجع إلى ما زخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحاجي والألغاز ، والنكات النحوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأودية الاستطواد كثيرة .

٢ - وتختلف هذه الشروح إيجازاً وإطناباً ، وأسلوباً ومنهجاً ، ومن أوسعها مجالاً ، وأجمعها الثنيت الفرائد ومنثور الفوائد ، ومنشعب الأغراض ، هذا الشرح الذي

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسى المعروف بالشريشي . وقد وقعت له نسخة المقامات مما رواه عن أبي القاسم عيسى بن جهور وأبي الحجاج يوسف القضاى وأبي الطاهر الخشوعى ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريرى فى بغداد ، وقرأوا عليه المقامات فى منزله ، وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضمن الكنوز النادرة التى حملوها من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشريشى جهده حقبة على هذه المقامات ، يتدارسها مع العلماء ، ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعليق ، ليتخذ العدة لشرحها ؛ ولهذا الغاية يقول : لم أدع كتاباً ألف فى شرح ألفاظها ، وإيضاح أغراضها إلا وعيته نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت فى تفهّمه وردياً وصدرأ ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ... ولم أترك فى كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقته ، ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلاق جمّة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .

وجعل من أهم مقاصده فى هذا الشرح أيضاً التعريف بالأمصار المذكورة فى المقامات - ما وسعه الجهد - ثم شرح الأمثال . وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه . والإكثار من الشعر فى كل مناسباته . . . وخاصة الشعر الأندلسى فإنه حشد فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لا تجدها فى غير هذا الكتاب .

وبهذه المزايا مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغنية المتأدب، وغاية المطالع والمستفيد .

٣ - والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي ، ولد بشرش سنة ٥٧٧ - وكانت شرش من أجل بلاد الأندلس ، وأحفلها بأشجار الكروم والتين والعنب والزيتون - عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبي الحسن بن لبّال وأبي بكر بن الأزهر وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي الحسين بن جبير . ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى شرش ، وتوفّي بها سنة ٦١٩ هـ .

وقد ألف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادير أبي على القالي وشرحا لكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي وآخر لشرح الجمل للزجاجي ، وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة في العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعا شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التي أوردتها القرى في ترجمته^(١) ، وكان قد سافر إلى الشام وشغف بها ثم رحل عنها ، فقال يتشوق إليها :

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ	فإن قلبي بنار الشوق يستمر
بعدت عنكم فلا والله بمدكم	مالدّ للعين لا نومٌ ولا سهرٌ
إذا تذكرت أوقاتنا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنّيريين ^(٢) ضحى	والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأعصان راقصة	والدّوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسّفح ، أين عشيّاتي التي سلفت	لي منه ، فهي لعمري عندى العمرا!
سكّك يأسفح ، سفّح الدمع منهجلا	وقلّ ذاك له إن أعوز المطر

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) فتح الطبيب ٢ : ٣١٧ (٢) التبرين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أولها مختصر ، وثانيها متوسط ، وثالثها هذا المطول ؛ وهو الذى اشتهر
فى الخافقين ذكره ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد
البحر استقل السواقيا .

• • •

٤ - وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيرت النسخ الآتية للرجوع إليها :
(١) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ - أدب ، مكتوبة
بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع فى ٤٣٢ ورقة ، وفى كل صفحة
٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠ هـ ، وفى
أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣ هـ وبعض التمليكات ، وقد
رمزت لها بالحرف (ا) .

(٢) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٧٨ - أدب ، تقع فى
١٢٧ ورقة ، وفى كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛
وهى نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح
١٧ مقامة فقط ، وبهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٠ - أدب ، وهى نسخة
خزائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع فى ٤٥٢
ورقة ، وفى كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، وتحتوى على شرح خمس وعشرين
مقامة . وقد رمزت لها بالحرف (ج) .

(٤) نسخة طبعت فى بولاق سنة ١٣٠٠ هـ بتصحيح محمد الحسينى ، وقد
رمزت لها بالحرف (ط) .

وجميع هذه النسخ كتب على هامشها المقامات .

هذا عدا ما رجعت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات
الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لى فى هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق للعلامة الحجة الدكتور
محمود مكى الذى تفضل بقراءة هذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة
أثبتها فيما بعد ، هذا بالإضافة إلى المعارف والمعلومات التى أفدتها منه ، وخاصة
فى الأدب الأندلسى وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - فى ستة أجزاء ، وسألحق بآخره إن شاء الله
الرسالتين السينية والشينية للحريرى ، وحواشى ابن الخشاب وابن برى وغيرهما على
المقامات ؛ فضلا عن النهارس الفنية العامة .

ومن الله العون والتوفيق

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

شرح المفاتيح الحريية

لأبي العباس أحمد بن عبد المنوم القيسري الشريفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ اللغوي النحوي أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن
ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، تلمذه الله برحمته
ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه آمين :

الحمد لله الذي اختص هذه الأمة بأنصح الألسنة وأفسح الأذهان، وشرف
علماءها بالافتنان في أفانين البلاغة والبيان، وميزنا بين سائر الأمم بالثقل المتفق
الفقر والنظم المتادل الأوزان .

نحمده على أفئدة هداها، وألسنة أطال في شأو البلاغة مداها، ونصلى على
سيد المرسلين، وخيرة العالمين، الذي ختمت بنبوته العامة النبوة، ونسخت بشرعته
التامة الكتب المتلوة، محمد سيد هذا العالم والمحصوص بعلوم المكنانة، وعموم
الديانة في ولد آدم، وعلى آله وصحبه الذين عزروه ووقروه، وآووه بإبواء
المؤمنين بالمهود ونصروه، وقلوا شرعه الكريم قلل التواتر وآثروه، وسلم
تسايا، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرأ عظيما .

ورضى الله عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، مجدد معالم الديانة، والملي
بأداء الأمانة، والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة، وعن
خلفائه الراشدين أئمة الهدى، والتالين له في شرف ذلك المدي، والقائمين
بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبدا .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين،
سعداً يعلو أعلامه، ونصراً يصحب قلمه وحسامه، وتأيداً يظهر أمره وينصر
اعتزاه، حتى ينتظم شذآن^(١) الأمصار في سلك ملكه، وتزدحم وفود الأمم

(١) الشذآن، بالنظم والفتح: الفرق، وأصله في الحصى والإبل .

على شجر برّه ، وتندلوى ضمائر القلوب ومحبّاتُ الغيوب على إخلاص طاعته
والإشناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربحُ للكاسب ، وأرجحُ المناصب ، وأرفعُ المراتب ،
وأنصعُ المناقب ، وحرقة أهل الهمم من الأمم ، ونخلة أهل الشرف من السلف ،
لم يتقلد سلكه إلا جيدٌ ماجد ، ولم يتوشح برؤده إلا عطف جاد في طلب الكمال
جاهد ، ولم يستحق اسمه إلا الواحد النذّ بعد الواحد ، وهو وإن تشبّعت
أفانيه ، وتنوّعت دواوينه ؛ فعلم الأدب علمه ، والأسّ الذي يبني عليه كلمه ،
والروح الذي يحبّ في ميدان الطروس قلّه ؛ ولذلك كان أولى ما تهرحه
الترائح ، وأعلى ما تنجح إليه الجوانح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يتنافسون
في اقتنائه ، ويتصافنون في عافٍ إنائه^(١) ، ويرتاحون لأوضاعه وتآليفه ،
ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والمنثور ،
وقوام^(٢) نطقي الألسنة وفكر الصدور ، ومنشط المقال من عقاب النهاه ، ويميز
الأقدار بالمهاية والنباهة .

ولم يزل في كل عصر من تحمّته بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلم ترنو إليه
أبصار وتوحيء إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكّن وتتأصل ، وتنويع
البديع ينضبط ويتحصّل ، والآخر يكّد ذهنه في تنعيم ما غادره الأول ؛ إلى أن
اعتدلت كفتاه ، وامتلاّت ضفّته ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن
والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخر البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بسميّة
السباق ، والفدّ الذي قد عمقت عن توءمه نية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقان : تصانف القوم الماء ؛ إذا قسموه بالحصص . والعاق : ما فضل في القدر ؛
والكلام على الاستعارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظامه وعماده .

ومالك زمام القرباس والبراعة ، والمألّي عند استدعاء دُرّر الفَرّ بالسمع والطاعة ،
أبو محمد القاسم بن عليّ الحريريّ - سقى الله ثراه صَوْبَ رحمائه ، وكافأ إحصانه
في الثناء عليه بحسنه - فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الافتنان ، ومهد جادة
الإجادة ، وقوى مادة الإنادة ، ولم يبق في البلاغة متعقبا ، ولا للريادة مترقبا ،
لاسيما في اللقائات التي ابتدئها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والمُلح التي
وشّحها بدُرّر الفَرّ ورصّعها ؛ فإنه برز فيها سابقا ، وبرّ البلغاء فاتقا ، وآتى بالمعنى
الدقيق اللفظ الرقيق مطابقا ، وخلّدها تاجا على هامة الأدب وتِقصارا^(١) في جيد لغة
العرب ، وروضة تحوم أنفاس الهم عليها ، ولا تصل أبدى المطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا الحلّ الشبير ، وسارت مسير النّيرين بين
مشاهير الجواهر ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم نهى ، والمكوف عليها حرز عزى ،
والدّوّب في حفظ لغاتها وفكّ مخبّأتها أمّ همى ، وصيّرت تحفّظها فرض عيني ،
والفكر الذي لا يحول وسنى يئنه ويدي . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والفتات ،
وتقييد ألقاها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أقل لفظا إلا عن تحقيق ، ولا أثبت
ضبطا إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايته ، بيلدى ،
الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثني بها عن صهره
الفقيه المحدث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور ،
عن منشأ أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها أيضا بيلدى الشيخ الفقيه الراوية
أبو بكر بن مالك الفهرّي عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه
أبي الحجّاج الأبتديّ القضاعيّ ، كلاهما عن أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها
أيضا إجازة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التّصار والتّصايرة ، بالكسر : الفلادة ؛ سميت بذلك لازوما قصرة العنق .

عن القُضاعيّ . وحدثني بها أيضاً الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ
الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعيّ عن
الحريريّ . وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذرّ مُصعب بن محمد بن
مسعود الخشنيّ بسنده ، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله .
وتلقيت بها جماعة من جلةُ الأشياخ أكثر في العدد من ذكرت ؛ لا يمدني
واحد منهم إفادة ضبطيّة أو لفظيّة ، ولا يفقدني زيادة هزلية أو وعظيّة ، فأخذتها
أخذ متثبت ، عن واعي منكّت .

ثم لم أَدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها ، وتبيين الإنصاف
بين انفصالها واعتراضها إلا وعبئته ^(١) نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وتردّدت
في تفهمه ورذاً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ؛ حتى
أتيت على جميع ما انتهى إليه وسمي بمن فسرّها ، واستوعبت عامة فوائده
الممكنة بأسرها ؛ ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة
إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقها ، ولا غريبة إلا استأحققتها ، ولا غادرت في
موضع منها مستحسنًا يشدّ عن جمعي ، ولا مستجاداً ينسب عنه بصري أو سمعي .
فاجتمع من ذلك حفظاً وخطاً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتمّ بها قبلي همّة ،
ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ، ولا اقتصرْتُ على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت
بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثُ وناقشت ، وتناولت
وتداولت ، وطالبت المتحفّظ بالأداء ، واللتيقظ بالإبداء ؛ حتى لم أبق في قاذية
زنداناً إلا اقتدحته ، ولا مُقَفَّلاً إلا افتتحته ، فتحصّل لي من ذلك أيضاً عيون
صائبة النواظر ، وفنون قلما توجد في محبّات الدفاتر .

وأنا في خلال ذلك ألتبس مزيداً ، ولا أسام بحثاً وتقييداً ، إلى أن عثرتُ على

(١) ط ب : « وأعبته » ، وأوعى القى : حفظه ؛ مثل وعى .

شرح الفَنجْدِيهِى^(١) للمقامات - والفنجديهى هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبد الرحمن بن محمد المسعودى ، من قرية فنجديه من عمل خراسان - فرأيت فى شرحه الغاية المطاوعة ، والبغية المرغوبة ، والضالة التى كانت عتق إلى هذا الأوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النظر ثانياً ، وثمرت عن ساعد الجذ لا متكاسلاً ولا وانياً ، وعانيت نور المعنى فى نور اللفظ فأصبحت مجتلياً جانباً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله فى كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندة أوردتها ، وآثاراً مرفوعة قيدتها تليق بالباب الذى أوردت فيه ، وتورد مصححة إما لألفاظه وإما لمعانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أوردتها - تخفيفاً عن يريد المتن ويتغنى ؛ فتمتلى بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب المعانى ، مطروق المعانى ، كالروض ركبت ربحه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فانضاف من فوائد هذا التأليف البديع - إلى الفوائد الملتزمة من الألسنة والمأخوذة من التصنيف للاستحسنة - روض كله زهر، وسلك كله دُرر ، وأدب إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى فى ضمّ ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليف فى المقامات يُغنى عن كل شرح تقدّم فيها ، ولا يحوج

(١) الفنجديهى ؟ منسوب إلى فنجديه ، قال ياقوت : « فنجديه ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الدال وياء ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجديه . بلدة فيها غس قرى ؛ قد اتصلت عماره بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ . وهو أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودى ، التوفى سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه الصادق شفرات الذهب بالرجال الأريب وقال : مات عن اثنتين وثمانين سنة بدمشق ، وسمع من أبي الوقت وطبقته ، وأمل بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسمى ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل العانظ : لم يكن فى نقله بقة ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء فى كل فن ، فى الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواه في لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها ، فتم من ذلك مجموع جامع ، وموضوع بارع^(١) ، أودعته من اللغات أصحها وأوضحها ، وأساسها قياد لفظ وأتمحها ؛ وأولاها بالصواب في مظان الاختلاف وأرجحها ؛ ونسبت المشكل منها إلى قائله من جهابذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ، وسبكت العبارة عن المعاني سبكاً يدل على الإلقاء والإصفاء . وهذا النصل وإن سبقني إليه من تقدمني من الشارحين قبلي ، نلى فيه مزية إيراد اللفظ البعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات على أوفى ما يمكنني ؛ من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ، ومن عقد صلاحها ، أو تولي فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يقبمه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإنما يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيت أيضاً ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء ، وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكنهم ، وأخبارهم وحرفهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التهم^(٢) والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حق إirاده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده ، وهو مهم في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت . بعدة الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى أبي سعيد التمجدي في بعض المواضع ، فإنه ألمح وألمع ، وأورد اليسير فاشقى ولا أقنع :

(١) : «فصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً» .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف ، صوابه من أ .

أحدهما: تبين مأخذ الحريرى فى الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى اللشأ فى آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائقة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متمين .

والفصل الثانى : التنبيه على صناعة البديع ، وتوفية أسمائه ؛ كالتجنيس والتتميم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب وافتتانه ، والإكثار من الشعر فى مظان من الجد والمزل فى المواضع اللائقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد فى حسنه وبيانه ، والجرى مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف ردّ القرع إلى أصله ، والجمع فى الترتيب بين الشكل وشكله ، فأثبتت المواضع بما يزيد أثاراً فى القلوب ، وأردفت المسليات بما يعينها فى إجلاء الكروب ، وسأكت هذه المسالك فى سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجد فى هذا الكتاب لفظ ظاهره المزل ، أو معنى ينسب فيه إلى العذل ؛ من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخر ، أو نعت حُسن وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلانّ أباً محمد بدأ بأمر فتم ، وخصّ نوعاً فقم ، مع أنّ صنعة الأدب مبنية على الملح ، وخواطر الأدباء جائشة بما ستَح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب فى الإجادة بسهم مصيب ، ويثبت لى فى الجد والدعوب أو فَرَ نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفتجديهي وابن ظفر^(١)

(١) هو محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التصانيف المتنوعة السائرة ؛ ذكره الففطى فى الإنباء ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنفها لأهل القرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحت وشرح التصحيح ؛ وسمعت أنه كان يخفى من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدته السجلة وبهد الدار . وذكر صاحب كنف الظنون هنا الشرح وسماء : « التنقيب على ما فى المقامات من الغريب » .

قد جردوا من شروحيهم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ،
مختصين حذوهم في مختصرٍ أوردتها فيه على الكمال ، ووفيتها حقها من رفع
النلط وكشف الإشكال ، ولم أخل في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه
ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مفنيا في اللغات الغريبة عن
كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ،
فلذلك الفرع شُوف الاسديعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف
والشاهد من الشعر والآيات .

وكل ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد من شرفت كتابي بخدمته ،
وبنيت تألني على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لأقف ببابه الأعلى ، وأترق
بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظل المدود على المسلمين
والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق المعارف ،
ومفجر بحور المن والعوارف ، الجير بفضله وعدله من المفاقر الناذحة والخواف ،
سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين وولي
عهده سيدنا الأمير الأجل أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم
وحزبهم ، وجمع القلوب على الانقياد لهم ، والوجوه على التوجه قبائهم .

وهذا الكتاب وإن كان المعبر عن حسنه ، والغاية للتمسك في فنه ، والجامع
لما افرق في سواه ، والمبرز بما وشحه من الزيادات وحلاه ، فإنه لم يتم جماله ،
ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه
الكريم باسم ولي عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق
لخدمتهم ، والمؤنة على شكر نعمتهم ، والتمرض بخيري الدنيا والآخرة في ظل حرمتهم .
وقد بذلت في الخدمة جهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس
ماعندي ، ولم أطمأ قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحق الراتب ؛ فاقول
يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليم من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي
 له والتكليف ، وجلوته كالحسناء أُلقت في للنصة النصيف ، كثرت خطابه
 إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، قلت : حتى
 يشرف بلم اليمين العليا ، ويتخصص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابه الأسمى
 يلتقط درة المنظوم ، ويركاته يسلم مسكه العتيق^(١) المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبمنجته المتقصد منه
 صفة وعهداً ، في شرح الخطابة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أدع لفظة منبهمه ،
 ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم
 أفضل التسليم .

(١) ط : « العتيق » تصحيف ، صوابه من ا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصِّدْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ
التَّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ
مِنَ الْفِطَاءِ .

اللهم إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصصته الميم الشددة في آخره ببناء الباري
سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام في
أوله ، لأنه لا يلى حرف النداء لام التعريف إلا فى قولهم : « يا الله » ؛ لتكون
اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلى ، وهى همزة « إله » ، فصارت كالأصلى ،
وفى غير هذا الاسم تتجرد اللام للزيادة فى أول الاسم . و « يا » زائدة فى أوله
كذلك ، وهما جميعاً لتخصيص الاسم وإزالة شياخ التنكير عنه ، فلما تقاربا فى المعنى ،
وتشابهتا فى الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يلى الاسم دون صاحبه ، ترك
استعمال الجمع بينهما فى أول الاسم إلا فى ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام
فى قولهم : « يا الله » فلما كانت نائبة عن حرف أصلى خفيت زيادتها ، فلما زادوا
الميم فى آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتعت « يا » من أوله
إلا عند الضرورة كامتناعها فى الرجل والقلام ؛ فلما كانت الميم هى الموجبة لمنع
« يا » محلّ الاسم معها معنى « يا » فصار مختصاً بالنداء متمتعاً من غيره .
ونحمدك ، معناه شئى عليك بآتم وجوه الثناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره »^(١) ، والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة . والشكر ذكره بما له من أفعال جليلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهامن السمن فوق ماتا كل من العاف . ويقال : أشكر من برّوة^(٢) ، وهي شجرة معروفة تخصب بأذى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضيهما دليل على اختلافهما في أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهم المعنى وتبينه . والبيان منك لغيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول : بينت الشيء لغيري بياناً وتبينته أنا تبياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهري رحمه الله : بينت الشيء تبييناً وتبياناً ، قال تعالى ﴿ تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) أى بيننا لك فيه كل ما محتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويُعدّ ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والمعنى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذى^(٤) . وقال : « المعنى قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » . ألهمت : تثبت عليه وفهمته . وأسبغت : أتممت وكثرت . وأسبغت : أطلت . والغطاء ، أراد به ستر الله على عبده .

وَنَمُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ اللِّسَنِ ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ ، كَمَا نَمُوذُ بِكَ مِنْ مَرَّةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الْخَصْرِ . وَلَسْتُ كَفِي بِكَ الْاِفْتِنَانِ بِاطْرَاهِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) الميدان ١ : ٣٨٨ ، قال في شرحه : « هي شجرة تخضر من غير مطر ، بل تلبث بالسحاب إذا نشأ - فيها يقال » .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله في الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذى وأحمد والحاكم .

التأديح، وإغضاء المسامح؛ كما نستكني بك الاتيماب لإزراء
القادح، وهتك الفاضح.

• • •

نعوذ، أى نستجير . شرّة: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام.
فضول: زوائد. الهذر: إكثار الكلام بغير فائدة. معرّة: شدة وصعوبة، والمعرّة:
المعيب والعار . وقيل: هى كل ما يؤذيك، وفلان يعرّفقومه، أى يدخل عليهم
مكروها يلطّخهم به؛ وأصله من العرّة وهى الفعلة القبيحة، أو من العرّة وهو
الجرب . واللكن: احتباس اللسان عند الكلام. فوضوح: شهرة وفضيحة. الحصر:
العمى، وحصر حصرأ إذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره. واستعاذ من شرّة اللسن
لأنه من اقتدر على الكلام أدّاه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة
الحق، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشرّة القلق والانتشار، ومنه الشر؛ وقد شرّ
يُشرّ، ومنه شرّر النار. ثم استعاذ من ضدها وهى المعرّة، لأن صاحبها لا يتم لفظه
فيشين بذلك نفسه، ويقصر عن مراده من البيان. ثم قرن بها الحصر لأن من
يعتر به يتوالى عليه الوهل والجل؛ فلا يستطيع الكلام، فيفتضح ويشهر عيبه.
وهذا الفن من الكلام يسمى فى صنعة البديع المتأبلة، وأول من صدر به كتابا
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان^(١)، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول،
كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك
من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهذر^(٢)، كما نعوذ بك من العمى
والحصر؛ وقد يتأعوذوا بالله من شرهما، ورغبوا إليه فى السلامة منهما؛ وقد قال
النمير بن تولب:

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ ، مع اختصار وحذف .

(٢) السلاطة : حدة اللسان والصغب : والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

أَعَذَنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَهَا عِلَاجًا
وقال محمد بن علقمة^(١):

لَقَدْ وَارَى الْقَابِرُ مِنْ شَرِّكَ كَثِيرٍ تَحِلُّ وَقَلِيلٍ عَابِ
صَوْتًا فِي الْحَافِلِ غَيْرَ عِيٍّ جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَوَابِ

ثم استرسل في ذكر العيِّ والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين
بآيتين ؛ بقوله تعالى : ﴿سَلِّقُوا كَمَا بَأْسَنِي حِدَادٌ﴾^(٢) ، وفي الضدِّ بقوله تعالى : ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ
الْحَدِيدَ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣) ؛ فاحتذى الحريري هذا الحدو ، فجاءت تشبيهاته
أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتداء بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ
منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شرِّة بعمرة واللسن باللسن ، والهدر
بالحصر ؛ إذًا تفهمت مواقعها في كلامه قُتَّ عليها ما يشبهها في النظم والنثر .
وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هي أن يضع الشاعر ألفاظًا يعتمد
التوافق بين بعضها وبعض في الخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف
بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فيا عجباً كيف اتفقنا فناصرٌ وفي ومطوى على الفسَّ غادرٌ^(٤) !
لجمل يازاء « ناصح » ، « وفي » ، « غاشاً : غادراً » . ومثله :
فَتَيَّ تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدَايَا^(٥)

نستكفي : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن
تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار النضة بالنار ، قال تعالى في الاختبار :
﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾^(٦) ، أي اختبارناك . والفتن : الفضة المحرقة ، والفتن أيضاً : الحجارة
المحرقة ، وهي الحجارة تُدَلَّكُ بها الأقدام في الحمام . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والتبيين : « عرز بن علقمة » .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير التعبير ١٨١ — قال : وأحبه لكثير . وانظر العمدة ٢ : ١٤ .

(٥) للناطقة الجندی ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإنسان بحضرة، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» .
إغضاء: تجاوز ومسامحة، وأصله أن يبدو لك الشيء فتدنى جفنيك وتقصُر نظرك كأنك لم تره . والإغضاء: الإغماض وأغضيت عنه وأغمضت، إذا تغافل عنه . السامح: الموافق لعرضك، المتجاوز عن عيبك . الانتصاب: الظهور والاعتراض أمام الشيء . إزراء: تقصير وتنقيص . القادح: العائب، وقدحت الدود في الأسنان والشجر: أكلتها، فكان فعل هذا العائب في أعراض الناس فعل الدود في الشجر . والقادح أيضا: الذي يضرب الزند بالحجر ليورى . هتك: شق، وهتك الست: خرقتها . الفاضح: الذي يشهر عيوبك، وفضحت الشيء: كشفتته .

وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سَوَاقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوَاقِ الشَّبَهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خِطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا قَائِدًا إِلَى الرُّشْدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ الزَّيْغِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً تُدْرِكُ بِهَا عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

نستغفرك: نسألك المغفرة، وهي من غفرت الشيء سترته . الشبهات: جمع شبهة وهي ما يشبه عليك أمره . والخطوات: جمع خطوة؛ وهي ما بين القدمين . الخطط: جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الأرض يجعله حداً للشيء يحوزه ويعتمده . والخطئة، بالضم: المنزلة والمزية . والخطيئات: الذنوب، وهي من الخطأ، وجعل ماساقه .

في المقامات كأنه شهوة اشتبهى عملها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يجهل التابع فيها فاعله فيها خاسر الصنفه - فإِذَا استغفر الله منها. الرُّشد : الهداية رُشده الله رُشداً وأرشدته : هَدَاه . ورُشدهو رُشداً ورشادا : اهتدى . متَحلياً : متَّصفاً ومتزِيناً . مؤيداً : مُعَاناً . وأصابني كلامه إصَابَةً : إِذَا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطئ . ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١) ، أى حيث أراد ، قال الفراء : اختلفتُ أنا وعيسى النعوى في الآية فقالت : ما أخذُ أعلمُ بهذا من رؤية ، قال : فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين . فقال : أين تصيبان ؟ أى أين تريدان ؟ ، قلت لصاحبي : كُفَيْتَ السُّؤال^(٢) . ذائدة : دافعة . الزَّيغ : الميل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل . العزيمة : الجِدُّ ، وعزم على الشيء : جَدَّ فيه . قاهرة : غالبة . وهوى النفس : ما تحبّه وتميل إليه . بصيرة : يقينا ، والبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عِرْفَانُ القدر ، أى معرفة أقدارنا .

وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَعْضُدَنَا بِالْإِعَانَةِ عَلَى الْإِبَانَةِ ، وَتَمْصِمَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي الرَّوَايَةِ ، وَتَضَرِفَنَا عَنِ السَّفَاهَةِ فِي الْفُكَاةَةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الْأَسِنَّةِ ، وَنُسَكِّي غَوَائِلَ الزَّخْرَفَةِ ؛ فَلَا نَرِدَ مَوْرِدَ مَأْنَمَةٍ ، وَلَا نَقِفَ مَوْفِقَ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُرْهَقَ بِبَيْعَةٍ وَلَا مَمْتَنَةٍ ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعْدِرَةٍ عَنْ بَادِرَةٍ .

(١) سورة م ٣٦ .

(٢) الخبر في الكشاف ٤ : ٧٤ ، وروايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة قصدها لبسألاه عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين نصيبان ؟ فقالا : هذه طلبتنا ؛ ورجعا » .

(٢ - شرح المقامات)

الدَّرَايَة : مصدر دَرَيْتُ الشَّيْءَ دَرَايَةً وَدَرِيًّا ، عَلِمْتُهُ . تَعَصَّدُ نَاتِقُونَا ، وَعَصَدَهُ : أَعَانَهُ وَكَانَ لَهُ عَصُودًا . الْإِبَانَةُ : مصدر أَبْنَتُ الشَّيْءَ ، أَيْ بَيَّنْتُهُ . تَعَصَّنَا مِنْ الْغَوَايَةِ ، أَيْ تَمْنَعُنَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْفَسَادِ ، وَالْغَوَايَةِ : مصدر غَوَى غَيًّا وَغَوَايَةً وَغَوَى أَيْضًا غَوَايَةً ، وَهِيَ ضِدُّ رُشْدٍ رُشْدًا . الرَّوَايَةُ : نقل الحديث من صاحبه إِلَى طَالِبِهِ . تَصَرَّفْنَا : تَرَبَّلْنَا . السَّفَاهَةُ : الْجَهْلُ ، وَالْفَسَاكَةُ : الْمُرَاحُ وَمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ النَّفْسُ وَهِيَ فِي السَّكَامِ كَالْفَاكِهِ فِي الطَّعَامِ . حَصَائِدُ الْأَلْسِنَةِ : شَرٌّ كَلَامِهَا وَقَطْعُهَا فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ ، وَأَرَاءُ مُتَجَاةٍ فِي حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَنَأْخُذُ بِمَا تَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : « تَكَلَّمْتُكَ أَمَّا بِمَا عَاذَ هَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى رءُوسِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ! » فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَتِمَّ سَعْدُهُ بِأَنْ يُؤَمِّنَهُ عَادِيَةُ الْأَلْسِنَةِ . وَالْحَصَائِدُ فِي الْأَصْلِ : جَمْعُ حَصِيدَةٍ وَهِيَ الْحُزْمَةُ مِنَ الزَّرْعِ الْحَصُودِ فَهِيَ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ ، وَالْحَصِيدُ : الشَّيْءُ الْحَصُودُ .

نَكْفَى : نَمْنَعُ . غَوَائِلُ : قَوَائِلُ وَمَهْلِكَاتُ ، وَاحِدُهَا غَائِلَةٌ ؛ وَغَالَتْهُ الْمَنِيَّةُ أَهْلَكَتُهُ . الزَّخْرَفَةُ : تَزْيِينُ الْبَاطِلِ ، وَأَصْلُهَا تَزْيِينُ الشَّيْءِ بِالزُّخْرِفِ وَهُوَ الذَّهَبُ . تَرَدَّدَ : تَقَصَّدَ . مُورِدٌ مَائِمَةٌ : مَوْضِعٌ إِيَّاهُمْ ، وَالْمُورِدُ أَصْلُهُ الْمَوْضِعُ يُشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ . مُنْدَمَةٌ : نَدَمَ . تَرَهَقَ : تُتِّهَمُ وَنَدَابُ : وَالزَّهَقُ : الْعَيْبُ ، وَتَبَعَةٌ : خَطِيئَةٌ يَتَّبِعُهَا ضَرْهَا بَعْدَ الْمَوْتِ . مُعْتَبَةٌ : سَخَطٌ ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَابِ ، وَهُوَ تَقْبِيحُ الْقَوْلِ عَلَى جِهَةِ الْإِشْفَاقِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ عَتَبْتُ الْأَدِيمَ ، أَيْ رَدَدْتُهُ إِلَى الدِّبَاغِ لِيَصْلَحَ ، وَمِنْهُ : إِنَّمَا يَعْتَابُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ ^(١) . وَيُقَالُ : عَتَبْتُ عَلَى فِى كَذَا عَتَبًا فَأَعْتَبْتُهُ ، أَيْ رَجَعْتُ إِلَى مَا يَرِيدُ وَأَرْضِيْتُهُ . وَبَاءُ « تَبَعَةٌ » وَتَاءُ « مُعْتَبَةٌ » يَكْسِرَانِ وَيَفْتَحَانِ . نَلَجَأُ : نُجَوِّجُ . مُعْذَرَةٌ : اعْتِذَارٌ . بَادِرَةٌ : سَمَّطُهُ وَزَلَّةٌ ، وَقَدْ بَدَرَتِ السَّكَمَةُ وَالْفَعْلَةُ :

(١) الْيَدَانِ ١ : ٤٠ : قَالَ : « وَالْمَائِمَةُ : الْمَاوِدَةُ ، وَبَشَرَةُ الْأَدِيمِ : ظَاهِرُهُ الْقَدِ عَلَيْهِ

السَّعَرِ ، أَيْ أَنْ مَا يَعَادُ إِلَى الدِّبَاغِ مِنَ الْأَدِيمِ ، مَا سَلَمَتْ بَشَرَتُهُ » .

خرجت من غير أن يدبر موقعا ، وفلان تُحشى بواده ، أى فلتاته .

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُتَنِيَّةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا تَضْحَجْنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْمَلْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَبَحْنْنَا بِالِاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمُسْكَنَةِ ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجُحْمِ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ الْمَشْفَعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ^(١) . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وَهَدْيِهِمْ مُتَّبِعِينَ ، وَانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

الْمُتَنِيَّةُ : مَا يَتَمَنَّى . وَالْبُغْيَةُ : مَا يُطْلَبُ . أَنْلِنَا : أَعْطَيْنَا . تَضْحَجْنَا : تَكْشِفُنَا . ظِلُّكَ السَّابِغُ : سَتْرُكَ الْمَدِيدِ ، وَأَصْلُ الظِّلِّ السِّرُّ ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ الشَّمْسُ ، وَفِي الْحَدِيثِ « ضَحَا ظِلُّهُ » ، أَيْ عَدِمَ فَانْكَشَفَ مَوْضِعُهُ لِلشَّمْسِ . مُضْغَةٌ : لُقْمَةٌ ، وَكُلٌّ مَا يَمِضُغُ لُقْمَةً ، وَالْمَاضِغُ هُنَا : الْعَائِبُ الْآكِلُ أَعْرَاضَ النَّاسِ ، وَجَمَلَ الْعِرْضِ حِينَ يَمِيبُهُ مُضْغَةً لَهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا عُرِجَ

بى سررتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » . المسألة : الحاجة والفقر . نجحنا : أقررنا ، ونجح له بحقه أقرب به ، ونجح نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فاعْلَمَكَ بِأَخِيحُ نَفْسِكَ ﴾^(١) فالتمدية بالباء غير التمدية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والذلة . استنزنا : طلبنا أن تُنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطاف . والجَم : الكثير . فضلك : إحسانك . عَمَّ شَمَل . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل : الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التى نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك . التوشل : التقرب . البشر : الخلق ، وهو فى الأصل جمع بشرة ، وهى ظاهرة الجلد ، وسئوا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب لغيره . والمشفع : الذى أُعطيَ الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمؤمنين المُتقين ! لا ولكنى للمذنبين المتلوسين الخطائين »^(٢) .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو الأشيء باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليين : أعلى الجنة وكأنه جمع عليّة . المبين : اللبّين . رسول كريم ، قيل : هو جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . نَمَّ : معناه . هناك ، قال الزجاجي : هى إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأشهر أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريري آخرنا فأزال الآية من كتابه ، واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم . وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، وليس رجوعه عن القول .

(٢) نقله فى الجامع الصغير ١ : ١٨ .

(١) الكهف ٦ .

(٣) - سورة الأنبياء ١٠٧ .

جيب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن الثابت عند ابن جهور (إنه لقول رسول كريم) ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذِي قُوَّةٍ : لأنه قلع بأحد جناحيه أربعَ مدائن لقوم لوط ؛ وهى سدُوم ودامورا وصابورا وعمُورا ؛ فى كل مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام . آله ، أى أهله وأصله «أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما تضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى المضمَر فى الشعر والكلام النصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر الزبيدى ، فإنهما منعا من إضافتها إلى المضمَر ، وأكثرهم على أن هزمتها مبدلة من هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل يتول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديه وهديتهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصحابي ، لا تتخذوهم غرَضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . جدير : حقيق .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بَعْضُ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّتِي رَكَدَتْ فِي هَذَا الْمَضَرِّ رِيحُهُ ، وَخَبَّتْ مَصَائِيحُهُ ، ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا بِدَيْعِ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ «الْإِسْكَندَرِيَّ نَشَأَتْهَا ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ رَوَايَتُهَا ، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تَعْرِفُ .

~ ~ ~

أندية : مجالس واحدها ندية ، والندى والنادى والمنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من الندى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيعطون -
وقيل : هو من النداء الذي هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجتمعوا -
وقيل : هو من الندى وهو العرق لأن الداخل فيه يحتشم فيمرق. والأدب : معرفة
الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متفتناً مشاركاً. ركبت : سكنت ،
والمقامات : المجالس ، واحداً مقاماً ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقاماً
ومجلساً ، لأن المستمعين للحديث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحديث يقوم ببعضه
تارةً ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعمى : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض
على فعل الخبر .

[بديع الزمان الهمذاني]

ذكر البديع أبو منصور الثعالبي في يتيمة ، قال : « بديع الزمان هو أبو الفضل
أحمد بن الحسين الهمذاني ، مفخر همذان ، ونادرة الفلك وبكر عطارد ، وفريد
الدهر ، وغرة العصر ؛ ومن لم يُنَافَ نظيره في ذكاء التريخ وسرعة الخاطر
وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه في ظرف النثر ومآحه
وغرر النظم ونكته ، ولم يُرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أو جاء
بمثل إعجازه وسعره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها
أنه كان يُنشد القصيدة لم يسمعها قط ، وهي أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها
كأبها ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق
من كتاب لم يعرفه ولم يره نظارة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا
ويسردها سرداً . وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب
وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب
الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطوره . ثم هلمَّ جرّاً إلى الأول ، ويخرجه
كأحسن شيء ، وأماحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من
إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويعطى التوافي الكثيرة ، فيصل

بها الأبيات الرشيقة . ويُقترح عليه كلّ عروض من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يباعه ، و نفس لا يباعه ؛ وكلامه كله عفوا الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص المود ، حلوا الصداقة ، مرّ العداوة . فارق همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غصّ الحداثة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستفدّ علمه ^(١) . وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عباد ، قزود من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ^(٢) ، قنشر بها برّه ، وأظهر طرزّه ، وأملّى أربعائة مقامة نجلها أبا الفتح الإسكندريّ في الكدّية وغيرها ، وضمتها ما تشهى الأنس ؛ من لفظ أتيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجّع رشيّق المطلع والمقطع كسجع الحمام . وجنّد يروق في ملك القلوب ، وهزل يشوق في سحر العقول ... ^(٣) ثم ألقى عصاه بهرّة ، فماش فيها عيشة راضية . وحين بلغ أشده ، وأرنب على أربعين سنة ؛ ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ؛ فقامت نواذب الأدب ، واطلم حدّ القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، وورثاه الأكارم مع المسكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظم موثره ؛ والله عزّ وجلّ يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه ^(٤) .

(١) القيمة : « واستفد علمه ، واستنزف بحره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والمبارة في القيمة : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتميش في أكنافهم ، والالتباس من أنوارهم ، واختم بالدهمضدا أبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائه لديه ، وتوفر خطه من عادته المرونة و إسماء المرووف ، والإفضال على الأفاضل . ولا استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عنه في سفرته فوافها في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام التتالي ما يزيد عن صفحة .

(٤) قيمة الفهر : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطها من يتابع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بالفاظ بعيدة حوشية ، فعارضه البديع بأربعمئة مقامة ، خفيفة الأغراض والمقاصد ، بدعة المصادر والموارد (١) . انتهى كلامه .

والذي جاء بها ، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر ، فجاءت مقامات الحريري أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعية . وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنِّي فَتَشْتُ فِي لَقَبِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريري والبديع ، فقال : لم يبلغ الحريري أن يسمى «بديع يوم» ؛ فكيف يقارن بديع زمان !

و جرى ذكر مقاماته في مجلس بعض أسيادنا ، وكان حافظاً أديباً ، فقال : مقامات البديع يعكس أنها ارتجال ، وأن البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه : اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامةً ، فيقترحون ما شاءوا ، فيملي عليهم المقامة لارتجالاً في الغرض الذي اقترحوه ؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع قوله علامة : أي كثير العلم ، وهي بذية للمبالغة .

[ذكر همدان]

وهمدان ، بفتح الهم ونقط الدال : بلد بخراسان . وقيل : همدان من كور الجبل . وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور ، افتتح سنة ثلاث وعشرين ، وبشرب أهلها من عيون وأودية . وقال اليعقوبي : من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متنزهاً إلى موضع ، يقال له : أسد آباز مرحلتين -

(١) زهر الآداب ٢٦١ .

هو من أسد آباد إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد . وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني همدان :

إذا همدانُ اعترَّها البردُ وانقضى
برغمك أيلولُ وأنت مقيمُ
فميناك عَمَّشَاوَانِ وَأَنْفُكَ سَائِلٌ
ووجهك مودَّ البياض بهيمُ
بلادٌ - إذا ما الصيفُ أقبل - جنةٌ
ولكنها عند الشتاء جحيمُ

ولبعضهم :

همدانٌ متلفة النفوس ببردِها والزَّمهريرُ ، وحرَّها مأمونٌ^(١)
غلب الشتاء مصيبتها وخريفها فكأنما تموزها كأنونُ
وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الميم وفتح الهمزة ، إلا ابن اللبابة فإنه رأى في شرحه : همدان بكون الميم ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنةٍ لقات لهمدان ادخلوا بسلام^(٢)
والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أي نسب يقال : عزيت عزيّاً ، وعزوته عزواً : نسبه ؛ واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البديعية بمنزلة أبي زيد في الحريرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعها . روايتها : إسناد أحاديثها . والنكرة التي لا تعرف ، هي في غير الأسماء .

فأشار مَنْ إشارَتَهُ حُكْمٌ ، وطأَتْهُ غُصْنٌ ، إِلَى أَنَّ أَنْشِيَّ
مَقَامَاتٍ أَتْلُو فِيهَا تِلْوُ أَنْبَدِيرٍ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِعُ شَأَوُ
الضَّلِيلِ ، فَذَا كَرَّتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلْفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، وَنَظَمَ

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاتب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، وأوردها ابن رشيق في العمدة ١ : ٣٤ .

يَتَنَّا أَوْ يَتَّبِنِ ، وَاسْتَقْلَمْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ،
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسَبِّرُ غَوْرُ الثَّقَلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،
وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَعَطِيبِ لَيْلٍ ، أَوْ جَابِ رَجُلٍ
وَحَيْلٍ ، وَقَلَمًا سَلِيمَ مِكْثَارٍ ، أَوْ أَقِيلَ لَهُ عِثَارٌ .

° ° °

[السبب في إنشاء الحريرى للمقامات]

عُمْ : غنيمه . وحكى الفنجديسى في شرحه للمقامات : أن الذى أشار عليه بها
هو شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه
بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة وواليتها . وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر
عبد الله بن محمد بن أحمد بن النعمان البزاز ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس
أبا محمد الحريرى يقول : أبوزيد السروجى كان شجاعاً بليغاً ، ومكدياً
فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً فى مسجد بنى حرام يتكلم ، ويسأل
شيئاً ، وكان بعض الولاد حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء ، فأعجبهم فصاحته ،
وحسن صناعته وملاحظته ، وذكر أسر الروم ابنته ، كما ذكرنا فى القامة الحرامية :
وهى الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف
فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل ، وسمعت من
لطافة عبارته فى تحصيل مُرَادِهِ ، وطرافة إشارته فى تسهيل إيرادِهِ ؛ فحكى كل
واحد من جلسائى أنه شاهد من هذا السائل فى مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه
سمع منه فى معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يغير فى كل مسجد زينة
وشكله ، ويظهر فى فنون احتياله ، فمجبوا من جريانه فى ميدانه ، واقتنانه فى
إحسانه ؛ قال الحريرى : فابتدأت فى إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً حذوه ،
فلما فرغت منها أقرأتها جماعة من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان .

وأنهوا ذلك إلى وزير السلطان ، واقترحوا على أخواتها ، والله المستعان .

وهذا الذى ذكر القنجديهي قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطالبة « بسند متصل بأبى محمد الحريرى ، وأن الحريرى وفد مع أهل البصرة بندگان فوجدوا بواسط أبى زيد السروجي^(١) ، فقال : يا أهل البصرة ، أنتم تزعمون أنكم لا تكادون ولا تُخضعون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم ، فاعتذر على فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر . فلما بلغوا بندگان أخبروا بالقصة وزير السلطان ، فأمر الحريرى بجمع المقامات .

لكن الذى ثبت عندنا ، هو ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهري أن الفقيه الراوية أبى القاسم بن جهور ، حدثه أن الحريرى حدثه أن قصة المقامة الثامنة والأربعين حق ، وأن رجلا قام بمسجد بنى حرام ، فأظهر التوبة من ذنبه ، وسأل عن الوجه فى كفارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر ابنته ، فنظم الحريرى القصة وجعلها مقامة ، وأنها أول مقامة أثبتت فى الكتاب . وكان ابن جهور يقول : إن الذى أشار إليه بها فى قوله : « فأشار مع إشارة حكم » هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة فى الطلب ، وحفظ من الأدب ، وعناية بأهل العلم .

وحدث ابن جهور أنه دخل بندگان فى أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم ، وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان فى الديوان ، وأجرى على كل واحد من المال بقدر حفظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريرى ألف المقامات كلها على الركاب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أمره بصنعها ، أخرج كالحافظ على العمال ، فكان يخرج فى الأبردين يتمشى فى ضفتى دجلة والفرات ، ويصقل خاطره بنظر الخضره والمياه ، فلم ينقض فصل العمل إلا وقد اجتمع له

(١) السروجي ، بفتح السين : منسوب إلى سروج : بلدة قريبة من حران واسم أبى زيد السروجي الطهر بن سلال القوي ، وأحد من اختل بالنعوق البصرة ، ذكره القنطري فى إنباء الرواة ٣ : ٢٧٦ .

مائتا مقامة ، غلّص منها خمسين وأتلف البواقى ، وصدر الكتاب ، ورفعهُ إلى
السلطان ، فبلغ عنده أسنى المراتب .

قوله : « فذا كرتَه بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين » ،
قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان فى فسحة مِنْ عقله ، وفى سلامة من أفواه
الناس ، ما لم يضع كتاباً أو يقول شعراً .

وقال العتّابى : مَنْ صنع كتاباً فقد استشرف المدح والذم ، فإن أحسن
قد استهدف للحدود الغيبة ، وإن أساء فقد تعرّض للشتم بكل لسان .

غيره : من صنّف فقد جعل عقله على طبقٍ يعرضه على الناس . وقال حسان :
وإنما الشُّغْرُ عقلُ المرءِ يعرضُه على البرية إن كَيْسًا وإنْ حُمْقًا^(١)
وإنْ أحسن بيتٍ أنت فائلهُ بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقاً

واستقلت : طالبت الإقالة . المقام : موضع القدمين وأنت قائم . يحار :
يتحير : يفرط : يسبق . الوهم : الغلط . يُسَبِّغُ غُورَ العنق ، يختبر قدره ومنتباهه ،
وأصله فى الجراحات يُختَبَرُ غُورُها ، أى بعد قعرها . والمنسبار : الحديد الذى يقاس بها
مقدار غُورِ الجراحة ، وسببها : قاسها به ، يفعل ذلك الطبيب للتقصّص أو للدواء ،
ويقال لحديدته : السِّبَارُ والمنسبار والمنسَبَر والمكحل والميل والمِرود والجراف .
تبيين : تبيين . يضطر : يُبلجأ . حاطب ليل : جامع الخطب بالظلام ، وهذا مثل
لأكرم بن صيفى حكيم العرب ، ذكره أبو عبيد فى الأمثال^(٢) ، وقال : إنما شبهه
مخاطب الليل لأنه ربّما نهشته الحية أولسعته العتوب فى احتطابه ليلاً ، فكذلك
المبذّر ربّما أصابه فى إكثاره بعض ما يكره ، قال النّزّدى :

كمحتطبٍ ليلاً أسودَ هضبةٍ أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبُه^(٣)

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يختطب ، فهو يؤلف بين
الحطب الكبير والصغير ، القوى والضعيف ، والجيد والردى ، فكذلك المكثّر

(١) ديوانه ٢٩٢ . (٢) فصل المقال ٢٥ ، ولفظ المثل فيه : « المكثّر كحاطب الليل » .

(٣) ديوانه ٥١

يأتى بالضعيف من الكلام والقوى والجيد والردى، فشبته لذلك بالحاطب، وأراد
بـ «جالب رجل وخيل» ما أراد بحاطب الليل، لأن الرجل ضعيف والفارس
قوى. والمكثر: الكثير الكلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَثُرَ
كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَ ذَنْبُهُ، وَمَنْ كَثُرَ ذَنْبُهُ، كَانَتْ
النَّارُ أَوْلَى بِهِ، أَلَا وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»^(١).
أقيل: أقيم ورفع. عثار: انكباب وسقوط، وإقالة العائر أن ترفقه من
سقطته، ومنه الإقالة في البيع ونحوه.

فَلَمَّا لَمْ يُسْعِفْ بِالْإِقَالَةِ ، وَلَا أَعْفَى مِنَ الْقَالَةِ ، لَبِثَتْ
دَعْوَتُهُ تَلْيِيَةً الْمَطِيعِ ، وَبَذَلَتْ فِي مُطَاوَعَتِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ ،
وَأَنْشَأَتْ - عَلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ ، وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ ،
وَرَوِيَّةٍ نَاصِبَةٍ ، وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ - تَحْسِينَ مَقَامَةٍ ، تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ الْقَوْلِ
وَهَزْلِهِ ، وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ ، وَغَرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ ، وَمُلْحِ الْأَدَبِ
وَنَوَادِرِهِ ، إِلَى مَا وَشَّخَّهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَمَحَاسِنِ الْكِنَايَاتِ ،
وَرَصَمَتِهِ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاللَّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَالْأَحَاجِي
النَّحْوِيَّةِ ، وَالْفَتَاوَى اللَّغَوِيَّةِ ، وَالرَّسَائِلِ الْمُبَشِّرَةِ ، وَالْمُحْطَبِ
الْمُحَبَّرَةِ ، وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَةِ ، وَالْأَصَاحِيكِ الْمُلْهِمَةِ ، مِمَّا أُمْلِيتُ
جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ ، وَأُسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى
الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ الْبَصْرِيِّ .

يُسْعَفُ: يُوَاتِي وَيُنِيلُ الرِّغْبَةَ ، وَأَسْعَفَتِ الرَّجُلَ بِمَطْلَبِهِ : سَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ .

(١) الجامع الصغير ٢ : ٣١٤ .

هو الإسفاف المصدر ، وساعفته مساعفة : قضيت إرادته . ولا أعنى من المقالة ، أى لم يُعنى من كلامه وإلحاحه ، وأعفيت : الرجل وعافيته : أزلت عنه ما يشق عليه ، وأصله الترك ، ومنه إعفاء اللحية . وهو أن يتركها على حاملها ، ومنه : عفا الله عنك . لنيت : أحيت وقلت : لييك . أنشأت : ابتدأت وأخذت أفعل . أعانيه : أعالجه ، وأصلها من الصناء وهو التعب . قريحة : ذهن ، وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ، ومنه القريحة للجراحة ، لأن أصلها مادة وشبهه الذهن بذلك لما يتولد عنه من العلماني . فطنة : ذكاء ، والفطن : الذكى . خامدة : ساكنة ، وخدت النار : سكن لها . روية تدبر ، وروأت الأمر ، تدبرت كيف تصفه ، وأصل الروية بالهمز واستعملت بنير همز . ناضبة : جافة ، ونضب الماء : غار في الأرض . ناضبة : متعبة ، وهم ناصب على معنى النسب ، أى ذو نسب ، ولو جاء على القياس ل قيل : منصّب ، لأن فعله أنصبه الهم ، وقال بشر :

تَعَنَّاكَ هَمٌّْ مِنْ أُمِيَّةٍ مُنْصِبٍ وجاء من الأخبار ما لا يكذب^(١)

ونصب نصباً : أعيا من التعب . جزلة : غليظة ومتينة . غرر : جمع غرة وهى خيار الشيء ومنه غرة الفرس وهو البياض فى جبهته فجعلها للبيان مجازاً . درره : جمع دررة ، وهى الجوهرة العظيمة ، والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر . ملح : جمع ملحة ، وهى مليح الكلام . نوادره : غرائب . وشعثها : زينتها . الكنايات : ضرب من الألفاظ ، وأصل الكناية أن تذكر الشيء بنير لفظه ، إما لإيهام على جليستك أو لتعظيم أو لتحقير ، فالإيهام أن تذكر لفظاً يُفهم من ظاهره غير مرادك ، مثل قوله تعالى حاكياً عن هود عليه السلام ، حين قال له قومه : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ... ﴾ قال يا قوم ليس بى سفاهة^(٢) ، فليس فى اللفظ زيادة على نفي

(١) مطلع قصيدة فى ذيوته ٧ - ١٢ ، ورواية الفطر الثانى فيه :

• كَذَى الشَّوْقِ لَنَا بِسَلَهٍ وَسَيَذْهَبُ •

(٢) - سورة الأعراف ٦٦ ، ٦٧ .

السفاهة ، وقد تضمنت الكلام التكذيب لهم والتعظيم ، مثل كناية الرجل بأبي فلان ، ترك اسمه وعدل إلى كنيته تعظيماً له . والتحذير : أن يكون الشيء خسيئاً فتأفف من ذكره فتذكره بغير اسمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانُوا يَا كَلَانَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) فكفى عن الحدث بالأكل لما كان يتولد عنه . رخصته : نظمته ، وألصقت ببعضه ببعض ، وتاج مرصع : مزين بخرز وجوهر ينظم فيه . الألفاف : الرقائق والكلمة اللطيفة ، أى الرقيقة المعنى التى تحلّق فى القلب فتطأه . الأحاجى : ضرب من الألفاظ واحداً أحجية ، وهى قولك لصاحبك : أخرخ مافى يديّ ولك كذا ، تقول العرب : أحاجيك مافى يديّ ؟ وحجّياك مافى يديّ ؟ وهى من الحجى ، وهو العقل .

الفتاوى اللغوية ، أراد بها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين ، والفتيا : إظهار الشيء المستول عنه عند السؤال . المبتكرة : التى لم يسبق إليها ، وبكر وابتكر . خرج مبتكرة ، ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء فى الإدراك ، وبكر كل شيء : أوله . الحبرة : الزينة ، وحبرت الشيء تهيئاً زينة ، وأصلها من الخبر ، وهى ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين . أمليت : ألقيت ، وأمليت على الصبي : ألقيت عليه ما يكتب . أسندت : رفعت .

وما قصدتُ بالإنحاضِ فيه ، إلا تنشيط قارئه ، وتكثير سواد طالبيه . ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا يتيقن قذّين ، أسست عليهم أبنية المتقاة الحلوانية . وآخرين توأمتين منهنّما المقامة الكرجية^(٢) ، وما عدا ذلك فخاطرى أبو عذريه ، ومقتضب حلوه ومثوره .

(١) سورة الفاتحة ٧٠ .

(٢) ط : «خواتم القامة الكرجية» ، وما أنبهه من ج .

هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ الْبَدِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ ، وَمُصَاحِبُ
آيَاتٍ ، وَأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ ؛ وَلَوْ أَوْتِي بِبِلَاغَةٍ
قُدَامَةٍ ، لَا يَنْتَفِرُ إِلَّا مِنْ فُضَائِلِهِ ، وَلَا يَنْتَرِي ذَلِكَ الْمُنْتَرِي
إِلَّا بَدَلَالَتِهِ .

الإحماض : الانتقال من شيء إلى شيء ، وأصله في الإبل ترى الحُلَّةَ ، وهي
حُلُو المَرعى فتَمَلُّه فتنتقل إلى الحِمَضِ تأكل منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاءً .
الحلاوة ، فتشط بذلك على الرعى فيقال : أحض الرجل إحماضاً ، والعرب تقول :
الحُلَّةُ خبز الإبل ، والحمض فأكتمها ، فأراد به تنقله في المقامات ، من حكاية فائقة ،
إلى قضية راقية ، ومن موعظة تُبكي إلى مأهية تُسلي ، وفي ذلك تنشيط وترغيب .
في قراءتها ، ونقَى اللَّغْلَ والكسل عن قارئها . سواد : أشخاص ، ويسمى الشخص
سواداً ، لأنه يسود الأرض بظله . أودعه : أضتمته . الأجنبية : التي ليست من شعره .
والأجنبي : من ليس بينك وبينه قرابة ، من الجنابة وهي البعد . قَدَّين : منفردين .
هذا من شعر وهذا من آخر . توأمين : أخوين من شعر واحد . أسست :
أصلت ، والأساس أصل الحائط . الخلوانية والكرجية : منسوبتان إلى خلوان
والكرج ، وهما بلدان . ماعدا : ماجاوز . خاطري : ذهني . أبو عُذْرَه ، أى
أول صانع له ، يقال للمرأة : فلان أبو عُذْرَها ، أى أول زوج تزوجها فوجدها عذراء
فاقتطعها وأزال عُذْرَتها ، أى ما بها من صموبة . مقتضب . مقطوع . حُلُوهُ ومُرَّه :
جيدته وورديته .

غَايَات : جمع غاية وهي طَلَقُ^(١) الخيل ، والسَّباق منها الذي يحى أبداً سابقاً ..

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل .

التصدى : التفرّض . بلاغة : فصاحة ، وأصلها أن يبلغ الإنسان من الكلام والحجة ما أراد .

[ذكر قدامة بن جعفر]

قدّامة ، هو أبو الوليد^(١) بن جعفر ، كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صناعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدلّ على متصّنه ، وله تحقيق في صنع البديع يميّز به عن نظرائه ، وتديق في كلام العرب يُرَبِّي فيه على أكفائه ، وتحديق في علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه ؛ فلذلك سار المثل ببلاغته ، واتفق المتقدّم والمتأخّر على فضل براعته .
الفُضالة : البقية من الماء وغيره ، وهي ما فضل عن الحاجة . واغترقها : أخذها بيده . يسرى ذلك السرى : يقصد ذلك المقصد ، وأصل يسرى ، يسير بالليل . دلّالته : تقدّمه وهدايته ، وتفتح دالها وتكسر ، والفتح أكثر .
والدليل بالفلاة : الذي يهdy القوم قصدم .

• • •

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ :

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ مَبَابَةً

بِسُعْدَى شَقِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَأَكِنَ بَكْتِ قَبْلِي فَمَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ

بُكَاهَا ، فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

• • •

(١) كنيته في معجم الأدباء ١٨ : ١٢ : أبو الفرج . واسمه قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب . قال : « كان أحد البُناة الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ؛ ومن يشار إليه في علم النطق » .
(٢ - شرح مقامات الحريري)

مبكاهها : بكاءها . صباة : شوقا . هيج : حرك ، والبيتان لعدي بن الرقاع ، وقبلهما :

ومما شجاني أنني كنت نائماً أعلل من فرط الكرى بالتنشيم^(١)
إلى أن دعت ورقاء في غصن أيبكة تُردد مبكاهها بحسن الترتيم
فلو قبل مبكاهها . . .

[عدي بن الرقاع]

وعدي هو أبو زيد بن مالك ، ينتمي إلى معاوية بن الحارث ، وينسب إلى الرقاع وهو جدُّ جدّه . وكان شاعراً مقدّماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك ، ومنزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وكان من أوصاف الناس للبطية ، وكذا ذكره صاحب الأغاني^(٢) في ترجمته . وقال نوح بن جرير لأبيه : مَنْ أنسب الناس^(٣) ؟ قال : ابن الرقاع في قوله :
لولا الحياة وأن رأسي قد عسا فيه الشيبُ لزرتُ أُمّ القاسم^(٤)
وكانها بين النماء أعارها عينه أحورُ من جآذر جاسم
وسنّان أقصده النعاس فرنّت في عينه سنّةٌ وليسَ بتأمم

أقرّ الحريري هنا للبديع بالفضل ، وجعله سبّاقاً للنايات ، وما أحسن هذا الأدب منه ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدل دليل على ذلك أنه منذ ظهرت مقامات الحريري لم تستعمل مقامات البديع ، ثم إنه طبق استعمالها آفاق الأرض ، إلا أنه أسرّها شيئاً ، لأنه ختم كلامه ، بأن البديع فضله بالتقدم ؛ وهذا منه مذهب مستحسن ، ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ،

(١) الكامل للبرد ٣ : ١٢٥ ؛ قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أن الشعر لنصيب .

(٢) الأغاني ٩ : ٣١٠ ؛ الشعراء .

(٣) الأغاني ٩ : ٣١٣ ، وعسى ، أي اختد وانقصر .

ثم لم ير نفسه قدراً في قوله : « وإن لم يدرك الطالب شأؤ الضليع » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذي جريته إذا اجتهد دون مشي الصحيح ، وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة . ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطار صريح في الظاهر للسامع بأن البديع سباق غايات ، وصاحب آيات ، وأومى لمن ظن ، أنه إتماماً فضله بتقدم الزمان . ثم خلط الكلام في الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ، ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب في السابعة والأربعين ، وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع ، حيث يقول :

إن يكن الإسكندري قبلي فالطلّ قد يبدو أمام الويل
• والفضل للوايل لا للطلّ •

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين إلى سوء الأدب، ورأى فضل مقاماته ، لمذمّ البديع وقص كتابه فكان يتمكس الذمّ عليه ؛ وكذا رأينا في الناب من ادعى لنفسه فضلاً ، وازدري غيره ، أنه قلما يكون إلا ممقوتا ، فلما أظهر الحرري مدح البديع ، ووفاه قسطه من التفضيل والترفع ، ولم ينظر إلى نفسه إلا بطرف خفي قلّ من يتفطن له ، ستر الله عليه ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة . فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق ، وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب^(١) فلا يذمّ كتابه إلا أحد الرجلين فذين ذكرهما ؛ إما جاهل ، أو حاسد .

• • •

[القديم والحديث في الأدب]

ومذهب الناس في تفضيل الحديث على القديم ؛ وأكثرهم على تفضيل القديم ، وقد أحسن حبيب حيث يقول :

قلّ فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول^(٢)

(١) ط : « مغرب ... مغرب » ، والوجه ما أتيت من الأدب .

(٢) ديوانه ٤٥٧ .

كم منزل في الأرض يأنفه التي وحينئذ أبدأ لأول منزل
وقال :

لَا زِلْتَ مِنْ شَكْرِي فِي حُلَّةٍ لَا يُسْبَا ذُو سَلْبٍ فَآخِرٍ^(١)
يقول من تفرع أسماعه : ما تَوَكَّ الأول للآخر
وذكر ابن شرف علة ذلك فقال :

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير الدميم^(٢)
ليس إلا لأنهم حسدوا الحق ومالوا إلى العظام الرميم^(٣)
وللتأخرين شعر كثير في تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين ؛ من أحسنه
قول للمري :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتي بتمائم تستطه الأوائل^(٤)
وقال ابن عمار :

أنا ابن عمار لا أخفي على أحدٍ إلا على جاهل بالشمس والقمر
إن كان آخرني دهرى فلا عجبٌ فوائد الكتب يستلحقن في الطرر
والذي ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق ، قال : وليس يقدم العهد
بفضل القائل ، ولا لحدائث العهد يُهضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق^(٥) ..

[القول في الحمام]

وأما بيت عدى في الحمام ، فالحمام قد كثر ذكر العرب لها في شعارها ، ونظم
هنا بفصل منها ؛ يروى عن علي رضي الله عنه أنه اشتكى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحشة فقال له : « اتخذ حمامة تؤنسك وتصيب من فراخها ، وتوقظك
للصلاة بتفريدها » .

(١) ديوانه ١٤٣ .

(٢) ألف باء : ١٠٩ : ٦٠ .

(٣) سقط الزند ٥٢٥ .

(٤) الكامل ١ : ٢٩ .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا الحمام فإنها تلهي الجنَّ عن صبيانكم »^(١) .

وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصجبه النظر إلى الحمام الأحمر وإلى الأترج .

وكان إبراهيم بن سيار يعجب بالحمام ، وكان إذا ذكرها يقول : إن الله جمع فيها حسنَ النظر ، وكرمَ الخبر ؛ تكفيك مؤنتها ، وتكثر لديك معونتها ؛ فهي للطارق عُدَّة ، وللمستوطن لَذَّة ، تطعم في الصحراء ، وتعود عليك بالسَّراء ، ويأنس الوحيد بحركاتها ، وتُغني عن الأوتار بنغماتها ؛ وغيرها من الطير يستعجم . وهي ناطقة ، وينفر عنك وهي داجنة ، وفي طباعها سكونٌ إلى الناس واستئناس بهم ، وهي طير عفيف ، يبقى الذَّكر بعد الأُنثى مفرداً ، والأُنثى مثل ذلك ، مع شدة اتفاقهما على المحبة ، إن طارا طارا معاً ، وإن وقعا وقعا معاً ، لها سرعة طيران ، لا تكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة .

ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان ، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعة ما يبعث التذَّكر ، ويولد الشجون ، ويهيج الأسى ، ويحدِّد رقة القلب ؛ حتى يحمل البكاء فرضاً معها ، والتصابي لازماً لأجلها ، وأعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف ، أتوا حواطئ النخل عند استعلاء الظهيرة ، إذا صارت الوراشين والقواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون هوياً نسون بشريدهنَّ ، وقيمون ترجيع أصواتهنَّ مقام الزامير والأوتار . وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر ، كقول أبي صخر الهذلي :

ولتأدعت غوزيةُ الأليك سَجَمَتَ فسَجَّعَ دمعِي يستهلُّ ويستشْرِى^(٢)

(١) الجامع الصغير ١ : ٩ ، وانظره : « اتخذوا هذه الحمام القاصيص » .

(٢) زيادات شرح أشعار الهذليين ١٣٣١ ، عن الفريرى .

بذكري شجوى دعاه حمامة وبيعت لوعات الصبابة في صدرى
بكت حزناً رزء الهديل وشفنى فراق حبيب ضاق عن فقدِهِ صبرى
وأشد الأصمعى قال :

أيها البابل المغرّد فى النَّخل غريباً عن أهله خيراناً
أفراقاً تشكوه أم ظلت تدعو فوق أفنان نخلة ورشانا !
هاج لى صوتك المغرّد شجواً ربّ صوت يهيج الأحزاناً
وقال آخر :

أحنّ إلى حواظ ذات عرقى لتفريد الفواخيت والخطام^(١)
ألم بها بكلّ فتى كريم من الفتيان مخلوع الزمام
وقال آخر :

إذا غنّت على الأغصان ورقّ أجبنّاها بإعمال الدّمام
وقال آخر :

سيفنيك عن مزار آل محرقى وصر بهم تفريد تلك الحمام
بأيكة أطيار تجاوبن بالضعى على باسقات مائلات نواعم
وأشد أبو على عفا الله تعالى عنه :

ومن بستان إبراهيم غنّت حمامٌ بينها فنّ رطيب^(٢)
قلتُ لما وقبت سهام رامٍ ورقط الريش مطعمها الحبوب
كما هيجت ذا حزن مُعنى على أشجانه فبكى الغرب
وقال نصيب :

لقد هتفتُ فى جُنح ليل حمامة تبكى على إلفٍ وإنى لنائم^(٣)

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق . وهو المد بين نجد وتهامة - ياقوت .

(٢) البيت الأول فى مجمل البلدان ٢ : ١٧٠ ، وقال : « وأشد الأيوردي لبهم »
وبستان إبراهيم فى بلاد أسد .

(٣) من أبيات أربعة فى ديوان المجنون . وكذا نسجها صاحب تار الأزمل ٧٠ .

كذبتُ وبيت الله لو كنتُ عاشقاً كنا سبقتني بالبكاء الحامِمْ
وأنشد أبو العباس لحيد بن ثور :
وما حاجَ هذا الشوقَ إلّا حمامةٌ دعت ساق حرةً ترحّةً وترنّاً^(١)
مُحَلَّاةٌ طوقٍ لم يكن من تميميةٍ ولا ضربَ صَواعجٍ بكفيه درهما
تَفَنَّتْ على غصنٍ عِشاءٍ فلم تدعْ لسانحةٍ في نوحها متلوّماً
إذا حَرَكَتهُ الريحُ أو مالَ ميلةً تَفَنَّتْ عليه مائلاً ومُتَوِّماً
عجبتُ لها أني يكون غناؤها فصيحاً ولم تَفَرَّ بمنطقها كما
فلم أرَ مثلي شاقه صوتُ مثيها ولا عَرَبِيّاً شاقه صوتُ أعجميها
وقال حبيب :

لتضمضتُ عبراتُ عينك أن دعتُ ورقاه حين تَضْمُضُ الإِظْلَامُ^(٢)
لا تَشْجِيَنَّ لها فإن بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرامُ
من الحام ، فإن كسرت عيافةً من حائِنٍ فإِنَّهُنَّ حِجَامُ
وسمع حبيب بخراسان غناء بالفارسية ، فلم يدر ما هو ، غير أنه شوقه قال :
حَدَّثَكَ لَيْلَةَ شَرُفَتْ وَمَالَتْ أَقَامَ سَهَادُهَا وَمَقَى كَرَاهَا^(٣)
سمعتُ بها غناء كان أولى بأن يقتاد نَفْسِي مِنْ عَنَاهَا
ومسممةٌ يَحَارُّ السَّمْعُ فِيهَا ولم تَصِيْمُهُ لَا يَصِمُّ صَدَاهَا

(١) الكامل ٣ : ١٢٤ ، قال : « أما قول حيد : دعت ساق حرةً ؛ فإنما حكى صوتها » . وفي شرح الديوان : هو ذكر القماري . وبسده في الكامل :

إِذَا شِئْتُ غَنَنْتِي بِأَجْزَاعِ يَشَّةٍ أَوْ النَّجْلِ مِنْ تَلَيْثٍ أَوْ بِلِيلَا
مَطْوِقَةٍ خَطْبَاهُ تَسْجَعُ كُلَّمَا دَنَا الصَّيْفُ وَانْجَابَ الرِّبْعُ فَأُنْجَمَا

انجبال : ألقم . وانظر ديوان حيد ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ديوانه ٢٧٩ وروايته « انصهرت » .

(٣) ديوانه ٤٦٧ ، وروايته :

شَكَرْتُكَ لَيْلَةً حَسَنَتْ وَطَلَبْتُ أَقَامَ سُرُورَهَا وَمَقَى كَرَاهَا

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجهاها
وظللت كأنتى أعمى معنى يحب الغانيات ولا يراها
يعنى بهذا الأعمى بشاراً حيث يقول :

يا قوم أذننى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)
قالوا بمن لا ترى تهذى! فقلت لهم: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا^(٢)

وَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ الَّذِي أَوْرَدْتُهُ ، وَالْمَوْرِدِ
الَّذِي تَوَرَّدْتُهُ ، كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظُلْفِهِ ، وَالْجَادِعِ تَمَارِنَ
أَنْفِهِ بِكَفِّهِ ، فَالْحَقُّ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ صَلَّ سَمِيهِمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

قوله : « الهذر الذى أوردته » ، أى الإكثار الذى أتيت به ، وقد تقدم
المورد^(٣) . وتوردته : اقتحمته . الباحث : المقتش ، والظلف : للبقرو النعم كالخافر
للخيل والحير . وهذا مثل للعرب ؛ وذلك أن ماعزة كانت تقوم ، فأرادوا ذبحها
فلم يجدوا شفرة ، فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة ، فذبحوها
بها ، وقالوا : نبشت عن حنفها بظلفها ، فارت مثلاً . وقال الشاعر :
وكانت كعمز السوء قامت بظلفها إلى مُدَّةٍ تحت الثرى تستثيرها^(٤)

(١) الأغاني ٣ : ٢٣٨ .

(٢) توفى ، أى تبلغ . (٣) صفحة ١٨ من هذا الجزء .

(٤) للفرزدق ، ديوانه ٧١ ، وروى أبو عبيد قبله :

وكان يُجِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ بَيْنِي نَفْسُهُ مَنْ يُجِيرُهَا .

وقال أبو الأسود :

خَلَا تَكُ مِثْلَ التِّي اسْتَخْرَجْتَ بِأَخْلَافِهَا مُدِيَّةً أَوْ يَفِيهَا^(١)
فَقَامَ إِلَيْهَا بِهَا ذَابِحٌ وَمَنْ يَذْعُ يَوْمًا شَعُوبًا يَجِيهَا^(٢)
ولفظ المثل عند أبي عبيد « كالعنز تبحث عن اللدية »^(٣) والجادع : القاطع
الأنف . والمارن : طرف الأنف ، وأراد به قصيراً مولى جذيمة الأبرش . وقد ذكرنا
قصته في شرح الرابعة والعشرين . ورجا المصنف ألا يدركهم الضرر ما أدركا^(٤)
من الضرر حين جنياً على أنفسهما وانتفع غيرهما . ضل سعيهم : خابت أعمالهم ،
وأصل ضل ، تحير فلم يدرك أين يتوجه ، وأصل السعى المشى بسرعة . سمع أعرابي
رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ، فقال : أنا أعرفهم ، قيل له :
ممن هم ؟ قال : الذين يرددون ويأكل غيرهم .

عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَعْمَضَ لِي الْفَطِنُ الْمُتَنَابِي ، وَنَضَعَ عَنِّي
الْمُحِبُّ الْمُتَنَابِي ، لَا أَكَاذُ أَخْلَصُ مِنْ غَمْرِ جَاهِلٍ ،
أَوْ ذِي غَمْرِ مُتَجَاهِلٍ ، يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ ، وَيَتَدَدُّ بِأَنَّهُ
مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ .

وَمَنْ تَقَدَّ الْأَشْيَاءُ بِمَنْزِلِ الْمَقُولِ ، وَأُنْعَمَ النَّظَرُ فِي مَبَانِي
الْأَصُولِ ، نَظَّمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ ، فِي سِلَكِ الْإِفَادَاتِ ، وَسَلَكَهَا
مَسَلَكَ الْمَوْضُوعَاتِ ، عَنِ الْمَجْمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ .

(١) ديوانه ٢٢ (ضمن مجموعة نقائس المخطوطات) .

(٢) رواية الديوان : « ومن يذع يوماً شعوباً » ، والشعوب : علم على النية .

(٣) فصل المقال ٢٨٨ . (٤) كنا في أول ط : « أدركها » .

أغمض : سامح وسدّ عينيه عما لم يرض . والفطن : الذكي . المتغابي : المتجاهل
عن الشيء وهو عارف به ، وهو مما يُحمد به الرجل ، قال حبيب :
ليس النقيّ بسيد في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي^(١)

ونضج بالماء : غسل . الحبابي : الذي يفصلني على غيري ، وحبابي : اختصني
بالعطية ، وأصل حباباه أن تعطيه ويعطيك ، وقد يكون في معنى «حبابه» . الغُمر :
الجاهل . ذي غمر : صاحب عداوة . متجاهل : مستعمل للجهل وهو على خلافه ؛
يقول : إن سدّ عينيه عن عيب فطن ذو عقل ، أو تغلبني حين يبصر لي خطأ ، أو رأى
لي ذلك العيب محب ، فجعل يفصله عني لمحبه لكلامي ؛ فلا أخلص مع ذلك ،
إما من جاهل يعيب ما لا يفهم ، أو من عارف يظهر لي عداوة وحداً ، فيردّ حسني .
قيبحاً ، وهو عارف بحسني ؛ فيشج في الناس أن المقامات أكاذيب ، وهو
عارف بفضلها وما قصد بها .

[من أقوالهم في الحقد مدحا وذمّا]

والغُمر : الحقد ، وصاحبه مذموم ، ولا أعرف من تعرض من الفصحاء
لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جاء به إلى الرشيد في
قيوده ، فقال له ابن خالد - وأراد أن يبيته : باغني أنك حقود ، قال عبد الملك :
أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ؛ إنيهما لباقيان في صدري -
وفي رواية أخرى : إنيما صدري خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر -
قال الرشيد : والله ما رأيت أحدا احتجّ للحقد بمثل ما احتجّ به عبد الملك ،
فتفتح الباب لابن الرومي ، فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد :
لئن كنت في حظي لما أنا مودع من الخير والشر احتجيت على عرضي .

(١) ديوانه ، الورقة ١٥٤ مخطوطة دار الكتب رقم ١٢٩ - أدب

كَتَابِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرٍ يُرَى عَلَى خَلْقٍ بَعْضٍ^(١)
وَلَوْلَا الْحَقُّودُ لِلتَّكْنُتَاتِ لَمْ يَكُنْ

لِيَنْقُضَ وَتَرَا آخِرَ الدَّهْرِ ذُو قَضٍ
وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوْعَمُ الشُّكْرِ فِي النَّقَى

وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُ إِلَى بَعْضٍ

فَإِذَا تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ

فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَوَضِ

ثُمَّ رَجِعْ إِلَى الطَّارِقَةِ اللَّيْلِ، فَاتَّحِلْ لِلذَّهَبِ الْأَعْلَى، وَقَالَ بَعْضُهُ، ضَارِبًا بِسَهْمِ
الْبَلَاغَةِ فِي الْوَجْهِينِ :

يَا مَادِحَ الْحَقْدِ مَحْتَالًا لَهُ شُبُهَاتٌ	لَقَدْ سَأَلْتُ إِلَيْهِ مَسَلًا كَأَوْعَاتٍ ^(٢)
يَا دَافِنَ الْحَقْدِ فِي خِطْفَى جَوَانِحِهِ	سَاءَ الدَّافِنُ الَّذِي أَضْحَتْ لَهُ جَدَاتٌ
الْحَقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ	يَرَى الصَّدُورَ إِذَا مَا جَمَّرَهُ خُرْبَاتٌ
فَاسْتَشْفِيْنُهُ بِصَنْجٍ أَوْ مَحَادَّةٍ	فَإِنَّمَا يُبْزَأُ الْمَصْدُورَ مَا نَفَّتَا
إِنَّ الْقَبِيحَ إِذَا أَصْلَحَتْ ظَاهِرُهُ	يَبُودُ مَا لَمْ مِنْهُ مِرَّةٌ شَعِيْنَةٌ
كَمْ زَخَرَفَ الْقَوْلَ ذُو زُورٍ وَلَبَسَهُ	عَلَى الْقَوْلِ وَلَكِنْ قَلَا لَبَا

• • •

قوله : « يضع مني » أي يحط من منزلتي . الوضع : الكتاب . بندد : يشهر
العيب ، وندد به ، إذا أسمعته للكره . قد الأشياء : فُتَشَ وبُحِثَ عاينها . العقول =
العقل . أنعم : بالغ . وأصل النظم جعل حَبَاتِ الجَوْهَرِ فِي خِيَطِهَا وَضَمَّهَا فِيهِ لغيرها :
ثُمَّ سُمِّيَ بَيْتُ الشَّعْرِ نِظْمًا ، لِأَنَّ الْكَلَامَ فِيهِ مُلْتَصِقٌ بِبَعْضِهِ بِبَعْضٍ كَعَبِّ الْجَوْهَرِ .

(١) الديوان : « إلا بما ليس عاني . . . » وكم حافل يزري .

(٢) ديوانه الورقة ٥٠ ، مخطوطة دار الكتب ١٢٩ - أدب .

والبيت يضمه كالخيط، والسلك : خيط الجوهر . والإفادات : الفوائد . سلك : قصد . الموضوعات : الكتب المؤلفة ، أى أدخلها مدخل هذه الكتب . المعجوات : البهائم ، وسميت واحدها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى . والمجادات : ما عدا الحيوان ، وأراد ما أُلّف من الكتب عما لا حقيقة له فى الظاهر ، وقد صمّن الحكم الشافى فى الباطن ، مثل كتاب كلىة ودمنة وغيره مما أُلّف على السنة مالا عقل له ولا روح . وكذلك المقامات ، وإن كان ظاهرها كذبا فالتصديها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله ، وأن يكتب تجارب الدنيا من حكايات السروحي ، فيكون متنبها لما يطرأ عليه من النوازل ، فتؤمن على عقله الغفلة والخذلية ، إلى ما ينضاف إليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر ، فإنها أعون شىء عليها .

[مما روى من الحكم على السنة البهائم وغيرها]

وعما يحكى على السنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا راع فى غم إذ عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة منها ، فطلبه الراعى منه حتى استنفذها ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السبع ، يوم ليس لها راع غيرى ! « (١) » .

بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فكلمتها فقالت : أنا لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! تعجبا وفزعاً ؛ أبقرة تتكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إناي مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » (١) .

السبع ، بسكون الباء : أرض الحشر والسبع : الفزع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتالوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » (٢) .

(١) صحيح مسلم ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ (٢) صحيح مسلم ٢٢٣٩

أَهْبَةُ السَّيَاحَةِ ، وَلَهُ رَنَّةُ النَّيَاحَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْبَاجَ بِجَوَاهِرِ
لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَغْظِهِ ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ
الزَّمَرِ ، إِحَاطَةً الْمَالَةِ بِالْقَمَرِ ، وَالْأَكْأَمَ بِالشَّمَرِ ، فَدَلَفَتْ إِلَيْهِ لِأَقْبَسِ
مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَالتَّقِطَ بِمَضَى فَوَائِدِهِ ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ حِينَ خَبُّ فِي
مَجَالِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِمَالِهِ :

° ° °

طَفَّتْ : أَخَذَتْ وَجَعَلَتْ ، وَمَعْنَاهَا ابْتَدَأَ الْفِعْلُ وَالِدَخُولُ فِيهِ . أَجُوبُ :
أَقْطَعُ وَأُخْرِقُ ، وَجُوبُ الْأَرْضِ : قَاعُهَا بِالْثِي . الْحَائِمُ : الْحَيْرَانُ . أَجُولُ : أَتَصَرَّفُ .
حَوْمَاتُهَا : جِهَاتُهَا . الْحَائِمُ : لِلطَّائِرِ الْعَاطِشِ يَحْتَمِلُ حَوْلَ الْمَاءِ ، أَيْ يَدُورُ بِهِ . أُرُودُ :
أَتَمَسُّ . الْمَسَارِحُ : مَرَاغِي الْبَهَائِمِ . لَمْ يَجَأْ : نَظَرَاتِي ، يَرِيدُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَسْرِعُ عَيْنِيهِ
فِيهَا بِالنَّظَرِ . مَسَاحٍ : مَسَالِكُ ، أَرَادَ طُرُقَهُ الَّتِي يَسِيرُ فِيهَا بِالْثِي بِالْعَدْوِ وَالْمَشْيِ ،
وَالسَّيْحُ : الْمَاءُ الْجَارِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَتَكُونُ الْمَسَاحُ أَيْضًا جَمْعَ مَسِيحَةٍ أَوْ
مَسْحَةٍ ، وَهِيَ الطَّوْفَةُ ، مِنْ قَوْلِكَ : مَسَحْتُ الْبَيْتَ ، أَيْ طَفْتُ بِهِ ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا
«فَعَائِلٌ» مِيمًا أَصْلِيَّةً ، وَعَلَى الْأَوَّلِ «مَفَاعِلٌ» . أَخْلَقَ : أَهَيَّنَ . دِيْبَاجَتِي : جِلْدَتُوجْهِي ،
يُرِيدُ أَنَّهُ يَخْلُقُ وَجْهَهُ بِالمَسْأَلَةِ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبَ ، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : «المَسْأَلَةُ كَدُوحٍ وَخُدُوشٌ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا» ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تَزَالُ
المَسْأَلَةُ بِالرَّجُلِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ ، وَمَا عَلَى وَجْهِهِ مَزْعَةُ لَحْمٍ» ، أَيْ قِطَاعَةٌ . أَبُوحُ :
أَذْكَرُ . حَاجَتِي : قَهْرِي . تَفَرَّجَ : تَزِيلُ . عُثِّي : عُثِي وَمَا يَضِيقُ تَنَسَّى : عُثِّي :
عَاطَشِي . أَذْنِي : أَوْصَلْتِي . خَاتِمَةُ لَطَافٍ : آخِرُ الْمَشْيِ . هَدَتْنِي : دَلَّتْنِي . وَالْإِلَافُ :
حَسَنُ السُّؤَالِ وَفَاتَحَتُهُ ، أَرَادَ بِهِ سُؤَالَكَ مَنْ تَلَقَّيْتُ فِي الطَّرِيقِ إِذَا دَخَلْتَ بَلَدًا غَرِيبًا ،
فَإِذَا سَأَلْتَ بِتِلْكَ أَرَشِدْتَ بِسُرْعَةٍ ، فَسُؤَالَكَ هُوَ الَّذِي تَفْتَحُ لَكَ الطَّرِيقَ . وَيَقَالُ :

لَطَفَ سَوَالِ الرَّجُلِ ، إِذَا رَقَّ لَفْظُهُ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ جَفَاءٌ ، فَتَقَبَّلَهُ الْقُلُوبُ ، وَأَلْطَفَ الرَّجُلُ سَوَالَهُ ، إِذَا سَأَلَكَ بِحَنَانٍ وَتَلَطَّفَ ، وَاللَّطْفُ الرِّفْقُ ، وَاللُّطْفُكَ أَيْضًا : بَرَزَتْكَ وَأَكْرَمَتْكَ ، فَالِلَّطَافِ مَصْدَرُ اللَّطْفِ ، وَيُرْوَى : «الْأَلْطَافُ» جَمْعُ لُطْفٍ وَهُوَ الرِّفْقُ ، يُقَالُ : لَطَفَ اللَّهُ بِالْعِبَادِ لُطْفًا ، رَفَقَ بِهِمْ رَفَقًا ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَوَّلِ . نَادٍ : نَجَاسٌ . رَحِيبٌ : وَاسِعٌ . مَحْتَوٍ : مُشْتَمِلٌ . نَحِيبٌ : بَكَاءٌ . وَلَجَتْ : دَخَلَتْ . غَابَةُ الْجَمْعِ : وَسَطُ النَّاسِ ، وَأَصْلُ النَّابَةِ الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ يَغِيبُ فِيهِ مَنْ يَدْخُلُهُ . لِأَسْبَرٍ : لِأَفْقَشٍ ، وَأَرَادَ دَخَلَ بَيْنَ النَّاسِ لِأَجْرَبٍ وَأَعْرَفَ مَا الَّذِي أَبْكَاهُمْ وَجَلَبَ دُمُوعَهُمْ . وَيُرْوَى ، «نَحَابَةٌ» بِالْحَاءِ ، وَهِيَ مِنَ الْحَلَبِ ، يُقَالُ : انْحَلَبَتْ عَيْنُهُ ، إِذَا سَالَتْ بِالْدمْعِ . بُهْرَةٌ : وَسَطٌ . شَخَّتْ : دَقِيقٌ وَرَقِيقٌ ، وَالشَّخْتُ : الْحَطْبُ الرَّقِيقُ . أَهْبَةُ السِّيَاحَةِ : آلَةُ الْعِبَادَةِ ، وَهِيَ مِثْلُ الْعَصَا وَرُكُودِ الْمَاءِ وَثِيَابِ الصُّوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ ، أَيْ يَرْتَبِهَا وَيَصْنَعُهَا ، تَقُولُ : طَبَعْتُ الدَّرَمَ وَالسَّيْفَ إِذَا صَنَعْتَهُمَا ، وَطَبَعْتُ الْكِتَابَ إِذَا خَتَمْتَهُ ، وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَكْتُبُ فِي فُصُوصِ خَوَاتِمِهَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَ«الْمَلِكُ اللَّهُ» وَتَطْبَعُ بِذَلِكَ كِتَابَهَا ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَلِيقَ بِطَابَعِ الْأَسْجَاعِ ، أَيْ يَرْتَبِهَا وَيَخْتُمُهَا بِجَوَاهِرِ كَلَامِهِ ، وَمَنْ رَوَى «لِجَوَاهِرِ» بِاللَّامِ فَعِلٌ «يَصْنَعُهَا» لَا غَيْرَ . وَالتَّفْسِيرُ عَلَى الرَّوَابِيتَيْنِ أَخَذْتَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ . وَالْأَسْجَاعُ الْكَلَامُ الْمَقْزَّرُ لَهُ كَافِيَةٌ كَقَافِيَةِ الشَّعْرِ ، وَكَانَ مِنْ كَلَامِ الْكُهَّانِ ، وَهَذِهِ الْمَوْعِظَةُ الَّتِي فِي الْمَقَامَةِ مِنَ الْأَسْجَاعِ ، وَسَجَعَتِ الْجَمَامَةُ ، إِذَا غَشَّتْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ . يَمْرُقُ : يَضْرِبُ . الْأَسْمَاعُ : الْأَذَانُ . زَوَاجِرُ : نَوَاحٍ ، وَزَجَرُهُ : نِهَاهُ وَانْتِهَاهُ . أَحَاطَتْ : حَاطَتْ : أَخْلَاطُ : أَصْنَافٌ . مَخْطَطُونَ . الزُّمَرُ : الْجَمَاعَاتُ . الْهَالَةُ : الدَّارَةُ حَوْلَ الْقَمَرِ مِنْ نُورِهِ ، وَالطَّفَاوَةُ : الدَّارَةُ حَوْلَ الشَّمْسِ . وَالسَّاهُورُ : هُوَ غِلَافُ الْقَمَرِ الَّذِي يَسْتَرُ فِيهِ مَا قَصَصَ مِنْهُ . الْأَكَامُ : جَمْعُ كَيْمٍ ، وَهُوَ الْغِلَافُ الَّذِي يَنْشَقُّ عَنِ الثَّمَرِ وَيَحِيطُ بِهِ . وَسُمِّيَ كَيْمًا لِأَنَّهُ يَسْتَرُ مَا تَحْتَهُ . وَالْأَكَامُ : جَمْعُ قَلِيلٍ ، وَالْكَثِيرُ كَامٌ . وَالثَّمَرُ حَمْلُ الْأَشْجَارِ . دَلَقْتُ : قَرِيتُ . وَدَلَفَ الشَّيْخُ فِي مَشْيِهِ ، إِذَا أَسْرَعَ مِنْ ضَمَفٍ قَقَارِبِ خَطْوِهِ . اقْتَبَسَ مِنْ فَوَائِدِهِ :

التمس وطلب أخذها واكتسابها . والفرائد : شذور الذهب تفصيل ما بين الجواهر .
خبّ في مجاله : أخذ في كلامه ، والخبّ عدو سهل ، وهو الذي تسميه العامة السير ،
وفرس ميار . والمجال للخيال : موضع تصرفها وجريها . هدرت : صوتت .
شقاشق : جمع شقشقة ، وهي النفاخة يخرجها خلّ الإبل من حلقه عند هياجه ورغائه ،
ويرجع فيها هديره ؛ شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير
يهيج ويتابع الهدير ، قال الأخطل :

إِذَا هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَنَشِبَتْ لَهُ الْأُطْفَارُ تَرُكَ لَهُ الْهُدَارُ^(١)
أراد: نَشِبَتْ وَتَرُكَ ، فَنَخَفَ .

أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلُوَائِهِ ، السَّادِلُ ثَوْبَ خِيَلَانِهِ ، الْجَامِحُ
فِي جَهَالَاتِهِ ، الْجَانِحُ إِلَى خُرْعَمَلَاتِهِ . . . إِلَامَ تَسْتِيرُ عَلَى غَيْكَ ،
وَتَسْتَرِي مَرْعَى بَنِيكَ ! وَحَتَامَ تَنْتَاهِي فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَنْتَهِي
عَنْ لَهْوِكَ !

السَّادِرُ : الراكب هواء ، لا يردّه شيء استعطالةً وبنياً ، ويقال للذي يطيل
الجلوس في الشمس حتى يتعبّر بصره : قد سَدَرَ فهو سادر . في غلوائه : في ارتفاعه
للشرّ ولجلاجه فيه ، وهو من غلا يغلو في الأمر ، إذا جاز الحد ؛ فيقول : يَا أَيُّهَا الْأَعْمَى
السَّادِرُ الْجَانِحُ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي ؛ هَلَّا نَظَرْتَ بَيْنَ الْبَصِيرَةِ ، وَرَجَعْتَ عَمَّا أَنْتَ
عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ ! السَّادِلُ : المرخي . خِيَلَانُهُ : كِبَرُهُ . الْجَامِحُ : الجارئ إلى غير

(١) ملحق ديوانه ٣٥٨ مما نقله عن الشريشي .

عجابه ، وقد جمع الفرس إذا أكب رأسه ، وجرى في غير قصد ، فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه في غير طريق . الجامح : المائل . الخزعبلات : الأباطيل ، وهو ما يترأى للإنسان في نومه من الخيال . تستمر : تدوم في زورك . غيبك : ضللك . تستمرى : تستغيب من المرى ، وهو ما يلتذبه من الطعام . بغيبك : ظلمك . تنهاى : تبلغ النهاية ، ونهاية الشيء ، آخره . زهوك : كبرك وعجبك .
اللهو : ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب .

[نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر]

وقال القاضي أبو جعفر^(١) بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به :
وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا أَبُوكَ التُّرْبَ يَخْفِضُكَ انْتِسابًا
وَلَا تَصْغَبْ أَخَا كِبَرٍ وَقَدْ كُنْتَ عَلَى النَّفْسِ الْأَعَادِي وَالصَّحَابَا
وَلَا تَحِبَّ مَجَابَّةَ بِمَدْحٍ كُنَى بِالرَّءِ حُوبًا أَنْ يُجَابَى
وَحَازِرُ أَنْ تُرَى فِي الْقَوْمِ رَأْسًا وَلَا تَنْسِ الذُّنُوبَ وَكُنْ ذُنَانِي^(٢)
تَرَابًا كُنْ هُنَا نَفْسًا أَلَّا تَمْنَى أَنْ تَكُونَ غَدًا تَرَابًا
وقال أبو نواس :

حَذَّرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَشَاكَ مِيسَمُهُ فَإِنَّهُ مَلِيسٌ نَازَعَتَهُ اللَّهُ^(٣)
يَابُوسَ جَلِيْلٍ عَلَى جَوْفٍ مُجَوِّفُهُ يَحْوِي مَقَازِيرَ إِنْ كَلِمَتُهُ تَاهَا^(٤)
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا بَيِّنَ بِهِ إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانُ وَالْجَاهَا
إِنِّي لَأَمَقْتُ نَفْسِي عِنْدَ نَحْوَتِهَا فَكَيْفَ آمَنُ مَقْتِ اللَّهِ إِيَّاهَا

(١) ط : « أبو جعفر » ، وما أثبتته من ١ ، (٢) الدنانى : أذنب الناس .

(٣) رواية الديوان ١٩٧ :

يَابُوسَ جَلِيْلٍ عَلَى عَظْمٍ مَخْرَقُهُ فِيهِ الْخُرُوقُ إِذَا كَلِمَتُهُ تَاهَا

وقال أبو العتاهية :

عجبتُ للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يُقْبَرُ !
ما بالك من أولئك نُظفَةٌ وجيفةٌ آخره بفخر !
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر

تبارزُ بتمصيتك ، مالك ناصيتك ، وتجترى بقببح
سيرتك ، على عالم سيرتك ، وتتوارى عن قريبك ، وأنت يبرأى
مريبك ، وتستخفي من تملوكك ، وما تخفى خافية على مليكك .
أتظن أن ستنفمك خالك إذا آن ارتحالك ! أو ينفذك مالك ،
حين توبقك أعمالك ! أو ينفى عنك قدمك ، إذا زلت قدمك !
أو ينطف عليك من شرك ، يوم يضمك محشرك !

قوله : « تبارز » ، أى تكاشف وتقابل . والبارز : الظاهر المنكشف . والناصية :
شعر مقدم الرأس . تجترى : تقدم وتشجع . والجريء : الشجاع المقدام . سيرتك :
عادتك ، وجمعها سير وهي ما يعامل به الناس من خير أو شر ، وتقول : سرت
سيرة من خير أو شر ، إذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك ، فصارت عادة لهم ،
ولذلك نسرنا السيرة بالعادة حيث وقعت ، وأصل السيرة هيئة نمل السير ، وذلك
أنك تقول : جلس فلان جلسة بالفتح ، وهي المرة الواحدة من جلوسه ، فإذا

(١) ديوانه ١٠٣ ، ورواية صورته فيه : « ما احق الإنسان في فخره » .

كسرت الجليم فهي هيئة جلوسه، ومثله ركب ركبة، والركبة هي ثغر كوبه، وتقول: سار هذا الفعل سيرة، والسيرة بالكسر: هيئة سيره في الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطأ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: هيئة أفعاله حيث كانت. تتوارى: تستتر. برأى من رقيبك، أى بمنظر ربك أو بحيث يراك، ورقب الشيء: حافظه وحارسه. مليكك: مالكك، وأراد أن الإنسان إذا خلا بريبة، استتر بها عن أخيه وعبدته حياء منهما، ولا يستحي من ربه الذى يطلع على معاصيه، ولا يخفى عليه خافية، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ...﴾ الآية، وقال عمر بن عبد العزيز: رضى الله عنه:

إن كنت تعلم أن الله ياعمرُ يرى ويسمع ما بأتى وما تذرُ وأنت فى غفلةٍ من ذاك تركب ما نهاك عنه، فأين الخوف والخطر! تجاهر الله إقداماً عليه، ومن وقال نابغة بنى شيبان:

إن من يركب الفواحش سراً حين يخلو بسرّه غير خالٍ^(١) كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربّه ذو الجلال!^(٢) وقال أبو نواس:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل: خلوت، ولكن قل على رقيب^(٣) ولا تحسن الله يغفل ساعةً ذنوبٌ على آثارهن ذنوبٌ لهونا لعمر الله حتى تراكمت^(٤)

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) الديوان : « ذو الحال » .

(٣) ديوانه ٢٠١ .

(٤) رواية الديوان : « لهونا بمر طال حتى ترادفت » .

حالك : عزتك ومالك . آن : حان وقرب . ارتحالك : انتقالك . توبقك : تهلكك ، يقال : أُوْبِقَتْهُ الذنوب ، أهلكته فوبق ، أى هلك ووبق أيضاً . وقال أعشى همدان :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ عَثْرَةٍ إِنْ يَغْفِرْنِي بِهَا أَبِيقَ
زَلَّتْ : زلقت . معشرك : قومك . محشرك : موضعك الذي تُحشَرُ إليه .

هَلَا أَتَهَجَّتْ مَحَجَّةً اهْتِدَانِكَ ، وَعَجَلَتْ مُعَالَجَةً دَانِكَ ،
وَقَلَّتْ شِبَاهَ اغْتِدَانِكَ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرُ
أَعْدَانِكَ !

أَمَّا الْحَمَامُ مِمَّادُكَ فَمَا إِعْدَادُكَ أَوْ بَالِشَيْبِ إِندَارِكَ ، فَتَلَا
أَعْدَارِكَ ، وَفِي اللَّعْدِ مَقِيلُكَ ، فَمَا قِيلُكَ ! وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ
فَمَنْ نَصِيرُكَ ! طَالَمَا أَيْقَظَكَ الدَّمْرُ فَتَنَاعَسْتَ ، وَجَذَبَكَ
الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ ، وَتَجَلَّتْ لَكَ الْمِيزَةُ فَمَا مَيَّتْ ، وَحَصَصَ لَكَ
الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ ، وَأَذْكَرَكَ الدُّوْتُ فَتَنَاسَبْتَ ، وَأَمْسَكَكَ
أَنْ تُوَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ .

اتهجت : ركبت . والنهج التهج والنهج : العريق الواضح . محجة : طريق ،
من حَجَّه يَحُجُّهُ ، إذا قصده . اهتدائك : استقامتك . معالجة : مداواة . قلَّتْ :
كسرت . شِبَاهَ : حد . اعتدائك : جورك وظلمك . قدَعْتَ : كفت

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس عدوك الذى إن قتلتَه كان لك نوراً ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » . قال الأصمى : كنّا بطريق مكة فى بعض المنازل ، إذ وقفت علينا أعرابية فقالت : أطعمونا ثمّا أطعمكم الله ، فناولها بعض التوم شيئاً فقالت له : كَبَتَ اللهُ لك كل عدو لك إلا نفسك .

قوله : « أما » : حرف إخبار^(١) واستفتاح كالأ . الحام : الموت ، من حَمَّ الأمر ، قضى . اليعاد : الوعد . ما إعداك : ما استعددت له ، والإعداد مصدر أعدّ للأمر إذا هَيَّأَ له ما يحتاج إليه من عُدَّة ، يقول : الموت هو الذى جِئْت به أن يأتيك ولا بدّ ، فاستعدّ له من أفعال البر .

وللقية الزاهد أبى عمران موسى بن عمران :

يا صاح فى الموت لنا حكمةٌ بالغة لو أننا ننتفع
فأعمل له قبل مفاجاته ويَحْصِدُ الزارع ما قد زرَعُ
لا حيلة تُنجِيكَ منه ولا ذو وزرٍ عنه به يمتنع
كم أمم أنفاهم قبلنا وشمل قوم شته فانصدع
ولحيب :

فقد أيقنتُ بالموت نفسى لأننى رأيتُ للناس يَحْتَرِمْنَ حياتي^(٢)
فيا ليت أنى بعد موتى ومبغى أكون رُفَاتاً لا على ولا ليا
المشيب : الشيب ، يقال : شاب رأسه شيباً أو مشيباً . إنذارك : إعلامك ، هو أنذارك : أعلمك بما تحذر وخوفك منه ، وأراد قوله تعالى : « وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ »^(٣) ،
وانظر هذا المعنى فى الحادية والأربعين مستوفى نغماً ونثراً .

(١) قوله : « أما » : حرف إخبار ... « الظاهر أن هذا استفهام تقريرى — حاشية ط .

(٢) سورة فاط ٣٧ .

(٣) ديوانه ٤٨٤ .

قالوا خرج أسد وذئب وثمانيتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: أقسم بيننا هذا، فقال: الحمار للملك، والغزال لي، والأرنب للثعلب، فرفع الأسد يده فضربه ضربة، فإذا هو مجذول بين يديه. ثم قال للثعلب: أقسمها، فقال: الحمار يتفدى به الملك، والغزال يتعشى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب. وحدث الشمي، قال: صادر رجل قبرة، فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وأأكلك، فقالت: والله ما أشبع من جوع، وخير لك من أكل أن أعلمك ثلاث خصال: واحدة وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل، قال: هاتى، قالت: لا تلهفن على ما فات، فخلى سبيلها، فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون، فلما صارت على الجبل قالت له: يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلي درتين، كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعض الرجل على شفته تاتهما، ثم قال: هاتى: الثالثة، فقالت: أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة! ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فات، ولا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون! أنا ولحي ودمي وريشي لا يكون في عشرون مثقالاً، فكيف يكون في حوصلي درتان كل واحدة عشرون مثقالاً! ثم طارت وذهبت. وأمثال هذه الملح أكثر من أن تحصى.

وَلَمْ يُسْمِعْ بِنَبَأِ مَنَّمُهُ عَنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ، أَوْ أَنَّهُمْ رَوَّاهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

ثُمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَبِهَا انْتِقَادُ الْعُقُودِ الدِّيْنِيَّاتِ، فَأَيُّ حَرْجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلَحّاً لِلتَّنْظِيهِ، لَا لِلتَّمْوِيهِ، وَنَحَا بِهَا مَنَعَى التَّهْدِيْبِ، لَا الْكَذِيْبِ! وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا عِمْرَلَةَ مِنْ

«تَدَبَّرْ لِتَعْلِيمٍ ، أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَجِلَ الْحَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ ، لَا عَلَى وَلَا لِيَا

قوله : «نبا سمعه» أى ارتفع ، وأصله فى السَّيْفِ إِذَا ارْتَفَعَ فلم يمتص فى الضربة .
 أَنَّمْ : جمعهم أصحاب إثم . انعقاد العقود ، أى ارتباط العقائد . حرج : إثم ، وأصل
 التحريج التضيق . للتنبيه ، أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر . تحا
 منعى : قصد مقصد . التهذيب : التلخيص ، وهذبت العالِب : أخرجته وخلصته ،
 ورجل مهذب : مخلص من العيوب . ويروى : ندب وانتدب ، فندب دعا ، وانتدب
 أجاز . وهدى : أرشد . صراط مستقيم : طريق معتدل ، وَمَنْ فعل ما ذكر
 ما جور غير آثم ، لكن مع هذا رضى أن يخلص ممن يتكلم فى كتابه بتمسيب ،
 وأن يخرج من هذا الكتاب كفافاً لأجر ولا وزر ؛ بل نرجو له الأجر على تبة
 بالإفادة والتعليم ، إن شاء الله تعالى .

وَبِاللَّهِ أَغْتَضِدُ ، فِيمَا أَغْتَمِدُ ، وَأُغْتَمِعُ مِمَّا يَحِمُّ .
 وَأُسْتَرْشِدُ ، إِلَى مَا يُرْشِدُ ؛ فَمَا التَّمْزَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا
 الْإِسْتِمَانَةُ إِلَّا بِهِ ، وَلَا التَّوْفِيقُ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا الْمَوْئِلُ
 إِلَّا هُوَ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ
 نِعْمَ الْمُعِينُ !

أعتضد : أستمع . أعتمد : اقتصد . أعتصم : أمتنع . يصم ، يعيب . أسترشد :
أستهدى . يرشد : يهدى ويدلّ على الخير . والمفزع : الملجأ ، وكذلك الموثل .
وتقول : فزعتُ إلى فلان ، إذا لجأتُ إليه واستعنتُ به ليحميك ويمنعك ، وفزعتُ
منه : خفتُه ، والمفزع الذى ذكره مصدر بمعنى الفزع . وتقول : وألت من ذلك ،
إذا نجوت منه ، وأنت موثلى منه ، أى الذى تنجيتني منه . والمفزع : الموثل
والحصن ، تفزع إليه فينجيك من طالبك . أنيب : أرجع . والإجابة : الرجوع
إلى الله تعالى والتوبة إليه .

المسألة الأولى وهي الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال : لما اقتضت غارب الأغرَاب ،
وَأَنَاتِي الْمَتْرَبَةَ عَنِ الْأَتْرَابِ ، طَلَّحَتْ بِي طَوَائِفُ الزَّمَنِ ، إِلَى
صَنْعَاءَ الْيَمَنِ ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِي الْوَقَاصِ ، بِأَدَى الْإِنْقَاصِ ؛ لَا أَمَلُكَ
بُلْقَةٍ ، وَلَا أَجْدُ فِي جِرَائِي مُضَغَّةً .

إن قيل : لأى معنى اختار الحريرى حارثاً وهاماً وأبازيد، دون غيرهم من
الأسماء ؟ فالجواب أنه إنما قصد لهم لأنهم أصدق الأسماء ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الحديث المرفوع : « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ
عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمِرَّةٌ »^(١) .
وصدقهما أنه ليس أحدهما إلا وهو يحرث ، أى يحاول الكسب أو يهتّم بحاجته .
وأما أبو زيد ، فإن صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم فى الصدر وقع الاكتفاء
به ، وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبر ، وأنشد ابن قتيبة :
أعار أبو زيد يميني سلاحه وحذ سلاح الدهر للدم كالدم^(٢)
وكنت إذا ما الكلب أنكر أهله أفدى ، وحين الكلب جذلان نائم
سلاحه : العصا . وإنكار الكلب أهله ، إذا لبسوا السلاح . وجذلان نائم ، فى
الجدب إذا ماتت المواشى فيشبع من لحومها وينام . وقال ابن الأعرابي : يقال للشيخ
الكبير : أبو زيد وأبو سعيد . والسروحي فى الغالب إنما يصفه بالكبر والمهرم .

(١) نقله فى الجامع فى الصغير ١ : ٢٢٤

(٢) ما يحول عليه ، مصورة ، مكتبة المجمع القدرى الورقة ٢٠١ .

فوقمت التسمية لفوية، وإنما عني بالمارث بن همام نفسه، لأنه يصفه بأشياء لا تليق
إلا بالدهر، مثل قوله :

وكل سرح فيه ذنبي عائثٌ حتى كأني للأنام وارثٌ

* سامهم وحامهم ويافث *

ومثل قوله :

ووترت أزيابَ الأرا تك والدّرانك والسجوف

وهي كثيرة، وفي التحسين له كلام لا يابق إلا بالدهر، فجعل أخذَ المارث
من أبي زيد، كناية عن علم الحريرى بما جرب من صروف الدهر.

قوله : « اقتعدت » أى ركبت، وأصله اتخذت قعدة أو قعوداً، وهما اسمان
للبعير يقعد عليه راكبه . والغارب : مقدم سنام البعير . والاعتراب والغربة :
التحول فى البلدان والبعد عن الأوطان، وسيأتى ما أصلها، وأراد : لما اتخذت
ظهر الغربة قعوداً. أنانتى : أبعدتنى . المتربة : الفقر . الأتراب : الأصحاب
على سنن واحد . طوّحت : رمت .

وطوايح : نوايب ؛ تقول : طوّحتُ بالرجل ، إذا رميت به إلى الهلاك ،
وقياس الطوايح للطاوح لأنك تقول : طوّحتُ فهى مطوّحة والجمع مطوّحات
ومطواح . قال أبو عبيد : جاءت الطوايح على حذف الزيادة ، وردّ الفعل إلى
أصله ، فإنه من طاحت فهى طائحة ، والجمع طوايح ، قال أبو عمرو الشيبانى :
جاءت على التّسب ، مثل لابن وتامر ، أى ذو لبن وذو تمر وذات تطويح ،
قال الشاعر :

(٤ - شرح مقامات الحريري ١)

لِيُنَبِّكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَغَنِيْطٌ تَمَّاءُ طَاطِيْحُ الطَّوَامِحِ^(١)

ومثله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(٢) : تقديره ملاقيح ، لأنك تقول : أَلْقَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا جُمِعَتْهُ وَأَلْقَتْهُ . وضارع مرتفع بمضمر تقديره : يبكيه ضارع ، وهو الدليل .

* * *

[مدينة صنعاء]

صنعاء ، بلد باليمن ، وأضافها إلى اليمن ، لأنَّ تَمَّ صنعاء أخرى ، وهي قرية بدمشق . وكان اسم صنعاء في القديم « أزال » ، قال ابن الكلبي والشرقي^(٣) : ولما وافقها الحبشة قالوا : نعم ، فسعى جبلها نعم^(٤) أى انظر ، فلما نظروا إلى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعاء ، وتفسيرها هنية ، فسميت صنعاء^(٥) .

وحكى الحمذاني قال : وأهل صنعاء يقولون في الإسلام : إنَّها القرية المحفوظة ، وأنهم سمعوا هاتفا يقول في بعض أيام من حاربهم : كلَّ عليك يا أزال ، وأنا أتحنن عليك !

وأقدم قصور اليمن وأنبها ذكرًا ، وأبعدها صيتًا عُمدان وقصر أزال ، وهي صنعاء .

(١) لتهشل بن حري ؟ في مرتبة له ؟ وهو من شواهد الكتاب على أن الفصل المسند للـ ضارع ، حذف جوازا ، أى يبكيه ضارع . خزنة الأدب لبغدادي ١ : ١٤٧ .
(٢) سورة الحجر ١٥ .
(٣) هو الشرقي بن القمائي واسمه الوليد والشرقي لقب له .
(٤) في ياقوت : نعم ، أحد حصون اليمن .
(٥) في ياقوت : قالوا : هذه صنعة ، ومعناها حصينة .

والذى أسس عُمدان وابتدأ بنيانه، واحترق بثره الذى هو اليوم سقاية لسجد جامع صنعاء، سام بن نوح عليه السلام، على ما يذكره علماء صنعاء واليمن، وذلك أنه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى فى الأرض الشمالية، فأقبل طالماً فى الجنوب يطلب أطيب البلاد، حتى صار إلى الإقليم الأول، فوجد اليمن أطيبه مكاناً، وصنعاء أطيب اليمن، فوضع مقراته — وهى الخيط الذى يتدر به البناء ويبنى على حذّه — فوضع الأساس فى ناحية فيج عُمدان فى غربى الجبل، وهو اليوم معروف بصنعاء، فلما ارتفع بمش الله طائراً، فاخطف القراء فطار بها، وتبعه سام، لينظر أين يقع؛ فأم بها جنوب النعم من سفح نعم، فوقع بها، فلما اتبعه طار بها، وطرحها على حرة عُمدان، فلما قرت، علم سام أنه قد أمر بالبناء هنالك؛ فأسس عُمدان، واحترق بيده بثره المسقى كرامة، ويُسقى منها إلى اليوم لكنها أجاج^(١).

خاوى الوفاض: فارغ للزاود، ويقال: خوى الرجل، إذا سجد فترك بين جسده وبين الأرض خواء، وخوى البعير: برك على هذه الحال. والوافض: جمع وفضة وهى شبه الجراب، وهى أيضاً كنانة السهام إذا كانت من جلد لا من خشب، فإن كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهى كنانة أو جعبة.

ابن سيدة فى الحكم: الوفضة خريطة يحمل فيها الراعى أدواته وزاده. والوفضة: جعبة السهام. قال أبو منصور الأزهري معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنه أمر بصدقة [أن] توضع فى الأوافض»: ^(٢) «إنهم أخلط الناس. قال الفراء: هم أهل الصدقة. أبو عبيد: هذا كله عندنا واحد؛ لأن أهل الصدقة أخلط من قبائل شتى، ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة، فعلى هذا من قصر الوفضة

(١) معجم البلدان ١ : ٣٨٦ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ : ٢١٠ ، قال فى شرحه : « هم الفرق والأخلط من الناس » .

على الجُمُعة ، وخطأ الحريرى بأن الزاد لا يكون فى الجُمُعة ، فهو الخطأ .
والجاهل باتساع اللغة . بادرى الإفاض : ظاهر القمر ، وقد أُنْفَضَ ، إذا نفي زاده ،
وأُنْفَضَ الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ، ومنه قولهم : التفاض
يُقَطَّرُ الجَلَبُ ^(١) ، أى فناء زادهم يحمل إبلهم قطاراً ، أى مربوطة بعضها خلف
بعض ، تساق إلى السوق فتباع ، فيأكلون ثمنها ، قال الهذلى :

لَهْ خَلِيَّةٌ وَلَهُ عُكَّةٌ إِذَا أُنْفَضَ الْقَوْمُ لَمْ يَنْفَضِ ^(٢)

خَلِيَّةٌ : جَرِيبٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ ظِي . مُبْلَغَةٌ : زَادٌ لِلسَّافِرِ يَبْلُغُ بِهِ مِنْ يَوْمِهِ
إِلَى غَدِهِ . الْجَرَابُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يَصْنَعُ لِلزَّادِ مُضَلَّةً : لَقْمَةً .

فَطَفِقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتِيَا مِثْلَ الْهَائِمِ ، وَأَجُولُ فِي حَوَامِيهَا
جَوْلَانِ الْهَائِمِ ، وَأَرْوُدُ فِي مَسَارِحِ لَحَاتِي ، وَمَسَايِعِ غَدَوَاتِي
وَرَوْحَاتِي ، كَرِيماً أَخْلَقُ لَهُ دِيْبَاجَتِي ، وَأَبُوحُ إِلَيْهِ بِحَاجَتِي ،
أَوْ أَدِيْبًا تُفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمَّتِي ، وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غُلَّتِي ؛ حَتَّى
أُدْنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ . وَهَدَنِي فَاتِحَةُ الْإِطْلَافِ ^(٣) ، إِلَى نَادٍ رَحِيْبٍ ،
يُخَوِّقُ عَلَى زَمَامٍ وَنَجِيبٍ ، فَوَلَجْتُ غَايَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْتَبْرَحَ تَجَلُّبَةَ
الدَّمْعِ ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْخَلْقَةِ ، شَخْصًا شَخَّتْ الْخَلْقَةُ ، عَلَيْهِ

(١) مثل ، ذكره صاحب اللسان ، وقال فى شرحه : • يقول : إذا ذهب طعام القوم
أو برتهم قطروا إبلهم التى كانوا يمشون بها ، فجلبوها للبيع فباعوها واشتروا بثمنها مرة • .
(٢) لأبى التلم المزاعى . شرح ديوان البهدين ٣٠٥ . العكَّة : النعمى الصغير .
وانفضوا : ذهب ما عندهم .

(٣) متن المقامات : • الأطلاف • ، بفتح الباء .

أَعذارك: جمع عذر ، والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة إذا بالغ فيها . قال ابن السكيت وجلس قوافيه :

الشَّيْبُ . في مفرقٍ حَلَا وعَقْدَ عهدِ الملاح حُلَا
وكانَ كالأبنوسِ رأْيِي فاحْتَلَّهُ عاجُهُ فحَلَا
وحرَّمتْ وُضْئِي النِّوانِي وقُلْنَ قَتْلُ الميِّدِ حَلَا

الحد: خرة في جانب القبر ، وليحد الميت وألحده: شق له في جانب القبر .
وأصل اللفظة الميل . ومثلك : مقامك ، وأصله النوم في القائلة . قيلك : حديثك .
القول وحجتك الواضحة ، والقول مصدر كالطحن والذبح ، والقيل : اسم للمقول .
كالطحن بالكسر : اسم للدقيق المطحون ، والذبح اسم للذبح . يعقوب : قال .
والقيل اسمان لا مصدران . ابن سيده : القيل في الأصل مصدر ، وحكى الفارسي .
قاله قولاً وقيلاً ، مثل ذكره ذكراً ، والقال يجوز أن يكون مصدرًا ، فإن سيويه .
حكي : ذامه ذامًا وعابه عابًا ، إلا أنه لم ينص على القال . مصيرك : رجوعك . نصير :
معدول عن ناصر للمبالغة . تناعت ، أى أظهرت أنك ناعس . جذبك :
قذك بمنف ، ويقال : جذب ، وجذبوهى أقل من الأولى ، وصحفت العامة هذه الثانية .
وقالوا : «جبد» بدل غير منقوطة . تناعت : تأخرت وتصببت وتشبهت بالأنف ؛
وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره ، أى قذك الوعظ إلى الخير فلم تنقذ له .
والعرب تقول : عزة قمساء كأنها تنقص عن الذلة . تجأت : ظهرت . والعير :
ما يُتخوف ويُتخط به عند رؤيته . حصص : تبين ، من الحص وهو ذهاب الشعر .
فيقين ما محتم ، والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة ، وإذا اجتمع الأمثال في مثل
هذا ، أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفًا من جنس الحرف السابق ، ومثله
حششت ورقرقت ، أصلها حشت ورقت ؛ هذا قول الكوفيين ، وقال البصريون :

هما لفتان تقاربنا ، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في الخرج ، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها . ماريت : شككت : تواسى : تعطى .

تَوْثِرٌ فَلَسًا تَوْعِيهِ ، عَلَى ذِكْرِ تَعِيهِ ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ،
عَلَى بَرٍّ تَوَلِيهِ ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ،
وَتُغْلِبُ حُبَّ ثَوَابٍ تَشْتَهِيهِ ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .
يَوَاقِيتُ الصَّلَاتِ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ، وَمُنَآلَاةِ
الصَّدَقَاتِ ، آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ ، وَصِيفَ الْأُلْوَانِ ،
أَشْغَى إِلَيْكَ مِنْ صَعَائِفِ الْأَدْيَانِ ، وَدُعَابَةِ الْأَقْرَانِ ، آتَسُّ لَكَ
مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

تَوْثِرُ : تفضل . تَوْعِيهِ : تجعله في وعاء . بَرٌّ : إحسان . تَوَلِيهِ : تعطيه .
وَتَلَصِّقُهُ بِمَنْ تَبَرَّهُ . هَادٍ : مرشد لطريق الخير . تَرْغَبُ عَنْهُ ، أَيْ تَتْرَكُهُ .
تَسْتَهْدِيهِ ، أَيْ تَسْتَرْشِدُهُ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَتَسْتَهْدِيهِ الثَّانِيَةِ : تَطْلُبُ
أَنْ يَهْدِيَ لَكَ هَدِيَّةً . يَقُولُ : تَتْرَكُ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ ، فَلَا تَسْأَلُهُ
لِلْهَدَايَةِ ، وَتَقْصِدُ أَعْرَاضَ الدُّنْيَا مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَغَيْرِهَا ، وَتَرْغَبُ أَنْ تَعْطِيَ مِنْهَا
هَدِيَّةً ، قَالَ الرَّاهِدُ بْنُ عَمْرَانَ :

تَوْثِرٌ وَحَادِرٌ مِنْ قَبُولِ هَدِيَّةٍ	وَإِنْ جَاءَكَ فِيهَا الْحَدِيثُ الرِّغْبُ
فَقَدْ حَدَّثْتَ بَعْدَ الرِّسُولِ حَوَادِثَ	تَحَذَّرْنَا مِنْهَا ، وَعَنْهَا تَرْغَبُ
وَكَانَتْ هَدِيَّاتُ الْأَوَائِلِ قَبْلَنَا	تَوَلَّفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَتَحْبِبُ
فَعَادَتْ بِلَايَا بُمَرِغُ الْمُنَى نَحْوَهَا	تَفَرَّقَ فِيمَا يَنْسَا وَتَحْبِبُ

وله في مثله :

أَحْذَرُ هَدَايَا النَّاسِ تَأْمِنَ الْمَنِّ بِهَا أَوْ قَوْلَ وَاشِ بِشَيْ
فَقُلْ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَّا أَسْرُؤُ مَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ قَدْ خَشِيَ
التَّبَسُّ الْأَمْرَ فَلَا تَقْدَمَنَّ وَأَخْشَى مَقَامَ اللَّهِ فِيمَنْ خَشِيَ
كَانَتْ هَدَايَا ثُمَّ عَادَتْ رِشَا وَفِي الرِّشَا الْهَلْكَ لِمَنْ يَرْتَشِي
حَذَرْنَا مِنْهَا نَبِيَّ الْهُدَى إِذْ لَعَنَ الرَّأِثِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ

الثواب : المكافأة على العمل ، وأراد به ما يجازى الله به عباده على إحسانه
من الأجر ، وهو من ثاب يشوب إذا رجع ، وأثبت الرجل : أعطيته الثواب ،
وهو المكافأة على فعله . قوله « يواقيت » : أى جواهر . الصَّلَات : العطايا .
أعلق : ألتصق . مواقيت : أوقات ، وهى جمع ميقات .

* * *

[من لطائف التجنيس]

ومما يستحسن من تجنيس الصَّلَات والصَّلَاة ، حكاية أحمد بن المتبر - وكان
إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، قال لفلان : امض به إلى المسجد فلا تفارق حتى
يصلّى مائة ركعة ، ثم خلّه ، فتحاماه الشمره إلا الأفراد المجيدين - فجاء الحسين بن
عبد الرحمن البصرى المعروف بالجلّ ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : أعرفت الشرط ؟
قال : نعم ، وأنشد :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُنْتَجَبُ الْوَلَاةُ
قَتَلْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا وَمَنْ كَفَّاهُ دِجْلَهُ وَالْقُرَاتُ
قَالُوا يَقْبَلُ الْمَدْحَاتِ لَكِنْ جَوَانِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
قَتَلْتُ لَهُمْ : وَمَا تَغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي ، إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ !

فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَّاتِي وَعَاقَتُنِي الْهُمُومُ الشَّائِغَاتُ
فَيَأْمُرُنِي بِكسر الصَّادِ مِنْهَا كَأَنِّي أَنْ تَنْشُطُنِي الصَّلَاتُ
فَيُصْلِحُنِي عَلَى هَذِي حَيَاتِي وَيُصْلِحُنِي عَلَى هَذِي الْمَاتُ

فضحك واستظرفه، وأمر له بمائة دينار، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال :
من قول أبي تمام :

هِنَّ الْحُمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَّافَةً مِنْ حَائِثِينَ فَلَيْسَ بِحِمَامٍ^(١)

قوله : «مغالة الصدقات» ، أى الزيادة فى المهور ، وغاليت : زدت فى ثمن.
السلمة ورددتها غالية ، والصدقات واحدها صدقة وهى الصداق ، قال النبى صلى الله
عليه وسلم : «من يئمن المرأة تيسر صداقها وخطبتها» ، قال عروة : وأنا أقول :
من أول شؤمها أن يكثر صداقها . آثر : أفضل وأكثراً . موالاة : متابعة .
صحائف : جمع صحيفة ، وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس . دُعابة : مزاح ،
وفى فلان دُعابة ، وتداعب الرجلان : تمازحاً ، وفى الحديث : «كانت فيه صلى الله عليه
وسلم دُعابة» ، وفى حديث جابر رضى الله عنه : «هَلَّا بَكَرَأُ تَدَاعِبُهَا وَتَدَاعِبُكَ !» .
الأقران : الأحباب والأمثال . تلاوة : قراءة ، وتلوته : قرأته ، واختلفوا فى
اشتقاق القرآن ، فقال أبو عبيدة : سُمِّيَ قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها ، قال الله تعالى :
(إِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)^(٢) أى إذا جمعت لك شيئاً فضمه واعمل به ، وقال قطرب :
سُمِّيَ قرآنًا لأن القارئ يظهره ويبينه ويلقيه من فيه ، من قول العرب : ما قرأت
التاقة سلاقط ، أى ما رمت به . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «إن القلوب لتصدأ
كما يصدأ الحديد» ، قالوا : يا رسول الله . ما جلاؤها ؟ قال : «قراءة القرآن» .

(٢) قوله فى النهاية لابن الأثير ٢ : ١١٨ .

(١) ديوانه ٢٧٩ .

(٣) سورة القامة ١٨ .

تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْهَى عَنِ الشُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ ،
وَتُزْجِرُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَنْشَاهُ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ . ثُمَّ أُنْشِدَ :

تَبَا لِعَطَائِبِ دُنْيَا أَنَّى إِلَيْهَا انْصِيَابُهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامَا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابُهُ
وَلَوْ دَرَى لَكِفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صَبَابُهُ

• • •

العرف ، أى المعروف . تنهك : تبالغ فى تناوله بما لا يجوز . حماء :
ماحى منه ومنع ، وأصل الحى موضع المشب يحميه الرجل لإبله . وانتهاكه :
استنصال عشب بالرعى ، ونهكت الجلد وانتهكته ، إذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف .
النكر : المنكر . تتحاماه : تتباعد عنه . تزجر عن الظلم : تمنع عنه غيرك
وتزيله . وتنشاه : تأتبه وتبشره . تخشى : تخاف . وقال ذو الرمة فى هذا المعنى ،
وهو أحسن شعر قاله :

يَارَبِّ قَدْ أَسْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مَخْرُجَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ وَنَارَ الْكَرْبِ زُخْرِي عَنِ النَّارِ (١)
دعا لنفسه أن يكون من الفائزين ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (٢) .

قوله : « تَبَا » ، أى خسراناً وهلاكاً ، وتبت يده : خسرت . قال تعالى :
﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ ﴾ (٣) ، أى غير خسار وهلاك ، قال الشاعر :

(١) ملحق ديوانه من ٦٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة هود من ١٠١ .

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لَوْ طُرِدُوا لَمَا عَلِمُوا تَبَايَا! ^(١)

تَبَا : عطف ورد . انصبابه : جريه . يستفيق : يستريح ، وأفاق من المرض : استراح . غراماً : شدة حب لازم له غير مفارق ، ومنه سُمِّيَ الغرم للازمته التفاضي والملاحه فيه ؛ قال تعالى : ﴿ إِنِّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ^(٢) أى مُلِحًا دائماً ، ومنه ﴿ إِنَّا لَنُغَرِّمُون ﴾ ^(٣) ، وقلان مغرم بالنساء : يحبهن ويلازمهن ، وقال حاتم :
فأأْكَلَتْهُ إِن نَلَّتْهَا بِفَنِيمَةٍ وَلَا جُوعَةٍ إِن جَعَتْهَا بِغَرَامٍ
أى بهلاك وملازمة .

فرط صباية : شدة شوق ومجاورة حد في ذلك . يروم : يطلب . صباية : يقية الماء .

[نبذ من الأشعار في ذم الدنيا]

وهذا الشعر مستحسن القوافي ، ومثله في ذلك قول الزاهد ابن عمران ^(٤) ،
وكثيراً ما كان يستمد في شعره من أدب المقامات :

تَبَا لِدَى جَهْلٍ دَعَا لِمَبْرَةٍ وَأَجَبْتُهُ بِرَأٍ بِهِ فَأَذَاعَهَا
مَنَا وَقَدْ كَاَفَأْتُهُ بِهَبَاتِهِ وَذَخَرْتُهَا عِنْدِي لَهُ ، فَأَضَاعَهَا
فَأَقْلَلْتُ لِلنَّاسِ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَجِبُ مَهْمَا دَعَاكَ وَجَعْتَنِ أَوْ ضَاعَهَا
وقال آخر :

(١) : لجرير ، ٨٣ ؛ وهو عرادة النخري راوية الراعى ، وقبله :

أتانى عن عرادة قولُ سوء فلا وأبى عرادة ما أصابا

(٢) : سورة الفرقان ٦٥ .

(٣) : سورة الواقعة ٦٦ .

(٤) : هو أبو عمران موسى بن عمران اللاتلى الإشبيل ، ذكره ابن سبيل في الغرب

٢ : ٤٠٦ ، وأورد بعض شعره .

يا من يضيّع عُمره متادياً في النَّهرِ أُمسِكْ
واعلم بأنك لا محالة ذاهبٌ كذاهبِ أُمسِكْ
ولنصور الفقيه في الشعر الردف (١) :

إذا كنت تزعمُ أنَّ الفراقَ فراقُ الحياةِ قريبٌ قريبٌ
وأنَّ المقدمَ ما لا يفوت على ما يفوت مصيبٌ مصيبٌ
وأنت على ذاك لا ترعوى فأمرُك عندى عجيبٌ عجيبٌ

وقال القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريري في ذم الدنيا :

يارا كِصاً في طلابِ دنيا ليس لمن تصرعُ انتعاشُ
لم تُحشَ نارٌ هوى لظاها بمن له نحوها انجاشُ
أعذر منك الفراش حالاً علمت ما يحمل الفراشُ
تطلبها لا تنام عين عنها ولا يستقر جاشُ
نمن لك بالرّئي من شراب يشدّ من شربه العطاشُ
دعها فطلابها رعاغ طاشت بألباهم فطاشوا
لم يردوها فهم رواء وواردوها هم العطاشُ
فاظناً لتروى، وكن كقوم سقوا بها غبّة فعاشوا (٢)
كان آملنا ظباء ونحن من حيرة خدّاشُ
إن لآملنا انبساطاً به لأعمارنا انكاشُ
كان آجالنا ضقوراً ونحن من تحتها خشاشُ

ولابن الرومي رحمه الله :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة إذا زال عن عين الليب غطاؤها

(١) الردف في الشعر: حرف ساكن من حروف المد . واللين يقع قبل حرف الروي ،
ليس بينهما شيء ، فإن كان الهمزة لم يميز معها غيرها ، وإن كان واواً جازمه الياء . واظنر اللسان .
(٢) ب : ه ماتوا بها عفة فعاشوا .

فكيف بقاء النَّاس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاؤها ؟
وقال آخر :

ومن يحمّد الدنيا لعيشِ يسره فسوف لَعَنَ رِي عن قريب بلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حصرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
ولا بن سارة رحمه الله تعالى :

بنو الدنيا يجهل عَظَمُوهَا فجَلَّتْ عندهم وهي الحقيرة (١)
يُهارش بعضهم بعضاً عليها مَهَارِشَةُ الرِّكْلَابِ على العفيرة

ثم إنه لبّد عجاجته ، وغَيِضَ مجاجته ، واعتَصَدَ شَكْوَتَهُ ، وَتَأَبَّطَ
هِرَاوَتَهُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَى تَحْفُزِهِ ، وَرَأَتْ تَأَهُبَهُ لِمَزَالَةٍ مَرْكَزِهِ ،
أَدْخَلَ كُلُّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَنِيهِ ، فَأَقَمَّ لَهُ سَجَلًا مِنْ سَنَبِهِ ، وَقَالَ :
احْزَنِي هَذَا فِي تَفَقُّتِكَ ، أَوْ فَرَّقَهُ عَلَى رُفَقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُعْضِيًا ،
وَأَتَلَنَى عَنْهُمْ مُثْنِيًا ، وَجَعَلَ يُودِّعُ مَنْ يُشِيئُهُ ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَنِيئُهُ ،
وَيُسَرِّبُ مَنْ يَنْبِئُهُ ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبِئُهُ .

قوله : « ثم إنه لبّد عجاجته » ، أى سَكَنَ غَبْرَتَهُ المرتعة حتى لصقت بالأرض .
غَيِضَ : جَفَفَ . الْمُجَاجَةُ : مَا يُبْلَقُ مِنْ فِيهِ . وَقَدْ مَجَّ الرَّجُلُ رِبْقَهُ ، إِذَا سَالَ مِنْ
حَقِّ أَوْ كَبَّرَ . وَأَرَادَ بَلْبَدَ عَجَاجَتِهِ ، قَطَعَ كَلَامَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ اسْتَرْسَلَ ، وَأَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ نَكَلَّمَ وَفَدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا .

(١) فُلَانِدُ الْمُقْيَانِ ٣٠١ .

وَتَكَلَّمَ بَعْدَهُم رَجُلٌ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ فَأَبْلَغَ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : كَانَ كَلَامُهُ بَعْدَ كَلَامِهِ
سَعَابَةً لَبَدَتْ عَجَاجًا .

وَأَرَادَ بِـ « مَقْبُوضٌ مُجَاجَتُهُ » مَا كَانَ يَسِيلُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَأَنْفِهِ عِنْدَ الْبُكَاءِ .
الْعَتَصَدَّهَا : جَعَلَهَا تَحْتَ عَضْدِهِ . وَالشُّكُوءُ : رَكُوءُ الْمَاءِ تُصْنَعُ مِنْ جِلْدِ النَّوْرِ
أَوِ الْخُرُوفِ . وَتَأَبَّطُهَا : جَعَلَهَا تَحْتَ إِبْطِهِ . هَرَاوَتُهُ : عَصَاهُ . رَنْتَ : نَظَرْتَ . تَحْفَزُهُ :
تَهَيَّؤُهُ وَعَجَلْتَهُ لِلْانْصِرَافِ ، وَتَحْفَزُ وَانْحَفَزَ ، إِذْ كَانَ جَالِسًا عَلَى عَقْبِهِ مَتَبِّيًا
الْقِيَامَ . تَأَقَّبَهُ : اسْتَعْدَادَهُ . مَزَايِلُهُ : مَفَارِقُهُ . مَرْكَزُهُ : مَوْضِعُهُ الَّذِي قَامَ بِهِ . أَفْصَمَ :
مَلَأَ ، وَنَعِمْتَ الشَّيْءَ فَمَأً : مَلَأْتَهُ . سَجَلًا : دَلُوا . سَيْبُهُ : عَطَاؤُهُ ، مَعْنَاهُ وَهَبَ لَهُ
نَصِيبًا مِنْ عَطَائِهِ . رَقَّتْكَ : أَصْحَابُكَ . مَفْضِيَا : مُسْتَحْيِيَا ، وَأَصْلُ « أَغْضَى »
كَفَّ بَصَرَهُ وَضَمَّ جَفْنَيْهِ . أَشَى : رَجَعَ وَانْعَطَفَ عَنْ طَرِيقِهِ . مَهْجَعُهُ : طَرِيقُهُ
الْبَيْنِ . يَسْرَبُ : يَفْرُقُ ، فَكَأَنَّهُ « تَفْعَلُ » مِنَ السَّرَبِ وَهُوَ الطَّرِيقُ ، كَأَنَّهُ يَرْدَمُ عَنْ
تَشْيِيمِهِ فِي طَرَفٍ مُخْتَلَفَةٍ ، أَوْ يَكُونُ مِنْ لَفْظِ السَّرَبِ ، وَهُوَ الْجُرْحُ ، فَكَأَنَّهُ يَقْتِيهِمْ
عَنْهُ حَيْثُ يَقْصِدُ تَعْمِيَةً طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَكُونُ مِنْ لَفْظِ السَّارِبِ وَهُوَ النَّاهِبُ
فِي الْأَرْضِ ، وَقَدْ سَرَبَ سُرُوبًا ، فَكَأَنَّهُ يَذْهَبُهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ لِيَجْهَلَ مَكَانَهُ .
مَرْبَعُهُ : مَنْزِلُهُ فِي الرَّبِيعِ خَاصَّةً . وَالرَّبِيعُ : الْمَنْزِلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ؛ مِنْ رُبْعَتِ
بِالسَّكَنِ ، أَقْتَبَهُ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَاتَبَعْتُهُ مَوَارِيَا عَنْهُ عِيَانِي ، وَفَقَوْتُ
إِلْفَرَّةً مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي ؛ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنَارَةٍ . فَأَنْسَابَ فِيهَا
عَلَى غَرَارَةٍ ، فَأَمَهَلْتُهُ رَيْشًا خَلَعَ ثَمَلَيْهِ ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ هَجَعْتُ
عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُهُ مُحَازِيًا لِتَلْمِيزِي ، عَلَى خُبْرٍ سَمِيدٍ ، وَجَدْرِي حَنِيزٍ ،

وَقَبَّاتَهُمَا خَايَةً نَبِيذٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، أَيْكُونُ ذَلِكَ خَبْرَكَ ؟
وَهَذَا غَبْرَكَ !

° ° °

مورانياً : سائراً . عياني : شخصي ، أي تبعته مستخفياً بحيث لا يراني .
قفوته : اتبعته من جهة قفاه . انساب : دخل ، وأصل الانسياب ، جَرَمِي الحية على
وجه الأرض ، أو جَرَى الماء كذلك ، ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض ،
لا يقال : انساب في البحر ؛ حدثني به بعض مَنْ لقيت من أصحابنا ، وكان
أضبط الناس لسان العرب ، قال : وقول الحريري : « انساب فيها » وهم منه ، ولو قال :
« انشام فيها » لكان أمثل ، يشبهه بالسيف إذا وُضع في غده . غرارة : غفلة .
رَبِثَ : قدر . هجمت عليه : دخلت عليه فجأة ، ومنه هجم عليه الحر ، وهجمت
عينه : دخلت في رأسه . محاذياً : ملاصقاً أو جالساً بجذائه . تليذ : متعلم الصنعة .
حَنِيدٌ : مشوي ، وحنذ اللحم حنذاً : شواه . بحجارة محمأة . نبذ ، أراد به
خبراً . خبرك ، أراد به أمرك الذي أنت عليه . مخبرك ، أي باطنك وما يختبر
منك .

[أبو نواس في مجالس الوعظ]

ومما ينتظم في هذا النمط حكاية أبي نواس حين رُئي في مجلس منصور
ابن عمار يبكي ، فظن الناس أنه قد نكس ، فجعلوا يهشون به ، ويقولون : نرجو لك
من الله الخير ، قال : أنا أهون على الله من ذلك ؛ وليس كما تظنون ، ولكن
أبكي لبكاء ذلك الغزال - و غلام بالمجلس يبكي من وعظ منصور - ثم قال :
لم أبك في مجلس منصور شوقاً إلى الجنة والخير

لكن بكائي لبكا شادين تقيته فحسى كل محذور
تنسب الألسن في وصفه إلى مدى عجز وتصير

وحضراً أيضاً مجلس بعض القصاص ، فقالوا له : لعل الله قد أقبل بك ! فقال :
إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خيلاني والمعاصي ودعاً ذكر القصاص
واسقياني الخمر صرقاً في أباريق الرصاص
وعلى وجه غزال طائع ليس بمعاصي
بين فتيان كرام قد تواصلوا بالمعاصي
وعلى الله - وإن أف - سرطت في الذنب خلاصي

ففر زفرة القيظ ، وكاد يتميز من القيظ ؛ ولم يزل يحلق
إلي ، حتى خفت أن يسطو علي . فلما أن خبت ناره ، وتوارى
أوارؤه ، أنشد :

لست الحبيصة أبني الحبيصة
وأنشبت شعبي في كل شبيصة
وسيرت وغطي أحبولة
أريغ القيص بها والقبيصة
والجاني الثمر حتى ولج
ت بلطف احتيالي على اللث عبيصة

عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ
وَلَا أَبْضَتَ لِي مِنْهُ فَرِيصَتَهُ
وَلَا شَرَعْتَ بِي عَلَى مَوْرِدٍ
يُدْنِسُ عِرْضِي نَفْسُ حَرِيصَتِهِ
وَلَوْ أَنصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ
لَمَا مَلَكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَةِ

° ° °

قوله: « فزفر زفرة القيظ »، الزفرة: تنفّس المهبوم أو المقتاظ، والقيظ: شدة الحر، شبه ما أبداه من شدة القيظ بوجه الحر. يتميز: يتقطع ويتفرق. يحملق: يحذ النظر، والحلقة: نظر النضبان، والحلاق: باطن الجفن. يسطو: يصل ويقتاولني بالكروه، يقال: سطا عليه وبه، يسطو سَطَوًا وسَطَوَةً، إذا قهره وأذله. خبت ناره: سكنت حدة غيظه. توارى: تغطى واستتر. أوارُه: لهبه ونار غيظه. والأوار: وهج النار. الخبيصة: كساء فيه خطوط. وقال يعقوب وأبو عبيد: الخبيصة: كساء مربع أسودله علان. الخبيصة: نوع من الخلاء، وتسميه عامتنا الخبيز، بالزاي، وكنى به عن لذة العيش. الشمس: حديدة معوجة يصاد بها الحوت، وتسمى الصنارة. شيصة: ثمرة رديئة؛ ومن ملح قصاص البلدان، أن أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه: إنما الناس مثل التمر، فيهم الشيص والبرني، يارب اجعلنا برنيًا ولا تجعلنا شيصًا. وقال قاص آخر: إن في الجنة لحم جدي ولحم خروف، ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى، يريد أنه لا يحترق شيئًا؛ فكل ما اتخذ له أخذه. أحبولة: آلة يصاد بها. أريغ: أطلب ما يصعب أخذه، كأنه يروغ من كذا، وأصل راغ من كذا، أى عدل عنه ورجع، وهو يخنى رجوعه. قال النراء: لا يقال للذي يرجع: راغ يروغ، إلا أن يكون مخفياً

لرجوعه، قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَايَمِينَ﴾^(١)، أى رجع إليهم بضربهم مخفياً لرجوعه، ومعنى «البايمن» أى يمينه الذى حلف فى قوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِمْ كَيْدٌ مِّنْهُمُ يُفْلِكُونَ﴾^(٢)، أو يريد باليمن القوة، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِمِجْلٍ﴾^(٣)، أى رجع إليهم فى إخفاء منه لرجوعه. القنيص والقنيسة: الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش، وهذا مثل، وإنما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل. أُلْجَانِي: أحوجنى. ولجت: دخلت. اللطف: رقة وتلطّف. عيصه: بيته، وأصله الشجر الملتف. والليث: الأسد. أهب: أخف. صرفه: قلبه. نبضت: تحركت. فريضة: بضعة فى آخر الكتف تتحرك عند الفزع. شرعت: دخلت. وعلى: بمعنى «فى». نحو قولك: كان ذلك على عهد فلان، أى فى عهده. مورد: موضع الماء. يدنس: يوسخ ويصيب. عرضى: ذكرى. نفس حريضة: كثيرة الرغبة والطمع. القنيسة: الخصلة القبيحة يعلها الرجل فينقص بها.

وقال بعضهم:

غَفَىٰ عِيونُكَ يَا عِيونَ الرَّجَسِ	مِنْكَ اسْتَعْنَيْتُ بِأَنْ أَقْبَلَ مُؤْنِسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَدَبَّلَتْ أَجْفَانُهُ	وَعِيونُكَ شَوَاحِصٌ لَمْ تَنْقَسِ
فَأَجَابَنِي تَفَاحٌ مِّمَّنْ خَدَّه	بِفَصَاحَةٍ مِّنَ السُّنَنِ لَمْ تُخْرِسِ
قَبْلَ حَبِيبِكَ مَا اشْتَهَيْتَ فَإِنْ مِنْ	عَادَاتِنَا كِتَابَ سِرِّ الْجَاسِ
يَا رَبِّ إِنِّ قَدَّرْتَهُ لِقَبْلِ	غَيْرِي فَلَمَّسُواكَ أَوْ لِلْأَكْوَاسِ
وَلَمَّا قَضَيْتَ لَنَا بِصُحْبَةٍ ثَالِثِ	يَا رَبِّ فَلَمَّسْتُ شِمْعَةً فِي الْجَاسِ

ومن أحسن ما قيل فى الدهر، قول عيم بن المز:

(١) سورة الصافات ٩٣

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٣) سورة الأنبياء ٥٧

يا دهرُ ما أقساكَ من متلون
أترُوح للنكس الجهول مَهْدًا
وإذا صفوت كدَرت شِمة باخلٍ
لا أرتضيك وإن كَرُمْتَ لأننى
زمنٌ إذا أعطى استردَّ عطاءه
ما قام خيرُك يا زمان بشره
ولإدريس بن اليماني (١) :

ماذا أقول لدنيا لو ظفرتُ بها
شجّام من أقذية الأيام برّح بي
أدبها غصبا للعلم والأدب
بل بالعوالى وبالهندية القضب

• • •

ثم قال لي : اذنُ فكلُ ، وإن شئت فقمُ وقلُ .
فالتفتُ إلى تلميذٍ وقلْتُ : عزمتُ عليكِ بمن تستدفعُ به
الأذى ، لتخبرنى مَنْ ذا ؟ فقال : هذا أبو زيد السروجي ، ميراجُ
القرباء ، وتاجُ الأدباء .

فانصرفْتُ مِنْ حيثُ أتيتُ ، وقضيتُ العَجَبَ مِمَّا رأيتُ !

• • •

قوله : « اذن » ، أى اقرب . قل ، أى قل ماشئت . التلميذ : الخادم ، والجمع

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) النكس : الرجل الضعيف القصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) هو أبو علي إدريس بن اليماني الصيرى الأندلسي ، صاحب الأسماح الكثيرة
للوك الطوائف ، ذكره صاحب المغرب في ١ : ٤٠٠ .

التلاميذ ، قال لييد^(۱) :

• يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلُوًّا قَشِبًا •

أى يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلُوًّا جَدِيدًا ، وطالبة العلم : تلاميذ شيخهم . الأذى : الضرر . سراج : مصباح ، يريد أنه للفرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته ، وللأدباء تاج يَتَزَيَّنُونَ به ويضمونه فوق رؤسهم . انصرفت : رجعت . قضيت : العجب ؛ أى أتمته ، كأنه قال : قضيت حاجتى مما رأيت . ويقال : قضى نحبَه من كذا ، أى بلغ مراده ، وقضى عليه القاضى ، أى قطع عليه ، والقاضى : القاطع للأمور المحكم لها ، وقوله تعالى : ﴿ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(۲) ، أى قَطَعَهُنَّ وَأَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ ، ويكون «قضى» بمعنى «عمل» .

(۱) ديوانه ۳۹ وسدره :

• فَالْبَاءُ يَجْلُو مُتُونَهُنَّ كَمَا •

(۲) سورة فصلت ۱۲ .

المقامة الثانية وهى الحلوانية

حكى الحارثُ بن همام قال : كَلِفْتُ مُذْ مِيطَتْ عَنِّي
التَّمَائِمُ ، وَرَيْطَتْ بِنَى الْعَمَائِمُ ، بَأَنْ أَغْشَى مَعَانَ الْأَدَبِ ، وَأَنْفَى
إِلَى رِكَابِ الطَّلَبِ ، لِأَغْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ،
وَمُزْنَةً عِنْدَ الْأَوَامِ . وَكُنْتُ لِفِرْطِ اللَّهْجِ : قِتَابَسِي ، وَالطَّعْمِ فِي
تَقْمِصِ لِبَاسِي ، أَبَاحْتُ كُلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ ، وَأُسْتَسْقَى الْوَبِيلَ
وَالْعَلَّ ، وَأَتَمَلُّ بِعَسَى وَلَعَلَّ .

كَلِفْتُ ، أى اشتدحني ، والكلف : شدة الحب والمبالغة فيه ، وفلان كلف
بفلان ، أى مبالغ في محبته . ومِيطَتْ وأميطت : أزيلت . التَّمَائِمُ : الأحرار .
نِيطَتْ : عُلِقَتْ ، وإذا بلغ الصبي الحلم عند العرب أزلوا الأحرار عن عنقه ، وأليس
العمامة والإزار ، وَقُلْدُ السيف ، فأراد : أحبيت مذبذبتُ الحلم مجالس الأدياء . أغشى :
أقصد وأدخل .

اللعان : المنزل . أبو عبيد ، يقال : البصرة معانٍ معنا ، أى منزل منا ،
خال المعرى :

معانٍ من أحببنا معانٍ^(١)

فالأول اسم موضع معلوم جنس به ، وجعله منزل أحبابه . وقال بعضهم :

(١) - سقط الزند ١٧٢ ، والبيت مطلع قصيدة له ، وبمقته :

• تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهِ الْقِيَانُ •

سُمِّيَ معاناً لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً ، أو لأن فيه أعياناً . أنفى : أهزل -
الركاب : الإبل ، وجعل لأطلب إبلاً مجازاً ، وإنما يريد : أتعبت نفسي فرحلت
إلى طلبه على الإبل . لأعاق منه : لأحصل منه على فائدة أتعاق بها . الأنام : الخلق .
مُرنة : سحابة . الأوام : شدة العاش ؛ يريد أنه يتعب نفسه في طلب الأدب ليتزين
به بين الناس ، ويعيش به إذا احتاج إليه . قرط اللّج : شدة الحب ، يقال : قد
كهرج بالشئ ، إذا أكثر الحديث به لخبته فيه ؛ وحرصه عليه . وكهرج القصيل بالرضاع ،
إذا لج فيه . اقتباسه : اكتسابه . التقمص : لبس القميص . لباسه : ثيابه ،
أى أطعم أن ألبس من ثيابه قميصاً . أباحث : أسائل . جلّ : عظم . قلّ :
حقر . أستسقي الويل والطلّ ، أى أطلب منه السقي ، والويل : أشدّ المكار والطلّ :
أضعفه ، ويقال : الرّك أضعف من الطلّ ، ومنه قيل للدني : ركيك . أتعللّ :
أشغل نفسي وأطعمها . والملاّلة : الشئ اليسير . وعسى ولعلّ : معناهما الرجاء
والطمع ؛ يريد أنه يسائل الجليل في العلم والخير ، ومن أكثر علمه وكان كالويل ،
أو قلّ وكان كالطلّ ، وإذا فقد من يؤخذ عنه العلم رجا نفسه بوجوده وأطعمها -
والتعلّل : قطع الزمان بالعيش اليسير ، وقد تعلّل بشرابه ، إذا أخذ منه قليلاً قليلاً ؛
فمعنى «أتعللّ بعسى ولعلّ» ، أذهب علة وجدي بالرجاء والطمع .

• • •

فَلَمَّا حَلَلْتُ حُلُوزَانَ ، وَقَدْ بَلَوْتُ الْإِخْوَانَ ، وَسَبَرْتُ
الْأَوْزَانَ ؛ وَخَبَرْتُ مَاشَانَ وَزَانَ ، أَلْقَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ
يَتَقَلَّبُ فِي قَوَالِبِ الْإِنْسَابِ ، وَيَخِيطُ فِي أَسَالِيِبِ الْاَكْنِسَابِ ؛
فَيَدْعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ سَاسَانَ ، وَيَعْتَرِي مَرَّةً إِلَى أَقْيَالِ غَسَّانَ ،
وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِعَارِ الشُّمَرَاءِ ، وَيَلْبَسُ حِينَ كِبَرِ الْكِبَرَاءِ .

[ذكر حلوان]

حظت : نزلت . وحلوان : بلدة بينهما وبين مدينة بغداد أربع مراحل ، وهي من كُور الجبل ، وسميت باسم بانيها ، وهو حلوان بن علي بن الحاف بن قضاة ، وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ ، وهي مقابلة لطبرستان . وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل ، وبها قصب السكر وافتتحت في زمن عمر .

بلوت : جريت . الإخوان : الأصحاب . سيرت : قتلت . الأوزان : أقدار الناس . خبرت : جريت وعرفت . شان : عاب ، وزان : زين ؛ يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس . ألفت : وجدت . يتقلب : يتنوع . قوالب : جمع قالب ، وقالب كل شيء : قياسه وما يصنع عليه . يخبط : يمشي ، والخبط : المشي في الأرض على غير قصد كمشي الأعمى . أساليب : طرق ، واحدها أسلوب . آل ساسان : ملوك الفرس . يعترى : ينتسب . أقيال : ملوك . غسان : قبيلة باليمن كان منها ملوك . وغسان : ماء كان شرباً لولد مازن بن الأزد بن القوثة فسموا به . يبرز : يظهر . طورا : حيناً . شعار : ثياب ، والشعار ثوب على الجسد . كبير : تكبر ، يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك في أحوال المكدين ، ويجرى بذلك في طرق اكتساب المعيشة فيدعى أنه من آل ساسان .

[شعار الكدية]

وأصل هذا أن الفرس كان فيهم الملك ، وكانت العرب تحت حكم ملوكهم ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم كتب اليه يدعوهم به إلى الإسلام ، مزقوه ، فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق ، فأوقع بهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية ، فلم يبق لهم في الملك رسم ، وصاروا في خلافة عثمان رضي الله عنه تحت حكم المسلمين ، وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب

ورماية، فسكن من بقي منهم الأمصار، واستربوا وتنفخوا، فكان منهم من زعم
 بالله به المسلمين، وكان منهم أهل أهواء ويدع، ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة،
 أهل الكدبية، فكانوا يطوفون على البلدان، ويقولون: نحن من بني ساسان،
 فينتسبون إلى ملوكهم، ثم يتدللون في السؤال، ويذكرون تلاعب الدهر واختلاب
 حال الملوك إلى السؤال، فيمتع الإشفاق عليهم، والميل بالرزق لهم، حتى شعر الناس
 بمكرهم وخديعتهم، فطردوا، وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكاً قالوا:
 ساساني. وقيل: إن ساسان اسم رجل معين، وهو أول من أسس الكدبية،
 فنسبوا إليه، كما أن الطفيلي منسوب إلى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل.
 فأراد أن أبا زيد كان يتنوع في أحواله، فيتمسكن تارة ويدعى أنه من
 ساسان، ويتعاطم أخرى فينتسب إلى غسان، ويبرز مرة في أحلاس الشعراء
 المكدين، ويظهر ثانية في ثياب فاخرة، لباس الكبراء الثريين.

يَبْدَأُ أَنَّهُ مَعَ تَلَوْنِ حَالِهِ، وَتَبَيُّنِ مُحَالِهِ، يَتَحَلَّى بِرِوَاءِ وَرِوَايَةٍ،
 وَمُدَارَاةٍ وَدِرَايَةٍ، وَبِلَاغَةٍ رَائِعَةٍ، وَبَدِيعَةٍ مُطَاوِعَةٍ، وَآدَابٍ
 بَارِعَةٍ، وَقَدَمَ لِأَعْلَامِ الْعُلُومِ فَارِعَةً، فَكَانَ لِمُحَاسِنِ آلَاتِهِ،
 يُبْلِسُ عَلَى عِلَاتِهِ، وَلِسَمَةِ رِوَايَتِهِ، يُصْبِي إِلَى رُؤْيَتِهِ، وَلِخِلَابَتِهِ
 قَارِضَتِهِ، يُرْغَبُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَلِإِعْذُوبَتِهِ إِرَادَتِهِ، يُسَمَفُ بِمُرَادِهِ،
 فَتَمَلَّقَتْ بِأَهْدَابِهِ، لِإِحْصَائِهِ آدَابِهِ، وَنَاقَسَتْ فِي مُصَافَاتِهِ،
 لِمَنْفَائِهِ صِفَاتِهِ.

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو مُهْمِي وَأَجْتَلِي
 زَمَانِي طَلَّقَ الْوَجْهَ مُلْتَمِعِ الضِّيَا

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمُتْنَاهُ غَنِيَّةٌ وَرُؤْيَاهُ رِيًّا ، وَتَحْيَاهُ لِي حَيَّةٌ

قوله : « بَيِّدْ أَنَّهُ » ، أى غير ، مُحَالَه : باطله ، والمُحَال ما لا يمكن أن يتصور ، وهو « مفعول » من حال الشيء ، إذا تغير ، كأنه زال عن وجهه . يتعلّى : يتزين . رواء : نظافة وحسن منظر . مداراة : حسن سياسة في مُحَابَاة ، وأصلها المُخَادعة . دراية ودَرْيَة : مصدر دَرَيْت . بلاغة : فصاحة . رائمة : ممجبة ، ومن شاهدها ارتاع وتمعّب . والبدية والبداهة : الأخذ في الكلام من غير فكرة ، وهى الارتجال . مطاوعة : مُتَقَادَة . بارعة : فائقة تفضل غيرها . أعلام : جبال . فارعة : طائلة قد علمها ، واللام في قوله : « لأعلام » زائدة ، وزيادتها إذا تقدمت أحسن منها إذا تأخرت ، مثل ضربت زيداً ولزيد ضربت . آلاته : عدده ، وأراد به هذه الأنواع التى قدمها التى تحلى بها . يابس : يصاحب ويحاط . علاته : عيوبه التى ذكر من أنواع الغربة . سعة روايته : كثرة علمه وما يرويه . يُضَيّ : يبال . خلافة : خداع ، وقد خلبه خلباً وخلافة : خدعه . عارضته : قوة كلامه . معارضته : مقابلته ومناقضته كلامه ، وتقول : رغبت عن الشيء تركته وتزهدت فيه ، ورغبت فيه ، إذا أحببته ، فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يعترض أحد لجأله ، فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض له فيما يقول ، وقيل : معنى فلان شديد العارضة ، إذا أفحش وأسمع المكروه ، ورجل شديد العارضة ، أى لا تُقَرَّب ناحيته . إirاده : أخذه في الكلام . يسعف : يساعد . أهدابه : أطراف ثوبه . وخصائص الشيء : ما يختص به ، أى ينفرد . نافت : زابت وغاليت . مصائنه : مصاحبته . ثائس : جمع نفيس ، وهو الرفيع من كل شيء يستى تيساً . من النفس وهى العين ، حتى كأنه لرفعت تتعلق به العين ، وقد قال المرمى : فالعين يلم منها ما رأت فتبت عنه وتلحق ما تهوى من الصور ^(١) قوله : « أجلو » ، أى أكشف . أجتلى : أطلع الوجه : مستبشراً ، والطلاق

ضد العابس . ملتصع : منير بادي الامعان : قربي : نسباً ، ومفتاه : منزله ، من قولهم : غني بالمكان يعني غنياً ، إذا أقام به . غنية : غني ، يقال : غني بغني غني فهو غني ، إذا استغنى ، والاسم : الغنية . رياً : شبعاً من الماء ، ورويت من الماء ضد عطشت : بحياه : حياته . حياً : مطر عام . ويقول : إنه كان بمصاحبه أبا زيد يزول هم ، ويلقاه يبشر منه ، فيرى قربه منه بالود كقراءة النسب ، وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه ، وإذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برويته . وقصد تجنبس الألفاظ ببعد المعنى .

وَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً ، يُنْشِئُ لِي كُلَّ يَوْمٍ نَزْهَةً ، وَيَذُرُّ عَنْ قَلْبِي شُبْهَةً ، إِلَى أَنْ جَدَحْتَ لَهُ يَدُ الْإِمْلَاقِ كَأْسَ الْفِرَاقِ ، وَأَغْرَمَ عَدَمُ الْمِرَاقِ بِتَطْلِيْقِ الْمِرَاقِ ، وَأَنْظَمْتُ مَعَاوِزَ الْإِرْفَاقِ إِلَى مَعَاوِزِ الْآفَاقِ ، وَأَنْظَمْتُ فِي سِلْكِ الرَّفَاقِ خُفُوقَ رَايَةِ الْإِخْفَاقِ ، فَشَعَدَ لِلرَّحْلَةِ غِرَارُ عَزَمَتِهِ ، وَطَمَعَنَ يَحْتَادُ الْقَلْبَ بَازِمَتِهِ .

فَتَا رَاقِي مِنْ لَا قِي بَعْدَ مُبْعِدِهِ

وَلَا شَاقِي مِنْ مَسَاقِي لَوْصَالِهِ

وَلَا لَاحَ لِي مُذْ نَدَّ نَدُّ لِفَضْلِهِ

وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ

لبثنا : أقفنا . برهة : مدة . ينشئ : يصنع ويبتدي . والنزهة : أصابها التبعاعد عن الرّيب ، ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للفرج ، ثم استعملت في اللعاب ، قيل : نزهة فلان في آدابه ، وكنتي بهذا عما يستفيدة من علمه . يذُرُّ : يدفع . شبهة : إشكال والتباس . جدحت : حركت ومزجت . والمجدح : (٦ - شرح مقامات الحريري)

آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج . الإملاق : الفقر من المَلَقَة وهي الصخرة
الملساء ، فأملق ، كأنه صادف مَلَقَة لا تنبت شيئاً ، ولم يصادف خصباً بعد أن كان
في ترفهٍ وغنى . أغراه : حرصه .

والعراق ، اختلفوا فيه ، فقال صاحب العين : العراق : العظم بلا لحم ، فإن
كان عليه لحم فهو عَرَق .

ابن قتيبة ، يقال للعظم الذي عليه اللحم عُراق ، وللخالي من اللحم عَرَق .
أبو عبيد ، العراق : الجامعة من اللحم . أبو زيد ، قول العامة : ثريده العراق
خطأ ؛ إذ كان العراق العظام ، وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعته في
عام جذب :

عَجِبْتُ من نقي ومن إشفاقها . ومن طرادى الطَّيْر عن أرزاقها
في سَنَةٍ قد كشفت عن ساقها . خمراء تَبْرِي اللحم عن عُراقها
ابن الأنباري ، قول أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن العرب تقول : أكلت
العراق ولا تقول : أكلت العظم ، وفي حديث أم إسحاق العنزيّة^(١) : فجعلت
لا آكل العراق ولا أضغه ، فقولها : « لا آكل » يدل على أن العراق لحم مفرد
أو لحم على عظم .

الأصمعي ، قيل لأعرابي : أي الطعام أطيب ؟ قال : ثريده دَكْناء من
الفلفل ، رَقْطاء من الحمض ، ذات خفافين من البضع ، لها جناحان من العراق ، قيل :
كيف أكلك لها ؟ قال : أصدع بهاتين — يعني السبابة والوسطى — وأسند بهذين —
يعني الإبهام والخنصر — وأجمع ما شذ منها بهذه — يعني البنصر — وأضرب
فيها ضرب ولّي السوم في مال اليتيم . فهذا يدل على أن العراق قطع اللحم إذ كانت
العرب لاتصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام .

والعراق في البيت : الأكل ، تقول : عرقت العظم عراقاً ، أكلت ما عليه
من اللحم ، والعظم معروق ، وهو بمنزلة سكت سكاتاً .

(١) السان : « التنوية » .

العراق : قال صاحب العين : هو شاطئ البحر ، وبه سُميت العراق ، لأنها على شاطئ دجلة . ابن الأعرابي ، سَمِيَ عِرَاقًا لأنه سَفَلَ عن نجد ، ودنا من البحر ، أَخَذَ من عراق القربة ، وهو الخرز في أسفلها . قطرب ، سَمِيَ عِرَاقًا لأنه دنا من البحر ، وبه يُنَاخ وينجد .

ويقال : استعقرت إبلهم ، إذا أتت ذلك الموضع . لَفَظَتْه ، أى رمته . ومماوز : جمع مَعْوَز ، والمعوَز هو المعوز نفسه ، والمَعْوَز بالكسر : الثوب الخلق وجمعه مماوز . الإِرْفَاق : مصدر أَرْفَقْتَهُ ، إذا أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ نَعْمًا يَرْتَفِقُ بِهِ ، وورقته يَمْنَاهُ ، فَأَرَادَ بِمماوز الإِرْفَاق فَقَدْ مَا يُرْتَفِقُ بِهِ . والمفاوز : جمع مفازة وهى الصحراء ، سَمِيَتْ مفازة على التناؤل ، لأنَّ الرجل إذا قطعها فاز ونجا . والآفاق : نواحى الأرض . نظمه : ضَمَمَ وجمعه . سَلَكَ : خِيط . الرِّفَاق : جمع رُقَّة ، وعنى بسلك الرفاق الطريق الذى ينتظمون فيه إذا أخذوا فى السير ، لأنهم يمشون فيه واحداً بعد واحد ، فنظّمهم الطريق ، وصار لهم كالسلك . خَفِقَ : اضطراب ، وقد خَفِقَ خَفَقًا خَفَقًا خَفُوقًا ، والإِخْفَاق : الخيبة ، ويقال : غدا فأخفق ، إذا خاب ، ومثل فى الصائد : صاد فأروق . شَحَذَ : حَدَّ وَسَنَ ، وشحذ الرجل سيفه ، إذا أَلَحَّ عَلَيْهِ بالتحديد ، ومنه قولهم للملح فى المسألة : شحاذ ، والعامّة تصحّفه فتقول : شحات ، بالثاء . غِرَارَ : حَدَّ . وَأَرَادَ أَنَّهُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْإِرْتِمَالِ حَدَّ عَزَمَتَهُ ، أى عَوَّلَ عَلَى السَّفَرِ بِحَدِّ . والعزيمة : مصدر عَزَمَ إِذَا جَدَّ ، وجعل لها حَدًّا ، مبالغة فى تعجيل السفر . فُلَعْنُ : ذَهَبٌ وَارْتَحَلَ . أَرْزَمَ : جمع زَمَام ، وهو حبل من جلود يشدُّ به فى حلقة مجموعة فى وتد أنف البعير ، فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه ، وَحَنِينَهِمْ إِلَيْهِ ؛ كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه ، فمن روى « القلوب » عادت الماء من « أزمتها » على السروجى ، ومن روى « القلب » عادت على القلب أو على السروجى ، والقلب لابن همام .

قوله : « راقنى » ، أى أعجبنى ، وقد راق الشيء يَرُوقُ رَوَاقًا فهو رائق ، إذا أعجب . لَاتَى : لَصَقَ بى وصحبنى .

شاقني : شوقني . ساقني لوصاله : دعاني لصحبته . لاح : ظهر . ند : فرّ وشرد .
 ند : مثل ، والجمع أُنْدَاد . خلال : جمع خَلَّة بالضم ؛ وهي الصداقة ، خلاله :
 جمع خَلَّة بالضم أيضاً ، وهي الخصلة . وهذا النمط في وصف الصديق وغيبته بارع .
 ولابن عمران في ذلك :

يَمْرَحِبًا بِصَدِيقٍ لَسْتُ أَبْصِرُهُ إِلَّا تَجَدَّدَ لِي أَنَسٌ بِمِرَآهُ
 وَإِنْ تَقَيَّبَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ أَرَهُ فَلَ فَوَادٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ يَرَعَاهُ

وَاسْتَسْرَ عَنِّي حِينًا ، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِيْنَا ، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مَبِينًا .
 فَلَمَّا أَبْتُ مِنْ غُرْبَتِي ، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبَتِي ، حَضَرْتُ دَارَ كُتُبِهَا الَّتِي
 هِيَ مُنْتَدَى الْمُتَادِينَ ، وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَمَرِّينَ ، فَدَخَلَ
 ذُو لِحْيَةٍ كَثَّةٍ ، وَهَيْئَةٍ رَثَّةٍ ، فَسَلَّمَ عَلَى الْجُلَاسِ ، وَجَلَسَ فِي
 أُخْرِيَّاتِ النَّاسِ .

استسر : غاب واختفى ، وأصله من سِرَّار الهلال في آخر الشهر ، وهو
 يستسر ليلة لا يظهر أو ليلتين . والعرين : بيت الأسد وماواه . مبيتاً : معلاً به
 يبيتن لي أين استقر . أبْتُ : رجعت . منبت شعبي ، أي بلدة قرايتي التي نبتوا
 فيها ، يريد البصرة . والشعبة : القرابة . دار كتبها : مدرسة العلم . منتدى : مجتمع .
 القاطنين : الساكنين ، وقطن بالمكان : أقام فيه . كثة : كثيرة الأصول من
 غير طول .

[بما قيل في اللحي]

ويقال للحية إذا قصر شعرها وكثر : إنها لكثّة ، وقد كُثَّتْ تَكِثُ كَثَاةً
 وكثوثة ، ورجل كَثَّ اللحية ، ولحية كُثْمَةٌ ، إذا كُثِفَتْ وقصرت وجُمِدَتْ ،

ورجل كُثُفُمُ اللحية . وإذا عظمت وكثر شعرها قيل : إنه لدو عُنُون ، وإنه كِهْلُوف ، فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السُّنُوط والسنَّاط ، ورجل سُنَّاط : بين السَّنَط ، فإذا لم يكن في وجهه كثير شعر ، فذلك السَّنَط ورجل نَطَّ ، ورجال نِطَاط . والسَّبَلَة : مقدم اللحية ، ورجل مسيل ، وفلان خفيف العذارين ، وهما ما اتصل من شعر اللحية بالضدغ ، وهما العارضان ، وهما ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الأسنان ، قال رؤبة في لحية حرب بن قطن :
هَوَافٌ كَأَنَّهَا جُؤَالِقُ نَكْدَاهُ لَا بَارِكُ فِيهَا أَخَالِقُ
لَهَا فَضُولٌ وَلَهَا بَنَاتِقُ إِذَا الرِّيحُ الْمَصْفُ السَّوَابِقُ
طَيَّرَتْهَا طَارَتْ لَهَا عَقَاتِقُ إِنْ الذِّي يَحْمِلُهَا لَمَاتِقُ
وَأُنْشَدَ أَبُو عَلِيٍّ :

وَأَنْتَ اسْمُؤْ قَدْ كَثَّاتُ لَكَ لَحِيَةً كَأَنَّكَ مِنْهَا قَاعِدٌ فِي جُؤَالِقِ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من سعادة المرء خفة لحيته » . وكانت عائشة رضي الله عنها تقسم فتقول : « لا والذي زين الرجال باللعى » ، تقول : إنه قسم الملائكة .

قال الأحذب الصوفي : سمعت مطيار بن أحد يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، قلت : يا رسول الله ، أشتهى لحية كبيرة ، قال لي : « لحيتك جيدة ، وأنت محتاج إلى عقل تام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اعتبر واعقل الرجل في ثلاث : في طول لحيته ، ونقش خاتمه ، وكنيته » .

أنى رجلٌ طويلُ اللحية معاوية قال له : أَمَا اللحية فلا نسأل عنها ، فما نقش خاتمك ؟ فقال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ^(١) ، قال : فما كنييتك ؟ قال : أبو الكوكب الدرّي ، قال : كتمل الرجل .

(١) سورة النمل ٢٠ .

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء .
 وكان عبد الله بن عمر يقيض على لحيته ، ويأخذ ما زاد منها على قبضته .
 الحسن بن المنثى : إذا رأيت رجلاً له لحية طويلة ، ولم يتخذ لحية بين لحيتين ،
 كان في عقله شيء .

وكان المأمون جالساً مع ندمائه ببغداد ، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون .
 أخبر الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان قط إلا وقص من عقله بمقدار
 ما طال من لحيته ، وما رأيت عاقلاً قط طويلاً اللحية . فقال له بعض جلسائه ، ولا
 يرد على أمير المؤمنين : قد يكون في طول اللحية أيضاً عقل ؛ فبينما هم يتذاكرون في
 هذا ، إذ أقبل رجل كبير اللحية ، حسن الهيئة ، فاخر الثياب ، فقال المأمون :
 ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن
 يكون هذا قاضياً ، فقال المأمون لبعض الخدم : على بالرجل ، فلم يلبث أن أضعده
 إليه ووقف بين يديه ، فلم أجاد السلام ، فأجلسه المأمون ، واستنطقه فأحسن النطق ،
 فقال المأمون : ما اسمك ؟ قال : علوية ، قال : فما الكنية ؟ قال : أبو حذويه .
 فضحك المأمون ، وغمز جلساءه ثم قال : ما صنعتك ؟ قال : قتيه أجيد الشرع
 في المسائل ، فقال له : نسألك مسألة ! فقال الرجل : سل عما بدا لك ، فقال له
 المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل ، فلما تسلمها المشتري ، وقضى
 الثمن ، ضرطت ، فخرج من استها بكرة فقعات عين رجل ؛ على من تجب دية
 العين ؟ قال : فنكت بإصبعه في الأرض طويلاً ، ثم قال : تجب على البائع دون
 المشتري ، فقال المأمون : وما العلة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري ؟ قال :
 إنه لما باعها لم يشترط أن في استها منجنيقاً ، قال : فضحك المأمون حتى استلقى على
 قفاه ، وضحك كل من حضره من الندماء . وأنشد المأمون يقول :

ما أخذ طالت له لحيته فزادت اللحية في حليته

إلا وما ينقص من عقله أكثر مما زاد في لحيته
وقال آخر :

إذا عظمت للفقي لحية
فنقصان عقل الفقي عندنا
فطالت فصارت إلى سرته
بمقدار ما زاد في لحيته
وأشد أبو علي :

لا تفخرن بأحجية
يهرى تفرقها الزيا
قد يدرك الشرف الفقي
كثرت منابتها طوبله^(١)
ح كأنها ذنب الحسيلة
يوماً ، ولحيتها قليلة
وقال : الحيلة المجلة .

وأشد أبو العباس رحمه الله :
كل امرئ ذى لحية عشوائية
وما النفل في طول السبال وعرضه
يقوم عليها ظن أنه له فضلاً
إذا الله لم يجعل لصاحبه عقلاً
عشوائية : كبيرة .

نظر يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله إلى رجل ذى لحية عظيمة ، وقد
تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنك من لحيتك في مئونة ، فقال :
أجل ، ولذلك أقول :

لعمرك لو يعطى الأمير على الآحى
إذا لفتني لحيتي من عصاية
لها درهم للدهن في كل جمعة
ولولا نوال من يزيد بن مزيد
لأصبحت قد أيسرت منذ زمان^(٢)
لهم عنده ألف ولى مائتان
وأخسر للحناء بيتدران
لصوت في حافاتها الجلمان

(١) الآيات في اللسان (حبل) من غير لينة .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٢٨

فأمر له بمشرة آلاف درهم . والجلّمان : القصر ، ويسمى الجلاليم .

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :

ما سرّني أنّني في طولِ داوُدِ	وأنتي علّم في التّأسِ والجلود ^(١)
ما شئتُ داودَ فاستضعكتُ من محبٍ	كأنتي واللّه يمشي بموَلودِ
ما طولُ داودَ إلّا طولُ لحيتِه	يظلّ داودُ فيها غيرَ موجودِ
تسكّنه خضلةٌ منها إذا نفعت	ريح الشمالِ ، وجفّ الماءُ في العودِ
أجدي وأغنى من الخبزِ الصفيقِ ومن	بيضِ القطائفِ يومَ القَرِّ والسودِ

وأشدّ إفراطاً منه قول ابن الرومي :

ولحيتِه يحملُها مائتُ	مثل الشّراعين إذا شَرعاً
تقوده الرّيحُ بها طائفاً	قوداً عنيفاً يتعب الأخذعاً
وإن عدا والريح في وجهِه	لم ينبعث في مشيه إصبعاً
لو غاص في اليمِّ بها غوصةً	صاد بها حيتانه أجمعاً

وأشدّ إفراطاً منه قول الآخر :

يا لحيّة الشّيوخ الأربّ تميم	أهديت للأقوام عرف الثّوم
لو أنها دون السماء غمامةً	ضاقّت مسالكُ دعوة المظلوم
أو صبّها في الماء ثمّ سَمّا بها	قامتُ مقامَ العارضِ المَرَكومِ
ولا بن سارة :	

ولحيّة لست أدري كيف أنعتها	فضول أشعارها أودّت بأشعارِي
كانها ويمينُ الرّيح تنشرُها	مذبذبةً وقمت في عود بيطار

(١) الكامل لابن عديم ٢ : ١٢٨

وقال آخر :

أَبْصَرْتُ شَيْخًا ذَاهِبًا جَائِعًا ذَا لَحْيَةٍ قَدْ كَبُرَتْ فِي اتِّسَاعِ
عَرْضًا وَطُولًا وَهُوَ مِنْ خَلْفِهَا كَأَنَّهُ نَاشِرُ ثَوْبٍ يُبَاعُ
وقال آخر :

لَقَدْ كَانَتْ مَجَالِسُنَا فِisَاخًا فَضِيَّتْهَا بِلَحْيَتِهِ رَبَاحُ
مُتَقَابِلَةِ الْأَسْفَلِ وَالْأَعَالِي لَهَا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ جَنَاحُ
وقال آخر :

يَأْتِيهَا النَّاسُ خَذُوا حِذْرَكُمْ قَدِ بَرَزَتْ لِحْيَتُهُ مُبْهِتُولِ
فَطَلَوْهَا الْفَرَسُخَ فِي فَرَسُخٍ وَعَرْضَهَا مِيلٌ إِلَى مِيلِ
لَوْ ضَمَّ مَا يَقَطُرُ مِنْ دُهنِهَا أُسْرِجَ مِنْهُ أَلْفُ قِنْدِيلِ
وَلَوْ سَهَا الْحِجَامُ عَنْ قَصِّهَا لَخَالَطَتْ مَا فِي السَّرَاوِيلِ
ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي أنها كثرة، وكل صفة يصف بها السروجي
على المقامات ، فذلك كانت صفة الحريري . وذكر ابن جهور أن الحريري كان
قليل اللحية لا خلقته ، وإنما كان مولعاً بفتحها ، كانت يده رحمه الله لا تفارق
لحيته . وهذا على كثرة قليل فيما قيل في اللحية .
قوله «رثة» ، أي خلقته بالية . أخريات : أطراف ، وهي جمع أخرى .

ثُمَّ أَخَذَ يُبْدِي مَا فِي وَطَائِهِ ، وَيُنَجِّبُ الْحَاضِرِينَ بِفَصْلِ خِطَابِهِ ،
فَقَالَ لِمَنْ يَلِيهِ : مَا الْكِتَابُ الَّذِي تَنْظُرُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : دِيْوَانُ
أَبِي عِبَادَةَ ، الْمُشْهُودُ لَهُ بِالْإِبَادَةِ .

أَتَى طَلْعَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَجْلِسَ قَوْمٍ ، فَعَمَلُوا ينادونه من كلِّ جانب : هاهنا

يا صاحب رسول الله ! قال: فجلس في أذنّي المجلس ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ مِنْ التَّوَاضُّعِ لِلَّهِ الرِّضَا بِالذُّونِ مِنْ شَرَفِ الْمَجْلِسِ » .

وطابه : زِقَاقَ لَبَنِهِ ، أراد أنه يظهر ما عنده . يعجب : يحلمهم يتمجّبون .
بفصل خطابه : يريد بفصل كلامه وجوده بلاغته ، وقوله تعالى : ﴿ وَفَصَّلِ الْخِطَابِ ﴾ ^(١) هو قول الخطيب : « أما بعد » . يليه : يلصق به .

[البحتري وبمض أخباره وشعره]

أبي عبادة . قال البكري : هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد ، من بني بختر بن عتود بن عُنَيْنِ ابن سَلَامَانَ بن ثَمَلِ بن عمرو بن العَوَثِ بن حُلَيمَةَ ، وهي طَيِّية . شاعر مقدّم لا يُمدّك به أحد ، يفضّل على حبيب ، والناس في تفضيلهما على اختلاف .

قال أبو الفرج الأصبهاني : كان البحتري شاعراً فصيحاً ، حسن المذهب . تقي الكلام ، حُتم به الشعراء المحدثون ، وله تصرف في ضروب الشعر ، سوى الهجاء ، وإن بضاعته فيه نثرة .

قال البحتري : وكان أول أمرى أني سرت إلى أبي عامر بمخيم ، فمرضت عليه شمرى - والشعراء يمرضون عليه أشعارهم - فترك من حضر وأقبل عليّ ، فقال لي حين تفرّقوا : أنت أشعر من أنشدني ، فكيف حالك ؟ فشكوت خلّة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لي بالخذق في الشعر ، وشفع لي إليهم ، وقال : امتدحهم . فسرت إليهم ، فأكرموني بكتابته ، ووظفوني أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته ^(٢) .

وحدث أبو الفرج ، قال : حدثني أبو العَوَثِ البحتري ، عن أبيه ، قال : أول

(١) سورة س ٢٠ .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٧ ، ١٦٩ .

أمرى أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، فأنشدته قصيدة أولها :-
 * أأفاق صبٍّ من هوى فأفياً *

فمرّ أبو يوسف بها ، وقال : أحسنت والله يافتي وأجدت - وفى مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه ، فوق كل من حضر ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على ، ثم قال : أما نستجى منى ! هذا شمرى تتحلله وتنشده بحضرتى ! فقال له أبو سعيد : أحقاً ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه منى وسبق به إليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشداً كثر القصيدة ، حتى شككتنى - علم الله - فى نفسى ، وبقيت متحيراً ، فقال لى أبو سعيد : يافتي ، قد كان لك فى قرابتك منى ما يفيدك عن هذا ! فحصلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لى ، ماسمته منه ، ولا اتحلته . فلم يرفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع بى حتى تمّنت أن يسأخ بى فى الأرض ، فممت منكسف^(١) البالي ، أجزّ رجلى ، فما بلغت باب الدار حتى ردّنى الفلام ، فأقبل على الرجل وقال : الشعر لك يابنى ، والله ما قلته قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكننى كنت ظننت أنك تهانوت بموضى ، فأقدمت على الإنشاد بحضرتى ، تريد مضاهاتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك ، ولوددت ألا تله طائفة إلا مثلك ، ودعائى وضمتى إليه ، وعانفتى ، وأبو سعيد يضحك . فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واحتذيت منه^(٢) .

وعن أبى الفوث عن أبيه قال : ، قال لى أبو تمام : بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلاً ، فبم مدحتهم ؟ فأنشدنى شيئاً منه ، فأنشدته ، فقال لى : كم أعطوك ؟ قلت : كذا ، فقال لى : ظلوك ، والله ما وفوك حقك ، فلم استكثرت ما أعطوك ! والله لبيت منها خير مما أخذت . ثم أطرق قليلاً وقال : لعمرى لقد استكثرت ذلك لك مات الكرام ، وذهب الناس ، وغاضت الكارم ، وكسدت

(١) الأغاني : « منكسر » .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٩

أسواق الأدب ، أنت الله يابني أميرُ الشعراء غداً بعدى ، قمت فنبّلت رأسه ويديه
ورجله ، وقلت : والله لهذا التول أسرُّ لي مما وصل إلى منهم .

قال البحرى : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعرى ، فأنشدنى
بيت أوس :

وإن مُقرَّمٌ متأذراً حذنا به تمخط فينا نابُ آخرَ مُقرَّم^(١)

ثم قال : يابني ، نعتيت إلى نفسى : فقلت : أعيذك بالله من هذا ! فقال لى :
إن عمرى ليس بطول ، وقد نشأ مثلك لطي ، أما علمت أن خالد بن صفوان
المنقرى رأى شبيب بن شبة ، وهو من رهطه يتكلم ، فقال : يابني ، نعى نفسى
إلى إحسانك فى كلامك ؛ لأننا أهل بيت ، مانشأ فينا قط خطيب إلا مات من قبله .
قال : فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ، ومات البحرى سنة ثلاث
وثمانين ومائتين .

المبرد : ذكرت للمتوكل المنازعة التى جرت بينى وبين أبى الفتح فى
تأويلات ،^(٢) فبعث إلى عامله بالبصرة أن يحملنى إليه مكرهاً ، فوردت سر من
رأى ، فأدخلت على المتوكل ، وفى المجلس البحرى وأبو المنبس الصيرى ،
فأنشده البحرى قصيدة أولها :

عن أى نفرٍ تبسمُ وبأى طرفٍ تحسبكم^(٣)
حسنٌ بطنٌ بحسنه والحنُّ أشبه بالكرم

حتى بلغ :

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المتصم

(١) وفرا حدنا به : انكسر ؟ كذا فسرّه صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت .

(٢) ج : « تأويلاته » ومى ساقطة من السعوى وإنباء الرواة .

(٣) ديوانه ١٩٩٨ .

المرتضى ابن الحنفي وانعم ابن المنتقم
أما الرعية فهي من أمانات عدلك في حرّم
ياباني الجدي الذي قد كان قووصاً فأنهدم
اسلم لدين محمد فإذا سلمت فقد سلم
نينا الهدى بعد العمى بل والعنى بعد القدم^(١)

ثم مشى القهقري للانصراف ، فوثب أبو العننس ، وقال : يا سيدي
تأمر برده ! فقد والله عارضته ، فأخذ ينشد في ذلك :

في أيّ سلاحٍ تنظّم وبأيّ كفٍ تنقّم
أدخلت رأس البحتريّ أبي عبادة في الرّحِم

ووصله بما يشبهه من الشعر . فضحك المتوكل حتى استأق ، وقال : يُدفع
إلى أبي العننس عشرة آلاف درهم ، فقال أبو الفتح : يا أمير المؤمنين ، والبحتريّ
الذي هُجِيَ وأُسمِع السكره ينصرف خائباً ؟ قال : ويُدفع إلى البحتريّ
عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدي ، وهذا البصريّ الذي أشخصناه من بلده ،
ألا يشرّكهم فيما حصلوه ؟ قال : ويُدفع له عشرة آلاف : قال : وانصرفنا كلّنا
في شفاعه الهذليّ ، ولم ينفع البحتريّ جدّه وحذقه .^(٢)

وأما أبو الفرج ، فقال : حدثني جحظة عن أبي العننس الصيمريّ ، قال :
كنت عند المتوكل والبحتريّ ينشده :

* عن أيّ نفرٍ تبتلّيم *

وكان البحتريّ من أقبض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في مشيه مرّة
جانباً ، ومرّة القهقريّ ، ويهزّ رأسه مرّة ومنكبّه أخرى ، ويشير بكفيه ، ويقف
عند كل بيت ، ويقول : أحسنت والله ! ثم يقبل على المستمعين ، ويقول لهم :
مالكُم لا تقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجروا

(١) الديوان : ٥ . بك والقي .

(٢) الخبر برواية البرد في مروج الذهب ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ وإنباه الرواة ٣ : ٤٤٤ .

لشئ كل من ذلك ، وأقبل على فقال : أما تسمع يا صيغرى ما يقول ؟ قلت :
بلى ياسيدي ، فمر فيه بما أحببت ، فقال : بحياتي أهجئه على هذا الزوى ،
فقلت على البديهة :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ	وعلمت أنك تنهزِم ^(١)
يا بختري حذارٍ ونَحْ	لك من قضايَةِ ضُغَمِ
فلقد أسلت بوادين	لك من الهِجَاسِيلِ العَرَمِ
فبأى عِرْضٍ تعصِمِ	وبهتك جف القَلَمِ
والله حافَّةٌ صادق	وبقر أحمد والحَرَمِ
ووحق جعفر الإمام	م بن الإمام المعتصمِ
لأصيرنك شُهْرَةً	بين السيل إلى القَلَمِ
يا بن الثَّقيلة والثَّقيف	ل على قلوب ذوى النَعَمِ
وعلى الصَّغير مع الكب	ير من الموالى والحَشَمِ

وبعد هذا ما يقبح ذكره ؛ فمضب البختري ، وخرج يعدو ، وجعلت

أصيح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ وعلمت أنك تنهزِم^(١)
والتوكل يضحك ، ويصفق حتى غاب عنه .

ومدح البختري بعض الولاة ، فتوانى في حقه ، فأنشده :

إن الأمير أطال الله مدته
يُعْطَى من العُرفِ ما لم يُعْطَ أَحَدٌ^(٢) ،
ينسى الذي كان من معرفه أبداً إلى العباد ، ولا ينسى الذي يعدُّ
فأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : البيتان خير من القصيدة .

وقال الهذلي : قيل للبختري : أيما أشعر ؟ أنت أو أبو تمام ؟ قال : جيده خير
من جيدي ، وردني خير من رديته . وصدق ، أبو تمام لا يتعاقى به أحد في

(١) الأغاني ١٨ : ١٨٣ ، وأخبار البختري لقصوى ٨٧

(٢) ملحق ديوانه ٢٠٤٠ .

في جيده ، وربما اختل لفظه لامعناه ، والبحترى لا يختل لفظه .

وقيل له : قد عثرت باحتذائك أبا تمام في شعرك ! فقال : أتعاب على أن أنبع
أبا تمام ، وما عملت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالي !
وذكروا معنى تعاوره البحرى وأبو تمام ، فقال المبرد للبحترى : أنت في هذا
أشعر من أبي تمام ، فقال : لا والله ، ذلك الرئيس الأستاذ ، والله ما أكلت
الخبز إلا به .

وقال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبي تمام والبحترى أيهما أشعر ؟
فقال : لأبي تمام استغراجات الغاية ، ومعانٍ ظريفة ، وجيده أجود من شعر
البحترى ومن تقدمه من المحدثين ، وشعر البحرى أحسن استواء من شعره ، لأن
البحترى يقول القصيدة كلها ، فتكون سائمة من طعن طاعن ، وأبو تمام يقول
البيت النادر والبارد ؛ وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعي ، وما أشبهه إلا
بفائض يخرج الدرّة المخشّبة - وهي زجاجة توضع مكان الدرّة - ثم قال : لأبي
تمام والبحترى من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله ،
ثم قال : والبحترى ختم الشعر ، وله بيتان لو وضعا إلى شعر زهير لجازا فيه ؛ وهما :

فاسفه الدّفيه وإن تعدّى بأنجمع فيك من حلم الحليم^(١)
متى أحفظت ذا كرم تخطى إليك ببعض أفعال النّسيم
وذكر المبرد في هذا المجلس شعراً له ، وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرت محاسن ابني صاعدٍ أدت إليك مخائل ابني مُخَدِّ^(٢)
كالمرقدتين إذا تأمل ناظرٌ لم يعلُ موضعُ فرقدي عن فرقدي
وقوله :

من شاكر عني الخليفة للذي أولاه من فضلٍ ومن إحسانٍ^(٣)

(٢) ديوانه ٤٤١

(١) ديوانه ٢٠٧٩

(٣) ديوانه ٢٢٥٥ .

حَتَّى لَمَّا أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ رَأَيْتُ
وَبَعْدَهُمَا :

أَغْنَتْ بَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَقْتَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وَلَهُ أَيْضًا فِي الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، وَقَدْ نَزَلَ إِلَى الْأَسَدِ فَقَتَلَهُ :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ عِطْفُكَ مَا أَنْتَنِي وَلَا يَذُكُّ أَرْتَدَّتْ وَلَا حَذُّهُ نَبَأٌ (١)
فَأَحْجَمَ لَنَا لَمْ يَحْدُ فَيْكَ مَطْمَقًا وَصَمَّ لَنَا لَمْ يَحْدُ عَنْكَ مَهْرَبًا
وَلَهُ فِيهِ :

وَمَا مَنَعَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ نَيْلَهُ وَلَكِنَّمَا الْأَيَّامُ تُعْطَى وَتُحْرَمُ (٢)
سَعَابَ خَطَائِي جُودُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَائِي فَيْضُهُ وَهُوَ مَنَعٌ
وَيَذُرُّ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَجُلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلُمٌ
أَأَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسَّعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَذِمُّ الْفَيْثَ إِلَّا مَذَمُّمٌ (٣)

وَلَهُ أَيْضًا فِي انْتِقَاضِ صَاحِبِ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَى عَلَى نَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَرْبِيطُ الطَّيِّبِ (٤)
وَلَأَتَهُمُ الدَّيْدُ أَشَدَّ حُبًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ
وَمِنْ جَيْدِ شَعْرِهِ :

وَلَا الْقَبَا وَاللَّوَى مَوْعِدٌ لَنَا تَبَيَّنَ رَأْيُ الدَّرِّ حَسَنًا وَلَا قِطْعَةً (٥)
فَمَنْ لَوْ لَوَّجَ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوَّجَ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقُطُهَا
وَالْبَحْرَى مَكْثَرٌ جَدًّا ، وَدِيَوَانُ شَعْرِهِ نَسِخٌ مُخْتَلَفًا بِالزِّيَادَةِ وَالنَقْصِ ؛ لِأَنَّ
شَعْرَهُ لَا يَنْضَبُطُ لِكَثْرَتِهِ .

(٢) ديوانه ١٩٨٠

(١) ديوانه ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١٩٠ .

(٤) ديوانه ١٢٣٠ .

[وصية أبي تمام للبحترى]

قال البحتري : كنت أروم الشعر في حداثتي ، وكنت أرجع فيه إلى الطبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقضت فيه إليّ ، واتسكت في تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تحيّر الأوقات وأنت قليل الموم ، صغر من العموم . واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصدها الإنسان لتأليف الشيء ، أو حفظه في وقت السّحر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت بنحطها في الراحة ، وقطعها من النوم ، فإن أردت التشبيب ، فأجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رقيقاً ، وأكثر فيه بيان الصّباية ، وتوخيّع الكتابة ، وفاق الأوقات ، ولوعة الفراق ؛ فإذا أخذت في مدح سيّد [ذي أباد] ^(١) ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معاله ، وشرف مقامه ، ونضد المعاني ، واحذر المحتمل ^(٢) منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الهجينة ^(٣) ، وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضّجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعراً إلا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك إلى قول الشعر الدّريّة إلى حسن نظامه ، فإن الشهوة تجمع النفس ^(٤) . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سبق من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ؛ ترشد إن شاء الله تعالى .

قال : فأعمت نفسي فيما قال ، فوقفت على السياسة ^(٥) .

* * *

فَقَالَ : هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيهَا لَمَحَتَهُ ، عَلَى بَدِيعِ اسْتِمْلَاحَتِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَوْلُهُ :

(١) من زهر الآداب

(٢) زهر الآداب : الرديئة . (٣) زهر الآداب : نعم المين .

(٤) زهر الآداب ١١٠ ، ١١١ ، الصّفة ٢ : ١١٤ .

(٥) - شرح مقامات الحريري (٩)

كَأَنَّمَا يَبْدِيعُ عَنْ لَوْلُو مُنْضَدٍّ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحٍ
فَإِنَّهُ أَبْدَعَ فِي التَّشْبِيهِ، الْمُودَعِ فِيهِ .

• • •

قوله : « هل عثرت » ، معناه اطلعت . لحته : نظرته . بديع : معنى لم يسبق
غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما كما ذكر من صنع البديع في [القائمة]
الثلاثة والعشرين . والبِدْع : إحداث الشيء قبل أن يكون أولاً ، والبِدْعَة : ما ابتدع
من الدين ، والبديع : المحدث العجيب ، وأبدع الرجل : أتى ببديع من قول أو فعل ،
وأبدع الله الأشياء وأبدعها : خلقها بلامثال . استملخته : وجدته مليحاً . ييسم :
يبدى بعض أسنانه عند الضحك . لَوْلُو : جوهر شبه به الأسنان . وهذا البيت
من شعره ، وقوله :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أُغَيِّدُ مَجْدُولَ مَكَانِ الْوِشَاحِ^(١)
فَبَتَّ أَفْـدِيهِ وَلَا أَرْعَوِي لَهْيَ نَاهٍ عَنْهُ أَوْ لَحْيَ لَاحِ
أَمْزُجُ كَأْسِي بِحَيِّ رَيْقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا يَرَاخِ
كَأَنَّمَا يَيْسَمُ الْبَيْت .

وبعده :

سِخْرُ الْعُيُونِ الشَّجَلِ مُسْتَهْلِكٌ لُبِّي ، وَتَوْرِيدُ الْخُدُودِ الْمَلَاخِ
قُلْ لِأَبِي نُوحٍ شَقِيقُ الْعَلَا وَمَعْدِنُ الْجُودِ ، وَتَرْبُ النَّجَاحِ^(٢)
أَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي عَوَّدْتَنِي ، وَالنَّائِلِ الْمُسْتَمَاحِ
مَنْ أَنْ تَصُدَّ الطَّرْفَ عَنِّي وَأَنْ أَخِيبَ فِي جَدْوَالِكَ بَعْدَ النَّجَاحِ
أَشْمَتَ حُسَّادِي وَأَخْرَجْتَنِي عَنْ سَيْبِكَ الْمَقْدَى عَلَى الْمَرَاخِ
فَهَلْ لِأَنْسِي بَانَ مِنْ عَوْدَةٍ أَمْ هَلْ لِحَالٍ فَسَدَتْ مِنْ صَلَاحِ

(١) ديوانه ٤٣٥ .

(٢) هو أبو نوح عيسى بن موسى المدوح .

نَسْتُ عَلَى سَخَطِكَ جَلَّةَ الْقَوَى وَلَا عَلَى هَجْرِكَ شَاكِيَ السَّلَاحِ
قوله : « المودع » : المضمّن ، وأودع الشيء : صيره ودبّعه .

فَقَالَ لَهُ : يَا لَمَعَجَبٍ ، وَلِضَيْعَةِ الْأَدَبِ ! لَقَدْ أَسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ،
وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ النَّذِيرِ ، الْجَامِعِ
مُشَبَّهَاتِ الثَّغْرِ ! وَأَنْشَدَ :

نَفِىَ الْفِدَاءَ لِثَغْرِ رَقٍ مَبْنُوءٍ
وَزَانَهُ شَبَّ نَاهِيكَ مِنْ شَبِّ
يَفْتَرُّ عَنْ أَوْلَى رَطْبٍ وَعَنْ بَرٍّ
وَعَنْ أَقْحَرٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبِّ

استسمنت : حسبته سمينا وطلبت السمانه من هزيل . وَرَم : دُمَل ، والمعنى
أنه يرميه بسوء النهم ، وقد بين هذا أبو الطيب المتنبي فقال :

أَعْيَدُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تُحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ^(١)
وَمَا انْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالْظُّلَمُ

ونفخت في غير ضرم ، مثل لطلب الشيء في غير موضعه ، ولفظ المثل^(٢) :
« نفخت » أو « تنفخ » ، والضرم : النار . النذر : النادر : الغريب . الثغر :
الأسنان ، مبسه : موضع ابتسامه ، يعنى الفم .

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) لفظ المثل في جملة الأمثال ٢ : ٣٠٠ : « نفخت لوتنفخ في غم » ، والضم :
الجذر الطال .

الشَّنب : الماء القليل الجارى على الأسنان . الجرمى : سمعت الأصمعى يقول :
 الشَّنب بَرَد الأسنان والفم ، قلت : أصحابنا يقولون : حدثها حين تَطْلُع ، فيراد
 بذلك حَدَثَها وطراءها ، لأنها إذا أتت عليها السنون تَغَيَّرَتْ ، يقال : ما هو إلا
 بَرَدُها . ابن سيده : قال الأصمعى : سألت رؤبة عن الشَّنب ما هو ؟ فأخذ حبة
 رمان فأومأ إلى بصيصها .

ناهيك : كافيك ، وتقول : ناهيك بفلان ! أى قد انتهت الأمور فيه إلى الغاية
 ونَجَّى الرَّجُلَ مِنَ اللحم وأَنْهَى ، إذا شبع منه واكتفى ، والنَّهْيُ : القدير
 لأنه ينهى إليه ماء الوادى . فترى : تكشف ويسم . رطب ، أى طرى كما
 أخرج من أصدافه ، وفى اللؤلؤ إذا ذاك رطوبة وسطوع بياض ، فإذا أصابه الهوى
 ودام عليه صَلَبٌ ، وإذا تداولته الأبدى باللمس وقدم تغيرت بياضه . الطَّلَع :
 أول حمل النحلة ، وهو الفرخ فإذا انشق فهو الضحك ، وبه تشبه الأسنان
 فى بياضه ، ثم الإعرص إذا افترق حبه ، وإتممتا شبه الأسنان بالطلع ، وهو النرخ ،
 لأنه إذا شق وجد ما فيه من حمل النحلة فى غاية البياض ، ويقال له : الوليع ،
 قال الشاعر :

وتبسم عن لؤلؤ كالوليع تشقق عنه الرقاة الجفوفاً^(١)

الجفوف جمع جُفٍّ وهو قشر الفرخ ، ويقال له القيء والبيلة ، وهو طيب
 الريح ، والرقاة الراقون إلى أعلى النخل .

والحبيب : تنصّد الأسنان ، وقيل : طرائق تظهر فى الحجر عند مزجها بالماء ،
 وما التقاعب التى تملو الحجر عند المزج مهي الحباب ، بزيادة الألف ، قال المتأس^(٢) :
 عُقَارٌ أَعْتَقَتْ فى الدَّنِّ حَتَّى كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ^(٣)

(١) اللسان - ولع ، جفف ، من غير نسبة .

(٢) شعراء النصرانية ٣٤٢ . والعقار : الحجر ؛ سميت عقارا لأنها عاقرت الدن .

والنحر الميفة : القديمة .

وقال آخر :

خَرَاءَ قَانِيَةٍ إِذَا مَا شَمَشَتْ يَنْزُو إِلَى وَجْهِ النَّدِيمِ حَبَابُهَا

• • •

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَعْلَاهُ ، وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ ،
وَسُئِلَ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهَلْ حَى قَائِلُهُ أَوْ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ : أَيْمُ اللَّهِ ،
لَلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُدَبِّعَ ، وَلِلصِّدْقِ حَقِيقٌ بَأَنْ يُسْتَمَعَ ؛ إِنَّهُ يَأْقُومُ ،
لَنَجِيَّتِكُمْ مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ : فَكَأَنَّ الْجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِبِرْزَوْتِهِ ،
وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دَعْوَتِهِ . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ ،
وَفَطَنَ لِمَا بَطَنَ مِنْ اسْتِنكَارِهِمْ ، وَتَحَازَرَ أَنْ يَفْطُرَ إِلَى يَمِينِهِ ذِمًّا ، أَوْ
بِلَحَقِّهِ وَهُمْ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : يَا رِوَاةُ
الْقَرِيضِ ، وَأَسَاةُ الْقَوْلِ الْمَرِيضِ ، إِنَّ خُلَاصَةَ الْجَوْهَرِ تَظْهَرُ بِالسَّبْكِ ،
وَيَدُ الْحَقِّ تَصْنَعُ رَدَاءَ الشَّكِّ ، وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ : عِنْدَ
الْامْتِحَانِ يُسَكَّرُ الْأَمْرُ أَوْ يُهَانَ ، وَهَذَا أَنَا قَدْ عَرَّضْتُ خِيَّتِي^(١)
لِلْاخْتِبَارِ ، وَعَرَّضْتُ حَقِيقَتِي عَلَى الْاِعْتِبَارِ .

• • •

قوله : «استعاده» ، أى قال : أعدده على . استملاه : طلب أن يكتبه . أيم الله :
يمين يخلف به . نجييتكم : محذوكتكم . يعنى نفسه . ارتابت : شككت والرتيبه : الشك .
ببرزوته : بنسبته ، أى بنسبته إلى نفسه . دعوته : ادعاؤه أنه من قوله . والدعوة
بكسر الدال في النسب ، وفتحها في الطعام . فتوجس : أى أحسَّ وسمع .
هجس : وقع وخطر . فطن : شعر . بطن : خفي ، يريد أنه فهم منهم أنهم لم

(١) من اللغات : • جنيتي •

يصدقوه في أن الشمر له ، وأنكروا أن يقول مثله . حاذر : خاف . يفرط : يسبق . القريض : الشمر . أساء : أظباء ، واحدم آسي . القول للرريض : الضعيف من قبل راويه . خلاصة : ما خلس منه . وجواهر الأرض ، مثل الحديد والنحاس وغيرهما ، فإذا عرض الجوهر على النار ، فما كان منه خالصاً زاد صفاءً وجودةً ، وما لم يكن خالصاً فضحتته النار وأظهرت عيبه . السبك : الاختبار بالنار . تصدع : تشق . غبر : مضى هنا ، ويستعمل كثيراً بمعنى « بقي » وهو من الأضداد ؛ يقال : غبر الشيء غبوراً إذا بقي ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(١) ، أي الباقين . الامتحان : الاختبار والبحث ، وهذا المثل من أمثال الفرس ، ولهذا أبعد مدته حيث قال : غبر من الزمان . خبتي : مكتومي . وما خباته من علمي ، وأصل « خبتي » الهمز ، فقلت همزته ياءً وأدغمت فيها الياء ، كما قلت في « خاسية » . وتقول : عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ، إن أتيت بعل . خفت الراء ، وإن أتيت باللام شدتها . والحقيقة : وعاء يجعله الراكب خلفه ، والاعتبار والاختبار واحد .

• • •

فَابْتَدَرَ أَحَدٌ مِنْ حَضَرَ ، وَقَالَ : أَعْرِفُ سَيْتَا لَمْ يَنْسَجِ عَلَى مَنَوَالِهِ ،
وَلَا مَمَحَتْ قَرِيحَةٌ بِمِثَالِهِ ، فَإِنْ آثَرَتْ اخْتِلَابَ الْقُلُوبِ ، فَاَنْظِمِ
عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدًا وَعَصَتْ عَلَى الْمُنَابِ بِالْبَرْدِ

• • •

(١) - سورة الأعراف ٨٣

قوله : « ابتدر » ، أى سبق بالكلام وبادر به . والمنوال : خشبة الحائك ؛ يريد أن البيت رفيع الصنعة في الشعر لم يُصنع بمثله ، لأن الثوب أنواع ، وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب . سمحت : جادت . قريحة : ذهن . آثرت : فضلت . اختلاب القلوب : إِمالتها إليك بتصديقك وانخداعك بما تبديه ، وهو من الخَلَب وهو من غشاء القلب . وعن أبي عبيدة وغيره قال ثعلب : الخَلَب : الذى بين الزيادة والكبد^(١) ، يقال : خَلَبنى حبُّ فلان ، أى وصل حبُّه إلى خَلْبى ، وفلان خَلَب نساء ، أى تخلبه النساء ، وخَلَّاب : يخلب الناس ، أى يذهب بقلوبهم ، وخَلَب جمعه خلبة ، وكلته من الخَلَب ، قال أعرابي :

مَنْ كَانَ لَمْ يَذْرِ مَا حُبُّ جَمَعَتْ لَهُ أَوْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدْ
فَالْحُبُّ أَوَّلُهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْخَلَبِ وَالْكَبِدِ
[انظم : قل شعرا منظوما . والأسلوب : الطريقة]^(٢) .

لولؤاً : درأ . النرجس : نوار أصفر في نوزه انكسار وقتور لا يكاد يرى ، له ورقة قائمة ، تشبه به العينان إذا كان في نظرهما فتور .

[ذكر النرجس وما قاله الشعراء في تشبيه العيون به]

وقد تمادى إنكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس ، فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لأجل صفرته ، وإن ذكرته لأحد قال : وأى صفرة في العين إلا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ! ويستبعد موضع التشبيه جداً .

وقد سألت عنه بعض أشياخى في صغرى ، وأنا أقرأ عليه كتاب « الجمل » وكان أديباً شاعراً ، فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر ، وقال لى : النرجس عندهم

(١) من ج ٢ .

(٢) في اللسان : الخلب ، بالكسر : حجاب الكبد ، وقيل : هو حجاب بين القلب والكبد

بالمشرق نَوَّر يشبه نَوَّار الفول . وأكثر مَنْ لَقِيته يستبعد التشبيه بهذا الأصغر ، لأجل لونه ، وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها ، والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى ، وعلى المعنى دون الصورة ، وعليهما جميعاً ؛ وهو أكمل وجوه التشبيه . وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى .

وتشبيه العيون بالسيوف والسهام ، إنما المراد به اللَّصَاء والقَطْع ، ولا يلتفت في ذلك إلى اللون ، وكذلك تشبيه العيون بالنَّرجس الأصفر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكِّن في التشبيه ، ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وَسَنَانُ قَدْ خَدَعَ الثَّمَّاسُ جَنُونَهُ فُكِيَ بِمَقْلَتِهِ ذِيُولَ النَّجَسِ^(١)

والنَّرجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون ، هونبات له قضبان خضري رموسها أقاع ، يخرج منها نَوَّر ينبسط منه على الأقاع ورق أبيض ، في وسط البياض دائرة قاعمة من ورق صغير . هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا النَّرجس ، وبذلك وصفه كسرى أنو شروان ، فقال : النَّرجس ياقوت أصغر ، بين دُرٍّ أبيض على زمرّد أخضر ، أخذه بعضهم فقال فيه :

وياقوتة صفراء في رأس دُرَّة مركبة في قائم من زَرْجَدٍ
كأن بهي الدرِّ عقد نظامها فريد أنيق قد أطاف بعسجدٍ

وأشدد أبو عَوْن الكاتب في كتاب التشبيه له ، فقال : من جيد ما قيل في النَّرجس ما أنشده البرّاد رحمه الله تعالى :

(١) ديوانه ١ : ٦٨ .

تَرْجِيَةً لِحَظِي طَرَفُهَا تَشْبَهُ دِينَارًا عَلَى دِرْهَمٍ^(١)

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه :

تَرْنُو بِأَبْصَارِهَا إِلَيْكَ كَمَا تَرْنُو إِذَا خَافَتِ الْيَعَافِرُ^(٢)

مثل البواقيت قد نُظْمِنَ عَلَى زَمَرْدَ فَوْقَهُنَّ كَافُورُ

كَأَنَّهَا وَالْمَيُونُ تَرْمُتُهَا دَرَاهِمٌ وَسَطَهَا دَنَانِيرُ

وقال أبو نواس :

لَدَى نَرْجِسٍ غَضُّ الْقَطَافِ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَنْعَتَهُ الْعَيُونُ عَيُونُ^(٣)

مُخَالَفَةٌ فِي شَكْلِهِنَّ وَصَفْرَةٌ مَكَانَ سَوَادٍ وَالْبَيَاضُ جُفُونُ

أَجَادَ التَّشْبِيهَ، وَكُشِفَ بِذِكْرِ الْمُخَالَفَةِ قَنَاعُ الشَّبْهِ، وَبَيَّنَ مَوَاقِعَ التَّشْبِيهِ

نِهَايَةَ الْبَيَانِ .

وقال أبو عبد الملك بن فرج في كتاب الحاس والحسوس، له : وأحسن بيت

أُشْدَنِيهِ أَبُو جَمْرٍ الْبَنْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَدَاهِنُ دَرِّ بَيْنِ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ عَلَى تَيْسٍ شَبْرٍ أَخْضَرٍ كَالزَّبْرِ جَدٍ

وقال أبو الفرج البغواء :

وَنَرْجِسٍ لَمْ يَعُدُّ مُبَيِّضُهُ إِلَّا كَكُاسٍ وَلَا أَصْفَرُهُ الرَّاحَا^(٤)

تَحَالُ أَحْقَاقُ لَجْجَيْنِ حَوَتْ مِنْ أَصْفَرِ الْمَسْجَدِ أَقْدَاحَا

كَأَنَّمَا يُهْدَى الْحَيَّ بِهِ لَطْفًا إِلَى الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَا

(١) كتاب التشبيه ١٩١، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ .

(٢) كتاب التشبيه ١٩١، نهاية الأدب ١١ : ٢٣٥، واليعافير : ٣٣ يضر، ومر الظن بلون التراب

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣

(٤) يتيبة الدهر ١ : ٢٢٨

يفنى عن الورد إذا مارنا ويخلف الورد إذا فاحه
وقال ابن المعتز :

كَانَ عَيُونَ النَّرْجِسِ الْفَضُّ بَيْنَنَا مَدَاهِنُ دَرٍّ يَنْهِنُ عَقِيْقُ^(١)
إِذَا بَاهَنَ الْقَطَرُ خَلَّتْ دُمُوعُهُ بَكَاءَ عَيُونَ كَعْلَهِنَ خُلُوقُ
وقال التامى :

أَخَصَّ الصَّفَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا مَنْ كَتَبَ
عَمِيونَ بَلَا أَوْجُهٍ لَهَا حَدَقٌ مِنْ ذَهَبٍ
وقال ابن الرومي :

يَا نَرْجِسَ الدُّنْيَا تَرَى أَبَدًا لِلْإِفْتِرَاجِ وَدَائِمِ النِّخَبِ
ذَهَبُ الْعَمِيونِ إِذَا مَثَلْنَا لَنَا دَرَّ الْجَفُونِ رَبَّرَجْدُ الْقَصَبِ
وهذه الصفة التي أثبتتها أهل المشرق للنرجس، هي التي يصف بها أهل المغرب.
البهار، قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار :

حَدَقُ الْحَسَانِ تَقَرَّ لِي وَتَفَارُ وَتَظَلَّ فِي صَفَةِ الْبَهَارِ تَحَارُ
طَلَعَتْ عَلَى قَضْبِي عَمِيونَ كَأَنَّمِي مِثْلَ الْعَمِيونِ تَحَنَّنِي الْأَشْفَارُ
وَأَخَصَّ شَيْءٌ بِي إِذَا شَبَّهْتَنِي دَرٌّ تَمْنَطَقُ سَلَكُهُ دِينَارُ^(٢)
أَهْدَى لَنَا قَضْبَ الرَّبَّرَجْدِ سَاقَهُ وَحَبَاهُ أَنْفَسَ عَطْرِهِ الْقَطَارُ
أَنَا نَرْجِسٌ حَقًّا بَهَرْتُ عَقُولَهُمْ بِيَدِيعِ تَرْكِيبي قَبِيلِ بَهَارُ
يَبَيِّنُ أَنَّ الْبَهَارَ عِنْدَنَا ، هُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ تَرْجَسًا .

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ .

(٢) كنف في ج ، ووط : « سلكو دينار » .

وقال أبو جعفر بن برد :

تأمل فقد شقَّ البهار مفاثاً كما أنه عن نوره الخضر الندي^(١)
مداهنُ تهر في أناملٍ فضية على أذرع مخروطة من ذرّجِد
وقال التسلي^(٢) :

بهارُ يروقُ بمكٍ ذكيٍّ وصنع بدیع وخلق عَجَبٍ
غصون الزّبرجدِ قد أوزقت بها فضة نورّت بالذهب
وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

وبهارٍ يحكي كنوسَ الجُنين حملتها أناملٌ من ذرّجِد
سامرتها الكواكب الزُّهر حتى سمرت وسطها كواكبٌ عنجد
وأشدني بعض أسيّخنا :

انظر إلى حُسنِ البهارِ وغنجه يرنو إليك بمقلتي وُسنان
فكأنما هي راحةٌ من فِضة قد ضُمَّتْ كُلساً من العُقيان
وكانَ نشرَ نسيمه غبّ النّدى يأتيك بالأنفاسِ مِنْ بَغْدَانِ

والذي نسميه أهل المغرب نرجساً يسميه أهل الشرق بهاراً ، ولذلك قال .
الحريّ في العاشرة : « وورّدتني بالبحار » ، دعا فيها على الغلام بالحق ، وأن .
يتعكس حمرة خده صفرة ، وقال حبيب في ذلك :

إنَّ وجهَ الحُلى لوجهٌ صفيقٌ حين تسطو به نهّاراً جَهّاراً^(٣)
لم تشينُ ورْدَ وجنتيه ولكن صيرتَ ورْدَ وجنتيه بهّاراً^(٤)

(١) الذخيرة ٢ : ٤٩

(٢) هو ابن دراج ، ديوانه ٣٨ .

(٣) ديوانه ٤٤١

(٤) الديوان : « لم تشين وجهه اللبح » .

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المريض .

وقال أبو بكر الأبيض :

ياشاكيا صدني عن مته ألى طال اشتياقي به ليلاً فلم أتم
تضائل الدهرُ إشفاقاً على قمرٍ رقيقه في سماء المجدِ والكرمِ
لم أرض قلبى مكاناً إذ حلت به حتى خلطتك في سوادته بردي
أنت البهار ولا أدري متى خلعت عليك أيدي الليالي نرجس السقمِ

ولابن الزقاق :

ويزال ذي اعتدالٍ شفه بعد ما شق هواء الأنفاس^(١)
جارت الحمى على وجنته فاستحال الوردُ منه نرجساً

فبت بما قدمناه، أن نرجسهم بهارنا، وأن بهارهم نرجسنا . وآكد ما يدل
على صحته اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن
يُرد في لفظ واحد ، أخذ ابن بردٍ منه صفة النرجس ، قلبه لاسم البهار
حين نظامه .

وأعلم أن تشبيه العين بنرجسهم أبين لتعلقهم بالصورة ، وأن تشبيهها بنرجسنا
أدون لتعلقه بالمعنى ، وهو مع ذلك متمكن في باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لا بد
فيه من صفرة .

وقد قال شاعر من المشرق ، وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقصة ابن الرومي
في تفضيله النرجس على الورد :

إِنْ كُنْتَ تَكْرُمَاذَ كَرْنَا بَعْدَمَا قَامَتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدُ^(١)
 نَظَرُ إِلَى الصَّفَرِ لَوْنًا مُنْبَجًا وَافْطِنُ فَمَا بِصَفَرٍ إِلَّا الْخَاسِدُ
 فَلَوْلَا مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَشْعَارِهِمْ ، لَحَكْنَا بِهَذَا الْبَيْتِ ، عَلَى أَنْ تَرْجِسَهُمْ هُوَ
 نَرْجِسُنَا ، وَمَذْهَبُ ابْنِ الرَّومِيِّ^(٢) تَفْضِيلُهُ عَلَى الْوَرْدِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
 وَأَحْسَنُ مَا فِي الْوُجُوهِ الْعِيُونَ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا النَّرْجِسُ
 وَالنَّفْسُ تَشْتَوِي إِلَى رُؤْيَةِ تَرْجِسِهِمْ ، لِأَنَّا لَمْ نَعْلَمْ نَرْجِسُنَا غَيْرَ هَذَا الْأَصْفَرِ ،
 حَتَّى نَعْلَمَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ هُوَ النَّوَّارُ الْمَعْرُوفُ ، وَهُمْ أَيْضًا يَتَشَوَّقُونَ
 لِنَظَرِ نَرْجِسِنَا .

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَةُ الْقَاضِي الْقَبِيهِ أَمِيرِ الْحَسَنِ بْنِ الْبَلَّالِ ، قَالَ : خَرَجْتُ
 عَشِيَّةً نَخَارِجَ إِسْبِيلِيَّةِ أَيَّامِ حَدَاتِي وَقَرَأْتُ فِيهَا ، فَجَلَسْتُ فِي وَسْطِ وَادِيهَا ، وَبِيَدِي
 كِتَابُ أَنْظَارِ فِيهِ ، وَإِذَا رَجُلٌ يُحْمَلُ حَوَالِيَّ ، فَإِذَا نَفَارَتْ فِي الْكِتَابِ بِأَخْذٍ وَيَنْشُدُ
 لِلْأَشْعَارِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا نَفَاطِرَ مِنْ بَدِيعِ الشَّعْرِ ، فَذَا كَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ بِحَرِّ أَدَبٍ ،
 فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ ، قَالَ : أَحْفَظُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَسَأَلْتُهُ : هَلْ
 تَنْظُمُ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَنِي فِي وَصْفِ فَرَسٍ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْقَائِلُ :

(١) أورد التورمى في نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤١ من شعر ابن الرومي أبياتاً منها :

خَجَلْتُ خَدُودَ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَزَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
 لَمْ يَحْجِلْ الْوَرْدُ الْوَرْدُ لَوْنَهُ إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةُ عَانِدُ
 لِلنَّجَسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَإِنْ أَبِي أَبٍ ، وَجَادَ عَنِ الطَّرِيقَةِ حَائِدُ
 فَضْلُ الْقَضِيَّةِ أَنْ هَذَا قَائِدُ زَهْرُ الرَّبِيعِ ، وَأَنْ هَذَا طَارِدُ
 شَتَانٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مَوْعِدُ بَسْطِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدُ

منع الحوافر أن تطين به التّرى فكانه في جريه متمسّق
وكأن أربعة توافق طرفه فتكاد تسبقه إلى ما يرمى

فاستعدت بيته ، وراجعت في قوله : « تأين » ، فقلت له : إنما هو « تطان » ، فلم
يعرف اللفظ ، وإنما تكلم بلا همز على لحن عامته ، فخرّبتّه في غيره ، فوجدت
شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ ، لا من جهة العلم ، فسألته عن بلاده ، فقال :
أنا من العراق ، فقلت له : فما السبب الذي جاء بك إلى الأندلس ؟ فقال لي :
لأرى التّرجس الأصفر المذكور في أشعاركم عياناً . ودعاني إلى الإطالة في ذكر
التّرجس رغبةً أن أرفع عن غيري حيرة الشبهة التي أقمت فيها زماناً طويلاً ،
لا أجد من يرفعها عني .

[ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره]

والبيت الذي اقتضى النّظم على أسلوبه هو لأبي الفرج الفسّاني الدمشقي ،
المعروف بالوأواء ، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيّمته^(١) ، فقال : أبو الفرج من
حسان الدهر ، وصاغة الكلام^(٢) .

ومن عجائب أمره أنه كان منادياً بدار البطيخ بدمشق ينادي على النواكه ،
وما زال يشعر حتى جاد شعره ، ووقع له ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعاقى
بالمتيوق^(٣) .

وقال الفتح بن خاقان : إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما

(١) يتيمة الدهر : ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) اليتيمة : « من حسنات الشام ، وصاغة الكلام » .

(٣) اليتيمة : « حتى يلو الديوق » ، والديوق : نجم آخر مضى وطارف الخيرة الأيمن
يتلو التريا لا يتقدمها .

«دخلت مجلسي لقيت خلافة»^(١) جاريقي ، فلم أتمالك أن ، قَبَيْتُهَا ، فوجدت ما بين
شفتيها هواء ، لو رقد المحموم فيه لأفاق . وهذا مستظرف من كلام النتح ، فقال
«لو أواء ملأ به»^(٢) :

سَقَى الله لَيْلاً طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّاحِ عِشَاقًا^(٣)
بَطِيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجْلَبُ الْكَرَى فَلَوْ رَقَدَ الْحَمُومُ بِهِ أَفَاقًا^(٤)
وله أيضاً :

بِاللهِ رَبِّكَما عُوْجًا عَلَى سَكَنِ وَعَاتِبَاهُ . لَعَلَّ الْقَتَبَ يَعْطِفُ^(٥)
وَعَرْضًا بِي وَقَوْلًا فِي حَدِيثِكَما مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تُتْلِفُهُ !
فَإِن تَبَسَّمَ قَوْلًا فِي مِلَاطِفِهِ^(٦) مَا ضَرَّ لَوْ بُوْصَالٍ مِنْكَ تُسَمِّفُهُ !
وإن بدا لكأمن سَيِّدِي غَضَبٌ فَعَالِطَاهُ ، وَقَوْلًا : لَيْسَ نَعْرِفُهُ
وله في النحول :

حُما أَبْقَى الْهُوَى وَالشُّوقُ مَنَّى سَوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي حَيَالٍ^(٧)
خَفِيتُ عَنْ الْعَوَازِلِ أَنْ تَرَانِي^(٨) كَأَنَّ الرُّوحَ مَنَّى فِي مُحَالٍ

(١) البقية : « استقبلني فلانة — يعني جارية له — فلم أتمالك أن قبليها » .

(٢) البقية : « فكان هذا مما يستحسن ويستظرف من كلام النتح » .

(٣) ديوانه ١٦٤

(٤) الديوان : « ولو رقد المحموم » ، وبمده هناك :

تَمَلَّكْنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَفَارَقْنِي لَمَّا أُمِنْتُ فِرَاقًا

(٥) ديوانه ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) الديوان : « في ملاطفة » .

(٧) ديوانه ١٨٩ .

(٨) الديوان : « عن التواكب » .

وله في الرِّقَّة :

يَا مَنْ هُوَ الْمَسَاءُ فِي تَكْوِينِ خِلْقَتِهِ وَمَنْ هُوَ الْخَرُّ فِي أَعْمَالِ مُقَلَّتِهِ ^(١)
وَمَنْ بَرَزَقَةَ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ دَمِي وَالسَيْفُ ، مَا فَنَزَرُهُ إِلَّا بِرُزُقَتِهِ
عَلِمْتَ إِنْسَانٌ عِنَى أَنْ يَعُومَ فَقَدْ جَادَتْ سِبَاحَتُهُ فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ

وله أيضاً :

تَمَلَّكَتْ بِأَمْهِجَتِي مَهْجَتِي وَأَسْهَرْتُ يَا نَاظِرِي نَاظِرِي ^(٢)
وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولٌ ^(٣) وَلَا هَجَسَ الْهَجْرُ فِي خَاظِرِي ^(٤)
فَجَذُّ بِالْوَصَالِ فَدَنَّتْكَ الْفُوسُ فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْقَسْرِ يَضِي فَلَقَّبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ

وله من قصيدة :

يُقِمْسَ لَنَا بَرَقَ الشُّغُورِ أَدِلَّةٌ إِذَا مَا ضَلَلْنَا فِي ظِلَامِ الدَّوَابِ ^(٥)

قال : ومن بديع تشبيهاته قوله :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ رُجْسٍ ... الْبَيْت ^(٦) .

(١) ديوانه ٦٥ ، وبعده :

وَمَنْ خَلَعْتُ عِذَارِي فِي هَرَايَ لَهُ وَمَنْ تَهَنَّتْكَ سِثْرِي فِي مَحَبَّتِهِ

(٢) ديوانه ٩٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) الديوان : « يا ظُلُوم »

(٤) الديوان : « ولا خطر الهجر » .

(٥) من قصيدة مدح بها سيف الدولة ، وأولها :

قَفُّوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَائِبِ لِنَبْدِلَ مَذْخُورِ الثَّمُوعِ السَّوَائِبِ

(٦) ديوانه ٨٤ .

ثم قال : هذا البيت ضُمَّته خمسة تشبيهات بغير أداة التشبيه ، وذكر المتنبي
منها أربعة فأجاد ، وهي ما ضُمها قوله رحمه الله :

بَدَتْ قَمَرًا ، وَمَاتَتْ حُوطًا بَانٍ ، وَفَاحَتْ عُنْبَرًا ، وَرَنْتَ غَزَا لَا (١)

وللفقيه أبي محمد بن حزم خمسة تشبيهات في بيت واحد ، ولا يقدر أحد
على أكثر منه ، إذ لا يحتمل القروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك ، قال :

خَلَوْتُ بِهَا وَالْكَأْسُ ثَالِثَةٌ لَنَا وَخُنْجُ ظَلَامِ اللَّيْلِ قَدْ مَدَّ وَاتَّجَعَ (٢)
فَنَاءٌ عَدِمْتُ الْعَيْشَ إِلَّا بِقَرَبِهَا وَهَلْ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ وَنَحْكَ مِنْ حَرَجٍ !
كَأَنِّي وَهِيَ وَالْكَأْسُ وَالْخَمْرُ وَاللَّحْجَى تَرَى وَحَيًّا وَالذَّرَّ وَالْقَبْرَ وَالسَّبْجَ
وقبل بيت الواوَاء :

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ لِلنَّظَائِرِ وَلَمْ تَتَرَبُّ عَلَى أَحَدٍ
قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوْ أَحْظَيْهَا : مَا إِنْ أَرَى لَهْتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوْدٍ (٣)
فَامْطَرَتْ لَوْلَوْأَ مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًا وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة :

قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ فَعَلُ الطَّيِّ بِالْأَسَدِ ! (٤)

وأول القصيدة :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِي يَدًا لَيْدٍ وَصَحْتُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءُ وَكَابِدِي ! (٥)

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٤ .

(٢) طوق الحمامة ١٥ .

(٣) الديوان : « كم فإأنا » .

(٤) سقط هذا البيت من رواية الديوان ، وموضعه هناك :

كَأَنَّمَا بَيْنَ غَابَاتِ الْجَنُونِ لَهَا أَشَدُّ الْحَمَامِ مَقَامَاتٍ عَلَى الرَّصَدِ

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٨ - شرح مقامات الحريري ٩)

وقال أيضاً :

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ يُبْدِي لِي الْهَجَرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ^(١)
 قَالَتِ النَّاسُ لَمَّا أَبْصَرُوهُ لَيْهَنِكَ زَاوَاكِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
 قَتَلْتُ لَهُ وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَحْرِي عَلَى خَدِّي لَهُ دُرٌّ كَثِيرُ
 وَلَوْ نَصَبُوا رَحًا يُلْزَأُ عَيْنِي لَكَاتَ مِنْ مَدَامِهَا تَدُورُ^(٢)

* * *

قَلَمَ يَكُنْ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أَنْشَدَ
 فَأَغْرَبَ :

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضُو بُرْقِعَهَا أَلَا
 قَانِي وَإِيدَاعَ سَمِي أَطِيبَ الْخَبْرِ
 فَزَحَزَحَتْ شَفَقًا غَشَى سَنَا قَمَرٍ
 وَسَاقَطَتْ لَوْلَا مِنْ خَائِمِ عَطْرِ

° ° °

قوله: «لمح البصر» ، يعني نظر العين إلى الشيء بسرعة ثم تغييب عنه بسرعة،
 وأصل البصر الإدراك بالعين . أغرب : أتى بغريب . نضو : كشف . الثاني :
 الآخر . إيداع سمى : إعطاء أذن ، كأنه جعله وديعة عنده . زحزحت : أزلت .
 الشفق : حمرة الشمس بعد الغروب . غشى : غطى . سنا : ضوء . عطر : قواح
 طيب التنفس . وبيت الحريري في صنعة البديع فائق ، وإن لم يأت بعدد تشبيهات
 بيت أبي النرج ، وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة باكية ، فيقول : إنها ثرت
 دموعها على مَنْ قتل من عشاقها ، فسقطت على خدّها قبلته ، وعصّت

(٢) الديوان : « من تحدره » .

(١) ديوانه ١١٠ .

على أصابعها المصبوغة بالحناء، بأسنانها، فجعل البيت كله استعارة ، فقال : « فأمطرت
 لؤلؤاً » ، وهو يريد : بكت دمعاً ، وذكر نرجساً ووردًا ، وهو يريد عينا وخداً ،
 وذكر عُنَابًا وبردًا ، وهو يريد أنامل وأسنانا ، فضمن تحت ألفاظه هذه للمعاني ،
 وزاد فائدة التشبيه ؛ وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر ، فقابل الحريري هذا
 بقوله : « نرحزحت شفقًا » ، وهو يرى قنابًا أحمر ، وذكر « سنا قر » وهو يريد
 ضوء وجهها ، وذكر لؤلؤًا من خاتم ، وهو يريد كلاما من فم . والبيت الثاني في
 مقابلة بيت أبي الفرج ، والأول توطئة له ، وهو يصف امرأة زارته متنقبة فسألها ،
 أن تكشف عن وجهها وتحديثه ، فأزالت قنابها ، وأسمعت كلاما حسنا من فم عطر .

[مما ورد من تشبيه الأشياء باللؤلؤ]

واللؤلؤ تشبه به الأسنان في مثل قوله :

* كأنما يبسم عن لؤلؤ رطب *

وقوله :

* يفر عن لؤلؤ رطب وعن برد *

ويشبه به الكلام في مثل قول البحتري :

* ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ^(١) *

وقول الحريري :

* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر *

ويشبه به الدمع ، كقول الواواء : « فأمطرت لؤلؤا » ، وهو كثير .

ومن أحسنه قول الشاعر :

ولما وقفنا للدواعر ودمعها ودمعي يُشيران الصبابة والوجد

بكت لؤلؤا رطباً ففاضت مدامعي عقيقاً ، وصار الكل في نحرها عقداً

وقال ابن عبد ربه :

وكأنما غاص الأسى بجنونها حتى أتاك بلؤلؤ منشور

(١) ديوانه ١٢٣٠ ، صدره :

* فمن لؤلؤ تجلوه عند ابنسامة *

فأخذه الزجادي فحسّنه فقال :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعين غداة اللوى عن لؤلؤ كان كاميناً
قال : فوقمت استعارة التبسم للمين موقفاً لطيفاً ، وإنما هو للشعر بسبب
توسط اللؤلؤ . والحدّاق يتحيّلون في أخذ المعاني بتزك القافية والوزن ، كتقول
ابن شهيد :

ولما فشاً من دمعا بعض سِرّاً إلى كاشحين والقلوب كوامم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا ليشجي بما يطوي عذول ولائم
أبى دمنا يجري مخافة شامت فنظّمه بين الحاجب ناظم
وراق الهوى مناً عيون كريمة تلحن حتى ما تروق التباريم

[من قولهم في الامتحان]

وقال ابن شهيد في الامتحان فأحسن :

ونبتت أقواماً تحبس صدورهم على وأنى منهم فارغ الصدر
أصاحوا إلى قولي فاسمت صمتهم وغاصوا على يبرى ذاعيهم أمرى
فقال فريق : ليس ذا الشعر شجرة وقال فريق كئيم الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فإني لحاضر ولا شيء أجلي للشكوك من الخبير

وينظر في هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الانتحال ، إلى قصة أبي بكر
ابن بَقِيٍّ^(١) حين استهدى بعض إخوانه أقلاماً ، فبعث إليه بثلاث من القصب
وكتب معها :

خذها إليك أبا بكر العلاء قصبا كأنما صاغها الصّواع من ورقه
يزمى بها الطرس حسناً ما شرت به مسك المداد على الكافور من ورقه

(١) هو أبو بكر بن بَقِيٍّ ، ذكره أبو الفتح بن خالان في الغلائد ٣٢٢ ضمن من ذكرهم
من الأدباء .

فأجابه أبو بكر بن بقيّ فقال :

أرسلت نحوي ثلاثاً من قنّاء سلب ميادة تطعن القِرطاسَ في وَرَقِهِ
فالخطُّ يمسكها والخطُّ يبرفها والرقّ يخدمها بالرقّ في عُنُقِهِ
ففسده عليها بعض مَنْ سمعها ، ونسبه إلى الانتحال ، فقال أبو بكر مخاطب
صاحبه الأوّل :

وجاهلٍ نسب الدّعوى إلى كلبى لما رماه بمثل النّيلِ في حَدَقِهِ
فقلت من حَنَقِي لما نعرَضَ لي : من ذا الذي أخرج اليربوعَ من نَفَقِهِ !
ما ذمّ شعري وإنّهم الله لي قسمٌ إلا امرؤ ليست الأشعارُ من طُرُقِهِ
الشعر يشهد أنّي في كواكبه بل الصّباح الذي ينشقّ في أَفُقِهِ

[بديهة السّلامى]

وخرج السّلامى^(١) إلى الموصل وهو صبيّ حين رافق البلوغ ، فوجد بها أبا عثمان
الخالدي وأبا الفرج البتّاء وأبا الحسن التّلمغزي وشيوخ الشعراء ، فلما رأوه عجبوا
منه ، وآتهموه في شعره ، فقال الخالدي : أنا أكنفيكم أمره . فاتخذ دعوة ، وجمع
الشعراء والسّلامى معهم ، فلما توسّطوا الشراب ، أخذ في التفتيش عن قَدْرِ
بضاعته ، ثمّ لم يلبثوا أن جاء مطرٌ شديد وثلج وبرّد عمّ الأرض كثرة ، فأتى
أبو عثمان الخالدي نارنجاً بين أيديهم على ذلك البرّد ، وقال : يا أصحابنا ، هل لكم
في أن نصف ذلك ؟ فقال السّلامى ارتجالاً :

لله درّ الخالدي الأوحـد التّذبّـلـطـير
أهدى إزاء المُرَبِّ عنـد جد جوده نار السّعير
حتى إذا صدر العتـا ب إليه من حنق الصدور^(٢)

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد السّلامى ، نسبة إلى مدينة السلام ، أشهر أهل العراق في
عصره ، ومن ترجم لهم الثعالبى في البيعة ٢ : ٣٦٤ - ٣٩٨ ، والخبر في ترجمته في ابن
خلكان ١ : ٥٢٤ .

(٢) ابن خلكان : « من حر الصدور » .

بمَثِّ إِلَيْهِ بِمَذَرِهِ مِنْ خَاطِرِي أَوْفَى الشُّرُورِ
لَا تَعْذُلُوهُ فَإِنَّمَا أَهْدَى الْخُدُودِ إِلَى الشُّغُورِ
فَامْشُوا عَنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَاعْتَرَفُوا لَهُ بِالْفَضْلِ ، إِلَّا التَّعَفُّرِي ، فَإِنَّهُ أَقَامَ عَلَى
قَوْلِهِ فِيهِ ، حَتَّى قَالَ السَّلَامِيُّ فِيهِ :

يَا شَاعِرًا بِشَعُورِهِ لَمْ يَشْعُرِ
لَوْ كُنْتُ تَعْرِفُ وَالِدًا تَسْمُو بِهِ لَمْ تَنْسِبْ صِفَةً إِلَى تَلَمَّذٍ
تَاهُ ابْنُ فَائِزَةِ الْفُسُوقِ عَلَى الْوَرَى بِقَذَالِ صَفْعَاتٍ وَنَكْمَةِ أَبْحَرِ
وَبِلَادَةٍ فِي الشَّعْرِ تَعْلَمُ أَنَّهُ تَيْسٌ وَلَوْ نُصِرْتُ بِطَمَعِ الْبُحْتَرِ
وَقَالَ فِيهِ :

سَمَا التَّعَفُّرِي إِلَى وَصَالِي وَنَفْسَ الْكَلْبِ تَكْبُرُ عَنْ وَصَالَةٍ
يُنَاقِي خُلُقَهُ خُلُقِي وَتَابِي فَعَالِي أَنْ تَضَافَ إِلَى فَمَالَةٍ
فَصَنَعَتِ اللَّطِيفَةَ فِي لِسَانِي وَصَنَعَتِ الْخَسِيفَةَ فِي قَذَالَةٍ
فَإِنْ أَشْمُرُ فَمَا هُوَ مِنْ رَجَالِي وَإِنْ يُصْنَعُ فَمَا أَنَا مِنْ رِجَالَةٍ

[مِنْ نَوَادِرِ صَاعِدِ بْنِ الْحَسَنِ الرَّيْمِيِّ]

وَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ قَدْ أَثْبَتَ عِنْدَهُ الْحَسَدَةَ ، أَنَّ صَاعِدًا ^(١) الْفُؤَى
مَتَّهِمٌ فِي كُلِّ مَا يُوْرَدُهُ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ شِعْرِ ، فَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بَا كُورَةً وَزَدَتْ لَمْ
تَقْتَحِ أَكَامَهَا ، فَقَالَ فِيهَا صَاعِدٌ ارْتِجَالًا :

أَتَمَّكَ أَبَا عَامِرٍ وَرَدَّةٌ يَدُكَ الْمَسْكُ أَفَاسَهَا
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مَبْصُرٌ فَنَقَطْتُ بِأَكَامِهَا رَاتِبَهَا

فَسَرَّ بِذَلِكَ لِلْمَنْصُورِ . وَكَانَ ابْنُ الْعَرِيفِ حَاضِرًا فَخَسَدَهُ وَقَالَ : إِنْ هَذَيْنِ

(١) هُوَ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَيْسَى الرَّيْمِيِّ ، وَنَدَّ عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِفِعْدَادٍ ،
وَلَهُ مَعَهُ أَخَارٌ وَنَوَادِرٌ مَشْهُورَةٌ فِي الْأَدَبِ وَالْفَنِّ ، ابْنُ خَلِّكَانٍ ١ : ٢٢٩ .

البيتين لغيره ، [وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندى
على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب
وجعل يخط ، حتى [(١) أتى مجلس ابن برد - وكان أحسن أهل وقته بديهة -
فوصف له ما جرى فقال :

عشوتُ إني قصر عباسيةً وقد صرّع النّومُ حرّاسها (٢)
أبياتاً ضمتُ فيها البيتَين ، فكاتبها ابن العريف بخطّ بصرى (٣) ، وصار بها
إلى المنصور . فاشتدّ غيظه ، وقال : غداً أمتحنه ، إن فضعه الامتحان لم يبق في
موضع لي فيه سلطان . (٤) ثم أخذ طبقاً فيه ضروب من الأنوار ، وعليه جوارى باسمين (٥)
على بركة ماء حصاؤها الدّر والجوهر . ودعاه في مجلس حافل ، وقال له : هذا
طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدّم بين يديّ لك قبل ، فصفه فقال على البديهة :
أبا عامر هل غيرك جدواك واكفُ وأعجب ما يلقاه عندك واصف (٥) !

- (١) من الذخيرة .
(٢) بعده كما في الذخيرة :
فألقيتها وهي في خدرها وقد صرّع السكر أناسها
فقلت : أسار على هجمة ؟ فقلت : بكى ، فرمت كاسها
ومدّت يديها إلى وردة يحاكى لك الطيب أنفاسها
كمندراء أبصرها مبصر ففطت بأكمامها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على عفة وما خفت ناسي ولا ناسها
(٣) الذخيرة . « مصرى » .
(٤-٤) الذخيرة : « وقد أعد طبقاً فيه سقائف من ضروب التناوير ، ووضع على السقائف
جوارى باسمين » .
(٥) الذخيرة :

* وهل غير من عاداك في الأرض خائف *

وبعده :

سوق إليك الدهر كل عجيبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائعُ نَوْرٍ صاغها هامرُ الحيا حُلِيًّا فنبأ عَبَّةَـسْرُ ورفارفُ
ولنا تنأى الحسن فيها تقابلتُ عليها بأنواع الملاحى الوصائفُ
كقتل الفلباء المستكنة كُنَّا تظللها بالياسمين النعائفُ
فلم ترعيني في البسلاذ حديقةً تنقلها في راحتين المناصيفُ^(١)
والحكاية بطولها في القسم الرابع من الذخيرة.^(٢)

وخرج معه إلى أرض الزاهرة^(٣)، فد يده إلى شئ من الترنجان يعبث به ،
ورمى به إلى صاعد معترضاً بأن بصفه ، فقال :

(١) بدده في الذخيرة :

وأعجب منها أنهن نواظِرُ إلى بركة ضُمَّتْ إليهما الطرائفُ
حصاها اللآلى ، سابعٌ في عُبَاطِهَا من الرقش مسموم اللعابِينِ راجِفُ
ترى ما تشاء العينُ في جنباتها من الوحش حتى يئسهن السلاحِفُ

قال في الذخيرة بعد هذا البيت :

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها النصور بخطه ، وكان إلى ناحية سفينة فيها جارية
تجذب بمجذاف ذهب ، لم يرها صاعده ، فقال له النصور: أجدهت إلا أنك لم تصف هذا المجارية ،
فقال :

وأعجبُ منها عادة في سفينة إذا راعها موجٌ من الماء تنقبي
مكَلَّة تصبو إليها المهايفُ بسكانها ما أنذرت العواصفُ
حتى كانت الحسناء ربان مركب تصرف في يميني يديها المجاذِفُ
فلم تر عيني في البلاد حديقةً تنقلها في راحتين المناصيفُ
إلى آخر الأبيات .

(٢) الذخيرة ٤ : ٨ - ١١ .

(٣) الذخيرة : « إلى رياض زاهرة » .

لم أذِرِ قبلَ ترنجانٍ عُبِثَ بِهِ أنَ الزُّمَرِ قَضبانَ وأوراقُ^(١)
 من طيبه سَرَقَ الأُتْرَجَ نَكَمَتُهُ ياقومَ حَتَّى مِنَ الأشجارِ سُراقُ!
 كأنما الحاجبَ للنصورِ عَلمُهُ فَعَلَ الجَلِيلَ فطابتَ مِنْهُ أخلاقُ
 مَنْ لَيْسَ بِفَعْدِهِ عَن سُوْدُدِ كَرَمٍ ولا يَقومُ لَهُ فِي سِوَةِ ساقُ
 وله أيضاً :

بِثَّتْ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِي دَارِي محزَمَةٌ كَالوَانِ العَقيقِ^(٢)
 تَوَكَّلْ بِالْمَكُوفِ عَلَى التَّصَابِي^(٣) وَتَصْطَادِ الخَالِيعِ مِنَ الطَّرِيقِ

فحارَ الحاضرونَ لِبَدَاهَتِهِ ، واعترفوا بِزَاهَتِهِ . فَلَمَّا آنَسَ
 اسْتِثْناسَهُمْ بِكَلَامِهِ ، وانصبَّابَهُمْ إِلَى شِعْبِ إِكْرَامِهِ ، أَطْرَقَ كَهْرَفَةُ
 الْعَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَدُونَكُمْ يَتَبَنَّى آخَرَيْنِ ، وَأَنشَدَ :

وَأَقْبَلْتُ يَوْمَ جَدِّ الْبَيْنِ فِي حُلٍّ سُوْدٍ تَغْضُ بُنَانَ النَّادِمِ الحَمِيرِ
 فَلَاحَ لَيْلٌ عَلَى مُبِيعٍ أَفْلَهُمَا غُضُنٌ وَضُرَّتِ الْبُلُورُ بِالذَّرِيرِ
 فحِينَئِذٍ اسْتَسْنَى الْقَوْمُ قِيَمَتَهُ ، وَاسْتَفْزَرُوا دِيَمَتَهُ ، وَأَنْجَلُوا
 عَشْرَتَهُ ، وَجَمَّلُوا قِشْرَتَهُ .

(٢) الذخيرة ٤ : ٤٨ .

(١) الذخيرة ٤ : ١٢ .

(٣) الذخيرة : « بِالْمَكُوفِ عَنْ التَّصَابِي » .

قوله: «لبداهته» ، أى لارتجاله وإنشاده من غير فكرة ، ويقال :بدّه بَدْهًا وبديهية وبدّاهة ، إذا فْهَاهُ . وبدّه فى كلامه : إذا لم يتفكر فيه ، وفلان حسن البديهية والبدّاهة ، أى الارتجال .

[مما قيل فى البديهية الحاضرة]

والقول من غير تفكير وهو عندهم مما يمدح به ، وإن كانت الإصابة غالباً فى الروية وإطالة الفكرة ، كما قال عبدالله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له : دَعُوا الرأى حتى يَخْتَمِرَ ، فلا خير فى الرأى الفأير ، والقول القصير . وقال المنصور لسكرتيره : لا تبرم أمراً حتى تفكر ، فإن فكرة العاقل مرآته تربه حسنه من قبيحه . وقال أيضاً : الحكمة نور الفكرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير فرع الهمة .

قال ابن الرومى :

نارُ الرويةِ نارٌ جدّةٌ منضجةٌ وللبديةِ نارٌ ذاتُ تلويحٍ^(١)
وقد يفضّأها قومٌ لعاجلها لكنّه عاجلٌ يمضى مع الريحِ
وقال أشجع فى جعفر بن يحيى :
يريدُ الملوكُ مدى جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنع^(٢)
وليس بأوسعهم فى الفنى ولكنّ معروفه أوسعُ
بداهته مثل تفكيره متى تلقه فهو مستجَمعٌ^(٣)
وقال فيه :

بديهته وفكرته سواء إذا التبتت على الناسِ الأمورُ

(١) بدائم البداهة ٦

(٢) من قصيدة له فى الأغاني ١٧ : ٣٧ .

(٣) الأغاني : ١ بديهته متى رمته .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي في النضل بن سهل :

يتفنى الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبه
فيظال يوردها ويصدرها قلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوماً بعض دواوينه، فرأى غلاماً جميل الصورة، على أذنه قلم، فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل بخدمتك؛ الحسن بن رجاء خادمك. فقال المأمون: أحسنت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تفاضلت القول. ثم أمر أن ترفع مرتبته في الديوان.

قوله: « بنزاهته » أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر. آنس: أبصر. استثناسهم: أنسهم وتركهم الإنكار. طرفة: نظرة، قد طُرفَ يطرف طرفاً، إذا حرك جفنيه بعد النظر. دونكم: إغراء، ومعناه خذوا حذرکم واسمعوا. جدّة: تحقق. البين: الفراق. بنان: أصابع. الخصر: اللقطة عن الكلام عيياً. ليل: أراد به نقاباً أسود. صبح: وجه. أفلهما: رفعهما. غصن: قدّ. ضرست: البلور: الأصابع. الدرر: الأسنان.

[نقد شعر الحريري]

والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدم استثناساً بأنه غير مدّع في الشعر، ودلّ على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما، وهو قد أدرج معنى زائداً في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره، وذلك أنه لما لم يستوفِ مقابلة بيت أبي النرج مرةً بيئته المتقدمين، استوفاه في هذا البيت الثاني، لأنه قابل «أمطرت» بساقطت، واللؤلؤ باللؤلؤ، والرجس بالخطام، وهما العين والهم، وحمرة الخلد بسنا القمر، وبقي عليه زائد من قول أبي الفرج: «وعضت على العنّاب بالبرد»، فقابله في هذا البيت بقوله: «وضرست».

البلور بالدرر ، وجعلها تمض على أصابعها وهي بيض ، لأنه يصف امرأة شعرت
بفراق أحبابها ، فتركت الزينة واستعمال الحناء ، فلما حان وقت فراقهم ، لبست
ثياب الحزن ، وأقبلت تودّعهم تأنّفاً وتندّمًا على فراقهم ، ووصف الأصابع
باللّين والصنغ ، وذلك مذكور في العاشرة ، وجعلها لابسة السواد ، لأنّ أهل
المشرق يلبسونه لحزنهم ، وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم ، قال الشاعر :

ألا يا أهل أندلس فظنتم بلطفكم إلى أمرٍ عجيب
لبستم في ما تمكم بياضاً وجثم منه في زى غريب
صدقم فالبياض لباس حزن ولا حزن أشد من الشيب

وأشد أبو عثمان الأشناداني في أبيات المعاني له :

أرعت مراتع مدرها على مجلٍ صنوين إن أفردا لم يرعياً أبداً
واستبدلت من رياض الحزن موقّةً توبّ الأمير الذي في ملكه قعداً

عنى بمراتع مدرها شقراها ، وبصنوين مقصداً حلقته به ، وبرياض الحزن
ثياباً ملوّنة ، وبشوب الأمير ثوباً أسود ، لأن ملوك بني العباس لباسهم السواد ،

وعارض ابن لبّال^(١) الحريري في أبياته فقال :

ودعتمها ومدامى تنهّل بالدّمع الطليق
فبكت تاذرت أدمعاً في صفحة الخد الأنيق
ومضت تمض بنامها بين التأنف والشيبق
ورأيت مبيض اللّج بين يعض محرّ العقيق

وكما عارض بيت الحريري عارض قول البحتري المتقدم :

(١) ابن لبّال ، واسمه علي ابن أحمد بن علي ، من قضاة الأندلس وشعرائها وأديانها ؛ وله
كتاب في شرح اللغات . الغرب ١ : ٣٠٣

يا بَابِي طَيِّبٌ إِذَا مَارَنَا أَنُحْنُ قَلْبِي وَفُؤَادِي جِرَاحُ
يَفْتَرُّ عَنْ طَلْعٍ وَعَنْ جَوْهَرٍ وَفِصَّةٍ أَوْ حَبِّ أَدِ أَفَاحُ
فَزَادَ عَلَيْهِ بَوْصَيْنِ .

من أقوالهم في الفراق

ومما يَنَظَرُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْبُكَاءِ عِنْدَ الْفِرَاقِ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ :
وَكَاثِمًا أَثَرَ الدَّمْعِ بِخَدَّهَا طَالَتْ تَسَاقُطُ فَوْقَ وَرْدٍ يَانِعٍ
عَذَّبَ الْفِرَاقُ لَنَا قَبِيلَ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسَمِّ نَاقِعٍ
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ شَاهِدًا وَهَنَ يُطْفِئُ عَالَةَ الْوُجْدِ
لَمْ تَرَ إِلَّا دَمْعًا بَاكِئَةً تَسْفَحُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَانَتْ تِلْكَ الدَّمْعُ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْحَسٍ عَلَى وَرْدٍ

وقال التَّائِي :

مَكَيْتَ الْفِرَاقَ وَقَدْ رَاعَنِي بَكَاءُ الْحَبِّ لَعْدَ الدَّيَارِ
كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةَ طَلْعٍ عَلَى جُلَانَارِ

وقال أَبُو نَوَاسٍ :

تَقُولُ غَدَاةُ الْبَيْنِ إِحْدَى نَائِمِهِمْ لِي السَّكِيدُ الْخَرَى فَيَسِرُ وَلَكَ الصَّبْرُ^(١)
وَفَدَّ غَلَبَتْهَا عَبْرَةٌ فَدَمْعُهَا عَلَى خَدِّهَا جَمْرٌ وَفِي نَحْرِهَا صَفْرٌ

يقول: لون خدها أحمر، وتشككت الدمعة به جراً، ولون نحرها أصفر عاجي
كما قال ذو الرمة :

كأنها فضةٌ قد مَسَّها ذهبٌ فصَّارَ فيها للون الدمع صُفْرَتُهُ
وقيل للعباس بن محمد : ملون الماء ؟ فقال : لون إنائه .

ولما ذكر الحريري الحلل السود على الجارية ، تذكرت ما قال أبو عثمان
«النَّاجِمُ»^(١) في جارية رأى عليها ثوباً أزرق :

ما تعدت قبولُ حينَ جلتَ زِيّاً شبيهاً بوجهها ذِي الضِّيَاءِ
لبست أزرقاً فُجِئتُ بوجهِ يشبه البدرَ في أديمِ السَّمَاءِ

ولأبي حفص بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردي ، قال :

لما بدا في لازور دى الحرير وقد بهر^(٢)
كبرت من فرط الجفا لـ وقلتُ ما هذا بشرُ
فأجابني لا تنكرفُ ثوبَ السماء على القَمَرِ

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي :

وبنفسجي الثوب قد لـ محبه من حَالِه^(٣)
الآن صرت البدر إذ ألبست ثوبَ جمالِه

قوله : «استسنى» ، أى استعظم ، وقد سنو الرجل ، وسنا : شرف وعظم . ديمته :
كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع ، أو يريد بها فطنته التى تمدّه بما شاء من

(١) هو سعد بن الحسن بن شداد المعروف بالناجم الشاعر الأديب ، صاحب ابن الروى
حرواية شعره . معجم الأدباء ١١ : ١٩ .

(٢) الذخيرة ٢ : ٣٧

(٣) برد البيان في ديوان المطبوع ، وما في الذخيرة ٢ : ٣٧ ، مع رواية مخالفة

الشعر، وأصل الديمة المطر الدائم . واستفزروها : استكثروها ووجدوها غزيرة .
أجلوا عشرته، أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل . جملوا قشرته ، أى حسنها ،
من لفظ الجمل ، أو يكون معناه : جملوا من جملت الحساب وأجلته ، أى جمعته ،
فكانهم جمعوا له شيئاً وكسوه . وقشرته : ثوبه ، لأنه قدم أن هيئته كانت رثة ،
فاحتاجوا أن يكسوه .

قال المخبر بهذه الحكاية : فَلَمَّا رَأَيْتُ تَلَهَّبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلَّقَ
جَلْوَتِهِ ، أَمَعَنْتُ النَّظَرَ فِي تَوَشُّمِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فِي مِدْسِمِهِ ،
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ ، وَقَدْ أَقَمَرَ لَيْلُهُ الدَّجُوجِيَّ ، فَهَنَأْتُ نَفْسِي
بِمَوْرِدِهِ ، وَابْتَدَرْتُ اسْتِلَامَ يَدِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَحَالَ صِفَتَكَ ،
حَتَّى جَهَلْتُ مَعْرِفَتَكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ شَبَّ لِحَيْتِكَ ، حَتَّى أَنْكَرْتُ
حِلْيَتَكَ ! فَأَنشَأُ يَقُول :

وَقَعُ الشَّوَائِبِ شَيْبٌ	وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلُوبٌ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ	فِي غَدٍ يَتَغَلَّبُ
فَلَا تَشَقْ بِوَمِيضٍ	مِنْ بَرْقِهِ فَهُوَ خَلَبٌ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أَضْرَى	بِكَ الْخَطُوبِ وَالْأَلْبُ
فَمَا عَلَى التَّبَرِّ قَارٌ	فِي النَّارِ حِينَ يُقْلَبُ

شَمِ نَحْنُ مَفَارِقًا مَوْضِعَهُ ، وَمُسْتَضِجًا الْقُلُوبَ مَمَّةُ .

تَلْتَبْ جُذُوتُهُ : اشتعال جمرته وانتقادها ؛ وأَرَادَ حِدَّةَ ذَهْنِهِ ، والجذوة : النار في حَرْفِ الْعُودِ . تَأْتَى : لِمَعَانٍ . جَلُوتُهُ : مَا جَلَاهُ وَكَشَفَهُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَقَوْلُ : جَلُوتِ الْعُرُوسِ جَلُوتَهُ ، إِذَا أُزِلَّتْ قُبَابُهَا ، وَأُظْهِرَتْ وَجْهَهَا ، وَالْجِلُوتُ بِالْكَسْرِ : هَيْئَةُ جُلُوتِهِ حِينَ يَحْكُمُ ، وَأَرَادَ بِتَأْتَى جُلُوتَهُ بَرِيقَ وَجْهِهِ . أَمَعَنْتُ : بَالَفْتُ وَأَدْمَنْتُ . النَّظَرُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ أَمَعَنْ فِي الْأَرْضِ إِذَا أَبْعَدَ الذَّهَابَ فِيهَا . تَوَسَّمَهُ : نَظَرَ سَمَاتِهِ ، وَهِيَ عَلَامَتُهُ الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا ، وَيُرِيدُ أَنَّهُ أَدَامَ النَّظَرَ فِي نَعْوَتِهِ . سَرَّحْتُ الطَّرْفَ : أَرْسَلْتُ الْعَيْنَ بِالنَّظَرِ ، وَأَصْلُ الْعَارِفِ تَحْرُكُ الْعَيْنِ عِنْدَ النَّظَرِ ، تَقُولُ : طَرَفْتُ الْعَيْنَ طَرَفًا . وَالْعَيْنُ : الْجَارِحَةُ ، وَالْبَصَرُ : مَا تَدْرِكُهُ بِنَظَرِهَا ، ثُمَّ تُسَمَّى الْعَيْنُ طَرَفًا لِذَلِكَ . وَمِيسَمُهُ : عَلَامَتُهُ . أَقْرَ : أَيْضًا ، فَصَارَ مِثْلُ لَوْنِ الْقَمَرِ . الدَّجُوحِيُّ : الشَّدِيدُ السَّوَادِ ، وَأَرَادَ نَبَاتَ شَعْرِهِ الْأَسْوَدِ .

قوله : «مورده» ، أى بقدمه وإتيانه ، تقول : وَرَدَ عَلَيْنَا فُلَانٌ ، إِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ ، وَلِلْوُرْدِ : مَصْدَرُ وَرَدَ ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْوُرُودِ ، لِأَنَّهُ قَدَّمَ أَنَّهُ غَابَ عَنْهُ مَدَّةً لَا يَعْرِفُ لَهُ مَوْضِعًا ، وَلَا يَجِدُ عَنْهُ مَخْبَرًا ؛ حَيْثُ قَالَ : «وَاسْتَرَّ عَنِّي حِينًا» ، فَلَمَّا رَأَاهُ بِلَدِهِ بِالْبَصَرَةِ فَرَحَ بِقَدُومِهِ وَهَنَّا نَفْسُهُ عَلَى ذَلِكَ .

استلَّامٌ : تَقَبُّلُ الْيَدِ . ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : اسْتَلَمَ الْحَجَرَ ، مَعْنَاهُ أَخَذَهُ وَمَسَّهُ بِيَدِهِ ، وَاسْتَلَمَ ، انْفَعَلَ ، مِنْ الْمَسَالَةِ . يُرِيدُ أَخَذَ الْحَجَرَ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، أَوْ يَكُونُ اسْتَفْعَلَ ، مِنْ اللَّأَمَةِ وَهِيَ السَّلَاحُ ، يُرِيدُ أَنَّهُ حَصَّنَ نَفْسَهُ بِمَسِّ الْحَجَرِ مِنَ الْعَذَابِ ، لِأَنَّ السَّلَاحَ إِنَّمَا يَلْبَسُ لِيُمْتَنَعَ بِهِ وَيَتَحَصَّنَ . أَحَالٌ : غَيْرٌ . حَلَيْتُكَ : صَنَعْتُكَ ، وَلِذَلِكَ احتاج أن يَمَعْنَ النَّظَرَ لِمَا تَغَيَّرَتْ صِفَاتُهُ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُ بِهَا مِنْ الْقُوَّةِ وَالشَّبِيهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَدْ شَابَ شَعْرُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ صِفَاتُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ إِلَّا بِمَدِّ طَوْلِ تَأْمَلٍ . وَقَالَ الْخُلَوَانِيُّ الْقَيَّوَانِيُّ :

وَلَرَبَّ بَاكِيَةٍ رَأَتْ فِي لَيْلَتِي وَخَزَرَ الشَّيْبُ تَأَلَّقَتْ ضَحِكَاتُهُ

قالت : أغضنا قد علاه فلا أرى زهر الرّياض ونورت ورقاته
فأجبتنا: قارعتُ في جنبِ الهوى صرف الزّمان، وهذه نكباته
ولا بن الجدّ :

نكّرتُ نحولٍ وهو من فرط الأسى لقراقِ إخوان على كرام
وتمجّبتُ للشّيب لا تتعجّبي هذا غبار وقائع الأيام
قوله : «نأنأ يقول » أى ابتداء ، وأنشدوا :

أنشأت تطالب ما تغيّر ر قد تناشبت الأظافر

أى ابتدأت تطالب . الشوائب ، أصله ما يقع في الماء الصافي من الأذى فيكدره ، فأراد أن أنكاد الدهر شيئته . وقُلب : كثير التقلّب ، فيحوّل من حال إلى حال . دان : طاع واثقاد . يتقلّب : يتحوّل عن الطاعة . وميض : لمع خفيّ . خلّب : خدّاع ، لا ماء فيه ، وأراد : لا تثق بالدهر ، إذا ما كسبت فيه شيئاً من المال فإنه يحوّل عنك ولا يترك لك منه شيئاً . أضرى : أغرى وألصقها بك ، وأصل «أضرى» من ضراوة الكلب ، تقول ضرى الكلب بالصيد ؛ إذا تعلم الصيد ، وأضرته أنا بمعنى عرّضته للصيد . والخطوب : الأمور الشداد . وألب : حشد ، أى اصبر للشدائد إذا أضرها الدهر بك وحشدها ، فما عليك في ذلك عيب ، كما أن الذهب يُسبك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر . والتبر : الذهب قبل سبكه ، وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والأربعين :

وحالاً أصليّ الياقوت جمرَ غضى ثم انطقا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ

(٩ - شرح مقامات الحريري ١)

وزاد الآخر في المعنى فقال :

إني أنا الذَّهَبُ المَحْمَى ومُخْبِرُهُ يزيد في السَّبْكِ للدينارِ ديناراً .

وأنشدوا :

اضْبِرْ عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ ن فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
فَرَحٌ وَحُزْنٌ تَارَةً لا الحزن دَامَ ولا المُرورُ

المقامة الثالثة وهي الدنيارية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : نَظَمَنِي وَأَخْدَانَا لِي نَادٍ ، لَمْ يَنْحِبْ
فِيهِ مَنَادٍ ، وَلَا كَبَا قَدَحُ زَنَادٍ ، وَلَا ذَكَتْ نَارُ عِنَادٍ ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ
تَجَاذِبُ أَطْرَافَ الْأَنَاشِيدِ ، وَتَوَارِدُ طُرْفَ الْأَسَانِيدِ ، إِذْ وَقَفَ بِنَا
شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ ، وَفِي مِشْبَتِهِ قَزَلٌ .

• • •

نَظَمَنِي ، أَيِ جَمَعَنِي . أَخْدَانَا ؛ أَيِ أَصْحَابِي . نَادٍ : مَجْلِسٌ . مَنَادٍ : مُتَكَلِّمٌ .
كَبَا : شَحَّ . وَلَمْ يَبْدُ نَارًا . قَدَحُ : ضَرْبٌ . زَنَادُ : حَدِيدَةُ النَّارِ ، وَزَنَادُ الْعَرَبِ
مِنْ خَشَبٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّيحِ وَالْعَفَارِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يُؤْخَذَ عُودٌ
قَدْرُ شِبْرِ ، فَيُثَقَّبُ فِي وَسْطِهِ ثَقْبٌ لَا يَنْفَذُ ، وَيُؤْخَذُ عُودٌ آخَرُ قَدْرُ ذِرَاعٍ ، فَيُحْدَقُ
طَرَفُهُ ، وَيُجْعَلُ ذَلِكَ فِي الثَّقْبِ ، وَقَدْ وَضَعَهُ رَجُلٌ بَيْنَ رَجْلَيْهِ ، فَيُدِيرُهُ وَيَفْتُلُهُ ،
فَيَبْدُو النَّارَ ، فَأَلْعَلَى زَنْدٍ وَالسُّفْلَى زَنْدَةٌ ، وَالزَّانَادُ جَمْعُ زَنْدٍ . قَوْلُهُ : « ذَكَتْ » ، أَيِ
اشْتَعَلَتْ . عِنَادُ : خِلَافٌ ، يُرِيدُ أَنْ هُوَ لَا . الْأَصْحَابُ لِحَسَنِ أَدْبِهِمْ وَمَنَاطِرَتِهِمْ
لَيْسَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ ، وَهُمْ عُلَمَاءُ لَا يَسْقُطُ مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ جَاهِلٌ ،
فَيَكُونُ كَلَامُهُ قَلِيلَ الْإِصَابَةِ . وَالْأَنَاشِيدُ : مَا يَقْتَنَاشِدُونَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْنَهُمْ ، كَأَنَّ
وَاحِدَهَا أَنْشُودَةٌ . وَتَجَاذِبُ أَطْرَافَهَا ، يُرِيدُ الْمَشَارَكَةَ فِي إِنْشَادِهَا ، أَيِ إِذَا أَنْشَدَ
أَحَدُهُمْ شِعْرًا لِيُغْرِبَ بِهِ شَارِكُوهُ فِي إِنْشَادِهِ لِحَفَظَتِهِمُ الْأَشْعَارَ ، فَكَأَنَّهُمْ تَجَاذِبُوهُ كَمَا
يَتَجَاذِبُ بِأَطْرَافِ الثُّوبِ . وَالْأَسَانِيدُ : الْأَخْبَارُ الْمُسْنَدَةُ إِلَى أَهْلِهَا . وَأَصْلُ التَّوَارِدِ ،
مِزَاحَةُ الْإِبِلِ عَلَى شَرْبِ الْمَاءِ ، فَجَعَلَ مِشَارَكَتِهِمْ فِي ضَبْطِ غَرَائِبِ الْأَخْبَارِ

كتوارد الإبل على الماء ، واليارف : الفرائب ، واليارفة : الشيء العجيب من كل شيء ، الذى لا يوجد له نظير . سَمَل : ثوب خلق ، وأكثر ما تقول العرب : ثوب أسمال وأخلاق ، فيوصف بالجمع لأنه قُطِعَ متفرقة . وسَمَل : قليل ، وفي تبدل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب المتبدل الذى لا يبالى بما لبس » . قَزَل : عرج .

* * *

فقال : يا أخايرَ الدخايرِ ، وبشائرَ المشائرِ ، صموا صباحاً ، وأنعموا اصطباحاً ، وانظروا إلى مَنْ كَانَ ذا ندى وَندى ، وَجِدَّةٍ وَجَدًا ، وَعَقَارٍ وَقَرَى ، وَمَقَارٍ وَقَرَى ، فَتَا زَالَ بِهِ قُطُوبُ الْخُطُوبِ ، وَحُرُوبُ الْكُرُوبِ ، وَشَرَرُ شَرِّ الْحُسُودِ ، وَاَنْتِيَابِ الثُّوبِ السُّودِ ، حَتَّى صَفِرَتِ الرَّاحَةُ ، وَقَرِعَتِ السَّاحَةُ ، وَغَارَ الْمَنْبَعُ ، وَبَا الْمَرْبَعُ ، وَأَقْوَى الْمُجْمَعُ ، وَأَقْصَى الْمَضْجَعُ ، وَاسْتَحَالَتِ الْحَالُ ، وَأَعْوَلَ الْعِيَالُ ، وَخَلَّتِ الْمَرَابِطُ ، وَرَحِمَ الْغَابِطُ ، وَأَوْدَى النَّاظِقُ وَالصَّامِتُ ، وَرَدَى لَنَا الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ .

* * *

قوله : « يا أخايرَ الدخايرِ » ، الأخاير : جمع أخير ، كما يقال : أكبر وأكبر ، والاستعمل خير وشر ، ولا يقال : أخير ولا أشر إلا شاذاً . وإن كان هو الأصل ، لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل ، لأنه يرد الشيء إلى أصله وقال رؤبه :

• بلال خيرُ النَّاسِ وابنُ الأخيرِ •

فَنطَقَ بِالسَّعْمَلِ لَشَبْرَتِهِ ، وَبِأَصْلِهِ وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَإِذَا تَمَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ قَالُوا :
 حَا أَخِيرَ فَلَانًا ، وَمَا أَشْرَفَلَانًا . وَالذَّخَاثِرُ : جَمْعُ ذَخِيرَةٍ ؛ وَهِيَ الشَّيْءُ النَّفِيسُ الْغَالِي
 يَصُونُهُ الْإِنْسَانُ وَيَعْتَدُّهُ لِمَآئِنِهِ . الْبَشَاثِرُ . جَمْعُ بَشَارَةٍ ، وَقَدْ بَشَّرَتِ الرَّجُلَ بَشَارَةً
 إِذَا أَدَخَلَتْ عَلَيْهِ السَّرُورَ . وَالْعَشَاثِرُ : جَمْعُ عَشِيرَةٍ ، وَهِيَ قَرَابَةُ الرَّجُلِ مِنْ قَبِيلَتِهِ ،
 يَقُولُ : أَنْتُمْ أَرْفَعُ الذَّخَاثِرِ ، وَخَيْرُهَا ، وَأَنْتُمْ يَسْتَبْشِرُونَ لِقَائِكُمْ بِرُؤُوسِكُمْ ، وَيَتِيَامِنُ
 بِلِقَائِكُمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَصِلُونَهُ وَتَكْرُمُونَهُ ؛ لَيْسَتْ عَظْمُهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَمُوا
 صَبَاحًا : دَعَاءُ لَهُمْ بِالنِّعْمَةِ فِي الصَّبَاحِ ، أَيْ جَعَلَكُمْ اللَّهُ تَنَعُّمُونَ فِي صَبَاحِكُمْ .
 وَرَعَمُوا : أَمْرٌ مِنْ رَعَمَ يَرَعِمُ ، وَهِيَ فِي مَعْنَى نَعِمَ يَنْعَمُ . وَأَنْعَمُوا اصْطَبَاحًا ، أَيْ طَابَ
 شَرِبَكُمْ فِي الصَّبَاحِ وَتَنَعَّمُ بِهِ ، وَالْإِصْطَبَاحُ : أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ يَشْرَبُونَ . نَدَى :
 مَجْلَسُ اجْتِمَاعٍ ، أَيْ هُوَ شَرِيفٌ يُقْعَدُ وَيُجْتَمَعُ عِنْدَهُ . نَدَى : كَرَمٌ . جَدَى : عَقْلِيَّةٌ .
 الْقَعَارُ : الْمَالُ الَّذِي لَا يَنْتَقِلُ كَالنَّخْلِ وَالذُّورِ وَالْأَرْضَيْنِ . قَرَى : جَمْعُ قَرِيَةٍ .
 مَقَارٍ : جَفَانٌ يُتَرَى فِيهَا الْأَصْيَافُ ، أَيْ يَطْمُونَ فِيهَا . وَالْقَرَى : طَعَامُ الضَّيْفِ .
 قَطُوبٌ . عُيُوسٌ . الْخَطُوبُ : الشَّدَائِدُ . الْحُرُوبُ : الْقِتَالُ . النُّكُورُ : الْهَمُومُ ،
 قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَقُولُهُ مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَلِمَةٌ
 أَخَى يُونُسَ : ﴿ فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ... ﴾ الْآيَةُ » .

وَمِنْ كَلَامِ ابْنِ الْمَعْتِزِ : الْحَوَادِثُ الْخَفِضَةُ مَكْسِبَةٌ لِحُظُوظٍ جَزِيلَةٍ ، وَثَوَابٌ مَدْخَرٌ ،
 وَتَطْهِيرٌ مِنْ ذَنْبٍ ، وَتَنْبِيهٌُ مِنْ غَفْلَةٍ ، وَتَعْرِيفٌ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ ، وَمَرُورٌ عَلَى مَقَارِعَةِ
 الدَّهْرِ ، وَإِذَا اسْتَرَجَعَ اللَّهُ مَوَاهِبَ الدُّنْيَا كَانَتْ مَوَاهِبَ الْآخِرَةِ .

غَيْرِهِ : لَوْلَا حَوَادِثُ الْأَيَّامِ ، لَمْ يَعْرِفْ صَبْرَ الْكِرَامِ ، وَلَا جَزَعَ
 اللُّثَامِ .

وقال أبو تمام :

والحادثات وإن أصابك بُوسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها^(١)

الحسود : الممتنى إهلاك مالك ، وإذا رأى لك خيراً تمنى إزالته ، يريد أن الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه ، وقلماً يوجد الذي يرمى بالعين إلا حسوداً . انتياب : نزول وقصود . الثوب : النوازل . قوله ، « صغرت » ، أى خلت من الدراهم . الراحة : باطن الكف . قرعت : خلت من المال وصارت قروء . والساحة : فناء الدار ، والساحة عند العرب : الرحبة التى تُخلق بها البيوت ، وأراد أنها خلت من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك . غار المنيع : جف الماء النافع ، والمنيع : موضع النّبع . الربيع : المنزل فى الربيع . ونبا : بأهله : وجد نبوة ، أى ارتقاها غير وطى . فلم تمكن الإقامة فيه . أقوى : خلا . الجمع : موضع الاجتماع . أقض : حُسن . وصار فيه المَقْضُض ، وهى الحجارة . والمضجع : موضع رقاذه ، وأخذه من قول أبي ذؤيب :

أم ما جنبك لا يلائم مضجماً إلا أقض عايه ذلك المضجع^(٢)

وكنى بهذه الألفاظ عن تغير الأحوال وذهاب المال .

وساق الكلام مساق حكايات الأعراب ؛ منها أن أعرابياً وقف بقوم ، فقال : أشكو إليكم أيها الملا زماناً أناخ على بكل كلكه بمد نعمة من الببال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ، أفتماي جديدها بنبل مصائبه ، عن قسي نوائبه ، فأترك لى راغية أجتدى ضرعها ، ولا ناغية أرتجى نعمها ، فهل فيكم من معين على صرته ، أو مُعَدٍ على حتفه !

(١) ديوانه ٣١٠

(٢) ديوان الهمذليين ٢ .

وقد ذكرنا منها جملة في الثالثة والثلاثين . وحكى أبو عليّ في نوادره
حكاية عن أبي زيد اللغويّ على لسان أعرابيّ يشبه كلام الحريريّ هنا في سياقه
وكثير من الألفاظ ، فيقول : إنّ المنيع الذي كنا نعيش به نحن وأموالنا قد
ذهب ، فهلكنا بذهابه . والربع : وهو موضع الخصب ، صار نبوة لا ينبت شيئاً ،
فلم تجد الإبل ما ترعاه فهلكت ، وإذا هلك المال هلك صاحبه ، والجالس التي
كنا نجتمع فيها ، هلك أهلها فخلّت ، ومضجعنا الذي كان موطاً بالفرش أقصّ
فامتنع من الإضجاع عليه .

قوله : « استحالت ، تغيرت » . وحال الرجل : ما هو عليه من خير أو شرّ
أو غنى أو فقر ، والحال أيضاً : المال . أعول : بكى ، وعيال الرجل : من يفتر إليه
في مؤنته ونفقته ، واحد هم عيال . الرابط : الموضع التي تربط فيها الخيل وتُخَبَسُ .
الغابط : الذي يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شيء . أودى : هلك . الناطق :
للمال من الحيوان مثل الإبل والبقر والغنم ، وكلّ ما يملك من ذى روح ؛ سميت
بذلك لأصواتها ، والناطق كل حيوان له صوت . والصامت : الذهب والفضة
والمناخ . رثى : بكى . وأشفق الشامت : الذي يُسرّ بمصيبتك ، ومنه تسميت العاطس ،
وهو إدخال السرور عليه بالدعاء ، وقد شمت به شماتاً وشماتة ، فهو شامت إذا
سرّ ببلاء ينزل به . والحاسد ، هو الحسود .

[فصل في الحسد وما قيل فيه]

والحسد أوّل ذنب عُصِيَ الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد
إبليس آدم ، وأما في الأرض فحسد قاييل هابيل .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(١): إنهما قاييل وإبليس، فالحد حمل إبليس على الكفر، وحمل قاييل على قتل أخيه .

وقال علي رضي الله عنه : لا راحة لحسود ، ولا أخ للول ، ولا محبة لسييئ الخلق .

وقال رجل لخالدين صفوان : إني أحتبك ، قال : وما يمنعك ، ولست لك بجارٍ ولا أخٍ ولا ابن عمٍ ! يريد أن الحسد موكل بالأذننين .

الحسن البصري : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من حاسد بنفسٍ دائم ، وحزن لازم ، وغيرة لا تنفد .

معاوية : كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها .

المبرد : حدثنا الزبدي ، قال : يقال : ستة لا تخطبهم الكتابة : فقير حديث عهد برفق ، ومكثر يخاف على ماله التلف ، والحسود ، والحقود ، وطالب مرتبة فوق قدره ، وخليط أهل الأدب وليس منهم .

قال الأصمعي : اجتمع ثلاثة حساد ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما اشتبهت أن يفعل بمسلم خير قط ، قال الثاني : أنت رجل صالح ، ولكني ما اشتبهت أن يفعل بي خير قط ، فقال الثالث : ما في الأرض خير منكما ، ولكني ما اشتبهت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط .

قال : وأنشد الشاعر :

كلّ العداوة قد تُرجى مودتها
إلاّ عداوة من عاداك من حمدر

وقال حبيب :

هوإذا أراد الله نشر فضيلة
طوبت أتاح لها لسان حود^(١)
تولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعرف طيبُ عرفِ العود

وقال القاضي ابن عمر :

نهاني حلي قتا أظلم
وعز مكاني قتا أظلم
ولا بد من حاسدٍ قذبه
بنور ما ثرنا مُظلم
رحمت حسودى على أنه
يغذب بي ثم لا يُرحم
أنانا الحسود ولسنا كما
يقول ولكن كما يعلم

وقال البمانى :

إني لأرحم حاسدي لفرط ما
ضمت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فميوهم
في جنّة وقلوبهم في نار
لا ذنب لي قد رمتكم فواضلي
فكاننا برقعها بنهار

قوله: «رئى لنا الحاسد والشامت» : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارحموا

ثلاثاً : غنى قوم افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وفقيرها يلم به الجهال » .

قال الشافعى : خمسة مرحومون : عزيز ذل ، وغنى قل ، وحبيب ممل ، ونصيح

كل ، وفقير ضل .

وقال الشافعى : ومن حديث واثلة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تظهر الشامة بأخيك ، فيعاقبه الله ويبتليك » ، وأخذه الحريرى من قول الآخر :

لم يبق إلا نفس خافت
ومفرم توقد أحشاؤه
ومثلة إنسانها باهت
بالنار إلا أنه ساكت
رق فما فى جسمه مفصل
إلا وفيه سقم ثابت

يَرِنِي لَهُ الشَّامِتُ نِيْمًا يَدُ يَابُوْنَجَ مَنْ يَرِنِي لَهُ الشَّامِتُ !

* * *

وَأَلْ بَنَّا الدَّهْرُ الْمَوْفِعُ ، وَالْفَقْرُ الْمُدْقِعُ ، إِلَى أَنْ احْتَذَيْنَا الْوَجَى .
وَاغْتَذَيْنَا الشَّجَا ، وَاسْتَبَطْنَا الْجَوَى ، وَطَوَيْنَا الْأَخْشَاءَ عَلَى الطَّوَى ،
وَكَتَحَلْنَا السُّهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْوَهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْقَتَادَ ، وَتَنَاسَيْنَا
الْأَقْتَادَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْحَيْنَ الْمَجْتَا حَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْيَوْمَ الْمُنَاجَا حَ ، قَهْلُ
مِنْ حُرِّ آسٍ ، أَوْ سَمْعِ مَوَاسٍ ! فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَبْلَةِ ،
لَقَدْ أَمْسَيْتُ أَخَا غَيْلَةٍ . لَا أَمْلِكُ بَيْتَ كَيْلَةٍ .

قال الحارث بن مَهمَّام : فَأَوَيْتُ لِتِفَافِيرِهِ ، وَلَوَيْتُ إِلَى اسْتِبَاطِ
فَقْرِهِ ، فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا ، وَقُلْتُ لَهُ اخْتَبَارًا : إِنْ مَدَحْتَهُ نَظْمًا ، فَهُوَ
لَكَ حَتْمًا ، فَانْبِرَى مُنْشِدٌ فِي الْحَالِ ، مِنْ غَيْرِ انْتِحَالِ .

* * *

قوله : « آل بنا » أى رجع بنا ، وقد آل بنيل ويشول ، أى رجع . الموضع :
المهلك ، من أوقع به ، ويحتمل أن يريد بالموقع الذى يحمله على الوقوع ، ورجل موقع
إذا اشتكى ألم رجله . المدقع : الماصق بالدقما ، أى التراب ، أى لم يترك للإنسان
شيئاً يسطه غير التراب . احتذينا : انتعلنا . الوجى : توجع باطن القدمين من الحفا ،
يريد أنه لبس مكان النعال الحفا حتى توجعت قدماه . الشجى : ما يمرض فى
الخلق ، وكفى بهذا عن سوء الحال ، لأن الشجى ليس بفناء . إنما هو مشقة وتعب .
ولكن بالغ فى وصف سوء حاله ، فقال : إنه يَنْتعل ما لا يَنْتعل ، ويقتدى ما ليس

بذاء ، أى ليس ثم امتثال ولا غداء . استبطنا ، أى جعلناه فى بطوننا . الجوى :
فساد الجوف . والأحشاء : مافى الجوف وماحشى به . الطوى : الجوع ، وقد
طوى بطوى ؛ لأن الأحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت ، وإذا فرغت منه
انطوى بعضها على بعض . والشهاد : امتناع النوم ، من قول الشاعر :

ما لعمي كجحت بالشهاد ولجنى ناييا عن وسادي

استوطننا : سکننا واتخذناه وطننا . الوهاد : ما انخفض من الأرض . استوطننا :
وجدناه وطينا . القتاد : شجر له شوك شديد يستى عندنا حوض الأمير . الاقتاد :
خشب الرحال ، يريد أنهم نوا ركوب المطايا لبعدهم بها ورجعوا الآن يمشون
على الشوك فيجدونه طينا . الحين : الموت . المجتاح : من لفظ الجوائح ، يريد به
المتأصل للأموال . استبطنا : وجدناه بطى . الحى . المتاح . المقدر ، يريد أن يوم
موتهم تمتوه لشدة ما قاسوا ، وأبطأ عليهم . آسى : طيب يطب علة الفقر والجمع
الأساة . سمح : كريم . والمواسى : المعين . وذكر عاصم فى شرح قوله : « يواسى
فى كريهته أخاه » ، أن معناه ، جعله أسوة نفسه ، فواسى من الأسوة ، كأنه يشاركه
فى ماله . ويقال : آسيت ، والأصل الممز .

الفضل : معنى فلان يواسى فلانا ، يشاركه ، والمواساة المشاركة ، وآساه :
شاركه فيما هو فيه .

مؤرج : ما يواسيه ، أى ما يصيبه بخير أصلا .

غيره : معناه يموضه من مودته وقرايته شيئا ، من الأوس وهو العوض .
قال الشاعر :

فلا زمرمتك مشقصا أوسا أونس من المتبالة^(١)

(١) المان-مبل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة؛ وفيه أن البالة اسم ناقة أسماء بن خارجة .
ورواية المان : « لأحسانك » .

والهباله: اسم ناقة، أى أرميك بهم يكون عيوضاً عن الناقة. وكان أصله يؤاوسه، فقدموا السين وهى لام الفعل، وأخروا الواو وهى عينه، فصار «يؤاوسه» فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، فهو من المقلوب، وإن جعلته من أسوت الجرح، إذا أصلحته فلا قلب فيه.

قوله: «والذى استخرجنى من قبلة»، قبلة هى أم الأوس والخزرج، وهى بنت الأرقم النسائية، وانتسابه لها كانتسابه قبل إلى أقيال غسان. أخت عيلة: صاحب فقر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾^(١)، أى فقراً، وقال صلى الله عليه وسلم: «أعوذ بك من القسوة والنفلة والعيلة والمسكنة». بيت ليلة: قوت بيت عليه ليلة.

أويت: أشقت وحننت. مفارقة: جمع فقر على غير قياس - ومثله مذاكير الرجل جمع ذكرك: محاسنه ومساويه. لويت: انعطفت. استنباط: استخراج. الفقر فى النثر: فواصله، وهى مثل القوافى فى النظم، والفقر: ما تقدم فى المقامة من الكلام المفقر. أبرزت: أظهرت. حمأ: واجباً، يريد أنه قصد إلى أن يحقق ما تقدم من الفصاحة فى فقره إن كانت له أو انتحلها، فقال ليختبره: امتدح هذا الدينار بشعر. فابرى، أى اعترض وتقدم. انتحال: ادعاء منه فى شعر غيره، يقال: انتحل كذا، أى ألزمه نفسه، وجعله كالملك، من النحلة، وهى الهبة والمطية.

أَكْرِمَ بِهِ أَصْفَرَ رَأْفَتِ صُفْرَتَهُ	جَوَابَ آفَاقِ تَرَامَتِ سَفْرَتَهُ
مَأْثُورَةً مُمْتَنَةً وَشَهْرَتَهُ	قَدْ أودِعَتْ سِرَّ النِّعَى أَسْرَتَهُ
وَفَارَتْ نَجَجَ الْمَسَاعِي خَطَرَتَهُ	وَحُبَيْتَ إِلَى الْأَنَامِ غُرَّتَهُ
كَأَنَّمَا مِنَ الْقُلُوبِ نَقَرَتَهُ	بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوْتَهُ صُرَّتَهُ

(١) سورة النبوة ٢٨،

وَإِنْ تَفَانَيْتَ أَوْ تَوَانَيْتَ عِزَّتُهُ يَا حَبِذَا نُضَارُهُ وَنَقَرَّتُهُ
وَحَبِذَا مَفْنَأَتُهُ وَنُصْرَتُهُ كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَنْبَتَ أَمْرَتُهُ
وَمُتَرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَسْرَتُهُ وَجَيْشٍ هَمَّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهُ
وَبَذَرٍ نِمَّ أُنْزَلَتْهُ بِذَرَّتُهُ وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَطَّى بِخَرَّتُهُ
أَسْرَ نَجْوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ أَمْرَتُهُ
أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهُ وَحَقُّ مَوْلَى أُنْدَعَتْهُ فِطْرَتُهُ
* لَوْلَا التَّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ *

° ° °

قوله: «اكرِّم به»، معناه ما أكرمه . راقى . أعجبت . جواب آفاق :
قطاع بلاد . ترامت سفرته : بَعُدَتْ غَيْبَتُهُ، وَتَمَّتِ السَّفَرُ سَفَرًا ، لِأَنَّهُ يُسْفَرُ عَنْ
أَخْلَاقِ الرِّجَالِ ، أَيْ يَكْشِفُهَا وَيُبْضَحُهَا ، أَخَذَ مِنْ قَوْلِهِمْ : سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ
وَجْهِهَا ، إِذَا كَشَفَتْهُ وَأَخْطَرَتْهُ ، وَيُقَالُ لِلْمَكْنَسَةِ : مِسْفَرَةٌ ، لِأَنَّهَا تُسْفَرُ التُّرَابَ
عَنِ الْمَوْضِعِ ، وَسَفَرُ بَيْتِهِ ، كَنَسَهُ . مَائُورَةٌ : مُحَدَّثٌ بِهَا . سَمِعْتُهُ : ذَكَرَهُ الْمَسْمُوعُ .
أَوْدَعَتْ : ضُمِنَتْ . أَسِيرَتُهُ : خُطُوطُ وَجْهِهِ ، أَرَادَ نَقْشَهُ ، وَأَنْ يَبَيِّنَ أَسْطَارَهُ سِرًّا
الْفَنَى ، فَمَنْ مَلَكَهُ مَلِكُ الْفَنَى . قَارَنْتَ : سَاوَيْتَ : النِّجَاحُ : ضِدُّ الْخَلِيَةِ . الْمَسَاعَى :
الْمَشَى فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ . الْأَنَامُ : الْخَلْقُ . غُرَّتُهُ : وَجْهُهُ ؛ قِيلَ لِأَبِي الزِّنَادِ : مَالِكُ
تَحِبِّ الدَّرَاهِمِ وَهِيَ تَدْنِيكَ مِنَ الدُّنْيَا إِقَالَ : إِنَّهَا وَإِنْ أَدْنَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَدْ
صَانَتْنِي عَنْهَا . وَالنَّقْرَةُ : الْقِطْعَةُ الْمَسْبُوكَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، قَبْلَ أَنْ يُطْبَعَ مِنْهَا
الدَّرَاهِمُ وَالْدَّنَانِيرُ ، وَأَرَادَ : كَأَنَّمَا قَطَعْتَ شَرَّتَهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ لِشِدَّةِ حُبِّهِمْ
فِيهِ . وَالنَّقْرَةُ ، إِنَّمَا تَسْتَعْمَلُ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَاسْتَعْمَلَهَا فِي الذَّهَبِ لِقُرْبِ مَا بَيْنَهُمَا ،
وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

فكل قلبٍ إليه متصرفٌ كأنَّه من جميعها خلقاً^(١)

أو من قول ابن الرومي :

به أمست الأهواء يجمعها هوى كأنَّ نفوسَ النَّاسِ في حبه نفسُ

أو من قول المتنبي :

في خطئه من كلِّ قلبٍ شهوةٌ حتَّى كأنَّ مداده الأهواء^(٢)

بصول : يقهر ويقلب ، وصال الشجاع على قرينه ، والفعل على إلهه ، والجار على أنه صولاً ، إذا قهر وعلا وصاحبها . الصرة : الخرقه تصرف فيها الدراهم . حوته : ختمته ، يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه . تانت : هلكت . توات : أبطأت وضعت عن نصرته . عترته : قرابته الأذنون . نصاره : ذهبه . نصرته : حسنه . مفناته : منابه ، يقال فلان يفنى مفناتك ، أى ينوب منابك ، ويقوم مقامك ، يريد أنه ينوب عن الإنسان في المضايق وينصره . استتب : تمت واستقامت ، والمستتب : الطريق البين ، قال الشاعر :

* على مستتب كالحجرة تعمل *

إمرته : ولايته . مترف : منعم . حسرته : تفجعه ، وحزنه . كرتته : رجعتة ، وبدرتيم : القمر ليلة السكال ؛ ويريد به شخصاً يشبه البدر في حسنه ورفعته ، فإذا بعثت في طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته ، والبدر : عشرة آلاف درهم . مستشيط : غضبان : تنلطي : تنال . جمرته : شدة غيظه . أسر : أخفى . نجواه : حديثه سرّاً . شرته : حدته وغضبه ، يقول : كم من غضبان شديد الغيظ ، مثل

(١) فلهق ديوانه ٢٦١٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٠ ، والأهواء : جمع هوى ، مقصور ، وهو المحبة .

حَاكِمٌ يَصُولُ بِصَاحِبِ جَنَابَةٍ وَيَهْدِيهِ ، إِذَا رُئِيَ بِالْدِينَارِ وَبُعْثَ إِلَيْهِ سِرًّا أزال
غضبه ، وسكنت حِدَّتُهُ . أسلمته ، تركته . أمرته : قومه . مسرته : فرجه .
أبدعته : أوجدته قبل أن يكون . فطارته : خلقته . التقى : الخوف . جلّت : عظمت .

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ مَا أَنشَدَهُ ، وَقَالَ : أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ،
وَسَجَّ خَالٌ إِذَا رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ
عَلَيْهِ ، فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ، ثُمَّ شَمَّرَ لِلانْتِثَاءِ ،
بَعْدَ تَوْفِيْقِهِ الثَّنَاءِ .

[قصة المثل : أنجز حرٌّ ما وعد]

قوله : «أنجز حرٌّ ما وعد» ، هذا مثل ، قاله الحارث آكل المرار - وهو جدُّ
أمرئ القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ؛ وذلك أن الحارث قال : يا صخر ، هل أدلك
على غنيمة على أن لي خمسها ؟ قال نعم ، فدلّه على قوم من العرب ، فأغار عليهم صخر
بقومه فظفروا وغنموا ، فحملهم صخر . على أن يعطوا الحارث الخمس ، فأبوا ؛ وكان
طريقهم على شجعات - وهى ثنية متضايقة - فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى
قعد على رأسها ، ومنعهم الجواز أو يعطوا الحارث الخمس ، فقال حمزة اليربوعي :
والله لا نعطيهِ من غنيمتنا شيئاً ؛ ومضى في الثنية ، فحمل عليه صخر فقتله . فلما
رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، ففى ذلك يقول نهشل بن حرّى بن منبج
ابن نهشل بن دارم :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا الْجَيْشَ أَنْ يَتَأَوَّبُوا عَلَى شَجَمَاتٍ وَالْجِيَادِ بَنَاتِ تَجْرِي
حَبْسَانَهُمْ حَتَّى أَقْرَتُوا لِحَكْمِنَا وَأَدَّى أَقْصَالَ الْجَيْشِ إِلَى صَخْرٍ

فمعنى «أنجز حرَّ ما وعد»^(١) أحضر وهياً. وقد نجز الشيء إذا حضر، ولفظه.
لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أراد لينجز حرَّ ما وعد.

سَحَّ : صَبَّ وأمطار . خَالَ : سحاب يَحْيَلُ لك أَنَّ المطر فيه . رَعَدَ : صَوَّتَ ؛
يقول لابن همام : إِنَّ السحاب إذا سمع الرعد سَحَّ بالمطر ، وأنت قد أسمعني ذكر
الدينار ، ووعدتني به ، فَأَنْجِزْ لِي وَعْدِي .

نَبَذْتُ : رَمَيْتُ . مَأْسُوفٌ : محزون . بَارِكْ : أَيْ ضَعِ الْبَرَكَةَ فِيهِ ، وَقَوْلُهُمْ :
تَبَارَكَ اللَّهُ ، أَيْ تَمَدَّسَ وَتَطَهَّرَ ، وَقِيلَ : هُوَ «تَفَاعَلَ» مِنَ الْبَرَكَةِ ، أَيْ الْبَرَكَةُ تَنَالُ .
بَذَكَرَ اسْمَكَ . الْإِثْنَاءُ : الرَّجُوعُ . تَوْفِيَةُ الْإِثْنَاءِ : كَمَالُ الشُّكْرِ وَالْمَدْحِ .

[مما قيل في وصف الدينار]

وتما قيل في وصف الدينار ومدحه :

وَمُقَسَّمِ الْوَجَنَاتِ يَبْرُقُ وَجْهُهُ بَادٍ عَلَى وَجَنَاتِهِ عِبَادُ
جِبِلِّ الْأَنَامِ عَلَى حَبَّةٍ حِينِهِ فَكَأَنَّهُ رَبٌّ وَهُمْ عِبَادُ
وفي مقامات البديع في وصفه .

يَا حَسْبَهَا فَاقِعَةٌ صَفَرَاءُ مَشْرُقَةٌ مَنُوشَةٌ قَوَارَاءُ^(٢)
يَكَادُ أَنْ يَقْطَرَ مِنْهَا الْمَاءُ قَدْ أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلَيَّاهُ
يَا ذَا الَّذِي بَغِيَّتُهُ النَّشَاءُ مَا يَنْقُضِي بِقُدْرِكَ الْإِطْرَاءُ

* امض عَلَى اللَّهِ لَكَ الْجَزَاءُ *

(١) جبهة الأمثال ١ : ٣٠ ، فصل المقال ٧٩ ، الفاخر ٦٩ .

(٢) مقامات البديع ٩٢ ، وفيها : « ممشوقة » بدل « مشرقة » ..

[فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه]

وإذا قد فرغت من شرح ألفاظه في إنجاز الوعد في المثل ، وما اتصل به ،
فلنذكر مذاهبهم في ذلك .

فأكثرهم على إنجاز الوعد ، وقد ذكر فيما هو مستقبل :

* ويع أجلاً منك بالعاجل *

وقال : وإذا خُيرَ بين دُرّةٍ منقودة ، ودُرّةٍ موعودة فَمِلْ إلى النقد .
وقال جرير :

إِنِّي لأَرْجُو مِنْكَ خَيْراً عاجلاً وَالنَّفْسُ مَوْلَةٌ بِحَبِّ الْعَاجِلِ^(١)
قال آخر :

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ وَلَكِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ عِنْدِي الْمَعْجَلُ
وقال آخر :

أَتَى زَائِراً مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَقَالَ لِي : أَجَلْتُكَ عَنْ تَعْذِيبِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والإنجاز مهلة ؛ ومنه أن منصور بن زياد
كَلَّمَ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي حَاجَةِ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ : عِدْهُ عَنِّي قَضَاءَهَا ، فَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ زِيَادٍ :
وَمَا يَدْعُوكَ إِلَى الْعِدَّةِ مَعَ الْقُدْرَةِ ! فَقَالَ : هَذَا قَوْلٌ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَوَاقِعَ الصَّنَائِعِ
مِنَ الْقُلُوبِ ، إِنْ الْحَاجَةُ إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمْهَا وَعَدَّ يُنْتَظَرُ بِهِ نَجَاحُهَا ، لَمْ تَتَحَدَّثِ النَّفْسُ
بِسُرُورِهَا ؛ إِنْ الْوَعْدُ مَطْعَمٌ وَالْإِنْجَازُ طَعَامٌ ، وَلَيْسَ مِنْ فَاجَأَةٍ طَعَامٌ كُنَّ وَجَدَ
رَأْتَمَتَهُ وَتَطْعَمَهُ ثُمَّ طَعِمَهُ ، فَدَعِ الْحَاجَةَ تَحْتَمِرُ بِالْوَعْدِ ، لِيَكُونَ لَهَا عِنْدَ الْمَصْطَفَعِ
حَسَنُ مَوْقِعٍ وَلَطَافُ مَحَلٍّ .

(١) ديوانه ٤٩٠ ، من قصيدة له في مدح عمر بن عبد العزيز .

(١٠ - شرح مقامات الحريري ١)

قال ابن السكيت لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروفاً حتى تعدني به ، فإنه لم يأتني منك سب على غير وعد إلا هان على قدره ، وقل مني شكره ، فقال له : لِمَ قلت ذلك ، وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولاني : إن أنجح المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعده لا يكدره مَطل .

ووعده المهدي^(١) عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيري [قول مضرّس الأسدي]^(٢) :

ولا تياسن من صالح أن تناله وإن كان قدماً بين أيدي تبادره
فقال : يُدفع لعبد الله جارية أخرى ، فقال الزبيري :
وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مَطل ومن طول كدّه
فقال له عيسى بن دأب : ما صنعت شيئاً ! هلاً قلت :
حلاوة النضل بوعده ينجز لا خير في العرف كنهب يُنهز
فقال المهدي :

الوعد أحسن ما يصكو ن إذا تقدّمه ضمان
وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل ، وجليله حقير .

وقال يحيى بن خالد : من لم يبت مسروراً بوعده ، لم يجد للصنعة مطعماً .
وفيه بقول أبو قابوس النصاراني :

رأيت يحيى أتمّ الله نعمته عليه يأتي الذي لم يأت أحد
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

(٢) من معجم الأدباء

(١) ط : د المهدي ، تحريف .
(٣) المعجم في معجم الأدباء ١٦ : ١٥٤

وقال الخارثي :

وما رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ منمنمةٌ زهراء ذات ثرى صَعْدِ
يُأَحْسِنَ مِنْ حُرٍّ تَضَعْنَ حَاجَةً لحرٍّ ، فأوفى بالنَّجَاحِ مع الوعدِ

وقال ابن رشيقي :

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مِثْنَةً لو لم تؤخِّرْ لم تكن كَامِلَةً (١)
وكيف لا يحسنُ تأخيرها بعد يقيني أنها حَاصِلَةٌ !
وَجَنَّةُ الْفَرْدُوسِ يَدْعِي بِهَا آجِلَةٌ لِلْمَرْءِ ، لا عاجِلُهُ

وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء: وعدتني بأمر فلم تنجزه ! فقال أبو عمرو :
من أولي منّا بالعتب ؟ أنا وإلا أنت ! قال : أنا ؛ قال أبو عمرو : لا والله بل
أنا ، قال : وكيف ؟ قال : لأنني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد ، فبِتَ لَيْلَتُكَ
جذلاً مَسْرُوراً وبِتَ أنا بهم الإنجاز ، فبِتَ لَيْلَتِي منكرًا مغموماً بما عاق الدهر
من بلوغ الإرادة فيه ، فليقيني مدلاً ولقيتك مستحيياً .

واعتذر بعضُ الرؤساء لأبي عليّ البصريّ من تأخر وعد ، قال : في شكر
ما تقدّم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه .

فَنَشَأْتُ لِي مِنْ فُكَاہَتِهِ نَشْوَةٌ غَرَامٍ ، سَهَّلْتُ عَلَى اتِّنَافِ
اغْتِرَامِ ، فَجَرَّدْتُ دِينَارًا آخَرَ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَذُمَّهُ ، ثُمَّ
تَضُمَّهُ ؟ فَأَنْشَدَ مَرْتَجِلًا ، وَشَدَّ عَجَلًا :

قوله : «فَشَاتُ» ، أى ظهرت وبدت . فكاهة : مزاح . نشوة غرام : سكرة شوق ، والغرام : الحب المذنب للقلب . اتقناف : استقبال . اغترام : غرم . ثم ذكر أن يذمه ثم يثمه ، وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله :

إِنَّ الْمَوْثُونَ وَالْحَسَابَ كَلَاهُمَا قَرْنَا بِهَذَا الدَّرْهَمِ لِلذَّمِّ مَوْثُومَ
كَلَّفِ الْإِنَامَ بِذَمِّهِ وَبِثْمِهِ فَتَعَجَّبُوا لِلذَّمِّ مِثْمُومَ

وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم :

أَلَا رَبُّ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ أَحْرَفِ اسْمِهِ نَوَاهٍ لَنَا عَنْهُ وَزَجَرٌ وَإِنذَارُ
فُتِنًا بِدِينَارٍ وَهَمَنًا بِدَرْهَمٍ وَآخِرُ ذَاثِهِمْ ، وَآخِرُ ذَا نَارُ

وقال ابن رشيق :

صَحَّفْتُ دَالِينَ مِنْ دِينِهِ أَرِ يُلُوحُ وَدَرْهَمُ
تَقَالِ لِي ذَلِكَ «ذَى» نَارُ» وَذَا قَالِ : «دَرْهَمُ»

وابن رشيق وابن شرف أديبا القديروان ، يجمعهما البلد والزمان ، وكانت امرأة يتصاحبان ، ومرة يتباغضان .

وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم :

صَدِيقُ الْمَرْءِ كَالدِّينَارِ طَبِيعًا وَكَيْفَ يَفَارِقُ الْمَرْءَ الطَّبَاعَا !
تَرَاهُ إِذَا أَقَامَ يَقِيمُ جَاهًا وَإِنْ فَارَقَتْهُ أُجْدَى اتِّنَاعَا
أَخْذُهُ مِنْ قَوْلِ كُشَاجِمِ :

وَمُرِيدٍ مَنْ أَبَاهُ وَمُهِنٍ مِنْ أَجَلِهِ^(١)
فَهُوَ كَالدِّينَارِ لَا يُبَكِّ حَرَمٌ إِلَّا مِنْ أَذَلِهِ

وقال آخر :

«النارُ آخر دينارٍ نطقتَ به والهمَّ آخر هذا الدرهم الجارى
والمرء ما لم يفد من غيره ورعاً مقسم القلب بين الهمِّ والنارِ

قوله : «مرتجلاً» ، أى من غير تفكير . شدا : ابتدأ الفناء وطرب بنشيد .

* * *

تَبَا لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَازِقٍ أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَأَلْمَانِقِ
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ زِينَةَ مَمَشُوقٍ وَلَوْنِ قَاشِقِ
يُوجِبُهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ يَدْعُو إِلَى أَرْتِكَابِ سُخْطِ الْخَالِقِ
لَوْلَا هُ لَمْ تُنْقَطِعْ عَيْنُ سَارِقِ وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقِ
وَلَا اشْمَأَزَّ بِاخِلٍّ مِنْ طَارِقِ وَلَا شَكَا الْمَطُولَ مَطْلَ الْعَائِقِ
وَلَا اسْتَعْيَذَ مِنْ حَسُودٍ رَاشِقِ وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلَائِقِ
أَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَائِقِ إِلَّا إِذَا فَرَّ قِرَارَ الْآبِقِ
وَاهَا لَمَنْ يَشْقِذُهُ مِنْ حَالِقِ وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجْوَى الْوَامِقِ
قَالَ لَهُ قَوْلَ الْحَقِّ الصَّادِقِ : لَا رَأَى فِي وَصْلِكَ لِي فَقَارِقِ

° ° °

تَبَا : أى خسرأ . مُمَازِق : لا يصفو وده لصاحبه ، وقد مذقَّ وده ، إذا لم يخلصه ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والمذيق : المخلوط . أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ ، قال

أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شر الناس ذو الوجهين، يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

ووقع هذا في نثر البديع، قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى^(١): أظعنًا تريد؟ قلت: إى والله، قال: أخصب رائدك، ولاضل قائدك، ففتى عزمت؟ قلت: غداة غد، فقال:

صباحُ الله لا صبحُ انطلاقٍ وطيرُ الوصل لا طيرُ انقراقٍ
وقال السَّعد لا يمدوك دأبًا يصاحبكم إلى يومِ التَّلَاقِ^(٢)

فأين تريد؟ قلت: الوطن، قال: بُلغت الوطن، وقضيت الوطر، ففتى. المود؟ قلت: القابل، فقال: طويت الرِّيط^(٣)، وثنيت الخيط، فأين أنت من الكرم؟ قلت: بحيث أردت، فقال: إذا رجعت الله سالماً من هذا الطريق؛ فاستصحب لى عدوًا في ثياب صديق، من نِجار الضُّفَر، يدعو إلى الكفر، ويرقص على الظُّفَر، كدارة العين، يحطّ ثَقَل الدِّين، ويتافق بوجهين. فعلت. أنه يلتمس ديناراً، فقلت: ذلك لك قدأً، ومثله وعدأً، فأنشأ يقول:

رأيتُك ممّا خطبتُ أَعْلَى لا زلتَ للمكرُمات أهلاً
صَلَبْتَ عوداً، ودمت فرداً^(٤) وطبت فرعاً وطبت أصلاً
يا واحدَ الدهر والمعالى لا لقيَ الدهر منك تُكْلاً

قوله: «عدوًا في ثياب صديق» من قول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عن عدوٍ في ثياب صديق^(٥)

قوله: «الرامق» أى الناظر، ورمقت الشئ، رمقاً أتبعته النظر إليه. وزينة:

(١) عيسى بن هشام صاحب البديع المصنّفى فى المقامات ص ٢٢، ٢٣.

(٢) هذا البيت ساقط من المقامات. (٣) الرِّيط: جمع رِيطَة، ومى الملاة.

(٤) المقامات: «جوداً»

(٥) ديوانه ١٩٢.

المشوق التي في الدينار : نشته وتزيينه ، ولون العاشق : صفته ، فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينة فيهبواه ، فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ، ويدلّ على ذلك صفته الظاهرة عليه . وقال ابن ظفر : زينة المشوق غرور مدعاة إلى التهور في الغرام ، ولون العاشق وهو الأصفر دليل على ما أسر من شاغل الكاف ، فالعاقل ينظر من الدينار مثل زينة المشوق مجردة عن عاقبتها ، فيصيده الهوى ، والعاقل ينظر منه إلى لون العاشق ، فيستدلّ على باطن الجوى . ذوى الخقائق ، يعنى أهل الرشد والعلم ، والذين ينظرون إلى ما في الدنيا بعين الحقيقة .

ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق ، فيستوجب قطع يده ، أو بعض أعضائه ، واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب . ومن مآخ السرقه أن الجاحظ حكى أن رجلا كان أحدهما أيمن ، والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقة ، فقطعت أيمنهما ، فكان الأعسر يعمل يساره أعماله كلها ، والأيمن لا يستطيع أن يعمل يساره شيئاً ، ففخر الأعسر عليه بذلك ، فقال له الأيمن : ما علمت أن للأعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه .

الفاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المصيبة أو عن الإيمان إلى الكفر ، أخذ من نسقت الرطوبة ، إذا خرجت من قشرها . وقال قوم : الفاسق الجائر ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١) ، أى جار ، عنه قال رؤبة :

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرٍ غَاثِرَا فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَازِرَا^(٢)

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) الفائق ، الأسان - فسق

اشمأز : اقبض . باخل : شحيح ، وبخيل أكثر من باخل . طارق : قاصد
 بليل . المطل : تأخير الحق الواجب ، وأصله من مَطل التين الحديد في النار، إذا
 مدّه وطوّله . العائق : الحابس ، وقد عاقه عن الشيء إذا حبسه . راشق : عائن،
 وأصله الراعى ، فجعله للذى يصيب الناس بعينه . واستميد : قرى عليه للموذنات،
 وهما: «قل أعوذ برب الفلق»، و«قل أعوذ برب الناس». الخلائق: الطبايع، واحداها
 خليفة . الآبق : الهارب ، وأبق العبد يَأْبِقُ إِبَاقًا : زال عن مولاه . وفى معنى
 فراق الدينار قول الأخطل :

ومعشوق يرقص كلّ يوم ترى فى وجهه أبداً كلاماً^(١)
 إذا فارقتَه أجداً خيراً ولا يجدى عليك إذا أقلاماً
 وهذا من قول الحسن البصرى ، وقد رأى رجلاً يقلب درهماً ، فقال له :
 أتعجب درهمك هذا ؟ قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يدك .
 واهاً : تعجب ، معناه ما أعجب من بقذه . حلق : جبل أملت مُنيف .
 ناجاه : حدثه سرّاً . الوامق : الحب ، وقد ومق يَمِيق مِمَّةً . الحق : القائل الحق .

فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَغْزَرَ وَبَلَكَ ! فَقَالَ : وَالشَّرْطُ أَمْلَكَ ،
 فَفَتَحْتُهُ بِالذِّينَارِ الثَّانِي ، وَقُلْتُ لَهُ : عَوِذُهَا بِالسَّانِي ، فَأَلْقَاهُ
 فِي فَمِهِ ، وَقَرَنَهُ بِتَوْنِهِ ، وَأَنْكَفَأَ بِحَمْدِ مَفْدَاهُ ، وَبَعْدَحُ
 النَّادَى وَنَدَاهُ .

° ° °

قوله : «ما أغزر وبلك» ، أى ما أكثر بلاغتك . وأملك : أئزم وأحق ،
 يريد أن شرطك الذى شرطت من إعطائى ديناراً آخر إن ذمته ، قد لزمك

(١) لم أجدها فى ديوانه .

بذئى له. والشرط أملاك مثل^(١)، وأول من قاله الأففى الجرهمى، وكان حكيمًا للعرب، فتحاكم إليه خصمان، فاشترط أحدهما وأراد ألا يلتزمه، فقال الأنمى: «الشرط أملاك، وتقديره الشرط أملاك لأمرك منك».

نفخته: رميته. عوذها: رقاها. والثانى: أم القرآن، سميت بذلك لأنها تنشى فى الصلاة، واختصها لأنه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار، فكانه قال: اقرأ الحمد لله رب العالمين، شكرًا لله عليهما وتعويناً لهما.

وهذا كما قال ابن رشيق فى غلام جميل:

معتدل القامة والقُدَّ موزد الوجنة والخذَّ

لو وضع الوردُ على خدّه ما عرف الخدَّ من الوردِ

قل للذى يعجب من حُسْنِهِ اقرأ عليه سورة الحمدِ

وله فى مثله:

شكوت بالحَبِّ إلى ظالمى فقال لى مستهزئاً: ما هو!

قلت: غرام ثابت، قال لى: اقرأ عليه «قل هو الله»

وقال أبو عبيد: الثانى فى كتاب الله ثلاثة أشياء: القرآن، سماء الله الثانى فى قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي﴾، وسمى القامحة «مثنى» فى قوله: ﴿سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي﴾ وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم: «إن المثنى من السور ما دون المئين»، كأنها جعلت مبادئ والى تليها مثنى.

قوله: «بتوممه»، أى بأخيه، يعنى الدينار الأول. انكفا: انقلب وولى، معناه بكوره وسيره فى العدو. النادى ونداء: المجلس وكرم أهله.

(١) الليدانى ١: ٣٦٧.

[فصل في مدح الشيء وذمه]

و نريد أن نأتى بفصل في مدح الشيء وذمه على أحكم ما مدح الحريري.
الدينار وذمه ، ونبين مذهب العرب وأهل الأدب في ذلك ، فقد ألف ابن رشيق
فيه كتاباً جابت في هذا الكتاب عيونهم .

قال أبو عثمان الجاحظ: العربي يعاف الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتلي به فخر
به ، ولكنه لا ينخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره ، فإن الناس
يفلطون على العرب ، ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به ، وهذا
باطل ؛ ليس شيء إلا وله وجهان ، فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا
ذموا ذكروا أقبح الوجهين .

قال ابن رشيق : وأكثر ما تجرى هذه المادح والمذم على جهة المناقعة ،
لا على جهة المناصفة ، ومن باب المساحة لا من باب الشاحنة ، وإلا فالشيء
لا يوافق ضده ، فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة ، والمدح ذماً لمعنى واحد ،
لكن لكل شيء - كما ذكر الجاحظ - مساوى ومحاسن ؛ كما فعل عمرو بن الأهتم
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد الزبرقان بن بدر على
ما ادّعاء من الشرف في قومه ، قال عمرو : أجل يا رسول الله ، إنه مانعٌ حوزته ،
مطاع في أُنديته ، شديد العارضة . فقال الزبرقان : أما والله لقد علم أكثر مما
قال ؛ ولكن حسدنى شرفى ، فقال عمرو : أما وقد قال ما قال ، فوالله ما علمته
إلا ضيق الطعن زمر المروءة^(١) ، لثيم الخال ، حديث الغنى . فرأى الكراهة
في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم إناختلف قوله ، فقال : يا رسول
الله ، رضيتُ فقلت أحسن ما علمت ، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمت ؛ وما كذبت
في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان
لسجراً ، وإن من الشعر لحكمة^(٢) .

وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه إلى عبيد الله بن زياد - وقد ولّاه
مহারبة الحسين بن علي رضي الله عنهما - وكان قبل ذلك يسىء الرأي فيه : أما

^(١) زمر المروءة: قلاها ، ولط: «زمن» تحريف . ^(٢) جبهة الأمثال ١ : ١٣ ..

بعد ، فإن المسبوب يوماً مدوح ، وإن المدوح يوماً مسبوب .
ويروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئاً قط ، فمرة يوماً بكلب ميت ،
فقال أصحابه : ما أنتن ريحه ! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن
بياض أسنانه !

وقالت للحضين بن منذر امرأة : كيف سدت وأنت دميم بخيل ! فقال :
لأني شديد الرأي ، شديد الإقدام .

وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطمع في الخلافة وأنت
بخيل ، وأنت جبان ! فقال : لأني حليم ، وأنا غفيف ؛ فسلم لعائنه ما ادعاه من
من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم يَنَازَع فيه .

صعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير للوليد بن
عبد الملك بن مروان ، فأتى على الحجاج خيراً ، فلما كانت الجمعة الثانية وقد
مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه ، وإظهار
البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر
من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلاً ، وكان الله قد
علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتة ابتلاه بالشجود
لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه منهم ، فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة
أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله
وغشه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد فضيحتة أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين .
فانعنوه لعنه الله . ثم نزل .

ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي
يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصاح هذا النهر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان :
أجل والله أيتها الأمير ؛ يتعلم القوم فيه صبيانهم ، ويكون لسقايتهم ولسيل مياههم ،
ويأتيهم بميرتهم ؛ ثم عاد ابن عامر فسأله زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضرب هذا

التبر لأهل هذا المصر ! فقال : أجل والله أيها الأمير ، تبرز منه دورهم ، ويفرق فيه صبيانهم ، ويكثر لأجله بعوضهم .

ومدح الجاحظ القروض ، فقال : هو ميزان الشعر ومعياره ، به يعرف الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعليه مدار القريض والشعر ، وبه يسلم من الآود والكسر . ثم ذمه فقال : هو علم مولد ، وأدب مستبرد ، ومذهب مرفوض ، تستنكره العقول ، مستغفلان فعول ، من غيره فائدة ولا محصول .

وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده ، ثم يقول : أما النفس فتسحق ، وأما الهم فتطردن ، أفتراك متى تفلتين ! ثم يشربها .

وشكا أبو العنياه حاله إلى عبد الله بن سليمان ، فقال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر ! قال : كتبت إلى رجل قد حصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخففت في طلبتي . قال : أنت اخترته ، قال : وما علي أعز الله الأمير في ذلك ! قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً وما كان منهم رشيد ، واختار رسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتداً ، واختار على رضي الله عنه أبا موسى حاكماً ، فحكم عليه .

قال الحارث بن همام : فأنابني قلبي بأنه أبو زيد ، وأن تعارجه ليكيد . فاستمدته وقلت له : قد عرفت بوشيك ، فاستقم في مشيك . فقال : إن كنت ابن همام ، فحييت يا كرام ، وحييت بين كرام . فقلت : أنا الحارث ، فكيف حالك . والحوادث ؟ فقال : أتقلب في الحائنين : بؤس ورخاء ، وأتقلب مع الرجبين : زعزع ورخاء . فقلت : كيف ادعيت القزل ، وما مثلك من هزل ! فاستمر بشره الذي كان تجلي ، ثم أنشد حين ولى :

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ وَلَكِنْ لَا قَرَعَ بَابَ الْقَرَجِ
وَأَلْقَى حَبْلِي عَلَى غَارِبِي وَأَسْلُكَ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ
فَإِنْ لَا مَنَى الْقَوْمُ قُلْتُ اعْذِرُوا فَلَيْسَ عَلَى أُعْرَجٍ مِنْ حَرَجِ

• • •

قوله: «ناستعدته»، أى قلت له أعد علىّ. عرفت بوشيك، أى عرفت بحسن كلامك وتزنيته. استقم: استمّدت وأزّل عوجك. حَيَّيت: طال بقاؤك، والتحية البقاء: حَيَّيت: عشت. والحوادث: ما يحدث من الخير والشر. بؤس: شدة العيش. رخاء: لينه وسعته. زعزع: ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. والزعزعة: تحريك الشيء إذا أردت قلعه. رخاء: ريح ليّنة سريعة، من الإرخاء في السير، وهو عدوّ فوق التقريب، وناقّة مِرْخَاء: سريعة. القزّال: أسوأ العرج، وقد قزّل قزلاً.

وهزل هزلاً: ترك الجِدّة في قول أو فعل، يقول: كيف تحملت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع في هذه التقيصة! فهو يهزأ به، فنضب عند ذلك. استسرّ: بشره: زال عنه سماحه وطلاقة وجهه. تجلّى: ظهر. ولّى: ذهب.

قوله: «أقرع»، أى أضرب. الفرج: كشف الهم. ألقى حبل على غاربي: أى أسرح وأمشى حيث أحببت، والعرب تطلق هذا اللفظ، فتقول للمرأة: حبلك على غاربك، أى أنت مسيبة فتوجّهى حيث شئت لا مانع لك ولا حابس، والغارب: ما انحدر من السنام، والحبل هو الذى يُعقل به البعير، فإذا سرّحوه حلّوا عقاله وألقوه على غاربه، قال ابن الأنباري: أصله أن يلقى على حبل الناقة على غاربيها فتفرع، ولا ترعى إذا لم تره على الأرض.

أسلك مسلك، أى أدخل مدخل، والمسلك: الطريق. مَرَج: خاط الجِدّة بالهزل. حرج: إثم والله تعالى أعلم

المفاهيم الرابعة وهى الدمياطية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : ظَعَنْتُ إِلَى دِمِيَاطَ ، حَامَ هِيَاطٍ
وَمِيَاطٍ ؛ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرَّخَاءِ . مَوْمُوقُ الْإِخَاءِ ، أَسْحَبُ
مَطَارِفَ الثَّرَاءِ ، وَأَجْتَلِي مَعَارِفَ السَّرَاءِ . قَرَأَقْتُ صَحْبًا قَدْ شَقُوا
عَصَا الشَّقَاقِ ، وَارْتَضَعُوا أَفَاقِيَقَ الْوِفَاقِ ؛ حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنَانِ
الْمُشْطِ فِي الْإِسْتَوَاءِ ، وَكَالْنَفْسِ الْوَاحِدَةِ فِي النَّثَامِ الْإِهْوَاءِ . وَكُنَّا مَعَ
ذَلِكَ نَسِيرُ النِّجَاءِ ، وَلَا نَرَحُلُ إِلَّا كُلَّ هَوِجَاءِ ، وَإِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا ،
أَوْ وَرَدْنَا مَنْهَلًا ، اخْتَلَسْنَا اللَّبَثَ ، وَلَمْ نُطَلِ الْمَكْتَ . فَقَنَّ لَنَا
إِعْمَالُ الرُّكَّابِ ، فِي آيَلَةِ فِتْيَةِ الشَّبَابِ ، غُدَاقِيَةِ الْإِهَابِ . فَأَمَرْنَا
إِلَى أَنْ تَضَا اللَّيْلُ شَبَابُهُ ، وَسَلَّتِ الصُّبْحُ خِضَابُهُ .

قوله : « ظعنت » ، أى رحلت ، والظعن ضد الإقامة .

دمياط : بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخًا ، وهى على ساحل البحر المالح ،
وإلى دمياط ينتهى ماء النيل ، فيفترق منها فيخرج بعضه إلى بحيرة تَنَيسَ ،
وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ، ويخرج بعضه إلى البحر ، وبها
تعمل الشروب ، وقد ذكرنا ذلك عند تَنَيسَ .

قوله : « هياط » : صياح ، وتهياط التوم : اجتمعوا ودبروا أمرهم . مياط :
دفاع ، أى كان عام هَرَجٍ وَخِلَافٍ . مرموق : منظور إليه . الرخاء : سعة المال .
موموق : محبوب . أسحب : أجرح . مطارف : ثياب لها أعلام فى أطرافها .

أَجْتَلَى : أُنْظِر . مَعَارِف : وُجُوه . السَّرَّاء : الْفَنَى وَالسَّرُور . رَأَقَتْ : صَحَبَتْ فِي السَّفَر . وَالصَّحْبُ : الْأَصْحَاب . الشَّقَاق : الْخِلَاف ، وَمَعْنَى شَقُّوا عَصَاهُ ، أَزَالُوهُ وَطَرَحُوهُ ، وَالْعَرَبُ تَقُول : شَقَّ فُلَانُ الْعَصَا ، إِذَا تَرَكَ الطَّاعَةَ وَخَرَجَ مَبَايِنًا ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْعَصَا تُضْرَبُ مِثْلًا لِلْاجْتِمَاعِ ، وَانْشَقَّاقُهَا يُضْرَبُ مِثْلًا لِلْافْتِرَاقِ الَّذِي لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهُ . أَفَاقِيْق : جَمْعُ أَفَوَاقٍ ، وَأَفَوَاقٍ جَمْعُ فَوَاقٍ ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْحُلْبَتَيْنِ . وَالْوِفَاقُ : تَرَكَ الْخِلَافَ ، وَقَدْ وَاقَفْتَهُ مَوَاقِفَةً وَوِفَاقًا .

قوله : « لا حوا » أي ظهروا . والعرب تضرب المثل بأسنان المُشْط ، وهو يقع على كل استواء في أي حال كان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس كأسنان المُشْط ، وإِذَا تَمَاضَوْا بِالْعَافِيَةِ » ، فَإِنْ أَرَادُوا الْإِسْتِوَاءَ فِي الشَّرِّ قَالُوا : سَوَاسِيَةَ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ ، وَقَالَ كَثِيرٌ يَهْجُو بَنِي ضَمْرَةَ :

فَسَائِلُ بَقُومِي كُلِّ أَجْرَدٍ سَابِحٍ وَسَلَّ غَنَامِي بَضْرَةً أَوْ سَخْلًا^(١)
سَوَاءَ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى لَدَى كَثِيرَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا

الثَّام : اجْتِمَاعٌ وَاتِّفَاقٌ . الْأَهْوَاءُ : جَمْعُ هَوًى ، وَهُوَ مَا تَحْبُّهُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، فَأَرَادَ أَنْ أَغْرَضَهُمْ مَتْنَفَقَةً . النَّجَاءُ : السَّيْرُ السَّرِيعُ . نَرَحَلَ : نَشَدَّ عَلَيْهَا الرَّحْلَ وَنَشَخَصَ بِهَا . هَوَجَاءُ : نَاقَةٌ سَرِيعَةٌ ، كَأَنَّ بِهَا هَوَجًا وَهُوَ الْحَقُّ ، لِسُرْعَةِ مَشْيِهَا . وَرَدْنَا مِنْهَا : أَتَيْنَا مَاءً نَنْزِلُ عَلَيْهِ ، وَالنَّهْلُ : الْمَشْرَبُ الْأَوَّلُ ، وَالْعَالُ الثَّانِي ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِبِلَ تَرُدُّ الْمَاءَ فَتَشْرَبُ مِنْهُ ، ثُمَّ تَخْرُجُ تَرعى سَاعَةً وَتَسْتَرعى ، وَتَسْمَى تِلْكَ الْإِسْتِرَاحَةُ فِي الرَّعى التَّمَرُّثُ ، ثُمَّ تَرُدُّ مَرَّةً أُخْرَى فَتَشْرَبُ الْمَاءَ ، فَالْمَشْرَبُ الْأَوَّلُ نَهْلٌ ، وَالثَّانِي عَالٌ . وَالنَّهْلُ : مَوْضِعُ النَّهْلِ . وَالْوَرُودُ : قَصْدُ الْمَاءِ .

اِخْتَلَسْنَا : اسْتَرْقَنَّا . اللَّبَثُ : الْإِقَامَةُ . وَمِثْلُهُ الْمَكْثُ ، أَيْ لَا يَسْتَقِرُّونَ بِمَوْضِعٍ يَنْزِلُونَ فِيهِ إِلَّا قَلِيلًا . وَالرَّكَابُ : الْإِبِلُ ؛ وَإِعْمَالُهَا : اسْتِمَالُهَا . فَعَيَّةُ الشَّبَابِ : حَصِيرَةُ السِّنِّ ، وَأَرَادَ أَنَّهَا طَوِيلَةُ سُودَاءِ لَا قَرَّ فِيهَا ، لِأَنَّ شَعْرَ الشَّبَابِ أَسْوَدَ ،

(١) ديوانه ٢ : ١٩ ، عن الفريسي : وَ «رُبِّي» لَفَةٌ لِي : «رُبِّي» .

ويريد أنها أول الشهر ، فهي كانتية ، والليلة أول الشهر سوداء . غداً : منسوبة إلى الغداف ، وهو الغراب لسواده ، والإهاب : الجلد ، وأراد لونها . أسرينا : مشينا بالليل ، ويقال : سرى وأسرى . نَصَا الليل شبابه ، أى أزال ظلامه ، ونصا ثوبه : جَرَدَه عنه ، ومثله : سَلَت خضابه ، وأراد أن الصبح بيض . الظلام بضوئه ، وسَلَت الشيء سَلْتًا ؛ أزاله عما علق به ، والمرأة خضابها كذلك . وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة .

[مما قيل فى سواد الليل]

وينظر فى سراه مع صحبه فى سواد الليل إلى قول ابن شهاب :
 وَفُتُوْا أَسْرَوْا وَقَدْ عَكَفَ اللَّيْلُ وَأَقْمَى مُقْدَوْدِفَ الْأَطْنَابِ ..
 وَكَأَنَّ النُّجُومَ لَمَّا هَدَّتْهُمْ أَشْرَقَتْ كَالْعَيُونِ مِنْ أَهْدَابِ
 يَتَفَرَّقُونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاةٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ مِنْ رِكَابِ
 عَنْ ذِكْرِى لِدَحْمِهِمْ فَتَنَّاوَا مِنْ حَدِيثِى فِي عَرْضِ أَمْرِ حِجَابِ
 هَمَّةٌ فِي السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذِيلاً مِنْ ذِيُولِ الْعُلَا وَجَدَ الرَّكَّابِ
 ومما جاء فى سُرَى الليل قول عبد الصمد بن العذل ، وهو من حسن الاستعارة :

أَقُولُ وَجُنْحُ الدُّجَى مُلْبِدٌ وَلَّيْلٌ فِي كُلِّ نَجٍّ يَدُ^(١)
 وَنَحْنُ ضَجِيعَانِ فِي مَسْجِدٍ فَاللهُ مَا ضَمِنَ الْمَسْجِدُ !
 فَيَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ لَا تَبْعُدِي^(٢) كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَبْعُدُ^(٣)
 وَيَا غَدَ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِئًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لِيَاثِي يَا غَدُ

(١) ديوان الماتى ٤٣ . ونسبها إلى ابن أبي فتن .

(٢) ديوان الماتى : « لا تبتدى » (٣) ديوان الماتى : « لا تبتدى » .

وقال ابن المعتز :

يارب ليل حالك الجلباب ملتحف خافيتي غراب

وما أحسن قول ابن شهيد في وصف الليل :

وبتنا تراعى الليل لم نطو برده ولم يحن شيب الصبح من فرعه وخظا
تراه كملك الزنج من فرط كبره إذا رام شيئاً في تأخره أبطأ
مطلا على الآفاق والبدر تاجه وقد علّق الجوزاء في أذنه قرطاً

وقال حبيب :

إليك هتكنا جُنَحَ ليلٍ كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإمد^(١)

وقال ذو الرمة :

ودوبة مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليل الحصى بسواد^(٢)

وقال أيضاً :

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص في العين واحد^(٣)
أحم غدافي ، وأبيض صارم وأعيس مهري ، وأروغ ماجد^(٤)

(١) ديوانه ١٠٣

(٢) ديوانه ١٣٩ ، واعتسفتها : سرت فيها على غير هداية .

(٣) ديوانه ١٢٩ ، وروايته : دليل كأتاء الرويزي جبهه ، . والرويزي : طيلسانه
شب الليل في سواده به . وجبهه : قطعه .

(٤) هذا البيت تفسير للأربعة في البيت السابق : أحم : أسود ، ومثله غدافي . وفي
الديوان : « علاقي » ، منسوب إلى علاف ، حي من العرب يعملون الرحال . والأبيض : سيف
صارم قاطع ، والأعيس : الأبيض ، يعنى بعبده . وأخضت ، يعنى نفسه . والمهري من الإبل :
منسوب إلى مهرة ، حي من عرب اليمن .

(١١ شرح مقامات الحريري ١)

وقال البحرى :

يا خليلي بالهواجر من مَن من بن عوفٍ وبحتر بن عتود^(١)
اطلبنا ثالثا سواي ، فإنني رابعُ العيس والدجى والبيد

وقال السلمي :

إليك طوى عرض البسيطة عاجلاً قطارُ المطايا أن يلوح لها القصر^(٢)
و كنت وعزى في الظلام وصارى ثلاثة أشباح كما اجتمع النسرُ
وبشرت آمالي بملك هو الورى ، وداري هي الدنيا ، ويوم هو الدهرُ

فالبيت الأول والثاني نحو بيت البحرى ، والبيت الثالث نحو بيت ذى الرمة
في التقسيم ، وبمثل هذا الكلام يمتدح الملوك وإلا فلا . ولما مدح عضد الدولة
بلغه به من المكانة الغاية القصوى ، وفن شعره ، حتى كان يقول : إذا رأيتُ
السلمي في مجلسي ، ظننت أن عطارداً نزل من السماء . وسنذكر من شعره
ما يحسن .

فحين مللنا الشرى ، وملنا إلى الكرى ، صادفنا أرضاً
مُخضلة الرثباً ، مُتعللة الصباً ، فتخيرناها مُناخاً للعيس ، ومَحطاً
للتغريس ، فلما حلتها الخليطُ ، وهدأ بها الأطيطُ والأعطيطُ ، سممتُ
صبتاً من الرجال ، يقولُ لسميره في الرّحال : كيف حُكمُ سِيرَتِكَ ،
معَ جِيلِكَ وجيرَتِكَ ؟

° ° °

(١) ديوانه ٦٣٣ ، وفيه « ياندعى بالسواجير من ودين من » والسواجير : نهر من أعمال
منج بوريا

(٢) بشيرة الدهر ٢ : ٣٧٠

قوله: «السرى»، أى السير بالليل . الكرى: النوم . مخضلة: مبتلة بالندى .
 الرُّبَا: الكدوى ، واحدها ربوة . معتلة الصُّبا ، أى لينة الصبح . مناخاً: منزلاً .
 العيس: الإبل يخالط بياضها حمرة . محطاً: منزلاً تحطُّ به الأحمال . التعريس :
 النزول بالليل فى آخره ، وهذا التخيُّر الذى ذكر لهذه الأرض ، منتزَع من حديث
 ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كانت
 أرض مخصبة فتتصدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها ، فإن الله رفيق يحب الرفق ،
 وإذا كانت مجدبة فأنحوا عليها ، وعليكم بالدجلة ، فإن الأرض تطوى بالليل ،
 وإياكم والتعريس على ظهر الطريق ، فإنه مأوى الحيات ومدارج السباع .
 الخليط : الأصحاب . هَداً : سكن . الأطيط : أصوات الإبل ، والغطيط :
 أصوات الناس التَّيَام . صَيَّتا : جهر الصوت . سميره : رفيقه الذى يسمرُ معه
 بالحديث . الرِّحال : منازل المسافرين ، سَمَّيت رحالاً باسم الرِّحال التى توضع فيها ،
 والرَّحْل : اسم لما يجعله البعير من حملة وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل . سيرتك :
 عادتك . جيلك : أهل عصرك . جيرتك : جيرانك .

* * *

فقال : أرعى الجَّارَ ، وَلَوْ جَارَ ، وَأَبْذُلُ الوِصَالَ ، لِمَنْ صَالَ ،
 وَأَحْتَمِلُ الخَلِيطَ ، وَلَوْ أَبْدَى التَّخْلِيطَ ، وَأَوْدُ الحَلِيمِ ، وَلَوْ جَرَعَنِي
 الحَلِيمُ ، وَأَفْضَلُ الشَّقِيقِ ، عَلَى الشَّقِيقِ ، وَأَفِي لِلْمَشِيرِ ، وَإِنْ لَمْ
 يَكْفِ بِالْمَشِيرِ ، وَأَسْتَقِيلُ الْجَزِيلَ ، لِلنَّزِيلِ ، وَأَغْمُرُ الزَّمِيلَ ، بِالْجَمِيلِ .
 أَنْزِلْ سَمِيرِي ، مَنْزِلَةَ أَمِيرِي ، وَأَحِلْ أُنَيْسِي ، مَحَلَّ رَثْبِي ، وَأُودِعْ
 مَمَارِفِي ، عَوَارِفِي ، وَأُولِي مُرَافِقِي ، مَرَاْفِقِي ، وَأَلْبِنُ مَقَالِي ، لِلْقَالِي ،
 وَأَدِيمُ نَسَالِي ، عَنِ السَّالِي ، وَأَرْضَى مِنَ الْوَفَاءِ ، بِاللَّفَاءِ ، وَأَقْنَعُ

(١) الكدوى : جمع كدبة ؛ ومى الأرض العايطة .

مِنَ الْجَزَاءِ ، بِأَقَلِّ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَتَطَلَّمُ ، حِينَ أَظْلَمُ ، وَلَا أَتَقَمُّ ،
وَلَوْ لَدَغْنِي الْأَرْقَمُ .

• • •

قوله : « أرعى » ، أى أحفظ . جار : تعدى ومال عن الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أبذل : أعطى . صال : صاح مخوفاً . الخليط : الصاحب ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد ، وسمى بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين . الحميم الأول : الصديق المخلص ، والثاني الماء الحار . الشقيق : الحبيب . الشقيق : الأخ من الأب ، كأنه شق معك . ظهر أهلك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك . أفى للعشير : أعامل الصاحب بالوفاء . يكافى بالعشير : يجازى بالعشر من فعلى ، والمكافأة المواساة . أستقل ، أراد قليلاً . الجزيل : الكثير . النزيل : الضيف ، والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره . أغمر : أعطى . الزميل : الرديف . الجميل : الأعمال الجميلة . أميرى : الحاكم على . الأنيس : الذى يؤنس بحديثه ، وقلان رئيس قومه : أفضاهم وأعزهم . أودع : أعطى ودبعة . معارفى : من يعرفنى . عورافى : هباتى ؛ واحدها عارفة ، وهى اليد من النعمة . أولى مرافقى : أعطى مصاحبى فى السفر ، ومنه الرقة لاتفاق بعضهم ببعض . جمع مرفقة وهى المعونة وما يرتفق به . التالى : المبعوض ، وقايت الرجل قلى ، أبغضته . تسألنى : كثرة سؤالى . السالى : الناسى للمودة والتارك لها ، وسلوت عن الشيء . أسلو سلواً وسلوة ، إذا تركته . اللفاء : النقصان . وقال أبو على فى الإيضاح : اللفاء ما دون الحق ، قال أبو زيد الطائى واسمه حرمة رحمة الله :

فأنا بالضميف فتظلموه ولا حظى اللفاء ولا الخسيس^(١)

(١) الاسان - لنا . وروايته : « فأنا بالضميف فتزدربى » .

أَتَع : أَرْضِي ، وَالتَّنَاعَةُ الرِّضَا بِالْيَسِيرِ . وَالْجَزَاءُ : الْمَكَافَاةُ ، وَجَازِيَتُهُ بِمَا صَنَعَ . مِثْلُ كَافَاتِهِ ، وَالْأَجْزَاءُ : الْأَنْصِبَاءُ تَقْسَمُ عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَاحِدُهَا جِزَاءٌ ، وَأَقْلَامُهَا تَقْصُصُهَا . أَنْظَلَمَ : أَشْتَكَى مِنَ الظُّلَمِ . لَا أَتَقِمُ : لَا أَتَنْتَقِمُ . تَقُولُ : قَمْتُ مِنْهُ نَقْمَةً ، أَيْ عَاقَبْتُهُ ، فَمَعْنَاهُ : لَا أَعَاقِبُ صَاحِبِي ، وَلَوْ بَلَغَ فِي الْإِضْرَارِ مَتْنِي الْعَاقِبَةِ ، وَتَقُولُ أَيْضًا : نَقَمْتُ الشَّيْءَ وَأَنْقَمَهُ نَقْمًا وَتُقَوِّمًا : إِذَا أَنْكَرْتَهُ ، فَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا : لَا أَنْكُرُ عَلَى صَاحِبِي وَلَوْ بَلَغَ فِي الْأَذَى ، وَيُقَالُ فِي الْإِنْكَارِ أَيْضًا ، نَقِمَ يَنْقِمُ .

* * *

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَبِكَ يَا بُنَيَّ ! إِنَّمَا يُضَنُّ بِالضَّئِنِ ، وَبِالضَّئِنِ فِي الشَّيْءِ ؛ لَكِنَّنِي أَنَا لَا آتِي ، غَيْرَ الْمُتَوَاتِي ، وَلَا أَسِيمُ الْعَامِي ، بِمَرَاقَاتِي ، وَلَا أَصَافِي ، مَنْ يَأْتِي بِإِنْصَافِي ، وَلَا أَوَاحِي ، مَنْ يُبْلَغُنِي الْأَوَاحِي ، وَلَا أَمَالِي ، مَنْ يُخَيِّبُ أَمَالِي ، وَلَا أَبَالِي ، بِعَنْ صَرَمِ حِبَالِي ، وَلَا أَذَارِي ، مَنْ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا أُعْطِي زِمَامِي ، مَنْ يُخَفِّرُ ذِمَامِي ، وَلَا أَبْذُلُ وَدَادِي ، لِأَصْدَادِي ، وَلَا أَدْعُو لِإِعَادِي ، لِلْمُعَادِي ، وَلَا أَغْرِسُ الْأِيَادِي ، فِي أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَلَا أَسْمَحُ بِمُوَاسَاتِي ، لِمَنْ يَفْرَحُ بِمَسَا آتِي ، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي ، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بِوَفَاتِي ، وَلَا أَخْصُ بِحِبَابِي ، إِلَّا أَحِبَابِي ، وَلَا أَسْتَطِيبُ لِدَائِي ، غَيْرَ أَوْدَائِي ، وَلَا أُمْلِكُ خُلَّتِي ، مَنْ لَا يَسُدُّ خُلَّتِي ، وَلَا أَصْقِي نَبِيَّيَ ، لِمَنْ يَتَمَعَّى مِنْبَتِي ، وَلَا أَخْلِصُ دُعَائِي ، لِمَنْ لَا يُفْعِمُ وَعَائِي ، وَلَا أَفْرِغُ مَنَاتِي ، عَلَى مَنْ يُفَرِّغُ لِنَاتِي .

قوله : «ويلك» معناه التعجب، كأنه قال : ما أعجبك ! أو عجباً لك . وقيل : أراد «ويلك» ، لحذف اللام . إنما يضمن بالضنين^(١) ، هذا مثل ؟ ، أوّل مَنْ قاله الأغلب العجلى ، وفسره أبو عبيد^(٢) فقال : معناه : تمسك بإخاء من تمسك بإخائك ، وبيانه أن الضنين البخل ، ويضمن : يبخل ، فيقول : إنما تمسك وأتعلق بصاحب تمسك . بنى وعرف حق ، فأنا أبحل به على غيرى أن يشركنى فى صحبته كما يبخل بنى هو على غيره ، وقيل : الضنين فى المثل هو الشيء المضمون به لنفسه ، فعناه إنما يُبخل بالشيء النفيس الرفيع . الموافى : المساعد الموافى . العاقى التكتير الصعب الخلق . والمراعاة : المحافظة للود . أسيم : اجعلها سيم ، أى علامة . أصافى : أخلص له ودّى . يأتى : يمنع . إنصافى ، أى إعطائى الحق من نفسه . أواخى : أصير له أخاً وأتخذهُ صديقاً . بلغى : يترك وي طرح . الأواخى : أسباب الود ، واحدها أخية ، وأصل الأخية عُرْوَة من حبل تشدّ فى وتدٍ أو على حجر تحت الأرض ، وتبقى العروة على الأرض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها . أمالى : أعاون . وأصلها المهمة ، تقول : مالا تُه على الأمر أماله ، إذا عاونته وساعدته ، ومنه : والله ما قتلت عثمان ولا مالات فى قتله ، تخفف المهمة ليوافق آمالى ، وهو جمع أمل ، وهو الرجاء . صرم حبالى : قطع أسباب وصالى ، وهم يكونون بالحبل عن الود ، لأن الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط . قوله : «أدارى» ، أسوس وأحسن صحبته . والزام : حبل من جلود يربط فى حلقة فى أنف البعير . يخقر ذمامى : ينقض عهدي ، أى لا أقادلكن لأعهده . ودادى : حُبِّى ، وهو من وادّه وهو الذى لا يكون إلا من اثنين فوضعه موضع ودّى ، ويقال أيضاً : فى الحلب حباب - مثل وداد ، قال الشاعر :

* أدا عراني من حُبابك أم سحرُ *

(١) جمهرة الأمثال ١ : ٤٩

(٢) اللسان ، ونسبه إلى أبى عطاء وصدره :

* فوالله ما أذرى وإتّى لصادق *

أضدادي : أعدائي المناقضين لأفعالي . إيمادي : تهديدي وتخويفي .
 الأيادي : النعم ، وواسيته : مواساةً : جعلته أسوةً نفسي في مالي قفاسته فيه .
 مسا آتي : أحزاني وما يسوءني . التفائي : نظري وانعطافي إلى جهته . يثمت :
 يسرّ : وفائي : موتى . أخصّ : أفرد . حيائي : عطائي . أحبائي : جمع حبيب .
 أستطبت : أطلب طيبه . خلّتي : صداقتي . يدّ خلّتي : يصلح قفري . أخلص :
 أجعله خالصاً . يُنعم : يملأ . أفرغ ثنائي : أصب مدحي وأكسوه ، أو يكون
 أفرغه ، أبلغ آخره .

° ° °

وَمَنْ حَكَمَ بَأْنَ أَبْذَلَ وَتَخَزُنَ ، وَأَلَيْنَ وَتَخَشُنَ ، وَأَذُوبَ
 وَتَجْمَدَ ، وَأَذْكَو وَتَخْمَدُ ! لا وَاللَّهِ ، بَلْ تَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ ، وَزَنَ
 الْمَقَالِ ، وَتَتَحَاذَى فِي الْفَعَالِ . حَذَوُ النَّمَالِ ، حَتَّى نَأْمَنَ الشَّعَابِنَ ،
 وَنُسَكِّفَ التَّضَاغُنَ ؛ وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلَمُكَ وَتُعَلِّمُنِي ، وَأُقِلَّكَ وَتَسْتَقِلُّنِي ،
 وَأَجْتَرِّحُ لَكَ وَتَجْرَحُنِي ، وَأُسْرَحُ إِلَيْكَ وَتَسْرَحُنِي . وَكَيْفَ يُجْتَلَبُ
 إِنْصَافٌ بِضِيْمٍ ، وَأَنْتَى تُشْرِقُ نَفْسٌ مَعَ غَيْمٍ ! وَمَتَى أَصْحِبَ وَدَّ
 بِمُسْفٍ ، وَأَيُّ حُرٍّ رَضِيَ بِخُطَّةٍ خَسْفٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ :

* * *

قوله : «تخزن» ، أى تحبس . أذكو : أضيء . يقال : خمدت النار ، إذا
 سكن لهبها ، وذكت : انتقدت . والمنقال : الصنجة التى يوزن بها ، سُميت بذلك
 لأنها تثقل ما يوزن بها فى السكفة الثانية . تتحاذى : تتشابه . والنعال : بفتح
 الفاء : اسم للفعل الحسن أو القبيح ، ولا يقال بكسرها إلا فى مصدر فاعل ، قال ابن
 الأعرابي : الأفعال : فعل الواحد من الخير والشر ، والأفعال بالكسر : الفعل بين
 الاثنين . حذو : متشابهة ، والمرب تقول فى الشيثين يشتهبان : هما حذو النمل

بالنعل، أى كل واحد من النعلين تُقَطَّع على قالب أحتهما، ومنه قول الهذلي:
وَتَأْمَلُ السَّبْتَ الَّذِي أَخَذُواكُمْ فَأَنْظُرْ بِمِثْلِ حِذَائِهِ فَاحْذُونِي^(١)

التغابن : الغبن . نكفى : تمنع . التضامن : العداوة ، وتضامن الرجلان :
اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضعفاً وهو الحِقْد . أَعْلَكَ : أسفك عللاً ، أى مرة
بعد أخرى . تعلنى : تخرضنى . أَقْلُك : أرفعك . تستقلنى : تحقرنى . أجترح :
اكتسب . أشرح : أرعى عليك ، وأجلب عليك الرزق بالعداء والعشوى .
تسرحنى : تهملنى . ضيم : ذل . أنى : كيف . تشرق : تضىء ، من أشرقت ،
وتشرق تطلع ، من شرقت . غيم : سحب . أصحاب : أنقاد . بعف : بجور ،
وأصل العسف ركوب الأمر بغير تدبير . والخطبة : المنزلة والمرتبة ، والخسف :
الإذلال والنقصان ، ومنه خسف الأرض ، والخاسف : المهزول ، ويقال : باتوا على
الخسف ، أى جياًعاً ليس لهم شئ . يتقوتون به : والخسف للدابة : أن تبيت
بغير علف .

جَرَيْتُ مَنْ أَغْلَقَ بِي وَدَّهُ جَزَاءَ مَنْ يَبْنِي عَلَى أُسِّهِ
وَكَلْتُ لِلْخَلِّ كَمَا كَالِ لِي عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ
وَلَمْ أَخْزِهِ وَشَرُّ الْوَرَى مَنْ يَوْمُهُ أَخْسَرُ مِنْ أَمْسِهِ
وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَرَسِهِ
لَا أَبْنِي الْغَبْنَ ، وَلَا أَتَنَّى بِصَنْمَقَةِ الْمَغْبُورِ فِي حِسِّهِ
وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لَنْ لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ
وَرُبَّ مَذَاقِ الْهَوَى خَالِنِي أَصْدُقُهُ الْوُدَّ عَلَى لَبْسِهِ

(١) ليدر بن عامر ، ديوان الهذليين ٣ : ٢٦٠

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنِّي أَقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِنْ حِنْسِهِ
فَاهْجُرْ مَنْ اسْتَفْبَاكَ هَجَرَ الْقَلَى وَهَبَهُ كَالْمَلْجُودِ فِي رَمْسِهِ
وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةً لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ
وَلَا تُرْجُ الْوَدَّ يَمَنْ يَرَى أَنَّكَ مُحْتَاجٌ إِلَى قَلْسِهِ

* * *

قوله: «أعلق»، بمعنى علق، أى ألقى. أسه: أصل بنائه؛ يقول: من علق
يقلى وده، جعلت ذلك الود أساً بقلى، وبنيت عليه ودى، فإن أسس فى قلبى
وداً سلماً بنيت له عليه مثله، وإن عشتى فى ود غششته، والهاء فى «أسه» ترجع إلى
«من» أى من نصحنى فى صحبتته نصحته. والخِل: الصاحب. بحسه: قصه.
أخسر: أقص. الورى: الخلق من الناس. الحنى: ما يحنى من الثمرة.
أبتنى الفين: أطلب الخداع: أنتى: أرجع، وصفقة المغبون: بيعة الخدوع.
حسه: نهمة، والحسن: صوت حركة الحنى. والصفقة: فى الأصل مصدر، يقال:
صَفَّقَ صَفْقاً إذا ضرب بإحدهما على الأخرى، وكانت صفقة البيع عند العرب
أن يضرب المشتري بيده على يد البائع، فإن رضى البيع قبض على يد المشتري
وانعقد البيع، وإن لم يرض أرسل يده، ثم صاروا يقولون، رضى الصفقة، إذا
رضى البيع، ثم سُمى عقد البيع صفقة. مَذاق: خلأط غير مخلص. الهوى:
الحب. وخالتى: حسبنى. لبسه: تخليطه وتليسه. غريمى: صاحب دينى.
من جنسه: من نوع ما أعطانى. استفباك: استفجلك. القلى: البفض. هبه:
احسبه. الملاجود: المدفون. رمه: قبره، وينظر إلى يته قول
ابن الرومى:

مَنْ تَصَدَّى لِأَخِيهِ بِالْفَنَى فَهُوَ أَخُوهُ

فإن احتاج إليه راء منه ما يسوه
يُكرم الثرى فإن أمّا أقصاه بنوه
أنت ما استغفيت عن صا حبك الدهر أخوه
فإن احتجت إليه ساعة تجك فوه

ووجد على حجر مكتوباً :

كل من أحوجك الدهر إليه وتعرضت له هنت عليه

وهذان للذهبان اللذان ذكرهما الحريرى مبنيان على آيتين ، من كتاب
الله تعالى ؛ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
أَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَئِكَ
مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا خير في صفة من لا يرى لك من الحق ،
مثل الذي ترى له » .

[مذاهب الشعراء في الغزو أو الانتصاف]

وللشعراء القدماء والحديثين في المذهبين شعر كثير ، قال المقنع الكندي في
المذهب الأول :

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عى لاختلاف جدّا^(١)
أراهم إلى نصرى بطاء وإن هم دعوى إلى نصرى أتيتم شدا
وإن أكلوا الحى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

(١) حاشية أبى تمام ٣ : ١٧١ - بشرح التبريزى

وإن ضيَعُوا غَيَّبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وإن هُمُ هَوُوا غَيَّبِي هَوَيْتَ لَهُمْ رُشْدًا
وإن زَجَرُوا طَيْرًا بَنَجَسٍ تَمَرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمَرُّ بِهِمْ سَعْدًا
لَهُمْ جَلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعُوا لِي غَيًّا وَإِنْ قَاتَ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ يَسُودُ الْقَوْمَ مِنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا

وقال معن بن أوس المزني في المذهب الثاني :

إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل^(١)
ويركبُ حدة السيف من أن تضيعة إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت إذا ما صاحب رآم ظننتي وبدل سوماً بالذي كنت أفعُل
قلبت له ظهر المجنّ فلم أدم على ذاك إلا أريثا أمحوّل

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

أميل مع الذمام إلى ابن عمي وآخذ للصدّيق من الشقيق^(٢)
وإن ألقيتني حُرّاً مُطاعاً فإنك واجدي عبدَ الصديق
أفترق بين معروفي وبينى وأجمع بين مالي والحقوق
وكنت إذا الصديق أراد غيظي وأشرقني على شَرِّقِ بريتي
غفرت ذنوبه، وصدفت عنه مخافة أن أعيش بلا صديق

وكلف إبراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صديق فقال له :

إني متى أحل بمقدك لا أضربه سواك^(٣)

(١) حماسة أبي تمام - بفتح التبريزي ٣ : ١٣٢

(٢) ديوانه ١٥٤

(٣) ديوانه ١٤٦

ومنى أطمعتك نى أخيك أطمعُ فيك غداً أخاك
حتى أرى مستقماً يومى لداً ، وغداً لذاك

وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثاني:

فإن تزدني أزرُ وإما تَقِفْ بيابى أقف بيباك
والله لا كنت في حسابي إلا إذا كنت في حسابك

أين هذا من قول البستي أيضاً وقد خالفه فيه خلافاً شديداً ، ولا نازعه
أحد فيه ، ولا سبقه إليه إذ يقول :

وإني لأختص بعض الرجال وإن كان قدماً ثقيلاً عظاماً^(١)
فإن الجبين على أنه وخيمٌ ثقیلٌ يشبه الطعامة

ولابن شرف :

بع من جفاك ولا تبخل بسلعتك واطلب به بدلاً إن رام تبديلاً
وهو كثير ، وبما ذكرت يستدل على الباب .

* * *

قال الحارث بن همام : قلماً وعيت ما دار بينهما ، ثقت إلى أن
أعرفَ بينهما ، قلماً لاح ابنُ ذكاه ، وألحف الجور الضياء ، غدوتُ
قبل استقلالِ الركب ، ولا اغتداء الغراب ، وجملتُ استقري
صوب الصوت الليلي ، وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي ، إلى أن

(١) العيام : الغليظ الجاني .

لَمَحْتُ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحَادَثَانِ ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَمَّانِ ، فَعَلِمْتُ
أَنَّهُمَا نَجِيًّا كَيْلَتِي ، وَصَاحِبَا رِوَايَتِي .

» « «

قوله : «وعيت» ، أى حفظت . تفت ، أى اشتقت . عينيها : شخصيهما .
لاح : ظهر . ابن ذكاء : هو الصبح ، وذكاء هى الشمس ، ويقال للصبح : ابن
ذكاء . لأنه من ضوئها . ألحف : غطى . الجوّ : الهواء بين السماء والأرض .
أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه .

[ما ورد فى الصبح من الشعر]

ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح للشارى الذى كحل السرى على أخريات الليل فتق مشهراً^(١)
كلون الحصان الأبيض البطن قائماً تمايل عنه الجمل واللون أشقر

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالدرس الأشقر الأبيض البطن .

وقال ابن المعتز :

وساقٍ يجعل المندبل منه مكان حائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل بادٍ كطرفٍ أشقر ملقى الجلال

وقال يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد غمرنا ظلامها بأوجهٍ راح تسفير فتشف
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحلّ لثمان ، وأقبل يوسف

قوله : «غدت» ، أى بكرت . استقلال : ارتفاع وقيام . والركاب : الإبل .

واحدتها ، راحلة . ولا اغتداء الغراب ، أى ولا مثل اغتدائه ؛ فحذف « مثل »
 للنصوبة بلا ، وأقام « اغتداء » مقامها لأن « لا » لا تنصب المعارف ، وأراد أن
 اغتدائى كان قبيل أن يفتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكوراً ، وهذا
 وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله : « ولا كيد فرعون موسى » ، « ولا انهلال
 السحب » ، « ولا عمرو بن عبيد » ، إذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من
 المشبه به ، ولم يأت هذا إلا عن العرب ، تقول العرب : « فتى ولا كلاك » ، فيريدون
 مالكا أفضل من الفتى ، ومثله « مرعى ولا كالسعدان » أى أن المرعى فاضل فى
 طيبه ، ولكن السعدان أفضل منه ، ومثله : « ماء ولا كصداء » ، فصداء
 أفضل من ذلك الماء على طيبه ، فهذا مذهب العرب فى ذكر « لا » بين المشبهين .
 وأما قول الحريرى : « غدوت ولا اغتداء الغراب » ، فيريد أن غدوى أبكر
 من اغتداء الغراب ، وكذلك « ولا انهلال السحب » ، وهو يريد أن جودهم
 فوق جود السحاب ، لأن كلام العرب : فلان أبكر من الغراب ، وأجود من
 السحاب ، ولا يقولون السحاب أجود من فلان ، ولا الغراب أبكر من فلان ،
 ولا فائدة فى ذلك ، فإذا حققت لفظة « ولا » فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى
 كلام العرب انقلب المعنى ، وإنما اللفظ من كلام عامة العراق ، فاستعملها لأنها عندهم
 متعارفة وليست بعربية ، ومثل هذا قد جوزه المولدون فى أشعارهم ، وجاء منه
 فى مقامات البديع كثير . ويستعمل أهل فاس فى مفرنا لفظة « ولا » فى تشبيهاتهم
 كثيراً جداً على حد استعمال الحريرى لها ، ولا يستعملها أهل الأندلس .

وقال الفنجديسى : الرفع فى قوله : « ولا اغتداء الغراب » ، أكثر مبالغة فى
 التشبيه من النصب .

قوله : « أسترى » ، أى أتنبع . صوب : جهة وناحية . اللبى : الذى يسمع بالليل .
 أتوسم . أتمرف وأنظر سمتها . الجلى : البين . لحت : رأيت . برذان رقان :

ثوبان خَلَقان . نجياً ليلتي ، أى المتحدثان فيها ، وجعلهما متحدثين مع اليلة مجازاً
لما أوتىما الحديث فيها ، كقوله تعالى : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١) ولا يمكن أن إنما
يُكْرَفِيهما ، فنسب ذلك المكر إليهما . صاحباً روايتي ، أى اللذان أروى عنهما
هذه القصة .

فَقَصَدَتْهُمَا قَصَدَ كَلَفٍ بِدَمَائِنِهِمَا ، رَاثٍ رِثَائِنِيَّهَا ، وَأَبَحْنُهُمَا
التَّحُولَ إِلَى رَحْلِي ، وَالتَّحَكَّمَ فِي كُثْرَى وَقْلِي ، وَطَفِقْتُ أُسَيِّرُ بَيْنَ
السَّيَّارَةِ فَضْلَهُمَا ، وَأَهْزُ الْأَعْوَادَ الْمُشْمِرَةَ لُهُمَا ، إِلَى أَنْ غُيِّرَا
بِالنُّحْلَانِ ، وَاتَّخِذَا مِنْ الْخُلَّانِ . وَكُنَّا بِمُعْرَسِ تَنْبِيْنٍ مِنْهُ مُبْنِيَانِ
الْقُرَى ، وَتَنْتَوْرُ نِيرَانِ الْقُرَى .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَيْسِهِ ، وَانْجِلَاءَ بُوسِهِ ، قَالَ لِي :
إِنْ بَدَنِي قَدْ انْتَسَخَ ، وَدَرَنِي قَدْ رَسَخَ ، أَفَتَأْذُنُ لِي فِي قَصْدِ
قَرْيَةٍ لَأَسْتَحِمَّ ؟ وَأَقْضَى هَذَا الْمِهْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِذَا شِئْتَ
فَالسَّرْعَةَ السَّرْعَةَ ، وَالرَّجْمَةَ الرَّجْمَةَ ، فَقَالَ : سَتَجِدُ مَطْلَعِي عَلَيْكَ ،
أَسْرَعَ مِنْ ارْتِدَادِ طَرَفِكَ إِلَيْكَ .

كَلَفٍ : محب . دَمَائِنُهُمَا : سهولتهما ، والدَّمَاءُ سهولة الأرض ، وكل ما
وطئته وسهّلته وأذلّته بيدك فهو دَمِث . رَاثٍ : بالكِ مشفق . وَرِثَائِنِيَّهَا : سوء

(١) سورة مَبَا ٣٣ .

حَالِهَا . أُبَحِّثُهُ : جماعته له مباحاً . كَثُرِي وَ قُلِّي : أى كثير مالى وقليله . طُنَقْتُ : أخذت . أَسِيرَ : أمشى . السيارة : القوم الذين يسرون فى الأسرار . أَهَزَّ الْأَعْوَادَ : استعاره ، وأراد أنه يستعطف لها أصحاب الأموال فيواسونهم ، فكفى عنهم بالأعواد ، وقد كرّر هذا المعنى نظماً حين قال :

قصده والشيخ بينى جنى عودٍ له ما زال مهزُوزاً^(١)

وقال الشاعر فى مثله :

إِلَّا يَكُنْ وَرَقٍ غَضًّا أَرَا ح به للمعتفين فإني لئن المـود

أراد إن لا أكن كثير المال فإني كريم . والورق : المال غير الصامت ، وأراح به : أهدأ به ، من الأريحية . وراح الشجر : أتى بورق فى آخر الصيف لا أصل له ، ويقال لها الخلفة . قوله : « غمراً » ، أى أعطيا . النحلان : العطايا . الخِلَّانَ : الأصحاب . وقوله : « وكنا بعمرس » ، المعرس موضع النزول آخر الليل . نتنور : ننظر النيران . القرى : طعام الضيف . كيه : وعاء دراهمه ، والكيس : خريطة تسع خمسمائة درهم والبذرة تسع عشرة آلاف درهم ، قال حبيب : من بعد ما صارت هُنيدة صِرمةً والبذرة النَّجلاء صارت كيساً^(٢)

قوله : « انجلاء بوسه » ، انكشاف فقره . دَرَنِي : وسخى . ورسخ الشيء فى الأرض رسوخاً : غاب فيها ، ورسخ العلم فى العلم : دخل فيه . أستحم : أدخل الحمام ، واستحم الرجل : اغتسل بالحميم ؛ وهو الماء الحار . أقضى : أقطع وأزيل ، وقضيت الشيء : صنعته . المهم : أراد به فرض الصلاة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أهم أموركم عندى الصلاة ، فمن ضيّعها فهو لما سواها أضيّع . وقيل :

(١) فى القامه الأريبيين صفحه ٤٤٨ (طبعة الحسينية) .

(٢) ديوانه ١٧٢ ، والهنيدة : اسم المائة من الإبل . والصرمة : ما بين الهرة إلى خمسة عشر . والنجلاء : الوسعة .

ونزلنا هذين عمران رحمه الله وقد استبطأ في دخول الحمام :

أَغْتَرَّ إِنْ مَدَّ فِي الْعُمْرِ لِي
وَأَغْلُ وَالْوَتِ لِي طَالِبٌ
كَأَنِّي بِي هَكَذَا مَيَّنَا^(١)
أَيْضًا :

شَكَرْتُ لِلدَّهْرِ حَسَنَ مَا صَنَعَا طَرِيدَ مَجْدٍ تَحْتِي رَفْعَا
يَا حُسْنَ حَمَانَا وَقَدْ نَرُبْتُ شَمْسَ الضُّحَى فِيهِ بَعْدَ مَا مَتَّعَا
أَيُّقِنَ أَنَّ الْهَلَالَ رَاكِبُهُ فِضَاءَ لِلْحَاضِرِينَ وَأَتَمَّعَا
فَإِنَّمْ أَبَا عَامِرٍ بِنِعْمَتِهِ وَاعْجِبْ لِأَمْرَيْنِ فِيهِ قَدْ جُمِعَا

(۱) الحج ۲۹ : ۱۱۴ (۲) ا : د کان بی •

(۱۷ - شرح مقامات الحریری ۱)

نيرانه من زنادِكُمْ قُدِّحَتْ وماؤه من بنانِكُمْ نبعاً
 ولبعضهم في حمام كانت مضاوئُه من زجاجٍ أحمر ، وفي سمائه حرّة وبياض :
 تَحَيَّرْتُ من طيبِ حَمَامِنَا فَخُيِّلَ لِي أن فيه الفلقُ
 فمن حرّة فوقنا وبيضاض نلحذ الحبيب إذا ما عَرَقَ
 رأى الدهر ماسداً من حُسْنِهِ فَسَدَّ كُؤَى سَقْفِهِ بِالشَّقَقِ
 ودخل الحمام أبو جعفر التُّطَلِيّ وأبو بكر بن بَقِ رحمهما الله تعالى ، فقال
 أبو جعفر :

يا حُسْنَ حَمَامِنَا وبهجته مرأى من السَّجَرِ كُلِّهِ حَسَنُ
 ماءٍ ونازٍ حواهما كَنَفٌ كالقلب فيه السرور والحزنُ

ونظر فيه إلى غلام وسيم ، قال :

هل استمالك مَيَّال التَّوَامِ وَقَدْ سالت عليه من الحمامِ أُنْدَاكاه
 كالنصن بأشْرَ حرِّ النار من كَتَبَ فظلّ يقطر من أعطافه الماء

وقال آخر :

حَمَامِنَا فيه فصل القيظ محتدِمٌ وفيه للبرد سرٌّ غير ذى ضررٍ
 خُذَانِ بنعم جسم المرء بينهما كالنصن بنعم بين الشمس والمطرِ

وقال ابن رشيّق : وما قلته على عقب وداع :

ولم أدخِلِ الحمام ساعةً بينهم لأجل نعيمٍ ، قد رضيت بِبُؤْسِي^(١)
 ولكن لتجرى عَبرَتِي مطمئنةً فأبكي ، ولا يدرى بذالكِ جليسي

(١) طراز المجالس ١٢٢ .

وقال آخر :

وحَمَامٌ كَانَ النَّارَ فِيهِ مَسْقَرَةٌ بَنِيَانِ الْجَحِيمِ
دَخَلْتُ أَنَا وَمَنْ أَهْوَاهُ فِيهِ فَمَادَ لَنَا كِبَنَاتُ النِّعَمِ
وقال آخر في ذم حَمَامٍ :

وحَمَامٍ سُوءٌ وَخِيمُ الْهَوَا قَلِيلُ الْمِيَاهِ كَثِيرُ الزَّحَامِ
فَمَا لِلْقِيَامِ بِهِ مِنْ قَعُودٍ وَلَا لِلْقَعُودِ بِهِ مِنْ قِيَامٍ
حَنَاتِيهِ عَطَفَاتُ الْقِسَى وَقَطَرَاتِهِ صَائِبَاتُ السَّهَامِ

وقال آخر في تعجيل الخروج منه :

خُذْ مِنَ الْحَمَامِ وَاخْرُجْ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْكَ
حَدَّثَنِي عَنْهُ وَإِلَّا حَدَّثَ الْحَمَامُ عَنْكَ

وقال ابن رشيقي :

وَمُرَّتَيْنِ لَدَى الْحَمَامِ أَضْحَى وَحَالَآءِ لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ
إِذَا سَنِمُوا الْعَذَابِ أَوْ اسْتَغَاثُوا أَغَاثُوهُمْ بِيَابَ الزَّمْهِرِ
كَذَلِكَ حَالُهُ حَرًّا وَبَرْدًا بَيْتِ الْخَوْضِ أَوْ بَيْتِ الطَّهْوَرِ
وَطَالَ بِهِ ائْتِظَارُ مُوَاعِدِهِ فَقَدْ زَادَ الشَّقَى عَلَى النَّظِيرِ
وَلَهُ أَيْضًا :

سَأَشْكُرُ لِلْحَمَامِ بَدْءًا وَعُودَةً أَبَادَى بَيْضًا مَا لَمْ يَنْبُ
جَلَاكَ عَلَى عَيْنِي عَوْبَانٌ حَاسِرًا فَرَحَتْ بِتَطْلُقِي وَأَنْتَ قَيْنٌ^(١)
وَطَهَّرَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ بِيَارِدٍ وَسُخْنٍ نَقَرَّ الْجَفْنِ وَهُوَ سَخِينٌ

(١) ط : « قَيْن » ، وما أنبته من ا ، ب .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحُتَامُ يَذْكُرُ جَهَنَّمَ ، وَيُنْقَى الدَّرَنُ ..
وقال على رضى الله عنه : بئس البيت الحُتَامُ ! تُكشَفُ فيه المورَدات ، وترتفع
فيه الأصوات ، ولا يُمرَأُ فيه آية من كتاب الله تعالى .
ودخله بعضُ الأمراء مع الرقائشي فقال له : امدحْه ، فقال : يُذهِبُ القَشَانَةُ ،
ويعقبُ النظافة ، ويَفُشُّ^(١) الثُّخْمَةُ ، ويَطْيِبُ النِّعْمَةَ ، فقال : ذمّه ، فقال : يَهْتِكُ
الْأَسْتَارَ ، ويؤَلِّفُ الْأَقْدَارَ ، ويذهب بالوقار .

قوله : « إِذَا شِئْتَ فَالسرعة السرعة » ، يقول : إِذَا شِئْتَ أَنْ تَقْصِدَ الْحَتَامَ
فَالزَّمِ السرعةَ ، ومجمل الرجعة ، وكررها تأكيداً ، والقعل الناصب لهما يلزم
إضماره مع التكرير ، فإذا أفردت جاز إظهار الفعل ، ونظيرها قول العرب :
الطريق ، الطريق ، والأسد الأسد وقال الشاعر :
* خَلَّ الطريقَ لِمَنْ يُبْنِي النُّارُ لَهُ *

فلما سقط التكرير ساغ له إظهار الفعل . مطأى : مصدر بمعنى طلوعى ..
أهل الحجاز يفتحون لامه في المصدر وغيرهم يكسرها . ارتداد طرفك ، أى .
رجوع نظرك .

ثُمَّ اسْتَنْتَ اسْتِنَانِ الْجَوَادِ فِي الْمَضَامِرِ ، وَقَالَ لِابْنِهِ : بَدَارِ بَدَارِ !
وَلَمْ نَخْلُ أَنَّهُ غَرٌّ ، وَطَلَبَ الْمَفَرَّ . فَلَمِشْنَا تَرْقِيَهُ رِقْبَةَ الْأَعْيَادِ ،
وَنَسْتَطَامُهُ بِالطَّلَائِعِ وَالزُّوَادِ ، إِلَى أَنْ هَرِمَ النَّهَارُ ، وَكَادَ جُرْفُ
النَّهَارِ يَنْهَارُ . فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتَظَارِ ، وَلَاحَتِ الشَّمْسُ فِي
الْأَطْمَارِ ، قُلْتُ لِأَصْحَابِي : قَدْ تَنَاهَيْنَا فِي الْمُهْلَةِ ، وَنَعَادَيْنَا فِي

(١) يقال : فُشَّ الوُطْبُ ، أى أخرج ما فيه من الريح

«الرَّحْلَةَ ، إِلَى أَنْ أَصَمَّتَا الزَّمَانَ ، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ ،
فَتَاهَبُوا لِلظَّمَنِ ، وَلَا تَلُؤُوا عَلَى خَضَرَاهِ الدَّمَنِ .

° ° °

استنَّ استنَّان الجواد : جرى كما يجري الفرس ، وإنما يقال : استنَّ في كلامه
إذا جرى في غير طريق بتحريف ، ومنه قولهم : استنَّت الفِصال حتى القرعى ^(١) ،
يريدون جرت الفصال وهي تلعب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فاستنَّت
شرافاً أو شرافين » . وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة :

بِمِثْقَةِ كَاسْتِنَانَ الْخُرُوفِ فِ وَقَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالرُّودِ ^(٢)

أراد المهر ، ويقال له : خروف وفلوة ، وقد فسر «استنَّت الفِصال» بأن معناه
أحسن رعيتهما ، حتى كأنه صقلها . والجواد: الفرس الكريم . المضمار: الطائق تجرى
فيه الخليل ، تسمى مِضمَراً لأن الخليل تضمر فيه ، وذلك أن العرب كانت تستن
الخليل فتستخرجها إلى المِضمَار ، فتجريها طلقاً قدر ما تحتمل ، ثم تزيدها يوماً
آخر في الجري على ذلك ، ثم لا تزال تزيدها في الطلق كل يوم ، حتى تجرى بها
الأميال ، فيسيل عرق الخليل بذلك الجسري ، ويشتدّ لحمها بذلك التضمير
قال زهير :

تُضَمَّرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ تُسَنُّ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ ^(٣)

القرن : دُفَعُ القَرَق ، واحدها قرن .

وقوله : «بدار بدار» ، أى سبقاً سبقاً ، وهو معدول عن بدر ، فيقول لابنه :

(١) مثل ، يصرب للرجل بفعل ما ليس له بأهل . جهرة الأمثال ١ : ١٠٨

(٢) اللان - خرف ، ونسبه إلى رجل من بني الحارث .

(٣) ديوانه ١٨٧

أبدر بالجرى ، واسبق إلى الحمام . لم تَحَلْ : لم تحسب . غرة : خدع . نرقبه ، أى
ننظر من أين يحى . ويروى : « نرقبه رقية أهلة الأعياد » .

وما أحسن قول ابن الرقاق في هذه الرقية :

وشهرٍ أدركنا لارتقاب هلاله جفوتنا إلى نحو السماء موائلاً^(١)
إلى أن بدا أخوى اللداعم أحور يجر لأذيال الشبَاب غلائلاً
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً بمن قد حوى طيب السمول شمائلاً
أطلبك الأبصار في الجو ناقصاً وأنت كذا تمشى على الأرض كاملاً
وله في معناه :

لله شهرٌ ما نظرتُ هلاله إلا كنونٍ أو كمظنة لامٍ^(٢)
حتى تبدى لي أغنٌ مهفٍف بضياته ينجاب كل ظلامٍ
فطفت أهتف بالأنام ضلتم وغلظتم في عتمة الأيام
ما جاءنا شهرٌ لأول ليلة مذ كانت الدنيا بيدٍ تمام

نسطامه ، أى نلتمس طلوعه . الطلائع : الباحثون عليه . والرواد : الطالبون
له ، وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو ، والراصدون في الطرقات ، الواحد
طليعة ، وأصل الرواد الطالبون للرعى . هَرِم : شاخ ، ومعناه قارب أن يتم .
يتنهار : ينهدم . والجُرف : ما يأكله الوادى ، استعاره للنهار . لاحت : ظهرت .
والأطوار : الثياب الخلقية ، أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير وبلى عند
الغروب ، وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات في الشتاء وغروب الشمس

وما يستغرب من ذلك قول الملوى الأصهبانى :

ومجاسٍ شرب جثثه متطرباً عشياً وعين الشمس في الأفق تنمسُ

(١) ديوانه ٢٣٨

(٢) ديوانه ٢٥٨ .

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ جَنُوحَ الشَّمْسِ نَمَّ غُرُوبُهَا وَقَدْ جَعَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمَرُضُ^(١)
تَخَاوَصُ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْتَقِ مِنْهَا النَّوْمُ وَهِيَ تَمْمُضُ
وقال أيضاً :

إِذَا رَمَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ وَرَسًا مُدْعَزًا^(٢)
وَوَدَّعَتِ الدُّنْيَا لِنَفْثِ نَجَبِهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمَرِهَا فَتَشَعَّمَعَا^(٣)
وَلَا حَظَّتِ الْأَنْوَارُ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَمَا لَاحَظْتَ عَوَادُهُ عَيْنَ مَدَنٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
أخبرني ابن منصور ، قال : خَرَجْتُ بِخَارِجِ فَاسٍ عَشِيَّةً مَعَ فَتَى وَرَاقٍ ، فَنَظَرْتُ
إِلَى صَفَرَةِ الشَّمْسِ وَاسْتَنَشَقْتُ بَرْدَ النَّسِيمِ ، وَأَشْدَنِي مَرْتَجَلًا :

انظر إلى الشمس في الأصيل كَأَنَّهَا وَجُنَّتَا عَلِيلِ
ورق هذا النسيم حتى كَأَنَّهَا يَشْتَكِي نَحُولِي

وقال ابن الرقاق :

وَعَشِيَّةٍ لِبَسْتُ مِلَاءَ شَفِيقٍ تُزْهِى بِلَوْنِ اللَّخْدُودِ أُنْيَقِ^(٤)
أَبَقْتُ بِهَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ مِثْلَ مَا أَبَقِيَ الْحَيَاءُ بَوْجُنِّي مَعْشُوقِ
لَوْ أَسْتَطَاعَ شَرِبْتُهَا كَلْفًا بِهَا وَعَدَلْتُ فِيهَا عَنْ كُنُوسِ رَحِيقِ

وقال ابن سراج :

والشمس تنفض زعفرانا بالربا وتبث مسكتها على النيطان

(١) ديوان الماتى ٣٦١

(٢) ديوان الماتى ١ : ٣٦١ ، ومذعنعا : مفردا .

(٣) شول باقى عمرها ، أى لم يبق منه إلا القليل .

(٤) ديوانه ٣٠٦ وفيه : « لبست رداء شفيق »

وما أحسن قول الرصافي في معناه :

وعشى أنسٍ للسرور وقد بداً من دون قرص الشمس ما يتوقع^(١)
سقطت ولم تملك يمينك ردّها فوددت يا موسى لو أنك بوشع

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة :

تربك بياض غُرَّتْهَا ووجهاً كقرن الشمس أغسق ثم زالاً
أصاب خصاصةً فبدا كليلاً كلاً وانقل سائرته انقللاً
قوله : « بدا كليلاً » إشارة إلى أنه عندما بدا غاب بسرعة ، وأذكر « كلاً »
في المقامة التاسعة والثلاثين .

وقال ابن المعتز في نحوه :

تظلّ الشمسُ ترمقنا بلحظٍ مريضٍ مدنفٍ من خلفٍ سِتْرٍ^(٢)
تحاول فتق غيمٍ وهو يأتى^(٣) كعنينٍ يريدُ نكاحَ يَكْرٍ

قوله : « تناهينا » ، أى بلغنا النهاية . والمهلة : التراخي ، يقول : قد تراخينا في
انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك . « تمادينا في الرحلة » ، هذا على حذف مضاف للعلم
به ، تقديره : تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ، ومثل هذا الحذف جائز في النظم
والنثر وأنشد أبو علي :

أنا النذيرُ لكم منىً مجاهرةً كي لا ألامَ على نهبي وإنذارى
أى على تركي النهي والإنذار ، وقال آخر :
وأهلك مهرَ أبيك الدّوا : ليس له من طعامٍ نصيب

(١) ديوانه ١٠٤ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ديوان المعاني ١ : ٣٦٠ ، وفيه : « بلغظ خنى » .

(٣) ط : « فتح غيم » ، وما أتتبه من ديوان المعاني .

أى فقد الدواء ، وجاء فى القرآن ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾^(١) أى أهل القرية ، و﴿ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ﴾^(٢) ، أى من أهل قريتك ، ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام النصيح ، بما لا يتم المعنى إلا بتقديره ؛ فالذى غلط الحريرى فقال : لو تمادت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام النصيح فأراد : طالت بنا هذه السفرة . وتمادى الشيء فهو متمادٍ ، إذا طال فيه المدى ، وهو الغاية البعيدة . يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره ، فطالت علينا السفرة لعطلة السفر ، حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نافر فيه . والزمان : اليوم . بان : تبين . مان : كذب ؛ يقال منه : مان يمين مئناً ، وأما مَانَهُ يَمُونَهُ مَوْنًا ، فقام بمؤنته . قوله : « فتأهبوا » ، استعدوا . الظن : الرحيل . ولا تلؤوا : تعرجوا . خضراء الدمن : عشب المزابل ، هى حسنة النظر سيئة الخبر ، وإذا يبست لم يفتح بؤودها لخوره وضعفه ، فشبّه بها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته ، وسوء باطنه فى كذبه وإخلاف وعده ، حتى عطلهم عن سفرهم نهراً فى انتظاره ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ، خفيل له : وما خضراء الدمن ؟ فقال : « الجارية الحسناء فى المنبت السوء » .

* * *

وَنَهَضْتُ لِأَخْرِجَ رَا حِلَّتِي ، وَأَتَحَمَّلَ لِرِخْلَتِي ، فَوَجَدْتُ
نَابَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ ، عَلَى الْقَتَبِ :

يَا مَنْ غَدَايَ سَاعِدًا وَمُسَاعِدًا دُونَ الْبَشَرِ
لَا تَخْشِبْنِ أُنَى نَأْيِي كَ عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشْرِ
لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ مِنْ إِذَا طَعِمَ انْتَشَرِ

قَالَ : فَأَفْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتَبَ ، لِيَمِذُّهُمْ مَنْ كَانَ عَتَبَ .
فَأَعْجَبُوا بِخُرَافَتِهِ ، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ .
نَمَّ إِنَّا ظَعْمَنَا ، وَلَمْ تَذَرِ مَنْ اعْتَاَضَ عَنَّا .

قوله : «أحدج» : أى اجعل عليها الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء .
وأراد أرحل الناقة . وراحلته : ناقته . أتحمل لرحلى ، أو قرحلى للرحيل .
يقال : تحمّل القوم ، إذا عبّوا أحماهم وارتحلوا . والقَتَب : خشب الرّحل . قوله :
«ساعدا» ، أى ذراعاً يستعين به . مساعدا : موافقا . نأيتك : بعدت عنك . أشّر :
بطر وعدم شكر ، يقال : أشّر الرجل يأشّر أشراً ، إذا بطر ، قال الأخطل
يذكر بنى أمية :

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ جَدًّا تُنْصِرُونَ بِهِ لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرٌ^(١)
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا
قوله : «مذ لم أزل» ، أى مذ بنت ووجدت . انتشر : ذهب . عتب : لام .
وسخط فعله . خُرافته : حديثه الملهى .

[حديث خرافة]

وحديث خُرافة^(٢) مثلٌ سائر على ألسنة الناس في القديم والحديث ، يضرّب
لكلّ حديث لا حقيقة له . ووقع في أمثال المفضل بسند يصل إلى عائشة رضى الله
عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثنى حديث خُرافة ، فقال : رحم الله
خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، فأخبرنى أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجنّ

(١) ديوانه ١٠٤ ، وفيه : « أعطاهم الله » .

(٢) اظهر الميداني ١ : ١٣١ ، الفاخر ١٦٨ ، اللسان ١٠ : ٢١٤ .

فسبّوه ، فقال أحدهم : نغفو عنه ، وقال آخر قتلته ، وقال آخر : نستعبده ، فبينما هم يتشاورون في أمره ، إذ ورد عليهم رجل ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ، قال : وما أنتم ؟ قالوا : نفر من الجن ، أسرنا هذا فنحن نأتمر في أمره . فقال : إن حدثتكم حديثاً عجيباً ، أنشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : إني كنتُ ذا نعمة فزالت ، ورَكِبَتِي دَيْنٌ ، فخرجت هارباً ، فأصابني عطش شديد ، فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب ، فصاح بي صائح من البئر : مه ! فخرجت منها ولم أشرب ، ففأبني العطش ، فعدت ، فصاح بي ، ثم عدت الثالثة فشربت ، ولم ألتفت إليه . فقال : اللهم إن كان رجلاً فحوِّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوِّلها رجلاً . فإذا أنا امرأة ، فأتيت مدينة فتزوجني رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدتُ إلى بلدي . ففكرت بالبئر التي شربت منها ، فنزلت فصاح بي كما صاح في الأول ، فشربت . ولم ألتفت له ، فدعا كالأول ، فعدتُ رجلاً كما كنت . فأتيت بلدي ، فتزوجت امرأة ، فولدت منها ولدين ، فلي ابنان من ظهري وابنان من بطني . فقالوا : إن هذا لعجيب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم ثور يطير فلماً جاوزهم ، إذا رجل بيده خشبة ، وهو يحفر في إثره ، فوقف عليهم فسلم ، فردّوا ، وسألهم ، فردّوا عليه مثل ردِّهم على صاحبهم ؛ فقال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أنشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كان لي عم ، وكان موسراً ، وكانت له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة ، وكان لعمي عجلٌ يربيه ، فافلت ، فقال : أَيْبَكُم يَرَدُّه فابنتي له ؛ فأخذت خشبتي هذه ، وآتَرت ، ثم حفرت في إثره وأنا غلام ، وقد سبَّت ، فلا أنا ألحقه ولا هو يكل ؛ فقالوا : إن هذا لعجب ، أقعدنا أنت شريكنا . فبينما هم يتشاورون ، إذ ورد عليهم رجل على فرس أبيض . وخلفه غلام على فرس ذكر ، فسلم كما سلم أصحابه فردّوا عليه كردِّهم على صاحبيه . فسألهم فأخبروه . الخبير ، فقال لهم : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا ، أنشركونني فيه ؟ فقالوا : نعم ، قال : كانت لي أمٌ خبيثة . ثم قال للفرس الأبيض الذي تحته : أ كذالك هو ؟

فقلت : برأسها نعم — قال : وكنتُ أتهمُّها بهذا العبد — وأشار إلى الفرس ،
الذى تحت غلامه : أهكذا ؟ فقال برأسه : نعم — فوجهت بغلامى هذا الراكب
ذات يوم فى بعض حاجاتى ، فحبسه ، وهداها فأغنىُّ ، فرأى فى منامه كأنها صاحت
صيحة ، فإذا هى بجُرْدٍ قد خرج ، فقالت : اسجد ، فسجد ، ثم قالت : اكرب
فكرب^(١) ، ثم قالت : ادرس فدرس ، ثم دعت برحاً فطحننت قدح سويق ،
فأتت به الغلام ، فقالت له : انت به مولاك ، فأتانى به ، فاحتلت عليهما حتى سقيتهما
القدح ، فإذا هى فرس أثنى ، وإذا هو فرس ذكر ، قال : أ كذلك ؟ قالت الفرس
الأثنى برأسها : نعم ، وقال الفرس الذكر برأسه : نعم ، فقالوا إن هذا أعجب
شىء سمعناه ، أنت شريكنا . فأجمع رأيهم فأعتقوا خرافة فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره بهذا الحديث ، فما جاء من الأحاديث المحاللة نُسب إلى خرافة
صاحب الحديث .

* * *

قوله : « آفته » أى ضرره . ظمناً . رحلنا . اعتاض : استبدل .

(١) الفاخر : « احمد غصد » .

المقامة الخامسة وهى الكوفية

حكى الحارث بن همام قال : سمّرت بالكوفة فى آيلة أدعّمها ذو
لؤنانين ، وقمرها كتمويد من لجّين ، مع رفقة غُدّوا بلبان البيان ،
وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ، ما فيهم إلا من يحفظ عنه
ولا يتحفظ منه ، ويحيل الرفيق إليه ، ولا يحيل عنه ، فاستمروا
السمّر ، إلى أن غرب القمر ، وغلب السهر . فلما روى
الليل البهيم ، ولم يبق إلا النهويم ، سمعنا من الباب
تباة مستنجح ، ثم تلتها صكّة مستفتح ، فقلنا : من الميلم ،
فى الليل المدلّم ؟ فقال :

[الكوفة]

سمّرت بالكوفة . الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون
فرسخاً ، وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذت من الكوفان ، وهى الرملة الشديدة
البياض ، وقيل : سميت كوفة لاجتماع الناس فيها ، من قولهم : تكوّف الرمل .
تكوفاً ، إذا ركب بعضه بعضاً ، وقيل : سميت كوفة ، لأنها قطعت من البلاد ،
من قولهم : أعطيت فلاناً كنيّة ، أى قطعة ، وكفت أ كيف كنيّا : قطعت .
والكوفة « فُلة » منه ، قُلبت الياء واواً للضمّة التى قبلها .

وهى مدينة العراق الكبرى ، والمِصرُ الأعظم ومُبة الإسلام ، ودار هجرة
المسلمين ، وأوّل مدينة اختطها المسلمون بالعراق .

وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير^(١) في رحلته حاجاً، أنه دخل الكوفة في أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسائة، فقال: هي مدينة كبيرة، قد استولى الخراب على أكثرها، فالعاسر منها أقل من الخراب، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، وهي لا تزال تضربها، وكفالك بتعاقب الأيام والليالي ما حقاً ومنياً! وبنائها بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها ممماً إلى شرق البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمس أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطتان مذهبتان، وهي على أعمدة من السواري المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالراس، ولا قسي عليها، وهي في نهاية من الطول متصلة بسقف المسجد، فتنحار العيون في تفاوت ارتفاعها، فما رئي في الأرض مسجد أعلى سقفاً منه، ولا أطول أعمدة، ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت يلزاه الخراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال إنه كان مصلّى الخليل إبراهيم عليه السلام، وعليه ستر أسود حوثاله، ومنه يخرج الخطيب لباساً ثياب السواد للخطبة، والناس يزدهون على هذا البيت للصلاة فيه، وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج، كأنه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط، هو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه ضرب به الشقي عبد الرحمن بن ملجم، فالتاس يصلون فيه باكين داعين، وفي الزواية من البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج، وهو منار التثور الذي كان آية نوح عليه السلام، ويتصل بالجدار القبلي فضاء، يقال إنه كان منشأ السنيعة.

ومع هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه - تلقيناً هذه الآثار

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي ينسب الرحالة، قام برحلته الأولى إلى المغرب من غرناطة سنة ٥٧٨، وعاد إلى وطنه سنة ٥٨١، ووصف مشاهدته في كتابه المروف برحلة ابن جبير.

عن أشياخ - البلد وفي الجهة الشرقية يت قبر مسلة بن عَظِيل ، وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض كبار ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشبير المنسوب لعلي بن أبي طالب حيث بركت ناقته ، وهو محمول عليها ميتاً ، وفيه قبره ، والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفُرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ . والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة تمتد سوادها امتداد البصر (١)

* * *

قوله : « سمعت » أي ذهب نومي . الأديم : الجلد ، وأراد أن لون الليله فيه سواد وبياض ، لأن قرها ناقص ، ولذلك جعله . كتمويد من لجين ؛ وهو خرز فضة ، يستعمل مستديراً استدارة القمر ، وبعض الدائرة ، فارغ فيربط في الدائرة خيط ، فيعلق في أعناق الصيادين .

[مما ورد في الهلال من الشعر]

وقال فيه الكرادى :

قُمْ سَلِّ هَمِّي بِالْمَدَا	م قفيه هم قد أمصّه
أَوْ مَا تَرَى قَرَّ التَّمَا	• كأنه تعويد فضّه
فَإِذَا أَلَمَّ بِهِ الْحَا	ق تحاله في الخلد عَصّه

وعلى معنى البيت الآخر ، قال إسماعيل القاضي يصف الهلال :

اسفني قبل صاحبي	واخش صرْفِ النَوَائِبِ
فالهلال الذي يلو	حُ خلال المَيَاهِبِ

(١) رحلة ابن جبير ١٨٩ . ١٩٠ .

مثل فتح اللجين صيد مع لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال مُنطوباً في غرة النجر قارن الزهرة
شبهته والعيان يشهد لي بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضي أبو الحسين بن لبّال :

انظر إلى الهلال إذ لاح بهي المنظر
كزورق من فضة وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلاً يفطّر قد أثار هلالاً الآن فأغذ إلى الدمام وبسكر^(١)
وانظر إليه كزورق من فضة وسط لجين أخضر

وله أيضاً :

أهلاً وسهلاً بالثنائ والمود وشرب كأس بكف مقدود
قد انقضت دولة الصيام وقد بشر مرأى الهلال بالعد
يتلو الترياً كفاغري شره يفتح فاه لأكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلمه الظفر ، فأحسن حيث يقول :

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحه مثل التلّامة قد دُتّت من الظفر

(١) ديوانه ١١٦ . ديوان الماني ١ : ٣٤٠

وأخذه من قول الأعرابي :

كَأَنَّ ابْنَ مُرْتَبَا جَانِحًا فَيَسِيطُ لَدَى الْأَفْقِ مِنْ خِمْصَرٍ^(١)

ابن مرتبها : الهلال . السيط : قلامة الظفر .

قوله : «غذا» : أى رثوبه وجُمل غداهم ؛ واللَّبان اللّادميات ، واللبن للآدميات وغيرهن . سَحَبُوا : جَرُّوا . سَحَبَان : فصيح العرب ، وانظره فى السادسة عشرة . ذيل النسان : طرفه ، يريد أنهم بنصاحتهم أنسوا ذكر سَحَبَان ، فكأنهم جَرُّوا عليه ثوب النسيان حتى غطّوه ، فلم يذكره أحدهم هؤلاء ، وأصل ذلك أن يُسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى ، كقول امرئ القيس :

* تَعَى بِذَيْلِ الدَّرْعِ إِنْ حُتُّ مُوْتَلًى *

وكقوله .

خَرَحْتُ بِهَا تَمْتَتِي تَجَرُّ وَرَاءَهَا عَلَى أَثَرٍ يَنَازِلُ مِرْطَ مِرْحَلٍ^(٢)

قوله : «يُحَفِّظُ سَه» ، أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم . يُتَحَفَّظُ ، يُتَحَذَّرُ ، وأخذ هذا من قول سايان بن عبد الملك : قَدْ أَكَلْتُ الطَّيِّبَ ، وَلَبَسْتُ اللَّيْنَ ، وَرَكِبْتُ الْغَارَةَ ، وَتَمَطَّاتِ الْعُدْرَاءُ . فلم يبق لى من لدنى إلا صديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنه الحفظ . فهذا الذى طلبه سايان وجده الحريرى فى أصحابه ، وأصل التحفظ الاحتياط فى حفظ الشيء . وله القلة فى الأمور ، كأنه على حذر ، وأنشد نعلب :

إِنِّى لِأَبْضَ عَاشِقًا مُتَحَفِّظًا لَمْ تَهْمِهِ أَعْيُنٌ وَقُلُوبٌ

(١) اللسان - نسط ، ونسبه لى عمرو بن قبيصة وهو أيضا من ديوان المعاني ١ : ٣٣٩

(٢) ديوانه ١٤

(١٣- شرح - قامات الحريرى ١)

قوله: «يميل الرفيق إليه» ، تقول :مِلْتُ إلى فلان، إذا أُحْبِبْتَهُ وتقرَّبْتَ منه ،
ومِلْتُ عنه، إذا كرهته وتعدَّدت عنه. والرفيق :الصاحب يُرتفق به في السفر. قوله :
«استهوانا» ، هَوَى بنا وشغلنا . والسَّمر : الحديث يُسمَر عليه . وذكر الحريري
أن أصل السَّمر ظل القمر ، والسَّمر : الحديث ، ومنه أخذ السمر ، وغالب أحوال
السَّمر أنهم يتحدثون في ظل القمر - وذكر هذا في تفسير الرابعة والأربعين -
وهو الأصل ، ثم اتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سَمراً ، على أى
حال اتفق . رَوَى : ضرب رواقه ، والرواق : الثوب يُستظل به من الشمس ، يريد
أن الليل صرب عليهم من ظلامه رواقاً فأنحجب عنهم به القمر . والبهيم : الخالص
السواد ، والبهيم الخالص من كل لون . والتهويم : النوم بالليل ، والتصوير :
النوم في القافلة ، وقد هَوَمَ الرجل ، إذا أسقط الثعاس رأسه فأنه بسقوطه رفعه ،
حقيقته سجود الرأس من العباس ، قال ذو الرمة في ذلك :

وأُسَعَتْ مثل السيف قد لأح جسمه وجيفُ المهارى والهموم الأبعادُ^(١)
سقاءُ العباس نأس سكر فرأسه^(٢) لدين الكرى في آخر الليل ساجدُ

ويقال : خفق رأسه فهو حافق ، قال ذو الرمة :

وخافقِ الرأس فوق الرحلي قلت له رُحْ بالزمام وحوِّزُ الليل مَرَكُومُ^(٣)
وقال الرصافي^(٤) : فأحسن :

ومجدِّين للشرى قد تعاطوا غفواتِ الكرى بغير كنوسِ
جَمَعُوا وانحنوا على العيسِ حتَّى خَنَّتْهُمْ يَلْثُمُونَ أيدي العيسِ
نبدوا الفمض وهو حلَّوْ إلى أن وجدوه سُلاَقَةً في الرموسِ

(١) ديوانه ١٣٠ .

(٢) الديوان . وسقاء الكرى نأس العباس وما درى .

(٣) ديوانه ٥٧٩ . وزع بالزمام ، أى اعطف الناقة بالزمام .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي ، والأبيات في ديوانه ١٠٣ .

قوله : « نبأه » ، أى صوت . مُسْتَنْبِح : يحكى نباح السكّاب ، وكان الرجل إذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجّه ، حاكى بصوته نباح السكّاب ، فإن كان قريباً من العمران نبّحت أنبأحه كلاب الحى ، فسمع أصواتها ، فقصد الحى .
« تَسَى العرب مَنْ يفعل هذا المستنبح . وأنشد أبو على فى نوادره :

ومستنبح بات الصدى يستنبحه فتاه وجوز الليل مضطرب الكسبر^(١)
رمت له ناراً تقوياً زنادها تليح إلى السارى هلم إلى قدري
وفال حسان بن مائل :

ومستنبح فى جُتح ليل دعوته بمشوبة فى رأس صمير مقابل
فقلت له أقبل ، فإنك راشدٌ وإن على النار الندى وابن مائل
وقد أنشد أبو تمام فى حماسه فى باب الأضياف فى المستنبح ما فيه كفاية ؛
فليُنظر هنالك .

قوله : « تلتها » ، أى تبعها . صكّة : دفعة . مستفتح : طالب فتح الباب .
الملم : الزائر : المدهم : الشديد السواد ، من الدهمة ، ولامه زائدة .

يا أهل ذا المنى وقِيتُم شراً ولا أقيتُم ما يقيتُم ضراً
خذ دفع الليل الذى كفرنا إلى ذراكم شدينا مُغبرنا
أخا سيفار طال واستبطرا حتى انتنى مُحَقَّقاً مُصفرنا
مثل هلال الأفق حين افترا وقد عرا فناءكم مُعترنا
وأممكم دون الأنام طرا يبنين قرى منكم ومُسقرنا

(١) أمالى القالى ١ : ٢١٠ ، ونسب أبو عبيد البكرى فى الآلى هذا الشعر إلى رجل من بني الحارث بن كعب . وجوز الليل : وسطه ، وكسر البيت : جانبه .

قَدُّوْكُمْ صَافًا نَمُوْعًا حُرًّا يَرْضَىٰ إِنَّمَا اخْلَوْا وَمَا أَمَرًا
وَيَنْتَفِي عَنْكُمْ يَنْفَتِ الْبِرُّ

• • •

المعنى : لننزل . وقِيم : كُفَيْتُمْ ، وإنما دعاهم بهذا ، لأن في حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يوشك قلوبُ
الناس أن تملأ شرًّا حتى يجرى الشرُّ فضلاً بين الناس فلا يجد قلباً يدخله » .
الكهـر : تراكم ظلامه وكثر . ذَرَاكُم : منزلتكم وكنتم ، وكلُّ ما استقرت
به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذَرَا . شَعْنًا : متغير الشعر ، والشعث : ترك غسل
الرأس حتى يتغير . مغبرًّا : عليه الغبار ، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخ ثيابه ، فقال : « أما وجد هذا
ما ينهى به ثيابه ! » . ورأى رجلاً شعث الرأس ، فقال : « أما وجد هذا ما يَكْنُ به
شعره ! » . أخًا سفار : صاحب أسفار ، أي ملازم لها . اسبطر : امتد وطال شعره .
انثنى : رجع وعود . محقوقًا : منحنياً . الأذق : ناحية السماء . افتتر : امتنحت أطرافه
ولم يتقارب ، كأنه قرعها من هذا ، ومنه فررت الدابة ، وافتتر : ضحك ، وشبه
الحناء من السفر بدائرة القمر الناقص ، وأكثر ما يقعون هذا التشبيه على
الانحاء من الكبر ، قال الشاعر :

نقوس بعد مَرَّ العُمر ظهري وداستني الآيالي أي دَوسِ
فأمشي والعصا تهوي أُمَامِي كَأَنَّ قَوَامَهَا وَتَرُّ لَقُوسِي
وقال ابن لُبَّال :

قوس ظهري المشيب والكبير والدَّهر باعمرُوكُلُّهُ عَيْرُ
كَأَنَّي والعصا تدب معي قَوْسُهَا وَهِيَ فِي يَدِي وَتَرُّ

قوله : « عَرَا » : قصد . فناءكم : منزلكم ، وفناء الدار : ما أحاط بها من الأرض ختمته . معترًا : قاصدًا لطلب معروفكم ، أمسكم : قصدكم . طُرَا : أجمع . يبنى قِرَى : يطلب طعامًا . احلولى : اشتدت حلاوته . بنت : يفتى وينشر . البر : الإحسان .

قال الحارثُ بن هَمامٍ : فَلَمَّا خَلَبْنَا بِمُدُوبَةٍ نُطْقِهِ ، وَعَلِمْنَا مَا وَرَاءَ بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا فَتَحَ الْبَابِ ، وَتَلَفَيْنَاهُ بِالْتَرَحَابِ ، وَقُلْنَا لِلْغُلَامِ : هَيَّا هَيَّا ، وَهَلُمَّ مَا هَيَّا .

فقال الضيف : وَالَّذِي أَحَلَّنِي ذَارَكُم ، لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُم ، أَوْ تَضَمُّوْا لِي أَلَّا تَتَّخِذُونِي كَلًّا ! وَلَا تَجَشُّمُوا لِأَجْلِي أَكَلًا ؛ فَرُبَّ أَكَلَةٍ هَاضَتِ الْإِكْلَ ، وَحَرَمَتْهُ مَا كَلَّ ، وَشَرُّ الْأَضْيَافِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيلِ ، وَأَذَى الْمُضِيفِ ، خُسُومًا أَذَى يَنْتَبِئُ بِالْأَجْسَامِ ، وَيُفْضِي إِلَى الْأَسْقَامِ ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ : « خَيْرُ الْعَشَاءِ سَوَافِرُهُ » ، إِلَّا لِيُعْجَلَ التَّعْشَى ، وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعْشَى ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقْدَرَ نَارُ الْجُوعِ ، وَتَحُولَ دُونَ الْمُجُوعِ .

قوله : « خَلَبْنَا » ، أى خدعنا . علمنا ما وراء برقه ، يريد أن ما أبدى لهم من الكلام النصيح دهم على ما عندهم من العلم ، كما أن البرق إذا ظهر ولمع علم ما وراءه من المطر . ابتدنا : استبقنا ، الترحاب : من قولهم . مرحبا مرحبا . هيا هيا ، أى سق سق . هلم ما هتيا ، أى أحضر ما تيسر . لا تلمظت بقراكم : لا تذوقت بطعامكم ،

وأصل التَلَطُّظ تتبع اللسان ما بقي من الطعام في الفم بعد الأكل . كَلَا : ثَقِيلًا ،
وفلان كَلٌّ على أهله ، إذا لم يكن لهم مؤنة نفسه ، والسكل : الإعياء ، وجمعه كلول ،
وعلى فلان كلٌّ كثير ، قال النابغة الجعدي :

رَأَيْتُمْ بَنِي سَعْدِ كَالْوَلَا كَكثِيرَةٍ شهيدٌ بِذَلِكَ ابْنُ حُمَادِ بْنِ أَحْمَرَ^(١)

تَجَشَّمُوا : تَكَفَّنُوا . أَكَلَا : طَعَامًا ، وَالْأَكْلَةُ : الْغَدَاءُ وَالْعِشَاءُ ، وَالْأَصْلُ
فِي هَذَا أَنَّ الْأَكْلَ بِالْفَتْحِ ، مُصْدَرُ أَكَلَ ، وَبِالضَّمِّ مَا أَكَلَ ، وَالْأَكْلَةُ بِالْفَتْحِ :
الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، وَبِالضَّمِّ اللَّقْمَةُ ، وَبِالْكَسْرِ هَيْئَةُ الْأَكْلِ . هَاضَتْ : أَضْمَفَتْ ،
وَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ هَيْضَةً ، وَهِيَ الْقَيْءُ وَالْإِسْهَالُ ، وَأَصْلُ الْمَثَلِ : رَبُّ أَكْلَةٍ تَنْمَعُ
أَكَلَاتٍ ؛ وَقَالَ ابْنُ هَرَمَةَ :

وَرُبَّتْ أَكْلَةٌ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةٍ سَاعَةٍ أَوْ كَلَّاتٍ دَهْرٍ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يُشْفَى بِشَيْءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي

وَالْمَأْكَلُ : جَمْعُ مَا كَلَّةٍ أَوْ مَا أَكَلَ ، وَهِيَ الْأَكْلُ ، وَهِيَ أَيْضًا مَا يُوْكَلُ .
سَامَ التَّكْلِيفُ ، أَيْ عَرَضَ مُضِيفُهُ إِلَى تَكْلِفٍ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ . وَالْأَذَى : الضَّرَرُ ،
وَالضَّيْفُ : صَاحِبُ الْمَنْزِلِ . يَفِضُ : يَثُولُ . سَارَ سَائِرُهُ : انْتَشَرَ التَّحَدُّثُ بِهِ .
وَمَشَى فِي النَّاسِ . خَيْرَ الْعِشَاءِ سَوَافِرُهُ ؛ بَوَاكَرُهُ ، أَيْ مَا أَكَلَ مِنْهُ بِضُوءِ النَّهَارِ ،
وَاحِدُهَا سَافِرَةٌ ، وَالسَّافِرَةُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي سَفَرَتْ قَابِهَا عَنْ وَجْهِهَا ، أَيْ كَشَفَتْهُ ؛
فَكَأَنَّ اللَّقْمَةَ إِذَا أَبْصَرَتْهَا عِنْدَ أَكْلِهَا قَدْ سَفَرَتْ الظَّلَامُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُجْمَعُ عَلَى
سَوَافِرٍ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، حَكَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ شُعْبَانَ النَّعْوَى ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى
مُحَمَّدِ بْنِ الْيَزِيدِ وَهُوَ يَتَغَدَّى ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، خَيْرَ الْغَدَاءِ بَوَاكَرُهُ ، خَيْرُ الْعِشَاءِ
مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي ، فَقَالَ : دَخَلْتُ عَلَى حُسَيْنِ بْنِ الْخَادِمِ ، وَهُوَ يَتَغَدَّى فَقَالَ :

(١) ديوانه : ٥٦

يا أبا سليمان ، خير الغداء بواكره ، خَيْرُ العشاءِ ماذا ؟ قلت : لا أدري ، فقال :
كنت بحضرة الرشيد وهو يتفدى ، فدخل الأصمعيّ ، فقال : يا أصمعيّ ، خير
الغداء بواكره ، خَيْرُ العشاءِ ماذا ؟ فقال : بواصره ، يعني ما يُبَصَّرُ من الطعام قبل
الظلام . وحكى أبو يعقوب في الغداء التأخير . فقال : قال الحكيم - وقيل هو لعليّ
ابن أبي طالب رضي الله عنه - من سرّه البقاء ولا بقاء . فليكر الغداء ، ولياكر
العشاء ، وليخفف الرّداء - يريد قتل الدّين .

التعشى : أكل العشاء ، وهو ما يؤكل بالعشيّ . يُعشى : يورث العشاء ،
وهو سواد البصر ليلا ، قال ابن دُرَيْد :

وأرى العشاء في العين أكثر ما يكون من العشاء^(١)

أراد من تأخير العشاء ، لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر
من غيره ، وقال كشاجم :

ونديمٍ يخالف لا يشاء الذي أشأ^(٢)
هو في الصّحو لي أخ وعدوّ إذا انتشى
اقتربت العشاء يو ما عليه فاذهنا
ساعة ثم قال لي : العشاء يورث العشاء

كأن هذا التطبّب أخذه كشاجم من قول [ضيف] الصاحب بن عباد ، قال
الصاحب : ما أنعمني أحد كأبي الحسن البديهيّ ، فإنه كان عندي ، قدّمت إليه
فاكهةً ، فأمن في الشمس ، فقلت : الشمس يلطّخ المعدة ، فقال : لا يمجّني المضيف

(١) ديوانه ٣٠ . والمعنى المقصود داء العين ، والمددود الأكل عشا .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

إذا تطبَّب ، فودِدْتُ أنى لم أفلها .

وورد النهى عن ترك العشاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدعوا العشاء ، ولو بكف من حَشَفٍ ^(١) ، وإن تركه مَهْرَمَةٌ » .

وقوله : « تحول دين المجوع » ، أى تمنع من النوم ، وجاء فى الحديث النهى عن التكلف ، قال سفيان : ذهبت أنا وصاحبى إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وماء ، فقال صاحبي : لو كان فى ملحنا صغتر ! فبعث سلمان مطهرته ^(٢) ، فأرهنها ^(٣) ، فجاء بصغتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذى أقتننا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قتنت لم تكن مطهرتى مرهونة ! وجاء فى حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الإدام الخلل » ، وكفى بالمرء إثماً أن يسخط ما قرب إليه . المجوع ، أى النوم .

* * *

قال : فكَأَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى إِزَادَتِنَا ، فَرَحَى عَنْ قَوْسٍ عَقِيدَتِنَا ، لَا جَرَمَ أَنَّا آنَسْنَاهُ بِالتِّزَامِ الشَّرْطِ ، وَأُثْمِنَا عَلَى خَلْقِهِ السَّبْطِ . وَلَمَّا أَحْضَرَ الْعَلَامُ مَارَاجَ ، وَأَذْكَى بَيْنَنَا السَّرَاجَ ، تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لِيَهْنِشْكَمُ الضَّيْفُ الْوَاردُ ، بَلِ الْمُنْعَمُ الْبَارِدُ ! فَإِنْ يَسْكُنُ أَفْلَ قَمَرُ الشُّعْرِى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشُّعْرِ ، أَوْ اسْتَسَرَّ بَذْرُ النَّثْرِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَذْرُ النَّثْرِ . فَسَرَتْ مُحِبًّا الْمُسْرَةَ فِيهِمْ ، وَطَارَتْ السَّنَةُ عَنْ مَا فِيهِمْ ، وَرَفَضُوا الدَّعَاةَ الَّتِي كَانُوا نَوَازِمَهَا ،

(١) الحشف : ردى الثمر . (٢) المطهرة : إناء يطهر به .

(٣) أرهنها : جعلها رهناً .

وَنَابُوا إِلَى نَشْرِ الْفَكَاهَةِ بِنْد مَا طَوَّوْهَا ؛ وَأَبُو زَيْد مُكَبُّ عَلَى
إِهْمَالِ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَطَرَفْنَا بَغْرِيَّةً مِنْ
غَرَائِبِ أَمْتَارِكَ ، أَوْ عَجِيَّةٍ مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ . .

• • •

قوله : «عقيدتنا» ؛ أى ما اعتقدت عليه ثباتنا، ويقال : رميت عن القوس ،
ولا يقال : رميت بها ، إلا أن ترميها من يدك . لا جرم ، بمعنى حقا . ولا بدّ
ولا محالة . السَّبَط : السهل . راج : تيسر . أذكى : أوقد . السَّرَاج : المصباح .
تأملته : نظرت . ليهشكم ، أى ليسرّكم . الوارد : التاخذ . الغمّ البارد : الهنى الذى
يُغْنِمُ دون قتال ولا تعب . أقل : غاب . الشعرى : كوكب معروف ، وهما
شعريان : العبور والغميصاء ، سمّوها عبورا لأنهم يزعمون أنها عبرت البحيرة ،
وسموا الأخرى الغميصاء لأنها بكت على أخيها حتى غمضت عينها . أى خفيت .
استسرّ : غاب وخفى . التثرة : ثلاثة أنجم مجتمعة . تبليج : ظهر وأضاء . النثر :
ضد النظم ، يقول : إن غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه ، فهذا أبو زيد قمر
الفصاحة قد طاع ، فجدّوا حديثكم ودعوا النوم .

سَرَتْ : مشت . حميا المسرّة : شدة السرور ، والحميا : حدة الخمر وتسّى الخمر
الحميا . السّنة : أخفّ من النوم . ما قيمهم : عيونهم ، والمآق : طرف العين من جهة
الأنف . تركوا . الفكاهة : الحديث المظرف ، وأصلها المزاح ، ومنه قولهم :
لا تمازحن صبيّا ولا ثقا كهنّ أمة ، قال ابن الأنبارى : المعنى : لا تمازحن ، إلا أنه
استسمح إعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه ، مخالف للفظه . وثقا كهنّ ، مشتق
من الفكاهة ، وهى المزاح ، وقال طرّنة :

وإن امرأ لم ينفُ يوما فكاهةً لمن لم يردّ سوءا بها لجُهل^(١)

ووصف أبو العيناء ابن أبي دؤاد ، فقال : له هزل يؤثم به ، وجدَّ بتقديم الجدة ،
وبين ذلك فكاهة تستلح ، ودعا به تستظرف . ومزح ، مصادره ثلاثة : مزح
ومزاح وممازحة . اليزيدى : المزاح ، بالكسر لا غير . أبو عمرو : ما ذكره اليزيدى
مصدر ما زحت مزاحاً وممازحة .

قوله : «مكب» ، أى مائل الرأس . إعمال يديه : استعمالها بالأكل . واسترفع :
أمر برفعه ، ويروى «استفرغ» ، أى أتم . أطرفنا ، أى حدثنا بطرفة ، وهى الحديث .
المستلح ، والطرفة عند العرب : الشئ . الحدث الذى لم يكن عرف ، وجاء فلان .
بطرفة وشئ . طريف . وهو مشتق من الطريف والطارف ، وهما المال المستحدث .
الذى جمعه الرجل واكتسبه . والتالد : ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالى من طريف وتالدٍ لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
أسمارك : جمع سمر ، وهو الحديث يُسمر عليه .

فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْمَجَانِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّأْوُونَ ، وَلَا رَوَاهُ
الرَّأْوُونَ ؛ وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِهَا مَا حَايَنَتْهُ اللَّيْلَةُ قُبِيلَ انْتِيَاكُمْ ، وَمَصِيرِي
إِلَى بَابِكُمْ ؛ فَاسْتَخْبَرَنَاهُ عَنْ طُرْفَةِ مَرَّاهُ ، فِي مَشْرِحِ مَسْرَاهُ ، فَقَالَ :
إِنَّ مَرَامِي الثَّرْبَةِ ، لَفَظَتْنِي إِلَى هَذِهِ الثَّرْبَةِ ، وَأَنَا ذُو حِجَاةٍ وَبُوسَى ،
وَجَرَابِ كَفُودِ أُمِّ مُوسَى . فَهَضَمْتُ حِينَ سَجَا الدُّجَى ، عَلَى مَا بِي مِنْ
الْوَجَى ، لِأَرْتَادِ مُضِيغًا ، أَوْ أَقْتَادِ رَغِيغًا ، فَسَاقَنِي حَادِي السَّغَبِ ،
وَالْقَضَاءِ لِلسَّكْنَى أَبَا الْمَجَبِّ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ ، فَقُلْتُ
على بدار :

• • •

قوله: «الم يره اراءون»، أى الناظرون إليه، وقوله: «ولارواه الراوون» أى حفظه الحافظون. عاينته: شاهدته ورأته بمعنى. انتيابكم: قصدكم. مصيرى: رجوعى. مرآه: رؤيته. مسرح: حيث يسرح ويمشى. مسراه: سيره بالليل. مراى: قواذف التربة: البلدة. مجاعة: جوع. بؤسى: ضرر. جراب: وعاء. الزاد. كفة زواد أم موسى، أى فارغاً لقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ (١).

[قصة موسى عليه السلام قبل مبته]

وسمى موسى لأنهم وجدوه بين ماء وشجر، ومو بالقبطية هو الماء، وشاة الشجر، فعرّبت فجعلت الشين سيناً. وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ولم تزل بنو إسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى القراعنة، وهم على بقايا من دين إبراهيم عليه السلام الم شروع له وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام. حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى. على الله منه ولا أطول عمرا. وكان شديد الغاظة سبى الملكة. واسمه الوليد بن مصعب، وكان اتخذ بنى إسرائيل خولاً، فصنّف منهم بينون، وصنّف محرّتون، ومن لا عمل له وظلّف عليه الجزية، فرأى فى منامه أن ناراً أقبلت من المقدس، فأحرقت التّنبط وتركت بنى إسرائيل، فسأل عن رؤياه، فقيل له: يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مضر، فأمر بقتل كلّ مولود يولد فى بنى إسرائيل. فجمع القوابل وعهد إليهن بذلك، فذبح الولدان وعذّب الحبالى، حتى يطرحن ما فى بطونهن، حتى كاد يذبحهم، فقيل له: إنهم خولك، وإنك إن تُفهم ينقطع التسل. فأمر بقتل الفلمان عاماً ويُسّتحون عاماً، فولد هارون فى السنة التى يستحيون فيها. وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها.

فلما وضعته أمه حرّنت لثأنه، فأوحى الله إليها: أن أرضعيه، فإذا خفت

عليه فآلقه في اليم - وهو النيل - ولا تخافى ولا تحزنى. فعمات تابوتا وجعلته فيه ، وألقته في اليم ، وقالت لأخته: قصيه ، أى اقتنى أثره ، فجعله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون ، فخرج جوارى فرعون يغتسلان ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون ، وهى بنت مزاحم ، إسرائيلية ، فكشفت عنه التابوت ، فرأته . فرحمته وأخذته ، وأخبرت به فرعون ، فأراد أن يذبحه ، وخشى أن يكون المولود الذى حذّر منه ، فلم تزل به آسية حتى تركه لها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(١) ، فاللام من ﴿ ليكون ﴾ للعاقبة ، ولم يكن لفرعون ولد ، فأتخذه له ولدا ، فارتادوا له المرضعات ، فلم يقبل ثدى واحدة منهن ، ولما غاب أمره عن أمه ، كاد قلبها يطير وجداً عليه ، فبعثت أخته كآتها تلتمس رضاعه ، فلما رأت أنهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة - وذلك قوله تعالى . ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ - قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ فقالوا لها : دلينا على ذلك ، فذهبت فبجأت بأمه .

فلما رأته كادت لشدة حبها فيه ، ورحها به أن تقول: هو ابنى ، وتفتضح ، فعصمها الله من ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا ﴾ ، فأعطته ثديها ، فأخذ يرضعه . فربته فى قصر فرعون ، فلما تحرّك عرضته آسية على فرعون ، فلما أخذه مزموسى يده إلى لحيته ففتفها ، فقال فرعون : على بالذباحين ، إنما هو هذا ! فقالت آسية : قرّة عينى لك ، لا تقتلوه فإنه صبى لا يعقل ، ودعت له بجمر وياقوت لتختبره ، فطرح جبريل عليه السلام يده فى النار وأخذ قطعة منها ، فوضمها موسى عليه السلام فى فيه ، فأحرقت . فتركه فرعون ، فسكبر فى حجره . فلما ترعرع تبناه ، فكان يركب مراكبه ويابس ملابسه ، ويدعى ابن فرعون .

(٢) سورة القصص ١٢ .

(١) سورة القصص ٨ .

(٣) سورة القصص ١٠ .

ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب ، فركب أثره ، فأدر كه بيلد .
منف ، فدخلها وقد أخذت فرعون وليس في طرقها أحد ، فرأى إسرائيليا مع
قبطن يقتتلان ، فاستغاثه الإسرائيلي ، فوكز القبطي قفطى عليه ، فسكان من
قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه ، حتى خرج خائفاً يترقب إلى مدين .
وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون في البحر
وجنوده ، فذكر في الثامنة عشرة .

قوله : « نهضت » ، أى مشيت . سجا الدجى : سكن بالظلام وغطى كل
شىء . الوحى : الحفا . أرتاد : أطلب . مضيقاً : منزلاً ، وأضافه : أنزله . وأضافه :
نزل به فهو ضيقه ، أى النازل به . أفتاد : أقود . حادى السب : سائق الجوع .

وَعِشْتُمْ فِي خَفْضِ عَيْشٍ خَصِيلٍ	حَيْتُمْ يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ
نِضْوِ سُرْمَى خَابِطِ أَيْلِ أَيْلٍ	مَا عِنْدَكُمْ لَابْنِ سَبِيلٍ مُزْمِلٍ
مَا ذَاقَ مُذْيُومَانَ طَعْمَ الْمَاكِلِ	جَوَى الْحَنَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلِ
وَقَدْ دَجَا جُنْحُ الظَّلَامِ الْمَسِيلِ	وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْنِلِ
فَقِيلَ بِهَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ الْمَهْلِ	وَهُوَ مِنَ الْخَيْرَةِ فِي تَمْلِلِ
وَأُبَشِّرْ بِيَشْرِ وَفَرَى مُمَجِّلِ	يَقُولُ لِي : أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ

حَيْتُمْ : طابت حياتكم ، والتحية البقاء . خفض : لين وخفض عيشه خفضاً ، إذا
أخضب . خضل : ناعم ، وخضل : الشئ ، يخضل خضلاً : ابتل . ابن سبيل : خاطر طريق ،
وهو القريب ، وسمى القريب ابن السبيل ، لأنه إذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له
نسب إلا السبيل الذى جاء منه . ومزمل : لا زاد له ، وأرمل القوم : نفي زادم

ومن أبيات اللغز في ابن السبيل :

وَمَنْحُنُ ابْنَ مَنْ لَا يَنْكِرُ النَّاسُ فَضْلَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ ظَالِبٍ وَشَرًّا
نَإِنْ تَحَنَّنُوا فِينَا أَبَانَا فَحَقَّنَا رَعَيْنُكُمْ وَإِلَّا أَوْقَدْتُ نَارَكُمْ شَرًّا

أى سيئتم في كل مكان ، كما قال الآخر :

وَأَنْتَ الَّذِي شَيَّعْتَنِي قَبْلَ شَيْعَتِي وَأَوْقَدْتَ لِي نَارًا بِكُلِّ مَكَانٍ
وَمِنْهَا أَيْضًا :

وَأَحْيَانًا يَكُونُ كَبِيرٌ سَنٍ وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنَ الشَّبَابِ
وَمَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ لَمْ يَلِدْهُ كَذَلِكَ اللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ

قوله : «نضو شري» ، أى هزبل من مشى الليل في الأسفار . و- ابط ليل :
الذى يمشى فيه على غير هداية . أليل : شديد السواد . جوى الحشى : فاسد
الجوف من الجوع ، وهو الطوى . مشتمل : منضم ، أى قد انضم جوفه على
الجوع ، ففسدت أحشائه . موئل : ملجأ ، من وألت إلى كذا ، أى لجأت . دجا :
ألبس . جئح : سواد : المسيل . المطبق . تملل : تقلب وتوجع . والريع : المنزل ،
والمهل : موضع الماء .

ويقال : ألقى عصاه ، إذا ترك السير وأقام ، وروى الأصمعي عن بعض البصريين
أنه قال : سُميت العصا عصاً لأن اليد والأصابع تشتمل عليها ، وهو من قول العرب :
عصوتُ القومَ إذا جمعتهم على خير أو شر ، ويقال : عصى بالسيف يعصى إذا
خُرب به كما يضرب بالعصا . بشر : طلاقه وجه .

قَالَ : فَبَرَزَ إِلَى جَوْدَرٍ ، عَلَيْهِ شَوَذَرٌ ، وَقَالَ :
 وَخُزْمَةُ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى وَأَسَّسَ الْمَجْجُوجَ فِي أُمِّ الْقُرَى
 تَمَّا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى سَيَوَى الْحَدِيثِ وَالْمُنَاخَ فِي الذَّرَا
 * فَتَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى *

برز : خرج . جودر : ظلي ، وأصله ولد الغزالة . الشوذر : ثوب قصير .

[إبراهيم عليه السلام]

والشيخ الذي سَنَّ الْقِرَى ، هو إبراهيم عليه السلام ، واختصه بلقب الشيخ
 لأنه أول مَنْ شَاب ، ولما رأى الشيب ، قال : يارب ، ما هذا ؟ فأوحى الله إليه ،
 يا إبراهيم ، هذا وقار ، فقال : يارب زدني وقاراً . وشاب وهو ابن مائة وخمسين
 سنة ، وذلك أنه كُتِبَ وَلَدَتْ سَارَةَ إِسْحَاقَ ، قال الكنعانيون : ألا تعجبون لهذا
 الشيخ والمجوز وجداً غلاماً ، فتبيناه . انصورت الله إسحاق على صورة إبراهيم عليهما
 السلام ، فلم يفصل بينهما ، فوشم الله إبراهيم بالشيب .

قوله : «سَنَّ» : ابتداء ، وجعله سُنَّةً ، وهو أول مَنْ صَيَّفَ الضيف ، وأطعم
 المساكين ، وقصَّ شاربه ، وقَلَّمَ أظافره واستحدَّ واستاك ، وفرَّق شعره ، ومضمض
 واستنثر ، واستنحى بالماء . وَأَسَّسَ الْمَجْجُوجَ ، أى بنى أساس البيت الحرام .
 وأُمُّ الْقِرَى : مكَّة . والطارق : الآتي بالليل . والمناخ : موضع البروك . يَقْرَى :
 يُضَيَّفُ . الكرى : النوم . يرى أعظمه ، أى أزال اللعَم عنها . انبرى : اعترض .

[عما قيل في القِرَى والأضياف]

وقال حبيب في أن أول من قرى الضيف إبراهيم عليه السلام :
 للجودِ سهمٌ في المسكارم والتقى لا ربه المكدي ولا المسهوم^(١)

(١) ديوانه ٣٠٠ ، والمكدي : الفقير ، والمسهوم : الضامر .

وبيان ذلك أن أول من قرى وحبا خليلُ الله إبراهيمُ
وقال أبو بحر صفوان بن إدريس في فتي اسمه إبراهيم، وأبدع ما شاء
حيث قال :

أَسَمِيَّ مِنْ سَنِّ الْقِرَى رَقِيًّا بَيْنَ	يَفْنَى عَلَيْكَ صَبَابَةً وَغَرَامًا
أَنَا ضَيْفُ حَسَنِكَ فَاصْطَنِعْنِي إِيَّاهُ	ضَيْفُ الْهُوَى يَسْتَوْجِبُ الْإِكْرَامًا
لَمَّا نَظَرْتُ نَجْمَ خِيَلَانٍ بَدَتْ	فِي صَحْنٍ وَجَنَّتِكَ اسْتَفَدْتُ مَقَامًا
أَفْنَيْتَ جِسْمَ الصَّبِّ شَوْقًا مِثْلَمَا	أَفْنَى سَمِيِّكَ قَبْلَكَ الْأَصْنَامَا
يَا زَهْرَةً سَكَنْتُ فَوَادِي غَضَّةً	إِنِّي تَبَوَّأْتُ اللَّهْيَبَ كَمَا مَا
حَتَّى كَأَنَّ الْحَبَّ قَالَ لِأَضْلَعِي :	يَا نَارُ كُنْ بَرْدًا لَهُ وَسَلَامًا

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار :

أَبَا قَاسِمٍ وَالْهُوَى جَنَّةٌ	وَإِنِّي مِنْ حَرِّهَا لَمْ أَذِقْ
نَفَعَتُ جَاحِمَ نَارِ الْخَشْيِ	وَحَضْتُ بِحَارِ سَوَادِ الْخَدَقِ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكُنْتُ الْكَلِيمَ	أَمَنْتُ الْجَوَى وَأَمَنْتُ الْقَرَقُ!

انظر إلى الأضياف الرابعة والأربعين .

فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ قَفَرٍ ، وَمَنْزِلِ حِلْفٍ قَفَرٍ ! وَلَيْكِنْ
يَافَتِي ، مَا اسْمُكَ ، فَقَدْ فَتَنَنِي قَوْمُكَ فَقَالَ : اسْمِي زَيْدٌ ، وَمَنْشِي قَيْدٌ ،
وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْمَدْرَةُ أَمْسٍ ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبَسٍ .

قوله : « بمنزل قفر » : كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول :

نيس إغلاقى لبابى أنّ لي فيه ما أخشى عليه السرّقا
إنما أغلقته كي لا يرى سوء حالى من يمرّ الطرّقا
منزل أوطنه القفر فلو يدخل السارق فيه سرّقا

[نبذ وحكايات فى البؤس والحرمان]

إنما أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى ، وكان من أهل المّاح ، فاستضافه أعرابى ، فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال الأعرابى : خير كثير ، فقال : لعلك تظنهما التمر والماء ! والله ما هما إلا الليل والحرة ، فلم يكن ليزيد دار إلا الحرة - وهى أرض سوداء فيها حجارة سود ، وهى مقبرة المدينة - والقبور المخصّصة تكون بالليل موحشة ، فما ظنك بقبور سود فى أرض سوداء فى ظلمة الليل ! كيف حال من يكون هذا قراه ! فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الأعرابى .

ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقى - ويروى عن وهب

عابد قرطبة :

برزت من المنازل والقباب فلم يسرّ على أحدٍ حجّابى
فنزلى النضاء وسقف يتي سماء الله أو قطع السحاب
وإنى لم أجد مصراع بيت يكون من السحاب إلى التراب
ولا انشق الثرى عن عود نحت أو مل أن أشدّ به ثيابى
ولا خفت الإباق على عبيدى ولا خفت الهلاك على دوابى
وفى ذا راحة وفراغ بال فدأب الدهر ذا أبدا ودابى
(١٤ - شرح مقامات الحريرى ١)

وقال آخر :

ولما التمتُ الرزقُ فأنجذَ حبلُهُ
خطبتُ إلى الإعدامِ إحدى بناته^(١)
فأولدها الحرفُ الشَّقِيَّ فماله
فلو تهت في البيداء والليل مبلٌ
ولو خفت شرًّا فاستترت بظلي^(٢)
ولو جادَ إنسانٌ على بدرم
ولو يُمطرُ الناسُ الدنانيرَ لم يكنُ
وإن يقترف ذنباً ببرقة مذنبٌ
وإن أر خيراً في الأنام فنازحٌ
أمامي من الحزنانِ جيشٌ عرمرمٌ

وقال آخر :

لو ركبْتُ البحارَ صارت أجاجا
ولو أنى وضعت ياقوتة حمراء
ولو أنى وردت عذبا فرائنا

وقال آخر :

لو وردت البحارُ أطلب ماء
أو مسستُ العودَ النضيرَ بكفى
أو رمى باسمي النجومُ الدَّارِي
ولو أنى بعت القناديلَ يومًا
جفَّ قبل الورودِ ماء البحارِ
لذوى بعد بهجة واخضرارِ
لا نزوى ضوءها عن الأبصارِ
أدغمَ الليل في ضياء النهارِ

(١) ط من الإعدام ، وما أتيت من ا ، ب .

(٢) ط : « بظلة » .

وقال شواش :

كسدت شواشيننا وَقَلَّ معاشُنَا فسعودُنَا مقرونة بنحوس
فكأنما قُطِعَت رءوس الناس أَوْهَدُ خُلِقُوا لثَقَوْتِنَا بغير رءوسٍ .
قيل لأبي الشتمق : أبشِرْ فإِنَّا روينَا في الحديث : « العارون في الدنيا هم
الكاسون يوم القيامة » ، فأنشأ يقول :

أنا في حالٍ تعالَى الله ربِّي أَيْ حالٍ
ليس لي شيءٌ إِذَا قِيلَ لِمَنْ ذَا؟ قلتَ ذَا لي
فأَرْضِي الله فرشي والسَّمَوَاتِ ظِلَالِي
ولقد أَفْلستُ حَتَّى حَلَّ أَكلى لِعِيَالِي
من رَأى شيئاً محالاً فَأَنَا عَيْنُ المَحَالِ
لو بَقِيَ في الناس خُرٌّ لم أَكُنْ في مثلِ حَالِي

قوله : « منزل » ، أي مضيف . حلف : صاحب . منشئ : موضعي الذي
نشأت فيه .

[ذكر مدينة فيد]

وفيد بلد مشهور ، في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد ، وفيها عين ماء ،
وينزلها عمال طريق مكة وأهلها من طيء ، وهم في سَفْح جبلهم المعروف بسلي ،
وقد ذكرها زهير في قوله :

ثم استمرُّوا وقالوا إِن مَشَرَبَكُم ماء بشرق سَلي فَيَدُ أَوْرَكَكُم^(١)
قال الزجاجي : سُمِّيَتْ بفيد بن حام ، وهو أول مَنْ نَزَلَهَا ، قال : ويقول
أهل العراق : هي من قولهم : فاد الرجل يفيد فَيَدُ إِذَا مات ، أو من قولهم : استفاد
فائدة ، وقلما يقولون : أفاد فائدة ، والفيد أيضاً نور الزعفران . قال شيخنا ابن جبير^(٢)

(١) ديوانه ١٦٧ ، ورَكَك : اسم ماء بعينه ، وفي ط : « ركل » تحريف .

(٢) ط : « جرير » ، تصحيف .

رضى الله عنه : إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضخوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج ، وصبحوا فيبدأ يوم الأحد في اليوم الرابع عشر من خروجهم . ثم وصفها فقال : هي مِصْرٌ كبير ، منفرج في بسط من الأرض ، يمتد حوله رَبَضٌ ، يطيف به سور عتيق . وهو معمور بسكان من الأعراب يتعيشون^(١) من الحجاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق ، وفيها يترك الحجاج بعض أزوادهم إعلداً للإرمال^(٢) من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها ، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ، ووهبوا لمن أودعها عندهم شيئاً من ذلك .

وهي نصف الطريق من بغداد إلى مكة أو أقل سيراً ، ومنها إلى الكوفة اثنا عشر يوماً في طريق سهلة . ودخلها أمير الحاج على تعبية وأهبة إرهاباً للمجتمعين بهامن الأعراب لثلاً بداخلم الطمع في الحاج ، لكثمتهم لا يجدون إليهم سبيلاً والحمد لله . والمياه كثيرة في آبارها ، تمدّها عيون تحت الأرض ، وامتلأت أيدي الحجاج التادمين من أغنام العرب بالمبايع ، فلم يبق خيمة ولا ظلالة إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان ، بحسب الوجد ، فعمّ جميع الحلة الغنم واللبن والسمن والفسل ، فأكلوا واحتملوا ، وكان ذلك اليوم عيداً للركب .

قال : وبهذه الحلة العراقية ، وما انضاف إليها من الخراسانية والموصليّة وماترجيات الآفاق ينزل من صحبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، ينص بهم البسيط الأفصح ، ويضيق بهم الميه الضحضح ، فترى الأرض تميم بهم مئيداً ، وتموج بجمعهم موجاً ، فتصير بهم بحراً طامحاً القباب ، ماؤه السراب ، وسفينته الركاب ، وشراعه الظلال المرفوعة والقباب ، ويسير سير السحاب ، متداخلاً بعضها على بعض ، فتعان تراحماً في البراح المنفسح يهول ويروع ، واصطكاكا :

(١) رحمة ابن جبير : « يتعيشون » .

(٢) أرمل القوم : فقد أزادهم .

المبيع التجارات فيه ، فبعضها ببعض مقروع ؛ فمن لم يشاهد هذا السفر العراق لم يشاهد عجباً تحدث به ، ويتحف السامع بفرائبه ، والقدرة والقوة لله وحده . وحسبك أن النازل في منزل من هذه الحلة متى خرج لبعض حاجاته ، ولم يكن له دلالة على موضعه ضلّ وتاب ، وعاد منشوداً بحملة الضوال ، وربما اضطر به الحال إلى الوصول لمضرب الأمير ورفع المسألة إليه ، فيأمر أحبا التشدين بما أعدت لذلك ، فيردفه خلفه على جمل ، ويطوف به الحلة منادياً باسم جماله وبلده ، إلى أن يؤدبه إلى رفقته .

وعجائب هذه الحلة كثيرة ، ولأهلها من اليسار ما يفيهم على حاكم بسيله .^(١)

وما ذكرنا أمر هذه الحلة إلا ليستدل على أن فيها بلداً في غاية القوة والعمارة ، حيث أمد هذا الجمع الكثير والجسم الغفير بما تقدم من أنواع الأرزاق ، وإن قبائل طيء متوفرة بحيث أطلع إلى الفارة على مثل هذه الحلة . والملك لله وحده مني الجميع بمد كمال العدة .

قوله : «وردت» ، أي أتيت . المدرة : البلد . عبس : قبيلة .

فَقُلْتُ لَهُ : زِدْنِي إِیْضَاً ، عَشْتِ وَنُعِشْتِ ، فَقَالَ : أَخْبَرْتَنِي أُمِّي بِرَّةٌ ، وَهِيَ كَانَتْهَا بَرَّةٌ ؛ أَنَّهَا نَكَحَتْ قَامَ الْفَارَةِ بِمَاوَانَ ، رَجُلًا مِنْ سَرَاقِ سُرُوجِ أَوْغَسَانَ ، فَلَمَّا آتَسَ مِنْهَا الْإِتْقَالَ - وَكَانَ بِاقِعَةً فِيمَا يُقَالُ - ظَلَمَ عَنْهَا سِرًّا ، وَهَلُمَّ جَرًّا ، فَتَا يُعْرِفُ : أَحَى هُوَ فَيَنْوَقِعُ ، أَمْ أُوْدِعَ اللَّحْدَ الْبَلْمَقَ .

قال أبو زيد : فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي ، وَصَدَقَنِي

(١) انظر رحلة ابن جبير ١٨٣ ، ١٨٤ .

عن التَّعْرِفِ لِأَيْهِ صَفَرُ يَدِي، فَفَصَلْتُ عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ، وَدُمُوعٍ مُمْضُوضَةٍ. قَهْلَ سَمِعْتُمْ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْعُجَابِ! فَقُلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَثْبَتُوهَا فِي عِبَائِبِ الْإِتْفَاقِ، وَخَلَّدُوهَا بِطَوْنِ الْأَوْرَاقِ، كَمَا مَسِيرٌ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ. فَأَحْضَرْنَا لَدَوَّةَ وَأَسَاوِدَهَا، وَرَقَشْنَا الْحِسْكَايَةَ عَلَى مَا سَرَدَهَا.

• • •

إيضاحاً : بياناً . نُعِشْتُ : جُهِرْتُ . وَبَرَّةُ الْأَوَّلِ اسْمُهَا وَالثَّانِي صِفَتُهَا ، يَرِيدُ أَنَّهَا مَكْرَمَةٌ كَثِيرَةُ الْبَرِّ . نَكَحْتُ : تَزَوَّجْتُ . عَامُ الْغَارَةِ ، أَيْ عَامُ أَغَارِ عَلَيْهِمُ . عَدُوَّهُمْ . مَاوَان : بِلْدَةٌ . سَرَاةٌ : سَادَةٌ . آنَسَ : أَبْصَرَ . وَالْإِتْقَالُ : الْإِمْتِلَاءُ . بِالْوُلْدِ . بَاقِعَةٌ : دَاهِيَةٌ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ الَّذِي جَالِ بَقَاعِ الْأَرْضِ وَعَرَفَ خَيْرَهَا وَشَرَهَا .

قال ابن الأنباري رحمه الله : فلان باقعة ، أي داهية حذر محتمل حادث ، والباقعة عند العرب : الطائر الحذر المحتمل الذي يشرب الماء من المباح (١) ، ولا يردُّ المِشَارِعَ والمياه المحصورة خوفاً من أن يُحْتَمَلَ عليه فيُصْطَادُ ، ثم شَبَّهَ به كل حذر محتمل . هَلَمْ جَرًّا ، معناه إلى الآن ، قال ابن الأنباري : هَلَمْ جَرًّا ، سِيرُوا عَلَى هَيْئَتِكُمْ ، أَيْ تَثَبَّتُوا عَلَى سِيرِكُمْ ، وَلَا تَجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَشْقُوا عَلَيْهَا ، أَخَذَ مِنَ الْجَرِّ فِي السُّوقِ ، وَهُوَ أَنْ تَتْرَكَ الْغَنَمَ وَالْبَقَرُ تَرْعى فِي السَّيْرِ ، وَيَنْتَصِبُ «جَرًّا» فِي قَوْلِ الْكُوفِيِّينَ عَلَى الْمَصْدَرِ ، لِأَنَّهُ فِي «هَلَمْ» مَعْنَى «جَرٍّ» ، وَفِي قَوْلِ الْبَصْرِيِّينَ : هُوَ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ تَقْدِيرُهُ «هَلَمْ جَارِينَ» أَيْ مُسْتَبْتِينَ ، قِيَاسًا عَلَى : جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ مَشِيًا ، وَأَقْبَلَ رَكْضًا ، وَجَاءَ وَأَقْبَلَ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ بِمَعْنَى مَشَى وَرَكَضَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَنْصَبُ عَلَى التَّمْيِيزِ . يُتَوَقَّعُ : يُنْتَظَرُ . أَوْدَعَ : أَدْخَلَ . اللَّحْدُ الْبَلْقَعُ :

(١) للمباح : الأمسكة بشفق منها الماء .

اللحد الخالى . صدفى : أمانى . التعرف : أن يعرفه أنه أبوه . صفر يدي : فراغها من الدراهم . فصلت : زلت . مرضوضة : مدقوقة مكسورة . مفضوضة : مفترقة . أولى الألباب : أهل العقول . العُجاب : مبالغة في العَجَب .

خلدوها ، أى أثبتوها . الآفاق : البلدان و جهات الأرض جميعها . أساودها : أقلامها . رقشنا : كتبنا . على ما سردها ، أى كما حكاهما وتكلم بها .

* * *

ثم استبطنناه عن مُرَّتَاه ، فى استضمام إفتاه ، فقال : إِذَا ثَقُلَ رُذْنِي ، خَفَّ عَلَىَّ أَنْ أَكْفُلَ ابْنِي ؛ فَقُلْنَا : إِنْ كَانَ يَكْفِيكَ نِصَابُ مِِنَ الْمَالِ ، أَلْفَنَاهُ لَكَ فِي الْحَالِ ؛ فَقَالَ : وَكَيْفَ لَا يُقْنِعُنِي نِصَابُ ، وَهَلْ يَحْتَفِرُ قَدْرُهُ إِلَّا مُصَابُ !

قال الراوى : فالتزم منه كلُّ مِنَّا قِسْطًا ، وَكَتَبَ لَهُ بِهِ قِطًّا ، فَشَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الصَّنِيعَ ، وَاسْتَنْفَدَ فِي الثَّنَاءِ الْوُسْعَ ، حَتَّى إِنَّا اسْتَطَلْنَا الْقَوْلَ ، وَاسْتَقْلَلْنَا الطَّوْلَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَشَرَ مِنْ وَشِي السَّعْرِ ، مَا أُرْزَى بِالْحَبْرِ ، إِلَى أَنْ أَظْلَّ التَّنْوِيرُ ، وَجَشَرَ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ ، فَقَضَيْنَاهَا لَيْلَةً غَابَتْ شَوَائِبُهَا ، إِلَى أَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا ، وَكَمَّلَ سُمُودُهَا ، إِلَى أَنْ انْقَطَرَ عُودُهَا .

° ° °

استبطناه : سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه . مُرْتَاه : رأيه وغرضه . رُدْنِي : كَتَنِي . أَكْفَلَ : أَضْمَ . نَصَاب : عشرون ديناراً . أَلْتَنَاه : جمعناه . يَقْنَعِي : يكفيني . مَصَاب : مجنون . قوله : « قسْطاً » ، أى نصيباً . قِطّاً : كتاباً . الصنع : الفعل الجميل . استنفد : استنم . الوسع : الطاقة ، ووُسْع الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك ، وهو من السعة ، أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء . استطلنا : استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً ، والطَّوْل : الإِنعام والفضل ، أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلاً . والوَشْي : ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير . والخَبَر : ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة ، والخَبَر تصنع باليمن ، فثبته حسن حديثه بالوشى ، وخصَّ الخَبَر لحسن فنونه . وقال ابن الزقاق - وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى ساءهم به أبو زيد ، وزاد عليه الشجاعة :

لِللَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي اسْتَجْدَى بِهَا فَلَقِيَ الصَّبَاحَ إِسْدَقَةَ الْإِظْلَامِ (١)
طَرَأَتْ عَلَى مَعَ النُّجُومِ بِالنَّجْمِ مِنْ فِتْنَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
إِنْ حَوْرِيَا فَرَزَعُوا إِلَى بِيضِ الظُّبَا أَوْ خَوِطُبُوا فَرَزَعُوا إِلَى الْأَفْلَامِ
فَتَرَى الْبَلَاغَةَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ وَالْبَاسَ بَيْنَ يَرَاعَةٍ وَحُسَامِ

جسر : طلع . قضيناها : أتمناها . شوائبها : ما يتركها ويكدرها .
الدَّوَائِب : الشعر الطويل الأسود ، وأراد به ظلام الليل ، وجعل فيه بياض
الصباح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر ، قال ابن دريد :

إِنَّمَا تَرَى رَأْيِي حَاكِيَ لَوْنِهِ طُرَّةً صَبَحَ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى (٢)

(١) ديوانه ٢٩٨ .

(٢) من القصيدة ص ١١٧

انفطر : انشقّ وطلع . عودها : بياض صبحها ، ويقال : انفطر القضيبي ،
إذا بدأ نبات ورقه ، وقال امرؤ القيس :

* كخُرُوبة البانة المنفطر^(١) *

* * *

وَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ النِّزَالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ النِّزَالَةِ ، وَقَالَ : انْهَضْ بَنَّا
لِنَقْبِضَ الصَّلَاتِ ، وَلِنَسْتَنْصِفَ الْإِحَالَاتِ ، فَقَدْ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُ
كَبِدِي ، مِنْ الْحَنِينِ إِلَى وَلَدِي . فَوَصَلَتْ جَنَاحَهُ ، حَتَّى سَنَيْتُ
نَجَاحَهُ ؛ فَحِينَ أَحْرَزَ الْعَيْنَ فِي صُرَّتِهِ ، بَرَقَتْ أَسَارِيرُ مَسَرَّتِهِ ،
وَقَالَ لِي : جُزَيْتَ خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي
عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ وَلَدَكَ النَّجِيبَ ،
وَأُتَافِقَهُ لِكَيْ يَجِيبَ .

* * *

قرن النزالة : شعاعها وحاجبها ، والنزالة من أسماء الشمس ، وأسمائها
كثيرة ؛ ذكرها يعقوب وغيره ، وذكر منها عشرة خمسة بالهاء ، وهي : النزالة ،
والجارية ، والجلونة ، ومهاة ، والإلاهة . وخسة بنير الهاء وهي : الشمس ،
والسراج ، والضَّحَّ ، وذُكَا ، وبُوح^(٢) .

هلمر : وثب . النزالة : الظبية . انهض أى قم . الصَّلَات : العطايا . نستنص :
نستحضر . والنَّاض : المال الحاضر . والإحالات : الديون التي وعدوه بها .
الاستطارت : توسعت وانتشرت . صُدُوع : شقوق . والحنين : الشوق والرحمة .
وصلت جناحه ، أى مشيت معه ویدی فی يده ، وجناح الرجل : يده . سنيت :

(١) ديوانه ٥٧ ، وصدره :

* بَرَهْرَهَةٌ رُودَةٌ رَخْصَةٌ *

(٢) مبادئ لفظ العربية ٣ ، وذكر من أسمائها أيضا براح والشرق

بَسَّرَتْ . نَجَّاحَهُ : قِضَاءَ حَاجَتِهِ . أَحْرَزَ الْعَيْنَ : حَصَلَ الْمَالُ . وَصُرَّتْهُ : خَرَقَتْهُ
دِرَاهِمُهُ . بَرَقَتْ : لَمَعَتْ . أُسَارِيرُ : طَرِيقُ الْوَجْهِ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَفْرَجُ تَبْرِقَ أُسَارِيرِ وَجْهِهِ » ، وَيُقَالُ لَهَا الْأُسْرَةُ ؛ وَيُقَالُ
لِخَطُوطِ الْكَفِّ : الْأُمَرَّةُ ، وَقَدْ جُمِعَ بَيْنُهَا التَّهَامِي فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ :

يُبْدِي أُسِيرَةَ وَجْهِهِ وَيَمِيزُهُ فِي سَاعَةِ الْإِعْسَارِ وَالْإِيبَارِ

مِصْرَتُهُ : سُرُورُهُ ، أَرَادَ : انْطَاقَ وَجْهِهِ سُرُوراً بِالْمَالِ . خَطَا : مَشَى .
وَالنَّجِيبُ : الْجَنِيدُ الْعَقْلُ الْكَرِيمُ الْأَصْلُ . قَوْلُهُ : « أَنْفَاقُهُ » ، أَيْ أَكْلُهُ .

* * *

فَنَظَرَ إِلَى نَظَرَةِ الْخَادِعِ إِلَى الْمَخْدُوعِ وَضَعِكَ حَتَّى تَغْرَغَرَ
مُقْلَتَاهُ بِالذُّمُوعِ ، وَأَنْشَدَ :

يَا مَنْ تَطَنَّى السَّرَابَ مَاءً لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خِلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ مَكْرِي وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنَيْتُ
وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ بِعُرْسِي وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنِيتُ
وَإِنَّمَا لِي فَنُونٌ سِحْرِي أَبَدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يَخْشِكْهَا الْأَصْمَعِيُّ فِيمَا حَكَايَ ، وَلَا حَاكَا الْكَمِينُ
تَخَذْتُهَا وَضَلَّةً إِلَى مَا تَجَنَّبُهُ كَفِّي مَتَى اسْتَهْنَيْتُ
وَلَوْ تَعَايَيْتُهَا كَلَّاتُ حَالِي ، وَلَمْ أَخْوِ مَا حَوَيْتُ

فَمَهْدِ الْمَذَرِ أَوْ فَسَامِخِ إِنْ كُنْتُ أَجْرَمْتُ أَوْ جَنَيْتُ
نَمْ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى ، وَأَوْدَعَ قَلْبِي بَجَرِّ الْمَضَى .

تفرغرت : امتلأت . تظننى : حسب . حلت : حسبت . يستمر : ينجى .
مكرى : خداعى . يُخِيل : يابأس ويشبه . عُرِى : زوجتى . فنون : أنواع .
أبدعت فيها : أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها . يحكها : يحدث بها . حاكها :
نسجها وقال مثلاً . الأصمى مذكور فى القامة الأربعين .

[ذكر الكهيت وبعض أخباره وشعره]

وأما الكهيت الشاعر ، فهو ابن زيد الأسدى ، وهو شاعر مجيد مكثر
جداً ، ودبوان شعره مستعمل مشهور ؛ ولما قال قصائده الهاشميات قصداً البصرة ،
فأتى التزددق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، فقال : ومن أنت ؟ فأنسب له ،
قال : صدقت ، وما حاجتك ؟ قال : أنت شيخ مضر وشاعرهما ، وأحببت أن
أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك
أمرتني بستره ، قال : يا ابن أخى ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فقل راشداً ،
فأنشده :

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مِنِّي وذو الشَّيبِ يلعبُ !

قال : بلى ، فالعب ، فأنشده :

ولم يُبَاهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمُ مَنْزِلٍ ولم يَطْرَبْنِي بَنَانٌ مُحَضَّبُ

قال : ما يطرَبُ بك إذا ؟ فقال :

• لا أنا تمن يزجرُ الطيرُ همهُ أصاح غرابٌ أم تمرضُ ثعلبُ

قال : أنت تمن؟ ويحك ! وإلى من نسو؟ قال :
 ولا السانحات البارحات عشيّة أمرّ صحيح القرن أمّ مرّ أعصبُ
 قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، قال :
 ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب
 قال : فمن هم ويحك ! فقال :

إلى النّثر البيض الذين يحبّهم إلى الله فيما نابى أتقربُ

فقال : أرخني ويحك ! من هؤلاء ؟ فقال :
 بنى هاشمٍ رهطٍ النبيّ فإنّني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ
 فقال : لله درك يا بني ! فقد أصبت وأحسنت ، إذ عدلت عن الزّعانيف
 والأوباش ، إذ لا يُصرد^(١) سهمك ، ولا يثلب قولك . ثم مرّ فيها ، فقال : أظهر
 وأشهر ، فانت أشعر من مضى ، وأشعر من بقى^(٢) .

فحينئذ قدم المدينة ، فأتى عبد الله بن الحسين ، فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ،
 إن لي ضيعةً أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابُها ، وقد أشهدت لك بها
 شهوداً ، فقال : يا بني أنت وأمي ! كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ،
 ولا والله ما قلتُ فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لأخذ في شيء جعلته الله ثمناً .
 فلما أبى عليه أخذ منزره ، فدفعه إلى أربعة غلمان ، فجعل يدور به دور بني هاشم ،
 ويقول : هذا الكيت ، قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ،
 وعرض دمه لبني أمية ، فأنيبوه بما قدرتم . فاجتمع له من حلى النساء ومن الدنانير
 بالدرهم ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكيت ، وقال : يا أبا المستهل

(١) أصدر السهم : أخطأ . (٢) انظر الاغانى ١٥ : ١٢٠ ، ١٢١ .

أَتَيْنَاكَ بِجَهْدِ الْمَقَلِّ ، وَنَحْنُ فِي دَوْلَةِ عَدُوِّنَا ، فَاسْتَعْنِ بِهَذَا عَلَى دَهْرِكَ ، قَالَ :
بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ، قَدْ أَكْثَرْتُمْ وَأَطْلَبْتُمْ ، وَمَا أُرِدْتُ بِمَدْحِي إِلَّا بِكُمْ إِلَّا اللَّهُ ،
فَارْدَدَهُ إِلَى أَهْلِهِ . فَجَهْدَ بِهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ ، فَأَبَى ، فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أُيِّتَ أَنْ تَقْبَلَ ، فَإِنْ
رَأَيْتَ أَنْ تَقُولَ شَعْرًا تَغْضَبُ بِهِ بَيْنَ النَّزَارِيَةِ وَالْبَيْتِيَةِ لِمَلِّ فِتْنَةٍ مُحَدَّثٍ ، فَتَخْرُجْ
بَيْنَ أَضْغَانِهَا ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَلَا حَيِّتٍ عَنَّا يَا مَدِينَتَنَا وَهَلْ بَأْسٌ بِقَوْلِ مُسْلِمِينَا^(١)

فَمَرَضَ فِيهَا ، وَصَاحَ بِالْبَيْنِ فِيمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَبْشَةِ وَغَيْرِهِمْ ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ :

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ تُشِيرُ إِلَيْهِ أَيْدِي الْمُهْتَدِينَا^(٢)
وَمَا ضَرَبْتُ هَجَانُ بَنِي نَزَارٍ هَوَاجٍ مِنْ فُحُولِ الْأَعْجَمِينَا
وَمَا حَمَلُوا الْحَمِيرَ عَلَى عَتَاقٍ مُضْطَرَّةً فَيُلْفَوْنَ مُتَنَافِعِينَا

وَمَشَتْ فِي الْعَرَبِ ، فَانْتَحَرَتْ نَزَارَ عَلَى الْبَيْنِ وَالْبَيْنِ عَلَى نَزَارٍ ، وَثَارَتْ
الْمُصِيبَةُ فِي الْبَادِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ ، وَتَحَرَّزَ النَّاسُ ، فَتَغَضَّبَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ لِقَوْمِهِ مِنْ
نَزَارَ عَلَى الْبَيْنِ ، فَانْتَحَرَتْ عَنْهُ إِلَى الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَكَانَ السَّكَيْتُ سَبَبَ ذَلِكَ .
وَكَانَ لَا مَتَدَاحَةَ بَنِي هَاشِمٍ وَتَعْرِضُهُ بَيْنِي أُمِّيَّةً ، يُطَالِبُهُ خُلَفَاءُ بَنِي أُمِّيَّةٍ ،
فَهَرَبَ مِنْهُمْ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَخَذَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي طَلْبِهِ وَلَمْ يَجِدْهُ ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ
لِلْكَفَيْتِ قَرَارٌ مِنْ خَوْفِهِ . وَكَانَ لِمُسْلِمَةِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاجَةٌ عِنْدَ هِشَامٍ يَقْضِيهَا
لَهُ ، لِأَيِّدِهِ فِيهَا ، فَخَرَجَ مُسْلِمَةُ لِبَعْضِ صِيُودِهِ ، فَأَتَاهُ النَّاسُ يَسْلَمُونَ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُ
الْكَفَيْتُ - وَمُسْلِمَةُ لَا يَمُرُّهُ - فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَمَا بَعْدَ :
قِفْ بِالْذِّبَارِ وَقُوفِ زَائِرٌ وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَافِرٍ^(٣)

(١) وَرَدَ الشُّطْرُ الثَّانِي عَرَبِيًّا فِي الْأَصُولِ وَالصُّوَابِ مَا أَتَيْتُهُ مِنَ الْفَاقِرِ ٣

(٢) وَالْحِزَانَةُ ١ : ٨٦ .

(٣) ٢ : ٨ ، وَتَأَيَّ ، وَصَوَابُهُ مِنَ الْبَاسِ - أَيْ

حتى انتهى إلى قوله :

يا مسلم بن أبي الوليد —————
 علمت حبالى من حبال —————
 فآلآن صرتُ إلى أمي —————
 والآن كنتُ به المصيد —————
 لم ليت إن شئت ناسر —————
 لك ذمة الجار المجاوز —————
 لة والأمور لها مصائر —————
 ب كمتد بالأمس حائر —————

١٠ قال مسلمة: سبحان الله! من هذا الذي أقبل من أخريات الناس^(١) ثم بدأنا بالسلام، ثم قال: أما بعد ثم الشعر؟ قيل: الكميت، فأعجب بنصاحته، فسأله عما كان فيه من طول غيبته، فذكر له سخط هشام عليه، فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام، وهشام لا يعرفه، فقال الكميت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال هشام: نعم الحمد لله، من هذا؟ قال الكميت: مبتدىء الحمد ومبتدعة، الذي خصّ بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته. أحمده حمد من علم يقيناً، وأبصر مستبيناً، وأشهد بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده والرسول النبي الأمي، الذي أرسله والناس في هبوات^(٢) حيرة ومُدْهَمَات ظلمة، عند استمرار أيتها الضلالة. فبلغ عن الله ما أمر به، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم. ثم إنى يا أمير المؤمنين تهت في حيرة، وحِزْتُ في شكوة، أهاب بي داعيها، فأجابه غاويها، فاقطعوا طهيت^(٣) في الضلالة حائداً عن الحق، قائلاً بغير الصدق، فهذا مقام العائذ بك، ومنطق التائب، ومبصر الهدى حد طول المعى. يا أمير المؤمنين، كم من عائر أقلم عثرته، ومجترم عفوتم عن جرمه! فقال هشام - وقد علم أنه الكميت: من سن^(٤) لك هذه الغواية، وأهاب بك

(١) في المقد: «امن هذا الهندى المجاعب، الذى أقبل...»، والمهندى: الرجل من الهند والجل: «الشيخ الكبر».

(٢) الهبوات: التغيرات.

(٣) اقطوئى: قارب في مشيه إسراعاً.

(٤) ب: «من أين».

فى العمّاية ؟ قال : الذى أخرج آدم من الجنة ففسى ولم يجد له عزماً ، وأنت يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد المموس فيها فبصرت ، وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم ؛ فهم يبيكون لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك ، وعز بأسك . وثبات جأشك . وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الألباب ؛ برأى أريب ، وحلم مصيب . فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، وأتم عليه التمام ، ودفع به الأعداء .

فرضى عنه وأمر له بمال كثير^(١) .

فهذه منزلة الكميت من الشعر والخطابة خلافاً لمن يقول : القافية جلبته فى المقامات ؛ وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه .

• • •

قوله : « حاكها » ، أى نسجها . يريد أن الكميت بمن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه ، فلذلك قال : « حاكها » . وسأل بعض الخلفاء جريراً عن النابغة وزهير ، فقال : يتيران الشعر ويسديانه ، والعلماء بالشعر يسمون صنّاع الشعر عبيد الشعر ، مثل زهير وابنه كعب والخطيب وعدي بن الرقاع والكميت .

قوله : « تخذتها » ، أى اتخذتها ، يقال : تخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ ، وحُفِف عنه ، حذفوا ألف الوصل من اتخذ ، والتاء الأولى الساكنة ، التى هى فاء الفعل ، فبقى تخذ ، ومثله تقي يتقى واتقى يتقى ، حذف ألفه وتاؤه الأولى ، وليس يطرّد هذا التخفيف ، وإتما جاء فى اتخذ واتقى واتجه واتسع ، فقالوا : تقي وتخذ وتجه وتسع . وصلة أى موصلة . تماقيتها : تسكاريتها ، وهى تفاعلت من عفت الشيء أعافه عافاً ، أى كرمته . حالت : تغيّرت . أحو : أجمع . مهّد : أقبل وسهّل . أجمرت : أذبت لنفسى ، جنيت : أذبت لغيرى ، أراد : إن كان عذرى يتناً فاقبله ، وإن كنت ظالماً فتجاوز واسمح . أودع : ضمن وجعل فيه . الفضى : شجر جره يثبت فى النار .

(١) البغد ٢ : ١٨٣ - ١٨٥ ، مع تصرف وحذف

المِقامُ السَّادِسُ وَهُوَ الْمِرَاعِيَّةُ

وتعرف بالخِفاء

روى الحارثُ بن همامٍ قال : حَضَرْتُ دِيوانَ النَّظَرِ بِالْمِرَاعِيَّةِ ،
وَقَدْ جَرَسَ بِهِ ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ ؛ فَأَجْمَعَ مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرُتَانِ الْبِرَاعَةِ ،
وَأَرْبابِ الْبِرَاعَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ يُنْقَعُ الْإِنْشَاءُ ، وَيَتَصَرَّفُ
فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ، وَلَا خَلْفَ ، بَعْدَ السَّلَفِ ، مَنْ يَتَدَعُ طَرِيقَةَ غَرَاءِ ،
أَوْ يَفْتَرِعُ رِسَالَةَ عَذْرَاءَ ، وَأَنَّ الْمُفْلِقَ مِنْ كُتَّابِ هَذَا الْأَوَانِ ،
الْمَتَمَكِّنُ مِنْ أَرِمَةِ الْبَيَانِ ، كَالْعِيَالِ عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَلَوْ مَلَكَ فَصَاحَةٌ
سَحَابٍ وَأَنْثَلِ .

ديوان النظر ، أى مجلس المناظرة . للمراغة : بسطة من
كُور أذربيجان . البراعة : القلم قبل أن يبرى ويسوى ، فإذا بُرِيَ وَسُوِيَ قِيلَ
لَهُ قَلَمٌ ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ الْأَسْمُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْبِرَاعَةُ ، وَالْبِرَاعُ : الْقَصَبُ . أَرْبابُ الْبِرَاعَةِ :
أَصْحَابُ أَصَالَةِ الرَّأْيِ . وَالْبَارِعُ : الْأَصِيلُ الْجَيِّدُ الرَّأْيِ ، وَيُقَالُ : بَرَعَ بَرْعًا
وَبِرَاعَةً ، إِذَا فَاقَ فِي السُّودِّ . وَبُنُقَ : يَحْسُنُ وَيَخْلَصُ . الْإِنْشَاءُ . الْكِتَابَةُ . خَلْفَ :
بَقِيَ . السَّلَفُ : الْمُتَقَدِّمُونَ ، وَسَلَفُوا : ذَهَبُوا وَتَقَدَّمُوا . يَتَدَعُ : يَحْدُثُ . طَرِيقَةُ : حَالَةُ
مَوْصُوفَةٍ ، وَطَرِيقَةُ فَلَانٍ كَذَا ، أَيْ حَالَتُهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا . غَرَاءُ : وَاضِحَةٌ مَشْهُورَةٌ
لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِثْلَهَا . وَغَرَّةُ الشَّيْءِ : أَوَّلُهُ . يَفْتَرِعُ : يَفْتَضُّ . عَذْرَاءُ : بَكْرٌ ، سَمِيَتْ .
عَذْرَاءُ لَصُوبَةٍ جَاعِهَا ، وَتَعَذَّرَ الشَّيْءُ : تَصَعَّبَ ، وَافْتَرَعَ الْبَكْرُ : إِدْمَاؤُهَا وَإِزَالَةُ
مَا تَصَعَّبَ مِنْهَا ، وَكُلَّ مَا أَدْمِيَّتَهُ فَقَدْ فَرَعَتْهُ وَافْتَرَعَتْهُ ، فَمَعْنَى يَفْتَرِعُ رِسَالَةَ عَذْرَاءَ

أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره ، فاقدر هو على سلوك طريقها
والإتيان بها . للتعلق : النصيح للعرب الذى يأتى بالنفاق ؛ وهو الشيء العجيب .
الأوان : الوقت . العيال : مَنْ يَتَّكِلُ فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه ، وعال
الرجل عيلة إذا افتقر ، وعُلتُه عولاً : قمت بمؤنته ، نريد أن كُتِّبَ هذا الزمان
عيال على من تقدّمهم حيث افتتروا إلى الأخذ من كلامهم .

وقد وعدنا أن نذكر سبحانه فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

* * *

وكان بالمجلس كهلٌ جالسٌ فى الحاشية ، عند مواقف الحاشية ،
فكان كلما شطّ القوم فى شوطهم ، ونثروا المعجوة والنجوة من نوطهم ،
ينبىء مخازر طرفه ، وتسامخ أنفه ، أنه مخزنيقٌ لينباع ، ومجرمٌ
سيمد الباع ، ونايضٌ يعرى النبال ، ورايضٌ ينبغى النضال . فلما
نفلت الكنائن ، وفاءت السكائن ، وركدت الزعازع ، وكفّ
المنازع ، وسكنت الزماجر ، وسكنت المزجور والزاجر ، أقبل
على الجماعة ، وقال :

° ° °

الكل : التام الخلق ، بين الشاب والشيخ . الحاشية : طرف المجلس .
والحاشية الثانى . الأتباع وخدمة القوم ، وأصلها رُذال المال وصفاره ، قال
يعقوب : الحاشية والحواشى والحشو : صفار الإبل ، وأنشد :

* جلّتها والأخر الحواشيا *

شطّ : جرى . شوطهم : طلقهم . نثروا : ألقوا عليها . المعجوة : التمرة
(١٥ - شرح مقامات الحريرى ١)

الطبية . والنجوة : الرديئة ، هكذا كان ينسرها شيخنا أبو بكر بن أضر عن ابن جهور ، وما وحدث في كتاب لغة أن النجوة اسم للتمرة الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر ، فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً ، وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء ، لا أنها لغة عربية ، فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده ، لأن البصرة أكثر بلاد الله نخلاً ، فيسمون كل نوع من التمر باسم ، والتمر تكثر أنواعه عندهم . ورأيت أكثر أهل سجستان لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ، ورأيت بها نوعاً من التمر زعموا أنه لا يطيب أبداً ، وإنما حاله أن ينكش على نواه ، فلا تجدد إلا جلدأ يابساً على النواة ، فيعلفونه المِعز ، فيحتمل أن يكون مثل هذا في نخل البصرة يستى نجوة ، ويقابل بالمجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه . وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الأرض ، فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة ، قيل : إنها لفظة التمر إذا سقطت لا يبالي بها ، فإن صحت روايتها فكانها سميت بالنجوة التي هي العذرة . نوطهم : وعاء تمرهم ، قال أبو حنيفة : النوطة : الجلة الصغيرة من جلال التمر ، والجلة : الوعاء الذي يكثر فيه التمر ، وكل وعاء له علاقة فهو نوطة ، والجمع نوط ، وقد ناطه بنوطه ، إذا علقه ، فأراد : ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم . ينيء : يخبر . تحازر طرفه : كسر عينيه بالنظر ، وتحازر : نظر بمؤخر عينيه ، وهو نفاذ المنكر للشيء . تشامخ : ارتقاع ، وهو فعل المستحتر للشيء . مخربق : متبقي . لينباع : لينهض ، وفسره أبو عبيد في الأمثال . فقال : المخربق : للمطرق الساكت ، لينباع . ليثب إذا أصاب فرصة ، قال : ومعناه أنه سكت لدهاية يريدها ، وقيل : المخربق : الساكت على السوء . لينباع : يظهر الذي في ظنه من الشر . مجرمز : متقبض ، وهو كقول النابغة :
وقلت يا قوم إن الليث متقبضٌ على براثنه للوثبة الضاري^(١)

(١) ديوانه ٤٢ والفارسي من وصف الليث ، ويروي : « لوثبة الضاري » .

فأخذه ابن الرومي فقال :

سكنَّ سكوتاً كان رهناً بوثة . غمَّاس كفاك الليت للوثب ^(١) يلبد

نابض : رام ، ويقال : أنبض القوس ، إذا جذب وترها ثم أطلقه ليختبر شدتها . ونَبِض العرق : تحرَّك ، فيكون : « نابض » على النسب ، أو على حذف الزائد . الفنجديهي : أورد أبو الحسين بن فارس اللغوي في كتابه الجمل أن نبض لفة في أنبض ، وهما بمعنى واحد ، قال الشاعر :

نابت أباهما مقسمٌ بيمينه لئن نبضت كفى فإني لنابضٌ

فصح بهذا قوله . رابض : لاطيء بالأرض ، وربضت الشاة : اضطجعت .
يعنى النضال ، أى يطلب المراماة ، وأراد أنه يريد أن يلقي عليهم المسائل لجاذبه .
قوله : « نلت » ، أى نفضت وصب ما فيها . الكنائن : الجباب ، وهى أوعية السهام . فادت : رجعت . السكان : جمع سكينه ، وهى الوفار ، يريد : أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا . ركدت : سكنت . الزعازع : الرياح الشديدة المزلزلة ، واحدها زعزع . كف المنازع : أمسك الخالف ، يريد انقطع كلامه .

* * *

لَقَدْ حِثَّمُ شَيْئًا إِذَا ، وَجُرْتُمْ عَنِ الْقَصْدِ جِدًّا ، وَعَظَّمْتُمْ
الْعِظَامَ الرُّفَاتَ ، وَافْتَثُمُ فِي الْمَيْلِ إِلَى مَنْ قَاتَ ، وَغَمَّصْتُمْ
جِيَالَكُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَاتُ ، وَمَعَهُمْ انْمَقَدَتِ الْمَوَدَّاتُ .
أَنْسَيْتُمْ يَاجَهَابِذَةَ النُّقْدِ ، وَمَوَابِذَةَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ ، مَا أَبْرَزْتُمْ

(١) يلبد ، أى يحتم على الأرض .

طَوَارِفُ الْقَرَائِحِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذَعُ عَلَى الْقَارِحِ ، مِنَ الْعِبَارَاتِ
 الْمُهَذَّبَةِ ، وَالِاسْتِمَارَاتِ الْمُسْتَعْمَدَةِ ، وَالرَّسَائِلِ الْمَوْشَحَةِ ، وَالْأَسَاجِيعِ
 الْمُسْتَمْلَحَةِ ، وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ ، مَنْ حَضَرَ ، غَيْرُ الْمَعْنَى
 الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ ، الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ ، الْمَأْمُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ
 الْمَوَالِدِ ، لَا لِتَقَدُّمِ الصَّائِرِ عَلَى الْوَارِدِ ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُ الْآنَ مِنْ إِذَا
 أَنْشَأَ ، وَشَى ، وَإِذَا عَبَّرَ ، حَبَّرَ ، وَإِنْ أَهْبَبَ ، أَذْهَبَ ، وَإِذَا أَوْجَزَ ،
 أَعْجَزَ ، وَإِنْ بَدَّ ، شَدَّ ، وَمَتَى اخْتَرَعَ ، خَرَعَ .

* * *

إِذَا : أَمْرًا فظاعياً منكراً . جُرْتَمَ عَنْ الْقَصْدِ : خَرَجْتَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ . جَدًّا :
 كَثِيرًا . الرِّفَاتِ : الْبَالِيَةِ . افْتَتَمَ : فَعَلِمَ مَا لَا يَجِبُ وَتَجَاوَزَ فِيهِ ، وَيُقَالُ : افْتَتَاتِ
 الرَّجُلُ « افْتَعَلَ » مِنَ الْفَوَاتِ ، وَفَاتَ : ذَهَبَ وَعَدِمَ . غَمَصْتَ : حَقَرْتَ وَغَطَيْتَ .
 جَيْلِكَمَ : أَهْلَ عَصْرِكَ . اللَّدَاتِ : جَمْعُ لَدَّةٍ ، وَهُوَ الَّذِي وَلَدَ مَعَكَ . جِهَابَذَةٍ :
 حَدَاقٍ ؛ الْوَاحِدُ جِهَيْذٌ . النَّقْدُ : مَعْرِفَةُ الْكَلَامِ ، نَقْدُهُ : مِيزُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ مِيزِ الدِّرَاهِمِ
 الْجَيْدَةِ مِنَ الرَّدِيئَةِ . مُوَابَذَةٍ : حُكَامٌ ، وَالْمُؤَبَذُ : الْكَثِيرُ الْجَاهُ مِنَ الْقُرْسِ ، مِثْلُ
 الْوَزِيرِ وَالْقَائِدِ . أَبْرَزْتَهُ : أَظْهَرْتَهُ . طَوَارِفُ ، جَدِيدَاتُ وَغَرِيبَاتُ . الْقَرَائِحُ :
 الْأَذْهَانُ . بَرَزَ : غَلَبَ . الْجَذَعُ مِنَ الْخَيْلِ ابْنُ سَنْتَيْنِ . الْقَارِحُ : ابْنُ خَمْسٍ ،
 أَيْ غَلَبَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْعَصْرَ الْقَدِيمَ . عِبَارَاتُ : جَمْعُ عِبَارَةٍ وَهِيَ التَّفْسِيرُ ،
 وَعَبَّرَ عَنْ فُلَانٍ : تَكَلَّمَ عَنْهُ وَكَفَتْ لِسَانَهُ . الْمُهَذَّبَةُ : الْخُلَاصَةُ مِنَ الْعَيْبِ .
 الْإِسْتِمَارَةُ : أَنْ تَمِيرَ اللفظَ مَا يَسْتَحَقُّهُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ مِنَ الْعَارِيَةِ . الْمَوْشَحَةُ : الزَيْنَةُ .
 الْأَسَاجِيعُ : جَمْعُ أُسْجُوعَةٍ ، وَهِيَ الْكَلَامُ الْمُرْبُوطُ بِقَافِيَةٍ . أَنْعَمَ : بِالْفِعْلِ الْمَطْرُوقَةِ :

التي نزل عليها . المعلقة : المربوطة . الشوارد : الفارة ، يقول : ليس للتقدم إلا المعاني التي قصدها المتأخرون ، كما قصدها المتقدمون ، وقيدها التأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون ، فكان تقييدها سبباً لأن مشئت في الأقطار فعرفت وحفظت . الماثورة : المحدث بها . الصادر : الخارج عن الماء ، والوارد : الداخل إليه ، وذكر هنا أن الصادر يتقدم الوارد ، وذلك أنا إذا فرضنا موضع ماء لا يمكن وروده إلا واحداً بعد واحد ، فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره في المقامة . قال الحريري في درة القواس : إن^(١) الخواص يقولون : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال : الوارد والصادر ، لأنه مأخوذ من الورد والصدر ، ولما كان الورد يقدم الصدر ، وجب أن يقدم لفظ «الوارد» على الصادر ، وهذا كما ترى ، الورد يقدم الصدر في حق واحد ، يقال : ورد الماء ثم صدر عنه ، وأما في حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو في هذه المقامة ، فالصادر يتقدم الوارد . وقول الناس : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين ، فهم فيه على صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد ، لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه ، لأن الواو لا تعطى رتبة ، يقول : لا تتحدث بكلامهم ونظامهم وثمرهم لفضلهم علينا ، لكن لسبقهم لنا . أنشأ : كتب . وشئ : زين ورقم . عبّر : تكلم أو فسر . حبر : حسن . أوجز : اختصر . أعجز ، أي عجز عن فعله غيره . أسهب : أطال الكلام . أذهب : جاء بالذهب ، وأصل أسهب ، حفر بئرا بعيدة القعر ، وأذهب : صادف معدن الذهب في حفير . بدّه : ارتجل ولم يتفكر . شدّه : حبر من يتعاطى منزلته . اخترع : قال ما لم يسبق إليه . خرع : شقق المعاني .

* * *

فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيَّانِ ، وَعَيْنُ أُولَئِكَ الْأَعْيَانِ : مَنْ قَارِعُ هَذِهِ الصَّفَاةِ ، وَقَرِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ قِرْنُ

(١) درة القواس ص ٧١ .

مَجَالِكَ ، وَقَرَيْنُ جِدَالِكَ ؛ وَإِذَا شِئْتَ ذَاكَ فَرُضْ نَجِيًّا ، وَادْعُ
 مُجِيًّا ، لَتَرَى عَجِيًّا . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْبُيُوتَ بِأَرْضِنَا
 لَا يَسْتَنْسِرُ ، وَالتَّيْزَ بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ مُتَبَسِّرُ ، وَقَلَّ مَنْ
 اسْتَهْدَفَ لِلنُّضَالِ ، فَخَاصَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ ، أَوْ اسْتَنَارَ نَقَمَ
 الْاِمْتِحَانِ ، فَلَمْ يَقْذَ بِالْاِمْتِهَانِ ، فَلَا تُعْرِضْ عِرْضَكَ لِلْمَقَاضِحِ ،
 وَلَا تُعْرِضْ ذَنْ نَصَاحَةِ النَّاصِحِ . فَقَالَ : كُلُّ امْرِئٍ أَعْرَفُ
 بَوَسْمِ قِدْحِهِ ، وَمَسْتَفْرِى اللَّيْلِ عَنْ صُبْحِهِ . فَتَنَاجَتْ الْجَمَاعَةُ
 فِيمَا يُسَبِّرُ بِهِ قَلْبِيهِ ، وَيُعَمِّدُ فِيهِ قَلْبِيهِ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
 ذَرُوهُ فِي حِصَّتِي ؛ لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْعُقَدِ ،
 وَتَحَكُّ الْمُنْتَقَدِ . فَقَلَّدُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الزُّعَامَةَ ، تَقْلِيدَ الْخَوَارِجِ
 أَبَا نَعَامَةَ .

قوله: «ناظورة» ، أى كبير القوم ومقدمهم الذى ينظرون إليه . الديوان :
 دار الكتاب وموضع اجتماعهم . والديوان ، الزمام يكون فيه أسماء الجند
 وأرزاقهم ، وأصله «دِوَان» ، فقلت واوه الأولى ياء لانكسار ما قبلها ، ودل عليه
 دواوين فى جمعه ، وهو اسم أعجمى عربى ، والأصل فى تسميته أن كسرى أمر
 الكتاب أن يجتمعوا له فى دار ، ويمسكوا حساب السواد فى ثلاثة أيام ، وأعجبهم
 فيه ، فأخذوا فى ذلك . وأطلع عليهم لينظر ما يصنعون ؛ فنظر إليهم يحسبون بأسرع
 ما يمكن ، وينسخون كذلك ، فعجب من كثرة حركاتهم ، فقال : أرى «ديوان»
 ومعناه شياطين ، ثم سُمي موضعهم ديوانًا ، ثم استعملته العرب ، وجعل كل محصل

من كلام أو شعر ديواناً^(١). قارع: ضارب وكاسر. الصّفاة: الصخرة الملساء، استعارها للصعب من الكلام. قريع: سيد. الصفات: النعوت التي تقدم أنه يُعرَف بفعلها. وقِرْنُ مجالك: صاحب كلامك الذي تجول فيه — يعنى نفسه. قرين جدالك: صاحب مجادلتك، والقرن بالكسر: الذي يماثلك في شدة أو خصام أو علم، وإن لم يكن بينكما معرفة، وقرينك: صاحبك الذي لا يفارقك كأنه قرين معك. والجال: الموضع الذي تراض فيه الخيل. رُض: سس ولين. النجيب: النحل الكريم من الإبل، وعنى نفسه. ادع مجيباً، يقول: سِسْنِيْ نِم ادعني أستجب لك. ترى مجيباً، في حسن جوابي. البُغاث: صغار الطير. يستنسر: يصير نسراً، يقول: نحن أهل علم ومعارف، فلا تجوز علينا الخواف، والعرب تقول في أمثالها: «إن البغاث في أرضنا يستنسر»، أى يرجع الضعيف قويا لعزنا وحمايتنا له ممن يريده، وقيل في البغاث: إنه ذكّر الرّخم، وقيل: البُغاث كل ما يُصاد من الطير، والجوارح: كل ما يصيد، والرهام: ما لا يصيد ولا يصاد، كالخفاف وغيره. القِصّة: الحصى البيض الصغار، ويقال: جاء بالقصّ والقضيض بالقاف والضاد، ومعناه جاء بالكبير والصغير. والقضيض: صغار الحصى وما تكسّر منه، وقالوا: جاءوا قَصَصَهُم بقضيضهم. أى كلّمهم. استهدف: صار هدفاً، وهو الأرض للسهم. التّضال: الرّامة. المُضال: الذي لا يُبرأ منه. استنار: حركت تقع غبار. الامتحان: الاختبار. يَقْذَ: يقع في عينه القذى، وهو ما يسقط في العين، ويقول: من صار غرضاً للألسنة قل أن يسلم، ومن صار طالباً لمناظرة أهل المعارف أهين وأخف. المفاضح: الخزيات واشتهار العيوب. وسم: علامة. قدّحه: سهمه، يريد قداح الميسر، وكان كل رجل يعمل في قدحه علامة يعرف بها، قال دريد بن الصّمة:

وأصفر من قداح النَّبع فرع به علّمان من عَقَبٍ وضَرَسٍ^(٢)

(١) العرب للجوالقي ١٥٤، وفي شفاء القليل ٩٤ عن المروزقي في شرح الفصيح، قال: هو عربى، من دوت الكلمة إذا ضبطتها.

(٢) اللسان - ضرس

الضرس : العضّ بالضرس ، وسنذكر في الثالثة والأربعين قِداح العرب :
 سيتفري : سيتكشف . قوله : « تناجت » ، أى تحدثت سرّاً . يُسبر : يقاس .
 قليبه : بثره . يَعْمَد : يَقْصِد . تقليه : تجربيه . ذُرُوه : اتركوه . حصّتى : نصيبى .
 قصّتى : خبرى ، وجعل لمأثته حجراً يرميه به مجاًئاً . عُضْلة : صعوبة . العقد :
 جمع عقدة ، يريد أن عقدها صعب الحلّ . محكّ المنتقد : وهو حجر يقاس به جيّد
 الفضة والذهب من الردىء ؛ أراد أن مسأله نهاية فى الصعوبة ، والعُضْلة : كل
 مسألة شديدة لا يُهتدى لمثلها ، ولا يوقف على جوابها ، من قولهم : ذاء عضال
 ومعضل ، إذا كان شديداً لا يُهتدى لدوائه ، ولا يوقف على علاجه ، وعضّات
 المرأة تعضيلها ، نشب ولدها فى بطنها ، وعضّات الدجاجة بيضتها كذلك ، وفلان
 عُضْلة من العضل ، أى داهية لا يُهتدى لمكره . قوله : « الزعامة » ، أى
 الرياسة .

[ذكر قطري بن الفجاءة]

وأبونعامه هو قطري بن الفجاءة النميمي الخارجي . وكان له فرس يكنى
 بها فى الحرب ، ويسكنى فى السلم أبا محمد . وقطري : منسوب إلى قطر ، موضع
 قريب من عقير .

وكان فارساً شجاعاً شاعراً مجيداً ، وكان رئيس الخوارج ، وسلموا عليه
 بأمر المؤمنين عشرين سنة ، وكان خطيباً فصيحاً . وله خطبة فى ذم الدنيا انتهى
 فيها من البلاغة إلى الغاية . وأولها :

أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُنت بالشهوات ، وراقت
 بالقليل ، وتحببت بالماجل ، وتحلت بالأمانى ، وترينت بالغرور ،
 لاتدوم زهرتها ، ولا تؤمن لجمعها ، غرارة ضلالة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ،

لَا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ الرِّغْبَةِ فِيهَا ، وَالرِّضَا عَنْهَا ، أَنْ تَكُونَ كَمَا
قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ .

ومنها :

كَمْ وَاقَتْ بِهَا قَدْ جَفَّتْهُ ، وَذَى طَمَأْنِينَةً إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذَى احْتِيَالٍ فِيهَا
قَدْ خَدَعَتْهُ . وَكَمْ مِنْ ذَى أَهْبَةٍ فِيهَا قَدْ صَبَّرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذَى نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا ،
وَذَى تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ لِلْيَدِينِ وَالنِّم ؛ سُلْطَانِهَا دَوْلٌ ، وَعَيْشَهَا رَنْقٌ ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ ،
وَحُلُومُهَا صَبِرٌ ، مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَقْلُوبٌ ، وَسَلِيمُهَا مَكْنُوبٌ ، وَجَامِعُهَا
مَحْرُوبٌ ؛ مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ ، وَالْوَقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ
الْحُكْمِ الْعَدْلِ ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .

ومن جَيِّدِ شِعْرِهِ فِي وَقْعَةِ دُولَاب :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لِزَاهِدٌ	وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ ^(١)
مِنْ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا	شَفَاءٌ لَدَى بَثٍّ وَلَا لِسَقِيمٍ ^(٢)
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَلِطَمَ وَجْهَهَا	عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جَدُّ لَتِيمٍ ^(٣)
وَلَوْ شِئْتُ يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ	طَعَانٌ فِتْنَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ ^(٤)
غَدَاةَ طَفَّتْ عِلْمَاءُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ	وَعَجْنَا صُدُورَ الْخَلِيلِ نَحْوَ تَمِيمٍ ^(٥)

(١) الأغاني ٦ : ١٤٨ ، الكامل للبريد ٣ : ٢٩٨ .

(٢) الأغاني : « لَمْ أَرْمِثْهَا » .

(٣) دولاب ، قال في الأغاني : « هِيَ قَرْيَةٌ مِنْ عَمَلِ الْأَهْوَازِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَهْوَازِ نَحْوُ مِنْ
أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ ، كَانَتْ بِهَا حَرْبُ الْأَزَارِقَةِ وَمُسْلِمُ بْنُ عَيْسٍ بْنُ كَرِيزٍ ، خَلِيفَةُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ » .

(٤) علماء ، يريد على الماء ، وبعده في رواية البريد :

وَكَانَ لِعَبْدِ الْقَبْسِ أَوَّلُ جَدِّهَا وَأَحْلَافُهَا مِنْ يَحْصُبٍ وَسَلِيمٍ

وَزَلَّتْ شِيُوخُ الْأَزْدِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ تَعْمُومُ وَظَلْنَا فِي الْجَلَاءِ نَعْمُومُ

وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي إِقْوَاءُ .

نَلِمَ أَرِيوَمَا كَانَ أَكْثَرُ مَنَظَعًا^(١) بُسِجَ دَمًا مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ^(٢)
 وَضَارِبَةٍ خَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى أَغْرَتْ نَجِيبَ الْأُمَهَاتِ كَرِيمِ
 أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدِيرٌ حَرِيمٍ^(٣)
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَلِكَ وَخَلِينَا تَبِيحَ مِنَ الْكَذَارِ كُلِّ حَرِيمِ
 رَأَتْ فَتِيَّةٌ بَاعُوا إِلَٰهَهُ نَفُوسَهُمْ بِجَنَاتِ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمِ

وَأُمُّ حَكِيمٍ الَّتِي شَبَّبَ بِهَا ، كَانَتْ مَعَهُ فِي عَسْكَرِ الْإِبَاضِيَّةِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ ، وَأَجْمَلِهِمْ وَجْهًا ، وَأَحْسَنِهِمْ بَدِينَهُ مَتَمَسِّكًا . وَكَانَ قَطَرِي يَحِبُّهَا وَيَحِلُّهَا ، وَأَخْبَرَ مِنْ شَاهِدِهَا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ أَنَّهَا كَانَتْ تَرْتَجِزُ فَتَقُولُ :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَنِمَتْ حَمَلَهُ وَقَدْ مَلَّتْ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

* أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقَلَهُ *

وَالْخَوَارِجُ يَفْتَدُونَهَا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ ، وَخِطَابُهَا جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِ الْخَوَارِجِ فَرَدَّتْهُمْ ، وَقَالَتْ :

أَلَا إِنَّ وَجْهًا حَسَنَ اللَّهِ خَلَقَهُ لِأَجْدَرِ أَنْ يُبَلِّغَنِي بِهِ الْحَسَنَ جَامِعًا
 وَأَكْرَمَ هَذَا الْجِرْمَ عَنْ أَنْ يَنَالَهُ تَوَرُّكُ فَخْلٍ هَمٍّ أَنْ يَجَامِعَا

أَيْنِ هَذِهِ مِنْ أُمِّ خَارِجَةٍ ، وَاسْمُهَا عَمْرَةَ بِنْتُ سَعْدٍ ، كَانَ يُقَالُ : لَهَا خِطْبٌ . فَتَقُولُ : نَكُحْ ، وَضَرْبُهَا النِّثْلُ قَتِيلٌ : أَسْرَعُ مِنْ نَكْلِحِ أُمِّ خَارِجَةٍ^(٤)

(١) الْأَغَانِي وَالْكَامِلُ : « مَقْمَعًا » ، وَهُوَ الطَّمَنُ بِالرِّمَاحِ .

(٢) ط : « فَائِظٌ » . تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مِنْ أ ، ب ؛ وَالْفَائِظُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : « فَاظِ الرَّجُلُ ، إِذَا مَاتَ » .

(٣) دِيرٌ حَرِيمٌ : مَوْضِعٌ بِالْأَهْوَازِ .

(٤) الْمِيدَانِيُّ ١ : ٣٤٨

وأين هي من خنيدة قطريّ مع صاحبها ، حكى الإصبهانيّ عن إسماعيل بن المهاجر قال : خرجت أنا والسيد الحميريّ سكارى ، فلقينا بنت الفجاءة بن عمرو ابن قطريّ بن النجاءة ، وكانت امرأة برزّة حسناء ، فواقها السيد ، وأنشدها من شعره ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ، ثم خطبها ، فقالت : كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق ! قال : يكون كمنكاح أم خارجة ، قيل لها : خطب ، قالت : نكح ، فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى ذلك فن أنت ؟ قال :

إن تسألني بقرنى تسأل رجلاً في ذروة المجد من أجواد ذي يمن^(١)
ثم الولاء الذي أنجو النجاة به من كبة النار للهادي أبي حسن
فقلت : لا شيء أعجب من هذا ! يمانى وتميمة ، ورافضى وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك تسخو نفسك^(٢) ، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً ، قالت : أفليس التزويج إذا علم ، انكشفت معه الستور^(٣) ؟ قال : وأنا أعرض عليك أخرى ، قالت : وما هي ؟ قال : المنة^(٤) التي لا يعلم بها أحد ، قالت :

(١) بعمه في رواية الأغاني :

حوّلي بها ذو كلاع في منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزد أزد عثمان الأكرمون إذا عدت ماثرهم في سالف الزمن
بانت كريمتهم عني فدارهم داري في الرحب من أوطانهم ووطني
لي منزلان : بلخج منزل وسط منها ، ولي منزل للعز في عدن

(٢) ط : « تحشد نفسك » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني : « انكشف معه الستور وظهرت خفيات الأمور » .

(٤) المنة : أن تزوج امرأة تنسج بها أياها ، ثم تخلى سبيلها ؛ وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء بأجل معلوم ، ويطلبها شيئاً ، فيستعطيها بذلك ، ثم تخلى سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ؛ وقد كانت مباحة في أول الإسلام ثم حُرمت ؛ والجلودي ؛ أحد كبار علماء الشيعة الإمامية كتاب أسماء المنة وما جاء في تحليلها .

تلك أخت الزنا ، قال : أعيذك بالله أن تسكفري بعد إيمانك ! قالت : وكيف ؟ قال لها : قال الله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ، قالت : أستخير الله وأقلدك ، إذ كنت صاحب قياس وتفتيش . ولما انصرفت معه ، وبات معرساً بها ؛ وبلغ أهلها من الخوارج أمرها تَوَعَّدوها بالقتل ، فجحدت وقالوا : أتزوجت بكافر ! فكانت تخلف إليه مدةً وتواصله ^(١) .

وقوله : «تقليد الخوارج بأنعامة» ، لما قُتل الزبير بن عدي على أيدي أمير الخوارج ، أداروا أمرهم ، فأرادوا تولية عبدة بن هلال الشكري ، فقال : ألا أدلكم على من هو خير مني لکم ؟ مَنْ يطاعن في قُبُلٍ ، يحصى عن دُبُرٍ ؛ عليكم بقرئ ابن الفجاءة المازني ، فبايعوه .

* * *

فَأَقْبَلَ عَلَى السَّكَّالِ ، وَقَالَ : اعْلَمْ أَنِّي أُوَالِي ، هَذَا الْوَالِي ، وَأَرْفَعُ حَالِي ، بِالْبَيَانِ الْحَالِي . وَكُنْتُ أَسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي ، فِي بِلَدِي ، بِسَمَةِ ذَاتِ يَدِي ، مَعَ قَلَّةٍ عَدَدِي . فَمِمَّا ثَقُلَ حَاذِي ، وَنَفِدَ رِذَاذِي ، أُمَّمَّتُهُ مِنْ أَرْجَائِي ، بِرِجَائِي ، وَدَعَوْتُهُ لِإِعَادَةِ رُؤَايَ ، وَإِرْوَائِي ؛ فَهَشَّ لِلْوَفَادَةِ وَارْتَأَحَ ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَاحَ . فَلَمَّا اسْتَأْذَنَتْهُ فِي الْمَرَّاحِ ، إِلَى الْمَرَّاحِ ، عَلَى كَاهِلِ الْمَرَّاحِ ؛ قَالَ : قَدْ أَرَمَتْ أَلَا أَرُودُكَ بَنَاتًا ؛ وَلَا أَنْجِعُ لَكَ شَتَاتًا ، أَوْ تُنْشِي لِي أَمَامَ أَرْتِحَالَكَ ، رِسَالَةً تُودِعُهَا شَرْحَ حَالِكَ ، حُرُوفُ إِخْدَى كَلِمَتِهَا يَعْمُّهَا النَّقْطُ ، وَحُرُوفُ الْأُخْرَى لَمْ يُجْمَنْ قَطُّ ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ

(١) الأغاني ٧ : ٢٦٤ . مع اختلاف في الرواية .

بياني حولا ، فما أحرار قولا ، ونهتُ فكري سنة ، فما ازداد
إلا سنة . واستعنتُ بقاطبة الكتاب ، فكلُّ منهم قطبٌ
وتاب ، فإن كنتَ صدعتَ عن وصفك باليقين ، فأنت بآيةٍ إن
كنتَ من الصادقين .

فقال له : لقد استسغيتَ يعبوبا ، واستسقيتَ أسكوبا ،
وأعطيتَ القوسَ باريها ، وأسكنتَ الدارَ بانيها . ثم فكرَ ريثما
استجمَّ قريحته ، واستدّرَ لِقحته ، وقال : ألقِ دوائك واقرب^(١) ،
وخُذْ أداتك واكُتُب :

◊ ◊ ◊

قوله : « أوالى » ، أى ألأزم وأأخذهُ وثيا . أرقح : أصلح ، يقال رَقَح من
عيشه ، إذا أصلح منه ، قال الشاعر :

يترك ما رَقَح من عيشِهِ يَبْعَثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجٌ^(٢)

الهَمَج : البعوض ، ثم قيل لأرذال الناس : همج . الحالى : المزين بالخلي .
أودى : عوجى . سعة : كثرة . ذات يدى ، أى مالى . عددى : عيالى . حاذى :
ظهرى ، وفلان خفيف الحاذ ، أى قليل العيال ، وأصل الحاذ مؤخر الفخذين .
نقد رذاذى : فرغ قليل مالى ، والرذاذ . المطر الضعيف . أمته : قصده . أرجأى :
جهاى وبلادى . رجأى : أمله . روائى : حسن هينى وحالى : إروائى : إزالة
عطشى . هَش : خف ، ورجل هَش : بَسام : طليق الوجه . للوفادة : للقدوم عليه . وارتاح :
طرب واهتز . الإفاذة : تكسيب الفوائد . المراح ، بفتح الميم : المشى والانصراف .

(١) ساطعة من مخطوطة اللغات .

(٢) الهان - رفح ، ونسبة إلى الحارث بن حنظلة .

والمراح، بالضم: الموضع الذي تروح إليه الإبل وتروح منه، أو تراح إليه، أى تساق بالعشي. والمراح، بالكسر: النشاط والخفة، وقد مرّح مرّحاً، لعب، من الفرح. كاهل: ما بين فروع الكتفين، استعاره للنشاط. أزمعت: عزمت. يتاناً: زاداً. شتاناً: مالاً متفرقاً. تنشىء: تصنع وتكتب. أمام ارتحالك: قبل سفرك: تودّعها: تضمّنّها وتجعل فيها. يعجمن: ينقطن، وأعجمت الكتاب: أزلت عنه عجمته.

قطّ: لفظة موضوعة لما مضى من الدهر. وجعل الحريرى قول الخواص: «لا أكله قطّ» من أخش الخياء لتناقض الكلام، قال: وذلك أن العرب تستعمل لفظة «قطّ» فيما مضى من الزمان، كما تستعمل لفظة «أبدأ» فيما يستقبل، فيقولون ما كلمته أبدأ، والمعنى: ما كلمته فيما انقطع من عمرى، لأنه من قطع الشيء، إذا قطعته، ومنه قطّ القلم، إذا قطع طرفه. وفيما يؤثّر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان إذا استقبل قداً، وإذا استدبر قطّ، فالقدّ قطع الشيء طويلاً، والقطّ قطعاً عرضاً^(١). يقول: تصنع رسالة تضمّنّها حالك، يكون تركيبها من كلمة بعمّ حروفها النقط، وكلمة لا ينقط منها حرف، وبهذا المعنى سُمّيت للقامة الخفاء، لأنّ الأخيف من الخيل: الذى إحدى عينيه زرقاء. والأخرى كحلاء. استأنيت: أمهات وأخرت. أحر: ردّ وراجع. نهت: أبقت. سنّة: حولا. سنّة: نوماً. قاطبة: جماعة. قطب وجهه، إذا عبّسه. صدعت: أوضحت وأظهرت، وأصل الصدع الشق. باليقين: بالحقّ الواضح. آية: علامة، قال ابن الأنبارى رحمه الله: فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه: قيل إنها علامة لا تقطاع الكلام قبلها وبعدها، واحتجّ أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر:

• بآيةٍ ما تمحّبون الطّعماً •

ويقول النابغة :

تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لَسْتَهُ أَعْوَامَ وَذَا الْقَامُ سَابِعُ^(١)
الثاني: سُمِّيت الآية لأنها جماعة حروف ، قال أبو عمرو: خرج القوم بأيّتهم؛
أي بجماعتهم .

الثالث: سُمِّيت آية لأنها عجب من العجائب ، فالآية العجب .

قوله : « استسقيت » : طلبت سقيه أي جريه . واليَعْيُوب: الفرس السريع .
استسقيت : استمطرت وطلبت سُقْيَاه . والأسْكُوب : المطر الكثير . باريها :
صانعها ، وكل هذه أمثال ، ويريد : أنا أهل لكل ما طلبت .

[الخطيئة وسعيد بن العاص]

وأول من قال : أعط القوس باريها^(٢) الخطيئة ، وذلك أنه دخل على سعيد
ابن العاص وهو يقرئ الناس ، فأكل أكلًا جافيًا، وخرح الناس ، فأقام ، وأتاه
العاجب ليخرجه فامتنع ، وقال : أترغب بهم عن مجالستي ! إني بنفسى عنهم
لأرغب ! فقال له سعيد : دَعَه . ثم تذاكروا الشعر والشعراء ، فقال لهم الخطيئة :
والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، ولو أعطيت القوس باريها ، وقعتم
على ما تريدون ، فقال له سعيد : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذي يقول :

لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الْإِعْدَامُ

إلى آخر القصيدة . قال : فمن قائلها ؟ قال : أبو دؤاد الإيادي ، قال : ثم
من ؟ قال : والله لحسبك بي رهبة أو رغبة ؛ أنا إذا رفعت إحدى رجلتي على
الأخرى ، وعويت في إثر القوافي كما يعوى الفصيل الصادي إثر أمه ؛ قال :

(١) ديوانه ٥٠ .

(٢) المبدئي ٢ : ١٩ ، وجهرة الأمثال ١ : ٧٦ .

[من أنت ؛ قال :] ^(١) الحَطيئة ، قال : حَيَّاكَ اللهُ يَا بَامَلِيكَ ، أَلَا أَعْنَتُنَا بِمَكَانِكَ ، ولم تحملنا على الجهل بك ، فنضيع حَقَّكَ ونبخسك قسَطَكَ ! وأدناه ووصله ^(٢) .

وقال الشاعر :

يا باري القوسِ برِّيا ليس يُحْسِنُهُ لا تنظم القوس واعط القوسَ باريها
ريث : مقدار وبطء . استجَمَّ : استكثر . قريحته : طبيعته ، والقريحة في الأصل أول ماء البئر النابع ، واستجَمَّها : تركها حتى تكثر . استدرَّ : استنزل . دَرَّها وهو لبنها . واللقحة : الناقة ذات اللبن ؛ يريد : أقام قليلا يفكر ويختار . ما يقول : ومثل هذه الحالة ذكرُوا أن صديقا لكلثوم العتابي أتاه يوما ، فقال له : اصنع لي رسالة ، فاستمدَّ مُدَّةً ، ثم علّقَ القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى . بلاغتك إلا شاردةً عنك ، فقال له العتابي : إني لما تناولتُ القلم تداعت عليّ المعاني من كلِّ جهة ، فأحببت أن أترك كلَّ معنى حتى يرجع إلى موضعه ، وهذا مثل قول امرئ القيس - ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين :

أذودُ القوافي عني ذبادا ذبادا غلامٍ غوى جوادا ^(٣)
فلما كثرت وعينته تحير منها جوادا جبادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من دُرِّها المستجادا

وقال عريف القوافي ^(٤) :

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعاً
عواصي إلا ما جعلت وراءها عصا مِرْبَدٍ تَنشَى وجوهاً وأذرعاً
إذا خفت أن تُروى على ردديها وراء التراقي خشية أن تطلعا

(١) من الأغاني (٢) الأغاني ٢ : ١٦٧ ، مع تصرف واختصار .

(٣) ديوانه : ٢٤٨ .

(٤) كننا ذكر المؤلف، والأبيات في الشعر والشعراء ٢٣، ٦١٦، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ .

والأغاني ١١ : ١٢٣ منسوبة لسويد بن كراع .

أَصَادِي : أَدَارِي ، وجعل التوافي تقتحم عليه كالإبل ، وهو يضربها بمصاه حتى يختار جياها .

[فصل في الدواة والمداد والقلم]

قوله « أَلِقْ » ، أى اجعل فيها ليفة ، تقول : أَلَقْتُ الدواة فهي مَلِيقَةٌ ، وَأَلَقْتُهَا فهي مُلَاقَةٌ ، وجمع اللَّيْقَةِ لَيْقٍ . ويقال للصُّوفَةُ قبل أَنْ تُبَلَّ بالمداد : البُوهة والمُواره ، فإذا بَلَّتْ بالمدادُ سُمِّيتْ لَيْقَةً ، وقد يقال لها : لَيْقَةٌ قبل أَنْ تُبَلَّ ، سُمِّيتْ بما تنول إليه ، كما قيل للكَبِشِ : ذَبِيحٌ ، وللصَّيْدِ : رَمِيَّةٌ ، فإن كانت قِطْنَةٌ فهي الْمُطْبَةُ والكُرْسَفَةُ ، وكُرسِفَتِ الدواة كُرسَفَةً ، والقِطْنُ كُلُّهُ يقال له : الْمُطْبُ والكُرْسَفُ .

ويقال للمدَادِ : نَقَسٌ ونَقَسٌ ، والكُسرُ أَفْصَحُ ، وقيل : الفَتْحُ مصدر نَقَسْتَهَا ، جعلت فيها نِقْسًا ، والخَبْرُ من المداد بالكسر لا غير ، والخَبْرُ بالفَتْحِ والكُسرِ : العَالِمُ . وقال بعضهم : سَمِيَ المدادُ خَبْرًا بِاسْمِ الْعَالِمِ ، كأنهم أرادوا مداد خَبْرٍ ، فغَدَفُوا ، ولو كان ما قالوه صحيحًا لَقَالُوا للمدَادِ : خَبْرٌ بالفَتْحِ ، والأشْبَهُ أَنْ يَسَمَى خَبْرًا لِأَنَّهُ يَحْسُنُ الْكِتَابَةَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : خَبَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَسَّنْتَهُ . ويقال لِلْجَمَالِ : خَبْرٌ وَسَبْرٌ ، فمداد خَبْرٍ ، كَقَوْلِكَ مداد زينة وجمال ، أو يكون من الْخَبْرِ وَالْخُبَارِ ، وهو الْأَثَرُ ، فَيَسَمَى بِذَلِكَ لِتَأْثِيرِهِ فِي الْكِتَابِ . ويقال : مَدَدْتُ الدَّوَاةَ أَمَدًا مَدًّا ، إِذَا جَعَلْتُ فِيهَا مِدَادًا ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَدَادٌ فَزِدْتَ عَلَيْهِ قَلْتَ : أَمَدَدْتُهَا ، إِذَا أَمَرْتَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَدَادِ بِالْقَلَمِ قَلْتَ : اسْتَمَدَدَ ، فَإِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَعْطِيَكَ عَلَى الْقَلَمِ مِدَادًا ، قَلْتَ : أَمَدِدْنِي مِنْ دَوَاتِكَ ، وَاسْتَمَدَدْتُهُ أَنَا ؛ سَأَلْتُهُ أَنْ يَمُدَّنِي . وقال الْخَلِيلُ : مُدَّنِي وَأَمَدَّنِي : أَعْطَانِي مِنْ مَدَادِ دَوَاتِكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ زَادَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ مَدَادٌ لَهُ ، وَأَمَهَتْ الدَّوَاةُ وَمَوَهَتْهَا ؛ إِذَا جَعَلْتَ فِيهَا مَاءً ، وَالْأَمْرُ مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ أَمَةٌ وَمَوْهٌ دَوَاتِكَ .

واشتقاق الدَّوَاةِ مِنَ الدَّوَاءِ ، لِأَنَّ بِهَا إِصْلَاحَ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ اشْتَقَّهَا مِنْ دَوَى الرَّجُلِ يَدْوِي دَوِيًّا ، إِذَا صَارَ فِي جَوْفِهِ الدَّاءُ ، قَالَ : (١٦ - شرح مقامات الحريري)

أما الدواة فأدوى حياها جسدی وحرّف الخطّ تحريفً من القلم^(١)
ووزنها «قَعْلَة» تحرّكت الياء وقبلها فتحة ، فقلبت أُنْثَا ، وتجمع دَوَات ؛
كقناة وقنّوات ، ودَوَى كقناة وقنّا . ويقال : أدويت فأنا مدوٍ : اتخذت
دواة ، ويقال للذى يبيعها : دواء كخياط ، وإذا أمرت من يتخذها قلت : أدو
دواة ، ويقال لمن يحملها ويمسكها : دواء ، ويقال لها : الدواة والرقيم والنون .
ويقال : هو القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت ، أى كتبت ، ومن
فرقت بينهما قال : زبرت بالزاي ، أى كتبت ، وذبرت ، أى قرأت . وسمّى
قلمًا لأنه قلم ، أى قطع وسوى ، كما يقلم الظفر ، وكلّ عود قطع وحزّ رأسه وأعلم
بعلامة . هو قلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُبَلِّغُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْتُمُ مَرِيَمَ ﴾^(٢) ،
وكانت سهاماً فيها أسماءهم مكتوبة . ويقال للذى يقلم به : مقلم ، وللذى يُبْرِى
به : مبرى ، ولما سقط عن البرى والتقليم : القلامة والبراية . وقيل لأعرابيّ :
ما القلم ؟ فذكر ساعة ، وجعل يقلّب أصابعه ، ثم قال : لا أدري ؛ فقيل له :
توهّمه فى نفسك ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الأنظار . ويقال
لعقده : السكوب ، واحدها كعّب ، ولما يئنها الأنايب ، واحدها أنبوب ،
ويستعملان فى الرّمح ، وفى كلّ عود فيه عقْد ، والعقْد التى تشينه تسمى
الأبنة وجمعها أبْن ، فإن كان فى العود أو القصبة تأكّل ، قيل فيه : قادح
ونقْد ، ويقال لباطنه : الشحمة ، ولظاهره اللّيط ، فإن قشرت منه قشرة قلت :
لّيطت من القلم ليطّة ، فإن أخذت شحمته بالسّكين قيل : شحمته أشحمه ، فإن
أفرطت فى أخذها ، قلت : بطّنته تبطيناً فهو مبطن ، وحفرته فهو محفور ، فإن
تركت شحمته ، قلت : أشحمته إشحاماً . ويقال لنشائه الذى عليه : الغلاف
واللحاء والقشر ، فإذا نزعها عنه قيل : قشّرتة ولحوّته وقشوته وسحوّته ،

(١) الاقتصاب ٨٢ .

(٢) آل عمران ٤٤ .

ويقال في ثلاثتها بالياء ، ووسمته ونقخته ، مشددان . ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما : السنان والشعيرتان ، واحدهما سن وشعيرة ، فإذا قطع طرفه وهيئ للكتابة قيل : قططته أقطه قطاً ، ونصمته أفصمه فصماً ، والمقط بالكسر : ما يقط عليه ، وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه ، فإن جعلت إحدى سنيه أطول من الأخرى قلت : قلم محرف ، وقد حرفته تحريفاً ، فإن سويتهما قلت : قلم مبسوط ، فإن سمع له صوت عند الكتابة ، فذلك الصريف والصرير والرشيق . ويقال للقصب : البراع والأباه ، الواحد يراعة وأباهة ، وقيل : الأباه أطراف القلم ، أى القصب ، ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها : البَيْلَمُ والقَيْصِف والقَيْسَم ، واحده بَيْلَمَةٌ وقَيْصِفَةٌ وقَيْسَمَةٌ ، فإن كان في القصب ثأكل قيل فيه : فادح ونقد ، وكذلك العود والسن والقرن ، فإن كان فيها عِوَجٌ فذلك الدَّرء^(١) .

قوله : «خذ أداتك» ، أى قلمك . وقال ابن طاهر لكتاب له : ألق دواتك ، وأطل سن قلمك ، وفرتق بين السطور ، وتوسط بين الحروف . وقال ابن عبد ربه : ينبغي للكتاب أن يصلح آلته التي لا بد له منها ، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها ، وهى دواته ، فلينعمر ربها بإصلاحها ، ثم ليغتر من أتايب القصب أفضلها عقداً ، وأكثفها لحماً ، وأصلبها قشراً ، وأعد لها استواء ، ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ليكون عوناً له على برى ألامه ، ويبريها من ناحية نبات القصب .

واعلم أن محل القلم من الكتاب محل الرمح من الفارس ، نظم أحد الشعراء فقال :

يُمسِكُ الفارسُ رُحماً بيدٍ وأنا أمسك فيها قصبَةً
فكللانا فارسٌ في شأنِهِ إنما الأقالِمُ رُمُحُ الكُتُبِ

(١) نظر المؤلف في هذا الفصل إلى ما أورده ابن السيد البطليوسي في كتاب الاقتصاب على شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٨٢ - ٨٧ مع تصرف واختصار .

وقال أبو الفتح البُستي :

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيَعْمَلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَيْمِيَّ هَزَّ عَامِلُهُ^(١)
وَأِنْ أَقْرَأَ عَلَى رَقٍّ أَنْامَلَهُ أَقْرَأَ بِالرَّقِّ كِتَابُ الْأَنَامِ لَهُ

رأى جعفر بن يحيى خطأ فاستحسنه ، فقال : الخطَّ خَيْطُ الْحِكْمَةِ ، يُنْظَمُ فِيهِ-
مَشُورُهَا ، وَتُفْصَلُ فِيهِ شُذُورُهَا .

ومن كتاب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث : أما بعد ، فليكن قَلَمُكَ
مَحْرَقًا ، لَا مَتِينًا وَلَا رَقِيقًا ، ضَيِّقَ الْقَلْبِ . فَابْرِهِ بَرِيًّا مُسْتَوِيًّا كَمَنْتَارِ الْحَامَةِ ،
أَعْطِفْ بَطْنَهُ ، وَرَقِّ شَفْرَتَيْهِ ، وَلِيَكُنْ قِرْطَاسُكَ رَقِيقًا مُسْتَوِيًّا النَّسْجِ ،
مُخْرَجَ السَّحَاءِ^(٢) ، مُسْتَوِيًّا مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ إِلَى آخِرِهِ ، فَلَيْسَتْ تَسْتَقِيمُ السَّطُورُ
إِلَّا فِيمَا كَانَ كَذَلِكَ ، وَلَيْسَ كُنْ أَكْثَرَ مَطَّكَ فِي أَطْرَافِ الْقِرْطَاسِ الَّذِي فِيهِ-
يَسَارُكَ ، وَأَقْلَهُ فِي الْوَسْطِ ، وَلَا تَمَطَّ فِي الطَّرَفِ الْآخِرِ ، وَالْمَطَّ نَصْفُ الْخَطِّ ،
وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ إِلَّا الْعَاقِلُ .

قال المتأني : سألني الأصمعي في دار الرشيد : أيّ الأنائب للكتابة
أصلح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما نُسِفَ بِالْحَجِيرِ مَاؤُهُ ، وَسُتِرَ مِنْ تَلْوِيحِهِ
غِشَاؤُهُ ، مِنَ الدَّرِيَةِ الظُّهُورِ ، النَّبْرَةِ الْقَشُورِ ، الْفِصَّةِ الْكُسُورِ ؛ قَالَ : فَأَيُّ
نَوْعٍ مِنَ الْبَرِيِّ أَصُوبٌ وَأُكْتَبُ ؟ فقلت له : الْبَرِيَّةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْقَطْعَةُ ، الَّتِي عَنْ
يَمِينِ سَنَاهَا قُرْنَةٌ^(٣) ، تَأْمَنُ مَعَهَا الْمَجَّةُ عِنْدَ الْمُدَّةِ وَالْمُطَّةُ ، لِلْهَوَاءِ فِي شِقِّهَا صَفِيْقٌ^(٤) ،
وَالرَّيْحُ فِي جَوْفِهَا خَرِيْقٌ ، وَالْمُدَادُ فِي خَرْطُومِهَا رَقِيْقٌ . قَالَ الْمَتَأْنِي : فَبَقِيَ الْأَصْمَعِيُّ
شَاخِصًا إِلَى لَا يَبْجِرُ جَوَابًا^(٥) .

(١) السَّحَاءَةُ : الْقَدَمَةُ .

(٢) بِتِيَّةُ الْفَهْرُ ٤ : ٢٩١

(٣) الْقُرْنَةُ : الطَّرْفُ الْمَائِلُ مِنْ كُلِّ نَهْمٍ .

(٤) الْمُدَّةُ : « فَيْتَق »

(٥) الْمَقْدُ ٤ : ١٧٣

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة بَرَى القلم ،
 وإطالة جَلَفَتِه ، وتحريف قَطْعَتِه ، وحسن التأتّي لامتناع الأنامل ، وإرسال المدّة
 بعد إشباع الحروف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
 وقال بعض الكتاب : عَطَرُوا دَفَاتِرَكُمْ بِحَبِّدِ الْخَبَرِ ، فإنّ الكتب غوان
 والخبر غوال .

وقال بعض الكتاب أيضاً :

وما رَوْضُ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاهُ نَدَى الْأَسْحَارِ يَارِجٌ بِالْعَدَاةِ
 يَأْضُوعٌ أَوْ بِأَسْطَحَ مِنْ نَسِيمٍ تَوْدِيهِ الْأَفَاوِهُ مِنْ دَوَاةِ
 كَانَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

دَعَى فِي الْكِتَابَةِ لَيْسَ مِنْهَا لَهُ فِكْرٌ يُعَاذُ وَلَا بَدِيهٌ^(١)
 كَانَ دَوَاتِهِ مِنْ رِيْقٍ فِيهِ تَلَاقٌ ، فَرَحُّهَا أَبَدًا كَرِيهٌ

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد ، وهو يستره ، قال له :
 لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عَطَّرَ الرِّجَالَ وَحِلْيَةَ الْكِتَابِ
 ولبعضهم يهجو كاتباً :

حَارَتْ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
 فَدَغَّ عَنْكَ الْكِتَابَةُ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَخْتَ نَفْسَكَ بِالْمِدَادِ
 وقال كُشَّاجِمُ لُورَاقٍ يَدْعَى الْكِتَابَةَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ فِي الْكِتَابَةِ مَدْرُكٌ شَاوِيٌّ ، قَلَّتْ رِمَاحُنَا أَقْلَامٌ^(٢)
 هِيَّاتَ تِلْكَ صِنَاعَةُ مَمْزُوجَةٍ فِيهَا ضِيَاءٌ وَاضِحٌ وَظُلَامٌ

(١) أدب الكتاب لصولي ١٠١

(٢) ديوانه ١٦٠ وفيه : « يريق دماءنا »

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى وبه يتسجّ دماءنا الحجام
وقال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب كتاباً ،
فنقطت من القلم نقطة مفسدة ، فسحها بكمه ؛ فتمجّبت ، فقال : لا تعجّب ،
المال فرع والقلم أصل ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع ، وبهذا السواد
جاءت هذه الثياب ، ثم أطرق قليلاً وقال :

إذا ما التكرُّ وَلَدَ حسن لفظٍ وأسلمه الوجودُ إلى البيانِ
ووشاه فنمنه جوادٌ فصيحٌ في المقالِ بلا لسانِ
ترى حُللَ البيانِ منشراتٍ تجلّى بينها صور المعانيِ
وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرّ
القلم في يده ، فأنشد :

إذا ما التقينا واتضينا صوارماً يكاد يُصمّ السامعين صريرُها
تساقط في القِرطاس منها بدائعٌ كمثل اللآلئ نظمها وتيرُها
تقودأبيات البيان بفظنةٍ تكشف عن وجه البلاغة نورُها
تظلل النايابا والمطابا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضى أمورُها
إذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها تجلّت بنا عما يسر ستورها
وأنى رجل وكيعاً ، قال : رجل يمت إليك بحرمة ! فقال له : وما حُرمتك ؟
قال له : كنت تكتب بحبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع إلى منزله ، ثم
أخرج منه دنانير لنفخته ، وقال له : اعذرني فما أملك غيرها ، ودنمها إليه .

وقال أبو الحسن بن لبّال في محبرة آبنوس :

وخديعة للعلم في أحشائها كلّف بجمع حلاله وحرامه
ليست رداء الليل ثم توشّحت بنجومه وتوَجّت بهلاله

وحدثني عن شيخى النقيه أبى عبدالله بن زَرْقُون ابنه الفقيه أبو الحسين ،
قال : حدثني أبى أنه كان بِسَبْتَةِ أيامِ الشَّيْبَةِ والطلب ، فى مجلس جمع من طلبة
الأدب ، فتمرَّضَ لهم رجلٌ بِمِحْبَرَةٍ صنعها ، وأراد أن يقصِدَ بها الوالى على حسنِها ،
وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فأطرقوا يروون ، فبادرهم أبو الطالب
ابن أبى ركب فقال :

جاءتكَ من غُرْرِ العِلا زَنْجِيَّةٌ فى حُلَّةٍ من حِلْيَةٍ تَبَخَّرَتْ
سوداء صفراء الحلى كأنَّها ليل تطرُّزه نجوم تزهَرُ

فاستحسنهما من حضر ، ورأوا أنه قد أربى على الناية فيما عنه صدر ،
فكتبنا للرجل فى رقعة ، فبعد ما سار بها قليلا ، رجع فأبرز منها قلمَ صُفْرِ مذهباً ،
ورغب أن يضمَّن ذكره فى منظوم يضاف إلى البيتين ، فأطرقوا يروون فى ذلك ،
فبادرهم أبو طالب المذكور فقال :

كَلَّمْتُ بأصْفَرَ من نِجَارِ حُلِيِّهَا تخفيه أحياناً ، وحيناً يظهرُ
خرسان إلا حينَ يَرْمِضُ نديها فتراه بنطق ما يشاء ويذكرُ
وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قَدْ بعثنا إليك أمَّ الهطايا والمنايا زَجِيَّةَ الأَخْسابِ
فى حشاها من غيرِ حَرْبٍ حِرَابٌ وهى أَمْضَى من نَافِذَاتِ الحِرَابِ

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :
لَكَ القَلَمُ الأعلى الذى بسنانه نُصَابٌ من المرء السككى والمفاصل^(١)
له الجَلَوَاتُ اللاءُ لولا نَجِيَّتُهَا لَمَّا احتفلتُ لملكِ تلكَ المعاقِلِ
لُعَابُ الأفاعي القاتلات لعابه وأرئى الجنى اشتارته أبدي عَوَاسِلِ^(٢)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، وشبابة القلم : حده .

(٢) الأرى : العسل .

له ديمةٌ طُلٌّ ، ولكنّ وقمها بآثاره في الشرق والغرب وإبل^(١)
فصيحٌ إن استنطقته وهو راكب وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
إذا ما امتطى الحسّ اللطاف وأفرغت

عليه شعاب الفكر وهي حوافلٌ
أطاعته أطرافُ القنا وتقوّصتْ لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافلُ
إذا استغفرَ الذهنَ الذكيّ وأقبلتْ أعاليه في القرطاس وهي أسافلُ
وقد رندته الخنصران وسدّدت ثلاث نواحيه الثلاثُ الأناملُ
رأيتَ جايلاً شأنه وهو مرهفٌ ضنيّ ، وسمينا خطبُه وهو ناحِلُ

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم وعدّوه مما يكسب المجد والكرم^(٢)
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعةً مدى الدهر أن الله أقسم بالعلمِ
وقال البحتري :

تعمله وزراء الملك خاضعةً وعادةُ السيفِ أن يستخدِمَ القلم^(٣)
وقال أبو العباس التنوخي :

إن يخدمَ القلمُ السيفَ الذي خضعت

له الرقابُ ودانت خُوفه الاممُ
فاللوتُ والموت لا شيءٌ يقابلهُ ما زال يتبع ما يجري به القلمُ
بذا قضى الله للأقلامِ مذبذبُريتَ أن السيوف لها مذارهنتُ خدَمُ

(١) الطل : المطر القليل ، والوايل : المطر الكثير .

(٢) ديوانه ٢٠٤٨

(٣) الطراف ٢٢

وناقضه أبو الطيب المتنبي فقال :

حتى يرجعتُ وأقلامي قوائِلُ لى : المجد لل سيف ليس المجد للقلم^(١)
اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالتلدم
وقال الصولى : فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أكتب
بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم
مداده ، وإلا فإلى السيف معاده .

قال الصولى : وقال بعض اليونانيين : الدين والدنيا تحت شيتين : سيف
وقلم ، والسيف تحت القلم .

وفى ذلك يقول جرير النميرى :

أتحقرنى ولستَ لذلك أهلاً وتُدنى الأصغر من الخوان
جهاذة وكتابٌ وليسوا بفرسان الكتبة والطعان
ستذكرنى وتعرفنى إذا ما تلاقى الخلقان من البطان
وقال كشاجم :

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تقضى بها أيامهم فى التنعم
وكم فيهم من دائم الأمر لم يرغ بحرب ولم يتهذ لقرب مصمم
وكل ذوى الأقلام فى كل ساعة سيوفهم ليست تجف من الدم
وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من قصب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا مالا ينال بحدة المشرقيات
وقال البحتري يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

(١) ديوانه ٤ : ١٥٩ ، ١٦٠ .

وإذا تألق في العيون كلامه الـ
وإذا دجت أقلامه ثم انتحت
فاللفظ يقرب فهمه في بعده
فإنها خلاص بنائه
فكأنها والجمع معقود لها
وقال علي بن الجهم في رقعة جاءت به بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنيةً كأنها خدت على خد^(٢)
نبذ سواد في ياض^(٣) ذر فتيت المسك في الورد
ساهمة الأسفار مصروفة عن وجهة الهزل إلى الجسد
يا كاتباً أسلمني عتبه إليه ، حسي منك ما عندي
وقال البحري في ابن الزيات :

قد تصرفت في الكتابة حتى عطّل الناس ذكر عبد الحميد^(٤)
في نظام من البلاغة ما شك أمرؤ أنه نظام فريد
وبدع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
ما أعبرت منه بطون القرايطس وما حلت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنّب ظلمة التقييد
كالغاري غدون في الخلل الصفّر إذا رخن في الخطوب السود
قال المأمون لمحمد بن داود : إن شاركك في اللفظ فقد تاركك في الخط .
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أذى
عن الله تعالى رسالته ، وحفظ وحيه ، وهو أحمى لا يعرف من فنون الخط فناً .

(٢) ديوانه ٩١
(٤) ديوانه ٦٣٦ .

(١) ديوانه ١٦٤
(٣) النبذ : الشيء القليل .

ولا يقرأ من حروفها حرفاً ، وبقي عمود ذلك في أهله ، فهم يشرفون بالشرف الكريم في نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لنتيجه ولاسره ، فتعلقت به المشابهة الجائلة ، وتناهدت إليه الفضيلة . فقال للمؤمن : يا محمد ، لقد تركتني لا آسى على الكتابة ولو كنت أمياً .

قد ذكرنا من آلات الكتابة ثراً ونظاماً ما فيه كناية وفي السادسة والعشرين من النظم في أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا . وإنما أخرج الحريري رسالته الخيئة من هذه الأوصاف المنظومة في الرسائل التي قدّمناها آنفاً لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لإنشائها وتاب ، لما فيها من لزوم قط لفظه وترك أخرى ؛ وهي على ما بها من التكلف ، راثقة للمعاني ، أنيقة للمباني ، ولو غيره تعاطاها لأظلمت معانيها ، وتداعت مبانيها ، فله هو ! لقد كان منقاداً له صعب الكلام بأيسر مزام ! وما هو في محاولة البلاغة إلا كما قال حبيب في سليمان بن وهب :

سُرُحُ نطقه إذا ما استمرت عقدة التي في لسان الخطيب ^(١)
ومصيب شواكل الأمر فيه مشكلات مملكت لب اللبيب
لامعنى بكل شيء ولا كل عجيب في عينه بعجيب

الكرمُ - ثَبَّتَ اللهُ جَيْشَ سَعُودِكَ - يَزِينُ ، وَالْأَوْثَمُ - غَضَّ الدَّهْرُ
جَفَنَ حَسُودِكَ يَشِينُ ، وَالْأَرْوَغُ يَثِيبُ ، وَالْمَعْمُورُ يَخِيبُ ، وَالْخَلَّاحِلُ
يُضِيفُ ، وَالْمَاخِلُ يُخِيفُ ، وَالسَّمْعُ يُنْذِي ، وَالْمَحْكُ يُقْذِي ، وَالْعَطَاءُ
يُنْجِي ، وَالْمِطَالُ يُشْجِي ، وَالِدُعَاءُ يَقِي ، وَالْمَذْحُ يُنْقِي ، وَالْحَرْثُ يَجْزِي .

(١) ديوانه ٣٧ . وفيه : « سرح قوله » .

والإلطاء يُغزى، وإطراحُ ذِي الْحَزْمَةِ غَيٌّ، وَمَحْرَمَةُ بِنِي الْأَمَالِ بِنِيٍّ،
وَمَا صَنَّ إِلَّا غَبِينَ، وَلَا غَبِينَ إِلَّا صَنِينَ، وَلَا خَزَنَ إِلَّا شَقِيَّ، وَلَا
قَبْضَ رَاحَةٍ تَقِيَّ. وَمَا قَتَى وَعَدُّكَ يَنِي، وَأَرَاؤُكَ تَشْنِي، وَهِيَ لَكَ
مُيَضِي، وَحِلْمُكَ يُنْفِي، وَالْأَوَّلُ تُغْنِي، وَأَعْدَاؤُكَ تُثْنِي، وَحُسَامُكَ
يُفْنِي، وَسُودُوكَ يَدْنِي، وَمُؤَاوِيلُكَ يَجْتَنِي، وَمَادِحُكَ يَهْتَنِي، وَسَمَاحُكَ
يُغْنِي، وَسَمَاوُكَ تَنْثِي، وَدَرُّكَ يَفِيضُ، وَرَدُّكَ يَفِيضُ، وَمَوْثُوكَ
شَيْخٌ حَكَاهُ فِي، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ. أَمُّكَ بَظَنِّ حِرْصُهُ يُثَبِّبُ، وَمَدْحُكَ
يُنْخَبِ مُهَوَّرُهَا تَجِبُ، وَمَرَامُهُ يُخَفِّفُ، وَأَوَاصِرُهُ تَشِفُّ، وَإِطْرَاؤُهُ
يُجْتَذَبُ، وَمَلَامُهُ يُجْتَذَبُ، وَوَرَاءَهُ ضَفَفٌ، مَسَّهُمْ شَطَفٌ، وَحَصَّهُمْ
جَنَفٌ، وَغَمَّهُمْ قَشَفٌ، وَهُوَ فِي دَمْعٍ يَجِيبُ، وَوَلَهُ يُذِيبُ؛ وَهُمْ
تَضَيَّفُ، وَكَدِّ نَيْفٍ، لِمَا مَوْلٍ خَيْبٍ، وَإِهَالٍ شَيْبٍ، وَعَدُوٌّ نَيْبٍ،
وَهْدُوٌّ تَغْيِبٍ، وَلَمْ يَزْغِ وَدَّهُ فَيَنْضَبُ، وَلَا خَبِثَ عُودُهُ فَيَنْقَضَبُ،
وَلَا نَفَثَ صَدْرُهُ، فَيَنْفَضُ، وَلَا نَشَرَ وَضْلُهُ فَيُفْنَضُ، وَمَا يَقْتَضِي
كَرْمُكَ تَبْدَحُ حُرْمُهُ؛ فَيُفْنَضُ أَمْلُهُ، بِتَخْفِيفِ أَمْلِهِ، يَنْثُ حَمْدُكَ بَيْنَ
عَالِيهِ. بَقِيَتْ لِإِمَاطَةِ شَجَبٍ، وَإِعْطَاءِ نَشَبٍ، وَمُدَاوَاةِ شَجَنٍ، وَمُرَاعَاةِ
يَقَنٍ، مَوْصُولًا بِخَفَضٍ، وَسُرُورٍ غَضٍّ، مَا غَشِيَ مَعَهُدُ غَنِيٍّ، أَوْ خَشِيَ
وَهُمْ غَيٌّ، وَالسَّلَامُ :

قوله : «غَضَّ الدهر جفن حُودُك» ، يقال : غَضَّ جَفْنَهُ ، أى سَدَّ عَيْنِيهِ ، دَعَا عَلَيْهِ بِالْمَعَى ، يقول : الكرم يَزِنُ صاحبه . واللؤم -- وهو البخل -- يَشِينُهُ وَيَعِيبُهُ ، ثم دَعَا له بدوام السَّعَد وثبوته ، وبمعنى عين الحُود حتى لا يبصر مَا أُعْطِيَ المَدُوح من النَّمَم ، فَيَأْخُذُهَا بِالْمِين . الأَرُوع : السيد الكريم ، وهو الذى قَصِدَ ، وقيل : الأَرُوع الحديده النفس ، وقيل : الذى يروَعُك بِجَالِهِ . يُثِيبُ : يُجَازَى . قاصده . والمُعَوِّر : البادى العَوْرَة ، وهو الفارس يظهر فى طمته خلل ، وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ، ومن جملة عيوبه البخل حتى ينجيب قاصده ، لأنه قَابِلٌ به الأَرُوع ، وهو التام الجسم ، الجهير الصوت ، قال الشاعر :

يواخى لثيمُ النَّاسِ كُلِّ مَلَأَمٍ وينطق بالعوزاء مَنْ كَانَ مُعَوِّرًا

الحلال : السيد الذى يَحْمَلُ به الناس كثيراً . يُضَيِّفُ : يُنْزِلُ الأضياف . ويكرمهم . والمآحل : البخیل ، شَبَّهَ بالبلد المآحل ، وهو الجَدْب ، فكانَ المآحل الذى لا يوجد عنده خير ، يقال : أَمَحَلَّ البلد ، وبلد مآحل وذو مَحَلٍّ ، مثل لابن وتامر ، والمآحل التَّام ، يقال : يَحْمَلُ به إلى السلطان إذا وَثَّقَ به ، وهو الذى يُخَيِّفُ على الحقيقة ، والمآحل أيضاً : الحَاصِم ، وقد مآحَلْتُهُ وَمَا حَلَنِي . يُفْذَى : يَطْم . والحِكُّ : اللجوج ، وهو مقابل السَّمَح الخلق . يُفْذَى : يجعل فى العين . قَذَى ، أى يضرَّ قاصده ويؤله . يُنْجَى : يَخْلَصُ صاحبه من الذم ، وتقدَّم المِطَال . يُنْقَى : يفسل الميب . والإلطاط : الامتناع من فعل الخير ، ويقال : لَطَّ وأَلَطَّ ، إذا ذهب ، واطَّ الشئ . وأَلَطَّه ، إذا ستره . يُخْزَى : يهين . أطراح : ترك . ذى الحرمة ، أى صاحبها ، والحرمة ما لا يَحِلُّ تركه لضياع ، ومن قصدك فقد دخل فى حرمك ، فتركه ليس من الروءة . نَغَى : فساد وضلال . تَحْرَمَةُ : منع . بنى . الآمال : أهل الرجل الذين يرجون خيره وبأملونه . بَنَى : ظَلَمَ . ضَنَّ : بخل . غَبِين : مخدوع فى رأيه . ضنين : بخيل ، يقول : ما يَصَنَّ بِمَالِهِ من هو شديد .

النظر ولا المصيب الرأى إنما يبخل به مَنْ هَرَّ فاسد النظر مغبون فى رأيه .
 خزن: حبس ماله : قبض راحه: ضمَّ كفه على ما فيها ، وهذه كناية عن المنع والبخل .
 والتقى: الذىبقى نفسه من العذاب بعمله الصالح ، من وقى نفسه أقيها ،
 واختلف فى وزنه قليل « فعول » وأصلها « وقوى » ، فأبدلوا من الواو تاء لقرب
 مخرجيهما ، ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء ، وكسروا القاف لتصحح
 الياء ، والاختيار أن يكون وزنه « فعيلاً » وأصله « تقى » ، فأدغموا الياء فى الياء ،
 وللدليل على صحته جمعهم له على أتقياء ، كولى وأولياء ، ومن قال : إنه
 « فعول » قال : لما أشبه « فعيلاً » بجمع جمعه .

قوله : « ما فتىء » ، أى مازال . بفتح : يصدق ويكون وقتاً . آراؤك: جمع رأى .
 تشفى: تزيل الهم عن قلب وليك ، وتبرى مرض قاصدك من فقره ، يصفه بخودة
 الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده . هلالك بضم :
 يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال ، قال زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلَّلاً كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(١)
 وكما قال أبو بكر فى الطَّلَاقَةِ :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ التَّهَلَّلِ

خلافاً لسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء ، واللثيم الذى إذا سئل
 انزوى وتقبض .

ينفى : يسمع . آلاؤك : نعمك . أعداؤك تُثنى : يقول لكثرة المادحين
 لك والناشرين لفضلك ، لم يمكن أعداؤك وحسادك ذمك لتكذيب الناس
 إياهم ، نصاروا يثنون عليك مع من يثنى ؛ ويحكى أن أعرابياً استضاف حاتماً ،

فلم يُنزله ، فبات جائعاً مقروراً ، فلما كان في السَّحَر ركب راحلته ، وانصرف ،
فتقدمه حاتم ، فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً ، فقال له : من كان أبا
مشواك البارحة ؟ قال : حاتم ، قال : فكيف كان مبيتك عنده ؟ قال : خير
مبيت ، نَحَرَ لِي ناقةً فأطعمني لحماً عبيطاً ، وأسقاني الخمر ، وعلف راحلتي ، وسرتُ
من عنده بخير حال . فقال له : أنا حاتم ، والله لا تبرحُ حق تری ما وصفت ،
فردّه وقال له : ما حملك على الكذب ؟ فقال له الأعرابي : إنَّ الناس كلَّهم
يثنون عليك بالجلود ، ولو ذكرتُ شرّاً كنتُ أ كذب ، فرجعت مضطراً إلى
خولهم ، إبقاء على نفسي لا عليك . وقد تقدّم قول البحرى في هذا المعنى :

أأشكو نداء بعد ما وسع الوَرَى وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الْغَيْثَ إِلَّا مُذَمِّمٌ^(١) !
وقال حبيب :

فإِن أَنَا لَمْ يَحْمَدَكَ عَنِّي صَاغِراً	عدوك فاعلم أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ ^(٢)
بَسَاقَةٍ تَسَاقٍ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ	وتنقاد في الآفاق من غير قائِدٍ
أَفَادَتْ صَدِيقاً مِنْ عَدُوٍّ وَصِيرَتْ ^(٣)	أَقَارِبَ دُنْيَا مِنْ رَجَالٍ أَبَاعِدٍ
وَمُخْلَفَةً لَمَّا تَرَدُّ أُذُنٌ سَامِعٌ	فتصدر إلَّا عن يمين وشاهدٍ

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم ، يقول : بسمع عدوك
إطناي في مدحك فيمدحك صاغراً ، فكيف وليك ! فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض ،
ليست بإبل تُساق ، ولا بخيل تنقاد ، فتردّ العدو صديقاً ، والبعيد قريباً ، ولا

(١) ديوانه ١٩٨٠

(٢) ديوانه ١١٩ ، ١٢٠

(٣) ط : د وعاودت ،

يسمها أحد إلا ويخلف أنه لم يسمع مثلاً ، فيشهد له بالصدق .

قوله : « وسوددك بديني » ، أى يرفع لك مجداً وشرافاً . حسامك يفتى ، أى سيفك يقطع ويفتى أعداءك . مواصلك يجتنى ، أى من زارك وواصلك اجتنى نعمتك ومواهبك . يفتنى ، أى يكتسب . سماؤك تفيث ، أى تأتى بالفيث وهو المطر فيستنيث الناس به من الجذب . سماحك يُمَيث ، أى جودك وحسن خلقك يفرج كرب المهموم ، وتقول : غوث الرجل ، أى قال : واغوثاه ، وأغثته أغثه ، إذا فرجت عنه ما يشتكى منه . درك يفيض : عطاؤك يشمل ، أى لبئك يملأ الإيثار ويفيض عليه ، يريد أن عطاءه يكثر لسائله . وردك يفيض ، أى منعمك يذهب الرزق ، وغاض الماء : غار في الأرض ، مؤمك : راجيك . والنيء : الظل بعد الزوال ، يريد أن عمره قد أدبر ، فشبه نفسه بالنيء الذاهب . أمك : بطن ، أى قصدك برجاء . وحرصه يُشب ، أى طمعه يتزايد فيجعله في غاية من القلق . نُحِب : مختارة . مهورها : حقوقها ، يقول : مدحك بنخب في ملته ، فوجيت حقوقها لحسنها وجودتها . وما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حمدي بجودك ، ذا بهذا كلانا اليوم أربح صيرفي
لأصبح من نوالك في رباش وتصبح من مقالى في حلى

وقال آخر :

وحلة كساها كالخلى في التهابه
فاستبظنت مديماً كالأزى في نصابه
فراح في نياي ورخت في نيايه

وقال ابن شهيد في ضيف له :

وَجِلَّ أَفْكَ مَعْشُوقِ النَّوَاءِ نَعْدُهُ يَبْشُرُ وَتَرْحِيبِ وَبَسْطِ لِسَانٍ^(١)
إِلَى أَنْ تَشْهَى الْبَيْنَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَحَنٍّ إِلَى الْأَهْلِينَ حَنَّةَ حَانَ
فَاتَّبَعْتُهُ مَا سَدَّ خَلَّةَ حَالِهِ وَأَتَّبَعْنِي ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانٍ

قوله : « مرأه يخف » ، أى مطلبه يسهل عليك .

أواصره : جمع أصرة وهى صلة الرحم ، والأصر: الموضع الخابس ، من قولهم : أصرت فلاناً على الشيء أصيره أصراً ، إذا حبسته عليه وعطفته ، ويقال : ماتأصرنى على فلان أصرة ، أى ماتحبسنى عليه حابسة ، ولا تعطفنى عليه عاطفة . ذكره ابن الأنبارى . وذكر الحريرى فى الدرّة ، أن اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر ، بكسر الصاد ، ومعناه الموضع الخابس للمأصر عليه ، قسميت أواصر ، لأنها تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم . قال : وحكى عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر ، قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابى فتعادتا^(٢) ، فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد ، وعليه ثياب رقة ، فكساه ثياباً جديدة من غير أن يسأله ، أو استكساه ، فخرج وهو يقول :

كسأك ولم تستكسه فحيدته فتنى ماجد يعطى الجزيل وبأصر
وإن أحق الناس إن كنت مادحاً بمدحك من أعطاك والمرض وافر

فقال ابن الأعرابى : « وناصر » بالنون ، فقال له أبو نصر : دعنى يا هذا وباصرى وعليك بناصرك ؛ يريد بـ « ياصر » يعطف^(٣) .

(١) القنبرة لابن بام : ٢٦٧

(٢) الدرّة : « فتعادتا الحديث » .

(٣) درة النورس ٧١

قوله : «تَشَفَّ» ، أى تزيد وتفضل غيرها ، يقول : إن الأسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشَّيْخ^(١) والضعف وكثرة العيال وجودة المدح ، والمهود السابقة التى بينى وبينك . إطراؤه يُجْتَذَب ، أى مدحه بتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته ، وأصل الإطراء المدح فى الوجه ، فهو بمشاهدته كأنه مدح طرئ ، أو ظهرت عليه طراوة . ملامه يُجْتَنَب : ذمه يخاف ويبعد منه ، فيرثى عليه ، يقول : إن الذى رجاك شيخ مسنٌ قَبِيرُ قَصْدِكَ بيقين لأنك من أهل الكرم ، فطامعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك ، وأهدى إليك من مدائحه عرائس وجبت عليك حقوقها ، ومرامه سهل عليك ، ولديك عُلُقٌ تقوم مقام القرابة ، وتزيد على ذلك ، وله مدح يرغَّب فيه وذم يرهَّب منه .

ووراء ضَفَف ، أى خلفه كثرة عيال ، من ضَفَّ الطعام ضَفًّا إذا كثرت القوم عليه ، وضَفَّ العيش اشتدَّ . والشَّظَف : سوء الحال . حصَّهم : عرَّاهم وتفرَّشهم . جَفَّ : ميل الدهر عليهم . قَشَف : بؤس عيش . يحيب : يساعد . وَلَه : هم وحيرة . يَذِيب : يذهب اللحم . تَضَيَّف : نزل به ومال إليه . كمد : حزن قارب الموت . تيف : زاد على المهود . لمامول ، أى لمقصود مرجو . إهمال : تضييع وتسييب . نَبَّ : عضَّ بأسنانه . وهذو تغيَّب ، أى سكون وأمن زال عنه . يزغ : يمل . نفث صدره ، أى تكلم بشر ، ونفث : برزق من داء فى صدره . ومنه المثل : لا بدَّ للمصدور أن ينفث . ينفض ، أى يضرب ويبعد . نَشَز : ارتفع وزال . يقتضى : يتضمن ويلزم . نثذ : طرح . حرَّمه : جمع حرمة . يبيض أمله ، أى أسعد رجاءه ، ورُدَّه أبيض بعطائك الذى يخفف ألمه ، ويزيل وجعه . ينث : ينشر . عاله : ناسه وأهل زمانه . بقيت : عشت وطال بقاؤك . إماطة شجب : إزالة هلاك وتنحيته . نشب : مال . شجن : حزن ، والشَّجن أيضاً الحاجة . مراعاة : حفظ . يقن : شيخ كبير . موصولاً ، أى

(١) الشيخ ، محرمة ، مصدر شاخ شيخ ، مثل الشيخوخة .

محتصلاً . بخفض : عيش هنيء . غنى : ناعم جديد . غشى : قصد ودخل .
معهد : موضع يهبط به جلوسه . وهم غبي : غلط جاهل .

* * *

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِثْلَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاءِ الْبَلَاغَةِ عَنْ
بَسَاتِيهِ ، أَرْضَتَهُ الْجَمَاعَةُ قِعْلًا وَقَوْلًا ، وَأَوْسَعَتْهُ حِفَاوَةٌ وَطَوْلًا . ثُمَّ
سُئِلَ مِنْ أَىِّ الشُّعُوبِ نَجَّارُهُ ، وَفِي أَىِّ الشُّعَابِ وَجَّارُهُ ،
فَقَالَ :

غَسَّانُ أَسْرَتِي الصَّمِيمَةِ	وَسُرُوجُ تَرْبِي الْقَدِيمَةِ
فَالَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِشْدَ	سَرَاقًا وَمَنْزِلَةً جَسِيمَةٍ
وَالرَّبْعُ كَالْفِرْدَوْسِ مَطْ-	يِيَّةً وَمَنْزَهَةً وَفِيمَةٍ
وَاهًا لِعَيْشِ كَانَ لِي	فِيهَا وَلَذَاتِ عَمِيمَةٍ
أَيَّامَ أَسْحَبُ مُطَرِّفِي	فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْقَرِيمَةِ
أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا	بِ وَأَجْتَلِي النُّعْمَ الْوَسِيمَةِ
لَا أَتَّقِي نَوْبَ الزَّمَا	نِ وَلَا حَوَادِثَ الْمَلِيمَةِ
فَلَوْ أَنَّ كَرِيمًا مُتَمِيفُ	لَتَلِفْتُ مِنْ كُرْبِي الْمَقِيمَةِ
أَوْ يُفْتَدَى عَيْشُ مَضَى	لَفَدَّتُهُ مُهْجَتِي الْكَرِيمَةِ
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى	مِنْ عَيْشِهِ عَيْشِ الْبَهِيمَةِ
تَقَادَهُ بَرَّةُ الصَّفَا	ر إِلَى الْعَظِيمَةِ وَالْهَضِيمَةِ

وَيَرَى السَّبَّاعَ تَنَوَّشُهَا أَيْدَى الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيَّةِ
وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ لَا شَوْمُهَا لَمْ تَنْبُ شَرِيَّةُ
وَلَوْ اسْتَفَامَتْ كَانَتْ ۖ ۖ أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيمَةٌ

• • •

قوله : «إملاء رسالته» ، أى إلقامها عليه لىكتوبها . جلى : كشف . الهيجاء :
الحرب ، وهى من الهيج وهو الحركة والاضطراب . بسالته : شجاعته . أوسته :
كثرت له . حفاوة : إكرام . والطَّوْل : الإناث . الشعوب : القبائل ، واحدها
شعب ، بفتح الشين وهو الأب الكبير . ثعلب ، الشعب : الأب الأكبر الذى ينتهون
إليه والقبيلة دونة . نجاره : أصله . الشُّعَاب : الطرق فى الجبال . وجَّاره : جُجره .
أراد بِنَيْتِهِ ، لأنهم سألوه من أى قبيلة هو ، وعن مسكنه فى أى موضع هو .
قوله : «غسان أسرقى» : أى هذه القبيلة أصل وقرايتى . الصميمة : العريضة .
الخالصة . تربى . بلدتى . إضيقاً : إضيء . وقته من العيب . جسيمة : عظيمة .
الفردوس : الجنة ، تُمَيَّتْ بذلك لعراشها ، والفردوس : المعرش من الكرم .
مطيبة ، أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء ، وفى نزهتها وحسنها ، وفى قدرها .
وأراد بالبيت غسان ، وبالربع سروج ، أو يريد بيقته فى غسان فى الشرف .
كالشمس ، ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها ونزهتها ، وقد قال فى أخرى :

مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرْنَسَى جَنَّةِ الدُّنْيَا سَرُوجُ

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس ، قول أبى الطَّمَعَانِ التَّمِيمِ :

وَمَآئِى مِنَ الْقُرُومِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدُ قَامِ صَاحِبُهُ (١)

(١) الأبيات فى الكامل للبرد : ١ : ٤٩ .

نجوم سماء كلما غار كوكبٌ بدا كوكب ثانٍ إلى كواكب

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُحى الليل حتى نظم الجزع ناقبه^(١)

وقال حسان بن ثابت :

بيض الوجوه مضيئة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول^(٢)

وزاد عليه في الإضاءة والإشراق حجبة بن المضرب فقال :

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس المنيرة والبدر

وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علو الهمة وتباعد منازلها من منازل

الكواكب ، حيث يقول :

وعزمة بعشمتها همّة زحل من تحتها بركان التراب من زحل^(٣)

وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة ، وهذا من غلو

المتنبي الذي يخرج به عن الناس حتى يُعاب ، لأنه لو جعلها مع زحل في منزلة

واحدة ، كما جعل الحريري منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية ، وزاد على

غيره ، فلم يكف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل ، كما يعلو زحل على الأرض .

ومن هذا الإفراط في شعره كثير ، وأكثر النقاد يعيبون عليه ؛ وبعد هذا فمعجزاته

في الشعر زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يحارى في كثير منها .

وأما : تعجباً ، كأنه قال : ما أعجب ما كان عيشي بها ! عميمة : كثيرة .

أسحب مطراني : أجر ثوبى المعلم في طرفه إعجاباً بنفسى . أختال : أمشى الخيلاء

مستكبراً . برّد الشباب : ثوب الفتوة . أجتلى : أنظر . الوسيمة : الحسان .

والتوب والحوادث : النوازل والمصائب ، كلها بمعنى واحد ، وهى ما ينوب

الإنسان ، أو يحدث عليه أو ينزل به ، أو يصيبه من البلاء بعد العافية . الليمة :

(١) الجزع ، بالفتح ويكسر : الخمرز الباني .

(٢) ديوانه ٣٠٨

(٣) لم أجده في ديوانه ، كما لم أجده في شعره أبى طالب التنبى الأندلسى فيما أورده ابن
بسام في الذخيرة وعلى بن سعيد في الفريفة .

التي تأتي بما يَلام عليه . كَرَبِي النقيمة : همومي الثابتة . مُهَجَّتِي : نفسي ، وأصلها : دم القلب . تَقْتَادُهُ : تسوقه . بُرَّةٌ : حَلَقَةٌ من صُفَرٍ تجعل في وترة أنف البعير ، يذلل بها . الصَّفَّار : الذَّلَّةُ . العظيمة : داهية يُستعظم أمرها . والهضيمة : المحمرة . لشأنه عند الناس ، فيريد بالبهيمة البعير الذي يقاد ويذلل بالبرَّة ، وبالعظيمة سؤاله الناس ، وبالهضيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً . والسباع هنا : الأسود . تنوشها : تتناولها وتخدشها .

[الضباع وما قيل فيها]

والضباع : جمع ضَبُع ؛ وهو نوع من سباع الأرض ، وهي مضادة في الخِلقة لسبع الأندلس ، لأنها عظيمة الكفَل والفخذين رقيقة الصدر ، وهذا السبع أَرَلٌ^(١) عظيم الصدر ، والضبع عظيم البطن ، ولذلك سمي خُضاجر بالجمع ، والخضجر : عظيم البطن . والخضجر : الوطاب الكبير من اللبن ، ويشبه به العظيم البطن . وهي عرجاء مثل هذا السبع ، ويضرب بحمة المثل فيقال : أحق من ضُبُع ، وأحق من أم عامر وهي كنيته . ومن حقه أن الصائد يدخل وجارها فيقول لها : خامري أم عامر ، ومعناه الجئي إلى أقصى منارك واستتري ، فتتقبص ، فيقول : أم عامر ليست في وجارها ، ثم يقول : أبشري أم عامر بكمر الرجال ، أبشري أم عامر بشاة هزلي ، وجراذة عظمى ، فتمد يديها ورجليها ، فيوثقها ويشد عراقيبها ، بحبال فلا تتحرك ، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها ، ولا يدخل عليها إلا عرياناً . وإن دخل ثوب قتلتها ، ثم يخرج لأصحابه بالحبال ، وهم على فم الوجار بأسلحتهم ، فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها .

ومن حقه أن ترك جِراءها إذا خرجت تلتصص ما تأكل ، فتجد جِراء أخرى قد خرجت أيضاً لذلك ، وتركت جِراءها فترضع أولاد غيرها ، وترك أولادها ، فربما ضاعت جِراؤها فأكلها الذئب^(٢) . وقال الشاعر :

(١) الأزل : الخفيف الوركين .

(٢) جبهة الأمثال ١ : ١٦ ، الميداني ١ : ٢٣٨ .

كَمْ رُضْعَةٌ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ^١ بنى بطنيا، هذا الضلال عن القصد

قال أبو زيد: والضباع لا تفترس شيئاً إنما تأكل الجيف، وتنش القبور عن الموتى، وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته، وليس لها بالنهار كبير عمل، قال الهذلي:

تبيت الليل لا يخفى عليها حمارٌ حيث جُرَّ ولا قتيل^(١)

قوله: «المستضيمة» أى اللذلة. والضم: الذل؛ يضرب المثل لتلاص الزمان بالناس بالأسود والضباع، فقال: إن الضباع المحفورة عند الأسود تتناول الأسود بالضرر، وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه، ويضع الرفيع ويقتصر عليه، ويملك الهجاء والأراذل الخطاط الجسام، ويمرّع النبلاء والأعيان غصص الخازي وكنوس الحمام.

* * *

[نبذ في أحوال الدهر]

وهذه أحوال مشاهدة تنسب إلى الدهر لوقوعها فيه، وقد رها الباري عز وجل اختبار المعبدة، وليبصر العقلاء جريان أحكامه في خلقه، وأن الكل تحت قهره، وأن كل إنسان من أهل الحزم والرأى عاجز عن إدراك ما لم يقدر له؛ وقال محمد ابن الفضل:

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللثاماً
فهم فيها يعيشون نوابحوون الكراماً

(١) اساعدة بن جوية الهذلي، ديوان الهذليين ١: ٢١٦.

وقال المعري في معنى بيت الحريري :

وَمَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي عِلْمَهُ خَدَاعِ الْإِلْفِ وَالْقِيلِ الْمُحَالَا^(١)
وغيرت الخطوب عليه حتى تربه الذرّ بحمان الجبالا
وقال يزيد المهدي يرثي المتوكل :

علتك أسياف من لادونه أحدٌ وليس فوقك إلا الواحدُ الصمدُ^(٢)
وأصبح الناسُ فوضى يعجبون به ليثاً صريعاً تندى حوله النّقدُ^(٣)

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب :

مَنْ لَمْ يَبَايِنَ أَبَا نَصْرٍ وَقَاتَلَهُ فَمَا رَأَى ضُبْعًا فِي شِدْقِهِ سُبُعٌ^(٤)
فيم الثماتة إعلانا بأسدي وعي أفناهم الصبرُ إذ أبناكم الجزعُ !

هكذا ينظم حرّ الكلام ، ويمتدح ملوك الكرام ، وتمنى عنهم شماتة اللثام .
وقد أحسن الاعتذار أيضاً لأبي نصر بأغرب من هذا ، وجعله قاتل نفسه ، إذ
لا نظير له في شجاعته فيقتله ، وإنما قتله أمر الله الذي لا يقاب ، كما قال أبو الطيب :
ألا إنما كانت وفاة محمدٍ دليلاً على أن ليس لله غالب^(٥)

وكذلك قوله :

فإن ترم عن عمرٍ تواني به للدي نخانك حتى لم يجد فيك منزعا^(٦)
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها حتى اثنى فتقطعا

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٢٤

(٤) ديوانه ٣٧٢

(٦) ديوانه ٣٧٤

(١) سقط الزند ٨١

(٣) النقد : جنس من القم .

(٥) ديوانه ١٠٩ : ١

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه ، وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الخرمي
، وما قال فيه حبيب — وهو أشجع بيت قيل — قوله :

ونفسٌ تعاف العار حتى كأنما هو الكفرُ يوم الرُّوع أو دونه الكفرُ^(١)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجلُهُ وقال لها: من تحت إخصيك الحشرُ

قوله : «الذنب للأيام» ، نسب الذنب إليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم .
تنبُّ : ترتفع ، شيمة : طبيعة ، أى لولا شؤم الأيام لم تتغير الطباع ، أى لو استقامت
هى لاستقامت أحوال الناس فيها ، فكان كل إنسان يدرك منها على قدر منزلته .

* * *

[نبذ وأقوال وحكايات في ذم الزمان]

وما قيل في ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ، أن عبد الملك بن مروان سأل
مسلمة بن يزيد — وكان من المعمرين — فقال : أى الملوك رأيت أكمل ؟ وأى
الزمان رأيت أفضل ؟ فقال : أما الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذاماً ، وأما الزمان
فيرفع أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يذم زمانه . لأنه يبلى جديدهم ، ويفرق عديدهم ،
ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

أبو جعفر الشيباني قال : أتاناً أبو ميثاس الشاعر ، ونحن في جماعة ، فقال :
ما أنتم فيه ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلاً إن الزمان وعاء ، وما ألقى
فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حُللاً تُصانُ على رجال وأخلاقاً تُذال ولا تُصانُ
يقولون الزَّمانُ به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزَّمانُ

وقال آخر :

أيا دهر إن كنت عاديتنا فيها قد صنعت بنا ما كفا
جعلت الشرار علينا خياراً وأوليتنا بعد وجه قفاً

وقال أبو العتاهية :

كفالك عن الدنيا الذميمة مخبراً غنى باخليها وافقار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها وأن رجال الضر فوق سنامها

وقال ابن لُفكك :

يا زمانا ألبس الأح شرار دلاً ومهانة
لت عندي بزمان إنما أنت زمانة^(١)

وقال ابن الرومي :

دهرٌ علا قدرُ الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه^(٢)
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً ويظفو فوقه جيفه

وكرره فقال :

قالت : علا الناس إلا أنت قلت لها : كذلك يسفل في الميزان مارحجلك

وقال آخر :

رب يوم بكيت فيه فلماً صرت في غيره بكيت عليه^(٣)

(١) الزمان : العاة

(٢) التنيل والمحاضرة ٢٥٩

(٣) التنيل والمحاضرة ١٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٩٨

وقال آخر :

لم أبلك من زمنٍ نكدي أساء به
ولا جزعتُ على مَيِّتٍ فُجِعْتُ به
ولا ذمتُ زمانًا في قلبه
إلا بكيتُ عليه حين أقدته
إلا ظلتُ بسكنى القبر أحسده
إلا وفي زمني قد حيرتُ أحسده

وقال ابن أبي عيزارة :

عتبتُ على سَلَمٍ فلما فقدته
رجعتُ إليه بعد نفوتٍ غيره
وجرَّبتُ أقوامًا بكيتُ على سَلَمٍ
فكان كبره بعد طولٍ من السقم

وأنشد المبرد :

حياة أبي العباس زيدتُ بقربه
ونعتبُ أحيانًا عليه ولو قضى
أخا ثقةٍ قاس الأمور وجربا
لكننا على الباقي من الناس أعتبا

قال عروة بن الزبير : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . أخذه أبو الطيب

قال :

وشبه الشيء منجذبٌ إليه
ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍ
ودمرَ ناسُهُ ناسٌ صغارٌ
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ
وأشبهنا بدني أنا الطغام^(١)
تعالى الجيشُ وانحطَّ القتامُ
وإن كانت لهم جثَّ عظامُ
ولكن معدنُ الذهبِ الرغامُ
الطغام : السفلة .

* * *

ثم إن خبره نأى إلى الوالى ، فملاً فاه بالآلى ، وسامه أن
ينصوى إلى أخشائه ، ويلى ديوان إنشائه ، فأحسبه الجباء
وظلفه عن الولاية الإباء .

قال الراوى : وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ ، قَبْلَ إِيْنَاعِ ثَمَرَتِهِ ، وَكِدْتُ أَنْبَهُ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ ، قَبْلَ اسْتِنَارَةِ بَدْرِهِ ، فَأَوْحَى إِلَيَّ إِيْمَاضُ جَفْنِهِ ، أَلَّا أُجَرِّدَ عَضْبَهُ مِنْ جَفْنِهِ . فَلَمَّا خَرَجَ بَطِينُ الْخُرْجِ ، وَفَصَلَ فَايْزًا بِالْفُلْجِ ، شَيَّعَتْهُ قَاصِيَا حَقِّ الرُّعَايَةِ ، وَلَاحِيًا لَهُ عَلَى رَفُوضِ الْوِلَايَةِ ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّمًا ، وَأَنْشَدَ مُتَرَنِّمًا :

لِجَنُوبِ الْبِلَادِ مَعَ الْمُسْتَرْبَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُرْتَبَةِ
لِأَنَّ الْوِلَاةَ لَهُمْ نَبَوَةٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ !
وَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُشِيدُ مَارْتَبَةَ
فَلَا يَخْدَعَنَّكَ لُمُوعُ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَ
فَكَمْ حَالِمٍ مَرَّهٌ حِلْمُهُ وَأَذْرَكُهُ الرُّوعُ لَمَّا انْتَبَهَ

قوله : « تما » ، أى ارتفع ووصل . الآلى : الدرر . سامه : كلفه .
ينضوى : ينقسم . وأحشائه : خاصته . بلى ديوان إنشائه : يتولى دار كتابته ،
أى يكون هو الذى ينشئ الكتب ، وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد .
أحسبه : كفاه . الحياء : العطاء . ظلفه : منعه . الإباء : الامتناع ، وقد أبيت
من كذا ، أى امتنعت منه ؛ ويكنى به عن نزاهة النفس . عود شجرته ، يريد
أنه كان عرفه قبل أن يتكلم ، وأن يعرف نفسه . وإيناع الثمرة : إدراكها
ونضج ثمرتها . إيماض جفنه : إشارة عينه . عضبه : سيفه . جفنه : غنده ، أى

أشار على أن أستره . بطين : مملوء . الخرج : وعاء مملوء ، وهذا
كقول الشاعر :

يبيتون بالدهن خفافاً عيائهم ويخرجن من دارين بجر الحقايب^(١)

وقد أخذ هذا اللفظ في مقامة أخرى قال : حتى آل ذاعية خضراء
وحقية بجراء ، أى مملوءة . وإلى هذا المعنى أشار ، نصيب في قوله :

أقول لركب قافلين رأيتهم قنذات أو شال ومو لأك قارب^(٢)

قفوا خبروني عن سليمان إنسي لمروفا من أهل ودان طالب^(٣)
فعا جوا فاثنوا بالذى أنت أهله ولوسكنوا أننت عنك انخائب

تناوها عليه ، أن بدت للناس مملوءة من معروفه ، فأتى أبو العتاهية فزاد
للغنى بيانا بقوله :

إن المطايا تشكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالاً^(٤)

فلذا أتيت بنا أتيت مخففة وإذا رجعت بنا رجعت ثقلاً

قوله : « فصل » ، أى زال وتنحى . الفلج : الظفر بما أراد . الرعاية :
حفظ الصحبة . لاحقاً : لاحقاً . رفض : ترك . مترنماً : مطرباً ، أى لما
خرج بمثلى الوعاء ، ظافراً بما أراد ، لفتته على ترك خدمة الأمير التى كلفه ، فأنشد .

(١) لأعشى مملتان ، يهجو لصوماً ؛ وهو من شواهد ابن عقيل ١/١٩٨

(٢) البيان والبيان ١ : ٨٣ . والقارب : طالب الماء . وذات أو حاله : موضع به

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجسفة ؛ قال ياقوت : « وقد أكثر
نصيب من ذكرهما في هزمه » وأند الأبيات .

(٤) ديوانه ٣١٧ .

معتذراً . المترفة ، أى الفقر . المرتبة : المنزلة الرفيعة . وهذا البيت ينظر إلى حكاية الأصمعيّ وقد رثي راكباً حماراً فقيل له : أبعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلاً .

ولما أبت إلا طرافاً بوجهها وتكديرها الشراب الذى كان صافيا
شربنا برنقي من هواها مكذّر وليس يعاف الرنق من كان صاديا
يقول : هذا وأملك ديني ونفسي ، أحب إلى من ذلك مع ذهابهما (١) .
أطرف الشيء وتطرقه : استفاده ، وقيل : استجاده .

نبوة : ارتفاع وقلة ثبات . معتبة : سخط . يالها : تعجب ، كأنه قال :
يا عجباً لها ، ما أشدها . يربّ : يصلح ويقوى . الصنيع : الفعل الجليل . يشتد :
يرفع ويتم . رتبة : بناء وهتاء . الشراب : ما يظهر نصف النهار كأنه ماء ،
اشتبه : أشكل . الحالم : من يرى فى منامه رؤيا ، وقد حلم يحلم : والروع :
الفرع ، يقول : مثل المترفة بالخطبة السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميراً ،
فانتبه فى أيدي أعاديه أسيراً ، أو رأى نفسه بين غزلان ورباحين فانتبه لزيور
أسود ولصغير ثعابين ، وكذلك الأمراء إن رفعوا الخديم ببعض إنعامهم كدروه
بتمجّيل انتقامهم . وما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر :

إلى الله أشكو كل يومٍ وليلةٍ إذا كنت لم أعدم خواطر أو هامٍ
فإن كان شراً كان لاشكٍ واقماً وإن كان خيراً كان أضغاث أحلامٍ

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع ، قال : رأيت رؤيا نصفها حق ،
ونصفها باطل ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت أراى أحل بدرة ؛ فمن ثقلها كنت
أسلح فى ثيابي ، فانتبهت فإذا السلح ولا بدرة . قال الفنجديسى : ومن أحسن
ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعاني ظريفة المباني ، شرقتى بإنشادها وإملائها
على السيد الأجل أبر المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاهرة مصر لبعضهم :

وزارنى طيف من أهوى على وجلٍ من الوُشاةِ وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقف من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بي شغفاً
نم انتهت وآمالى تحيىنى نيل النى فاستحالت غبطتى أسفاً

ومن ملح هذا الباب ، أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة ، قال : أيها الأمير إني رأيت رؤيا ، فأذن لي بقصها ، فقال : قل ، فقال :

أغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ فى ساعة ما كنت قبل أناهما^(١)
فرأيت أنك رُعتنى بوليدةٍ مفنوجةٍ حسنٍ على قيامها
وببدرٍ ملحت إلى وبغلةٍ شهباء ناجيةٍ يصل لجأها^(٢)

فقال له بشر : كل شئ رأيتَه فهو عندك إلا البغلة ، فإنها دهاء ، قال : امرأتى طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهاء ولكنى غلطت .

قال البطين الشاعر : قدمت على على بن يحيى الأرمينى ، فكتبت إليه :
رأيت فى النوم أنى راكب فرساً ولى غلام وفى كفى دنانيرُ
فجئت مستبشراً مستشعراً فرحاً وعند مثلك لى بالفعل تبشيرُ
فوقع فى أسفل كتابي : ﴿ أضفك أحلامٍ ومأ نحن يتأويل الأحلام
بِعالين ﴾^(٣) ، ثم أمر لى بكل ما رأيتَه فى منامى

(١) الخبر والشعر فى ذيل زهر الآداب ١٠١ .

(٢) بعده فى زهر الآداب :

فدعوت ربى أن يثيبك جنةً عوذاً يصيبك بردها وسلامها

(٣) سورة يوسف ٤٤ .

المقالة السابعة: وهي البرقعية

حكى الحارث بن همام، قال: أزممتُ الشُّحُوصَ مِنْ بَرْقَعِيدٍ،
 وَقَدْ شَمْتُ بَرْقَ عِيدٍ، فَكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، أَوْ أَشْهَدَ
 بِهَا يَوْمَ الزَّيْنَةِ. فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَفْلِهِ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ
 وَرَجْلِهِ، اتَّبَعْتُ الشَّنَّةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ، وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ
 لِلتَّعْيِيدِ. وَحِينَ النَّامِ جُمُعُ الْمُصَلَّى وَانْتِظَمَ، وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكَطْمِ،
 طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمَلَتَيْنِ، مَحْجُوبُ الْمُقْلَتَيْنِ، وَقَدْ اعْتَضَدَ شِبْهَ الْخِلَاقِ،
 وَاسْتَقَادَ الْعَجُوزَ كَالسَّعْلَاقِ، فَوَقَفَ وَفَقَّةً مُتَهَافِتٍ، وَحَيًّا تَحِيَّةَ
 خَافِتٍ. وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دُعَائِهِ، أَجَالَ خَمْسَةً فِي وَحَائِهِ؛ فَأَبْرَزَ
 مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كَثَبْنَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاغِ، فِي أَوَانِ الْفَرَاغِ، فَنَاولَهُنَّ عَجُوزُهُ
 الْحَبِزَ بُونِ، وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ الزُّبُونِ، فَمَنْ آتَسَتْ نَذَى
 يَدَيْهِ، أَلْقَتْ مِنْهُنَّ وَرَقَةً لَدَيْهِ، فَاتَّاحَ لَهُ الْقَدْرُ الْمَعْتُوبَ، رَقْمَةً
 فِيهَا مَكْتُوبٌ ...

• • •

أزممت الشُّحُوصَ، أى عزمْتُ على الخروج. بَرْقَعِيد: بلد بينه وبين
 للوصل عشرون فرسخًا. شَمْتُ: نظرت.

ويريد برق عِيد، مقدّمات العيد التى ينظر الناس بها فى أسبابه، سأل رجل.

الجَنيد ، لماذا سُمِّيَ يوم العيد ؟ فقال : لأنَّ آدمَ لما خرج من الجنة ، وأهبط إلى الأرض ، ثم تاب الله عليه ، فردّه إلى الجنة ، كان في ذلك اليوم ؛ فقيل له يوم عيد ، لأنه أُعيد إلى الجنة فيه ، قال ابن الأنباري رحمه الله : معنى يوم العيد ، الذي يعود فيه الفرح والسرور . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن ، وأصله « العود » لأنه من عاد يُعود ، فلما سُكَّنت الواو وكُسِّر ما قبلها قُلِبَتْ ياء ، فصارت من باب ميزان وميقات ، وهما من الوزن والوقت ، وكذلك الياء إذا سكنت ، وانضمَّ ما قبلها قُلِبَتْ واواً مثل مُوسر ومُوقن ، وهما من أيسر وأيقن ، ويقولون في الجمع مياسر .

المدينة : البلد ، مَنْ أَخَذَهَا مِنْ مَدَنٍ بِالْمَكَانِ يَمْدُنُ ، إِذَا أَقَامَ فِيهِ ، فَهِيَ « قَعِيلَةٌ » والجمع مدائن بالهمز ، والميم أصلية والياء زائدة ، ومن أَخَذَهَا مِنْ دَانَ يَدِينُ ، فالميم زائدة والياء أصلية ، وهى « منفعولة » . يقال : دِنْتُ الرَّجُلَ مَلَكَتَهُ ، ودنت له أطعت ، ويقال للأمة مَدِينَةٌ لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

رَبِّتْ وَرَبَّاءً فِي حَجَرِهَا ابْنَ مَدِينَةٍ يَظَلُّ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكَ (١)

يعنى عبداً . يوم الزينة : يوم العيد لتزيّن الناس فيه . قوله : « أَظَلُّ » ، أى قرب ودنا حتى دخلنا في ظله . بفرضه : يعنى زكاة الفطر . ونفله : يعنى صلاة العيد . الفَنجْدِيهِى : فَرَضَ العيد : صدقة الفطر ، ونَفَلَ العيد مثل الصلاة والفعل ولبس الجديد من الثياب .

ابن عمر رضى الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو شعير ، على كل حرٍّ أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين .

ابن عباس رضى الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة

(١) للاختل ، ديوانه • . تركل الشئ : دفعه برجله .

(١٨ - شرح مقامات الحريري ١)

الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات .
أجلب بخيله ورجله ، أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ، ضرب به المثل لإقباله وتصميمه على الحجى . لبس : لباس ، وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمته ولعيده » .

جابر : كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة . برزت : خرجت . الثام : التحم والتصق . الصلى : موضع صلاة العيد . الزحام : الضيق لكثرة الناس . الكظم : تضيق النفس من شدة الزحام . شملتين : عباءتين ، والشملة : نوع من الأكسية ، وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتمل بها ، أى يديرها حواليه . محجوب : مستور . المقلتين : العيينين ، أراد أنه أعمى . اعتضد : علقها فى عضده . استفاد : جعلها تقوده . السعلة : أتى القول ، وذكروها يسمى الكمنكع ، وأنشدوا :

* غولا تراعى شرساً كمنكماً *

والقول : جن مسكنها الصحارى تترأى للإنسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك . قوله : « منهافت » ، أى متساقط لضعفه ، ومنهافت الشيء فى يدي : تناثر . خافت : خفى الصوت ، وقد خفت الرجل ، إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك ، وأصل خفت مات هزالاً . فرغ : أتم . أجال : مشى وصرف . خسه : أصابه . فى وعائه ، بمعنى المخللة التى اعتضدها ، وهى تعلقية بعلائق السائل فى عنقه أو ذراعه ، ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة . أبرز : أخرج . أوان : وقت . الفراغ : قلة الشغل . ناوهن : أعطاهن . الحيزبون : المسنة التوبة الخلق . تتوسم : تنظر . الزبون : المنخدع عن حاله « فمول » بمعنى « مفعول » ، وهو من ألقاظ أهل المشرق ، وأراد به الكثير

الصدقة ، آنت : أبصرت . ندى : كرم . أتاح : ساق . القدر والمعنوب : المألوم .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمَمْنُورًا بِمَحْتَالٍ وَمُخْتَالٍ وَمُغْتَالٍ
وَحَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ قَالَ لِي لِإِلَآلِي
وَأَعْمَالٍ مِنَ الْأُمَمَاءِ لِي فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي
فَكَيْفَ أَصْلَى بِأَذْهَالٍ وَأَنْحَمَالٍ وَتَرْحَالٍ
وَكَمْ أَخْطِرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطِرُ فِي بَالٍ
غَلَيْتَ الدَّهْرَ لَنَا جَا رَ أَطْفَالِي أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّنِي أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي
لَمَّا جَرَزْتُ أَمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَآلِي
وَلَا جَرَزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبٍ إِذْ لَالِي
فَمِخْرَابِي أُخْرَى بِي وَأَسْمَالِي أَسْمَى لِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخَفِي فَيَفِئْتُنِي بِمِثْقَالٍ
وَيُطْفِي حَرَّ بَلْبَالِي بِصِرْبَالٍ وَسِرْوَالٍ !

° ° °

قوله : « موقوداً » ، أى مشرقاً على الموت من شدة الأوجاع والأوجال ،
والموقودة فى القرآن^(١) : المقتولة بالحطب ، والوقد : شدة الضرب . أو جال :
مخاوف . ممنوراً : مبتلى . محتال : ماكر كثير الحيلة . مختال : متكبر . مغتال :
مهلك . حوَّان : كثير الخيانة .

ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلما يوجد فى

(١) وهو قوله تعالى فى سورة المائدة ٣ : « والنخعة والموقودة » .

آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوثق به . قال : مبغض . إقلائي : قرى ..
 إعمال : جدّ وبحث ، تقول : أعمت الشيء في الشيء ، إذ جعلته يعمل
 فيه . والعمال : عاملو كل شيء . تضليع : إفساد . أعمال : جمع عمل ، يريد أنه
 مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتنتقض أعماله وتصير له أضلاعاً بعد
 اجتماعها ، وذلك فساد لها . ويحتمل أن يكون التضليع من «ضلّك مع فلان» .
 أى ميلك معه ، فأعماله تميل عن طارقه فتتسد . وقيل : تضليع الأعمال : تثقيفها ،
 قال الأزهري رحمه الله : ضلّع الدين . ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله ،
 وفي الحديث : «أعوذ بالله من ضلّع الدين» . أصلى : أحترق . أذحال : أحتاد .
 وعداوات . إمحال : فقر . ترّحال : سَفَر وثقله من بلد إلى بلد . أخطر : أمشى
 متبخترًا ، وقد خطر الرجل ، إذا أقبل بيديه وأدبر بهما ، وهى مشية الشبان . بال :
 خَلَق . ولا أخطر في بال : لا أصرّ على بال أحد ولا خاطره . جاز : مال عن الحق .
 ولم يعدل . أطفأ : أemat . أطفأى : أولادى ، ومثله : أشبالى .

الفتجديهي : يقول : ليت الدهر لنا ظم أولادى ، وجاز عليهم أماتنى .
 لا تلخص ، فإنّ مقاساة الولائد سبب الوقوع في المصائد . قال ابن عيينة : قلت
 لصياد: أى طائر أسرع إلى مصايدكم ؟ قال : الذى يزق ، يعنى الذى يطعم ولده .
 أغلاى : قيودى . والأعلال : جمع علّ ، وهو القراد الضخم ، وهو الذى
 يلقى بأفخاذ الدواب ، وهو كثير التشبّث والاتصاق ، لا يقام إلا بجهد ،
 فيريد بالأعلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسببهم ، وبالأعلال أنهم
 قد تعلّقوا به يطلبون ما عنده ، وقال الشاعر يصف ناقته :

* ولو ظلّ في أوصالها القلّ يرتقى *

ويقال للقراد : الطلح والفينق والحجير والدّلّ والبرام والقرشوم واللّبود .
 في بعض اللغات . جهّزت : أرسلت . آل : قريب ، وآل : أهل ، أو يكون
 آل أميراً وسائلاً ؛ قال عمر رضى الله عنه : ألتنا وأبلى علينا ، أى سئنا الناس .

وساسنا غيرنا، فيكون على هذا مقلوباً من «آيل»، كما قيل: سار في سائر .
 - مسح : طريق . يقول : لولا ذلّ الأولاد ما قصدت والياً ، ولا جررت ذيلي
 في طريق ذلّ ، ويقال : سحب ذيله سحباً إذا جرّه ، والمسحب : موضع جرّه
 ثوبه . محرابي : مسجدي . أخرى : أحقّ بي . أسمالي . أثوابي الخلقّة . أسمى لي :
 أعزّ لي وأرفع لقدري . أقالى : هوى أو ديونى ، أو كثرة عيالى واحدها ثقل ،
 وثقل الشيء ثقلاً ضدّ خفّ ، وأثقل الرجل : كثر عياله . بلبالى : حزنى ،
 واللبال : وسواس الموم . سربال : قيص . والسروال : معروف ، وفي الحديث
 أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها ،
 فقالوا : إنها منسرولة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم اغفر للمتسرولات
 من أمّتي - ثلاثاً - يأتيها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم ،
 ووحضوا بها نساءكم إذا خرجن » .

ومن مُلحّ الصاحب بن عباد أن بعض الشعراء ^(١) كتب له :

أَيَا مَنْ عَطَايَاهُ تُعْطَى الْغِنَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْ ذَنَا
 كَسَوْتَ الْقَمِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ كَمَا لَمْ يَخُلْ مِثْلَهَا مُمَكِّنَا
 وَحَاشِيَةَ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي ثِيَابٍ مِنَ الْخَزْإِ إِلَّا أَنَا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : اجنّني
 أيها الأمير ، فأمر له بإقاة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت
 أن الله خلق مراكباً غير هذا لملتك عليه . وقد أمرنا لك من الخزّ بمجنّة وقيص
 ودُرّاعة وسراويل وعمامة ومنديل ومُطارف ورداء وكساء وجُورب وكيس ،
 ولو علمنا لباساً غير هذا من الخزّ لأعطيناكه . ثم أمر بإدخاله إلى الخزّانة ؛
 ووصب تلك الخلع عليه ^(٢) .

وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح .

(١) هو أبو القاسم الزعفراني .

(٢) الخبر والعمر في بقيمة الدهر ٣ : ١٤١ ، مع تصرف واختصار .

قال الحارث بن همام : فلما استعرضت حلة الأنيات ، تفت
إلى معرفة ملحمها ، وراقم علمها . فناجاني الفكر بأن الوصلة إليهِ
العجوز ، وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز ؛ فرصدتها ومي
تستقرى الصفوف صفًا صفًا ؛ وتستوكف الأكف كفًا كفًا ،
وما إن ينجح لها عناء ، ولا يرشح على يديها إناء ، فلما أكدي
استعطافها ، وكدها مطافها ، عاذت بالاسترجاع ، ومالت إلى إرجاع
الرقاع ، وأنساها الشيطان ذكر رُفعتي ، فلم تمج إلى بقعتي ، وآبت
إلى الشخ باركية للجرمان ، شاكية تحائل الزمان ؛
فقال : إنا لله ، وأفوض أمري إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلا
بالله ! ثم أنشد :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا نَمِينٌ

* * *

قوله : « ملحمها » ، ناسجها ، ولما جعل الشعر حلة جعل له ناسجاً وراقماً .
ناجاني : حدثني . الوصلة : الموصلة . استعرضت ، أى نظرت وعرضتها على
نفسى . تفت : اشتقت . أفتاني ، أعلمنى . الحلوان : أجرة السكّان ، وأراد
أجرة المرّاف ، وهو الذى يعرف بالتلائف للفتنة أربابها ، فيفتكونها منه بما اتفقوا
عليه ، فذهب مالك أن من عَرَفَ اللقطة^(١) ، وكان من شأنه أخذ الجمل على مثل
ذلك ، فله أجرة مثله ، والشانعى لا يوجب له حقاً ؛ سواء كان من شأنه أن يعرف

(١) اللقطة ، كهزة : ما انقط .

باللَّقْظَة أو لم يكن ، تعب في ذلك أو لم يتعب ، إلّا أن يشترط قبل الطلب .
 رصدها : ارتقبها . تستقري : تتبع ؛ واقتربت الأرض واستقربتها ،
 تنقبها متأملاً . تستوكف : تستعطر . بنجح : ينفع ويؤثر ؛ يقال : نجحت
 الحاجة إذا انقضت ، ونجح طالبها إذا لم ينجب ، وأنجح : أشهر ؛ يقول : إن مشيها
 عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها . وقصد برشح الإناء كرم الكف ؛ يقول :
 لم يرشح لها كفٌ بعطية . أ كدى : خاب وصعب ، ويقال : أ كدى الحافر ،
 وهو أن يحفر البئر يطلب الماء ، فإذا بلغ إلى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على
 الحفر قيل له : أ كدى فهو مكدر ، والكُدْيَة هي الصلابة التي يتعذر حفرها .
 استعطافها : تليينها القلوب . كدّها : أتعبها . مطافها : مشيها وطوفها على الناس ،
 ويحسن أن ينشد هنا في حالها لأبي نواس :

إذا لم يُعِنك الله فيما تريدُه فليس للخلق إليه سبيلُ
 وإن هو لم يرشدك في كلِّ ملكٍ ضلّت ، ولو أن السّماك دليلُ
 غيره :

إنا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يحنى عليه اجتهدُه
 عاذت : تعوّذت ولاذت . الاسترجاع ؛ قولهم : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
 وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما قال أحدٌ عند
 المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجِرْني في مُصيبتي ، وأخلف لي خيراً
 منها ؛ إلا استجيب له » .

إرجاع : ردّ . تعج : تميل وترجع . بقعى : موضعى . آبت : رجعت .
 الحرمان : الخلية والنع . تحامل : مشقات ، وتحاملت في الأمر : تكلفت على
 مشقة . أفوض : أودّ .

لا حول ، أى لا حيلة ، يقال : ما له حيلة ولا حول ، وما له احتيال ولا محتال ، ولا تحالة ولا تحيلة ؛ كآه بمعنى . ويقال : ما له تحال بالفتح ، أى حول ، وتحال بالكسر ، أى مكر . ثعلب : هو من قولهم : تحل به ؛ إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك . وتحل به القرآن : شهد عليه بالتقصير ؛ وقال القراء : التحالة على ثلاثة أقسام ؛ هى الحيلة ، والتى تجعل على رأس البئر كالبكرة ، وواحدة تحال الظهر وهى فقاره . ويقال : أخذت فى الحوالة والحوالة ، إذا قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ويذهب « لا حول ولا قوة » بالتبرئة ، وإن شئت رفعتها بالابتداء ، « وبالله » خبر « قوة » ، وحذفت خبر « لا حول » لدلالة الثانى عليه ، وإن شئت رفعت « حول » بالابتداء ، ونصبت « قوة » بالتبرئة ، وإن شئت نصبت « حولا » بالتبرئة ورفعت « قوة » بالمعطف على موضع « لا حول » ، وإن شئت نصبت « قوة » بالتنوين عطفًا على اللفظ .

قوله : « صاف » ، أى خالص الود . مضاف : صادق فى وده . معين : ماء كثير ، يريد صاحب كرم كثير . معين : يعين بماله . المساوى : ضد الحسن ، واحدها « سوء » على غير قياس ، وقيل لا واحد لها . بدا : ظهر . الثمين : النفيس الغالى الثمن ؛ يقول : إن الناس قد استووا فى الأفعال السيئة ، وأراد قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما تنابنوا ، فإذا استووا هلكوا » ، ومعناه أن الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشر ، ولا تجدهم كلهم فضلاء لأن الخير قليل .

قال أبو العباس التطلى فيما يتعلق بهذا المعنى :

والناس كالناس إلا أن تجر بهم
وللبصيرة حكم ليس للبصر^(١)
كالأيك مشتبهات فى متابها وإنا بقع التفضيل بالثر
وقال التهامي :

وَمِنْ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَبِجَاهٍ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي^(١)
وَلَرَبَّمَا اعْتَصَدَ الْخَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي يُمْنَى بِغَيْرِ يَسَارٍ
وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ بِالْإِضْدَارِ

* * *

ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَتَى النَّفْسَ وَعِيدِيهَا ، وَاجْمَعِي الرِّقَاعَ وَوُعْدِيهَا ،
فَقَالَتْ : لَقَدْ عَدَدْتُهَا لَمَّا اسْتَمَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ يَدَ الضِّيَاعِ ،
قَدْ غَالَتْ إِحْدَى الرِّقَاعِ ، فَقَالَ : تَعَسَّ لَكَ يَالْكَاعِ ، أَنْتُحَرَّمُ
وَيَحَكِّ الْقَنْصَ وَالْجِبَالَةَ ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَةَ ! إِنَّهَا لَضِغْتُ عَلَى
إِبَالَةٍ . فَانْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا ، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا ؛ فَلَمَّا
دَانَتْ قَرَنْتَ بِالرُّقْمَةِ ، دِرْهَمًا وَقِطْعَةً ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنْ رَغِبْتَ
فِي الْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ - وَأَشَرْتُ إِلَى الدَّرْهَمِ - فَبُوحِي بِالسَّرِّ الْمُبْهِمِ .
وَإِنْ أَيْتَ أَنْ تَشْرَحِي ، فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرَحِي . فَعَالَتْ إِلَى
: اسْتِخْلَاصِ الْبَدْرِ التَّمِّ ، وَالْأَبْلَجِ الْهِمِّ ، وَقَالَتْ : دَعْ جِدَالَكَ ،
وَسَلْ عَمَّا بَدَالَكَ ، فَاسْتَظْلَمَهَا طَلْعَ الشَّيْخِ وَبَلَدَتِهِ ، وَالشَّعْرِ
وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ .

° ° °

قوله : «عديها» ، أى طمعيها . استعديها : رددتها . غالت : أهلكت ،
واستعار للتضييع «بدأ» مجازاً . تعسا : هلكا ، والنفس : الدعاء ألا تقال عثرته .
ياللكاع : يا لثيمة يا مُنْقِنَةً ، واللكاع : وسخ الفرح . ولد الحمار .
القنص : الصيد .

الحُبالة : الشبكة ، وصفة الحُبالة أن يُعمد الحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد في أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ، ويربط في الطرف الثانى خشبة ، وربما حدّدا طرفها ، ثم يأتون إلى الطريق الذى يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ، ويفتحون عليها عين الحبل ، ثم يغطونها بالتراب والزبل ، حتى تصير في طبع الأرض ، فإذا أقبل الصيد للماء ، فوضع يده أو رجله في الحفرة ، سقطت به ، وانضم على يده أو رجله الحبل ، فينب فازعاً ويفرّ ، فتنبه تلك الخشبة ، فكلما انتفض أقبلت عليه ، فتضربه بين يديه ورجليه وبطنه وظهره ، فتوهى أعضائه ، وربما كسرت يديه أو رجله ، فلا يسير بها قدر ميل . حتى يقف موقوذاً منها ، فيأتيه الصائد فيأخذه ، وأنواع الحُبالة كثيرة .

قوله : « القَبَس » ، يريد به نور المصباح . والدُّبالة : القتيلة . ضِفْتُ : حُرْمة من حشيش صغيرة ، وأصلها جماعة القضيان ، وشبهها من النبات ، يجمعها أصل واحد ، وكلّ ما جمعت عليه كنتك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضِفْتُ . إِبالة : حُرْمة كبيرة ، والضِفْتُ على الإِبالة مثل حُرْمة الخطّاب إذا حملها للبيع ، وجعل فوقها حُرْمة صغيرة لنفسه ؛ فالكبيرة إِبالة والصغيرة ضِفْتُ ، فكانه قال : إنها خسارة على خسارة ، ويقال لها : إِبالة وأبيل وأبيلة ، وضِفْتُ على إِبالة ، ممثّل أخذه من قول الشاعر :

في كلّ يوم من دُؤَالِه ضِفْتُ يزيدُ على إِبَالِه^(١)

وقال آخر وذكّر ناقته :

رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ النَّمْلَانِ مِثْلَ إِبَالَةٍ مِنْ خَالِصِ الشَّعْرِ

وهذا مثل قول حبيب :

(١) الميداني ١ : ٤١٥ ، من غير نسبة واللسان - أبيل ، ونسبه إلى أسماء بن خارجة .

فكم جزع وادى جب ذروة غارب وبالأمس كانت أتمكته جوانبه^(١)

قوله : « انصاعت » ، أى ذهبت نافرة وانثنت بسرعة ، وكل ما ثبتته ولوبته .
 بسرعة ؛ فقد صغته صوعاً ، وكذلك إذا جمعته وفرقته ، فذهب عنك بسرعة ،
 وصاع الشجاع التوم فى الحرب ؛ إذا جمعهم بهيبته ثم ضدهم ، ففروا سراعاً
 متفرقين . وكل نافر مسرع منصاع ، وقال ذو الرمة فى الحر :

رمى فأخطأ والأقدار غالباً فانصعن والوبل هجبراه والحرب^(٢)

تقص ، أى تتبع . مدرجها : طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ، ويقال :
 درج الشيخ والصبي درجاً ودرجاً ، إذا تقاربت خطاهما ، والمدرج : الموضع الذى
 درج فيه ، والمدرجة : قارة الطريق . تنشذ : تطلب من نشذت الضالة ، ومدرجها :
 رقتها ، ويقال : أدرجت الكتاب والثوب طويتهما . القطة : عند أهل المشرق :
 الواحدة من صرف يعرفونه الحندوس ، يعمدون إلى دراهمه فيطعمونها قطعاً ،
 فهى صرفهم ، وبها يتصدقون ، فأراد أنه قرن برقة الشعر درهماً ، وقطعة من
 الحندوس ، وقال لها : إن خبرتني بقاتل الشعر ، نغذى الدرهم أجرة ، وإن أبيت
 أن تعرفيني به نغذى القطعة صدقة وانصرفى . المشوف : المصقول المجلو ، والشوف :
 لجلاء ، والمعلم : المنقوش ، ونقشه علامته ، وقيل : هو الذى عليه علامة الملك ،
 وأخذه من قول عنتره :

ولقد شربت من المدامة بمعدماً ركذ الهواجر بالمشوف المعلم^(٣)

(١) ديوانه ٤٤ . جزع الوادى : جانبه . جب : قطع . الذروة : أعلى نى . . الغارب :
 السكامل . أتمكته : رفته . وفى الديوان : « أتمكته جوانبه » .

(٢) ديوانه ١٦ ، وانظر حواشيه .

(٣) من المعلقة ٢٥٨ بشرح التبريزي .

بُوحى . تكلّمى . المبهم : المعلق للمبس . أُيِّت : امتنعت . اسرحى : اذهبى .
 استخلاص : تخليص ، واستخلص الشيء ، جعله خالصاً . التّم : الكامل . والأبلج :
 النقى الأبيض ، وفعله ابلاج كاحمار . الهمّ : الكبير الذى يهيم به من رآه ،
 وشيخ همّ : مسنّ ، والهمّ : الرقيق النحيف ، وهو من همت النار إذا أذاخته ،
 وهممت الشحم : أذبتة . استطلمتها طلمعُ : استخبرتها خبره ، وسألها أن تطلمعنى
 عليه ، وتقول : استطلمت طلمع الشيء ، إذا حاولت الاطلاع عليه ، وأردت معرفة
 خبره الذى تطلع منه عليه ، وطلع بالكسر . برّدت : ثوبه .

فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرْوَجَ ، وَهُوَ الَّذِى وَشَى الشَّخْرَ
 الْمَنْسُوجَ . ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرَمَ خِطْفَةَ الْبَاشِقِ ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ
 السَّمِ الرَّاشِقِ ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِى
 لِمَصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ ، وَآتَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ وَأُنَاجِيهِ ، لِأَعْجَمَ عُودَ قِرَاسَتِى
 فِيهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطُّى رِقَابَ الْجَمْعِ ، الْمَنْهَى
 عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، وَعِغْتُ أَنْ يَتَأَذَى بِي قَوْمٌ ، أَوْ يَسْرِى
 إِلِى لَوْمٍ ، فَسَكَدْتُ بِمَسْكَانِ ، وَجَمَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِ ،
 إِلَى أَنْ انْقَضَتِ الْخُطْبَةُ ، وَحَقَّتِ الْوَيْبَةُ ، فَخَفَّقْتُ إِلَيْهِ ،
 وَتَوَسَّعْتُ عَلَى التَّحَامِ جَفْنِيهِ ، فَإِذَا الْمَعِيَّتِى الْمَعِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
 وَفِرَاسَتِى قِرَاسَةُ إِيَّاسٍ .

وشى : زين ورقم . خطفت : أخذت بسرعة . الباشق : من جوارح
 الطير . مرقت : خرجت بسرعة . الراشق : الذى يرشق الصيد ، أى ينشبه ،

ويكون الراشق بمعنى الرشوق ، كقوله تعالى : ﴿من ماء دافق﴾^(١) ، أى مدفوق..
قوله : «خالج» ، أى داخل وجاذب . تأجج : اشتعل . كربى : هَمَى ، والتأجج
«التنقل» من الأجاج ، وهو تصويت النار ولهبها إذا اشتعلت وعظمت .
آثرت : اخترت وفضلت ، وآثرته بكذا : فضّلته به والإيثار المصدر . أفاجيه :
آتية فجأة وهو لا يشعر . أناجيه : أحذّته . أعجم : أجرب . فراسى : نظرى ،
وجعل لها عوداً مجازاً . تخطى رقاب الجمع : الجواز على أعناق الناس ؛ خرج
الترمذى فى النهى عن ذلك ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم » .

عفت : كرهت . بتأذى : يصيبهم أذى . يسرى : يصل . اللوم : ضد الحمد ،
وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذمّاً لما فعل . شكّدت : التصقت ولزمت . قيد .
عيانى : غرض نظرى ، أى قيدت نظرى فيه . انقضت : تمت . حقت الوثبة ،
أى وجبت القفزة إليه . خفت : أسرع . توسّمت : نظارته . التحام : التصاق .
وانغلاق . ألعيتى : ذكأتى وصدق ظنّى ، والألعى ، هو الذى يظن بك الظنّ ،
ولا يخطئ ، وهو الاعمى من الاعمى ، كأنه يلمع لكائه وجودة فطنته ،
وقال أوس :

الألعى الذى يظنّ بك الظنّ كأنّ قد رأى وقد سمعاً^(٢)

ولا يبين أحد الألعى بأحسن مما بينه أوس ، فإذا سئلت : ما الألعى ؟
فأنشدت بينه نأت بالجواب الشافى .

والفراسة ، أن تنظر الشيء فتستدلّ بظاهره على باطنه ، وبما حضر على ما
غاب ، وقيل : الألعية أن ترى الشيء على بُدّ فتعرفه وتحققه ، والفراسة أن ترى
الرجل بين يديك فتحكمّ عليه بما أضمر ، أو بما يريد أن يفعله ، فالألعية فى البعد ،
والفراسة فى القرب ، وكيف اختلفت الألعية والفراسة ، فالظنّ الصادق يجمع بينهما .

(٢) ديوانه ٥٣ .

(١) سورة الطارق ٦ .

[ذكر ابن عباس و بعض أخباره]

وابن عباس رضى الله عنه ، هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، يكنى أبا العباس .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف فى السنة التى مات فيها ، ما بين ثمان وستين فى الأقل ، وأربع وسبعين فى الأكثر . وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وضرب على قبره فسطاط .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم علّمه الحكمة وتأويل القرآن » ، وفى حديث آخر : « اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين » . وفى حديث آخر : « اللهم زده علماً وفقهه » ؛ وفى حديث آخر : « اللهم فقهه فى الدين وعلّمه التأويل » . وكلها أحاديث صحاح .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويُدِينه ويقربه ويشاوره ، مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : ابن عباس فى الكهول ، له لسان ستول ، وقلب عقول .

عبد الله بن عبد الله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ، ولا أجَدَ رأياً ، ولا أثبت نظراً من ابن عباس .

ولقد كان عمر يمدّه للمعضلات ، مع اجتهد عمر ونظره للمسلمين .

عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر .

عطاء : كان الناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب ، وناس يأتونه

الأيام العرب ووقائعها ، وناس يأتونه للعلم والنقح ، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون .

مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلت : أجل الناس ؛ فإذا تكلمت قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدثت قلت : أعلم الناس .

أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو على الموسم ، فافتتح سورة ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والترك والروم لأسلمت .

طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكروا ابن عباس خالفوه ، فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا إلى قوله .

ابن مسعود : نمت ترجمان القرآن ابن عباس ، ولو أدرك أسناتنا معاشره منا رجل .

يزيد الأصم : خرج معاوية حاجاً ، و معه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

القاسم بن محمد : ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلاً قط ، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر . وذكر أبو العباس في الكامل أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أَمِنْ آلِ نَمٍ أَنْتَ عَادٍ فَبِكُرٍّ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَهَجْرٍ

حفظها من سمعها ، وهي ثمانون بيتاً^(١) .

(١) الكامل للبرد ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وفي آخره بعد أن أورد أبياتاً من القصيدة : فقال له ابن الأزرق — وقد كان حاضراً في المجلس : قد أنت وابن عباس ! انضرب إليك =

مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيتُ جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، ودعا لى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وروى عنه أنه رأى رجلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أرايته ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أما إنك ستفقد بصرَكَ ؛ فعمى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك - ويروى لسان رضى الله عنهما :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا فَنِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورٌ^(١)
قَلْبٌ ذِكْرٌ وَعَقْلٌ غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي قَلْبِي صَارُمٌ كَالسَيْفِ مَأْثُورٌ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَطِيطَةُ فِي مَجْلَسِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي بَرَعَ
النَّاسَ بِعِلْمِهِ ، وَنَزَلَ عَنْهُمْ بَسْتُهُ ؟ فَقِيلَ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ .

وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَضْلًا^(٢)
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمَنْتَطِحَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلًا^(٣)
كَفَى وَشَقَى مَا فِي النُّفُوسِ وَلَمْ يَدْعُ لَذِي إِزْبَةِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا

= أ كباد الإبل ، نسألك عن الدين فتعرض ، ويأتيك غلام من قرين فيبشرك سفاقتسمه !
فقال : تالله ما سمعت سفا ، فقال ابن الأزرقي : أما أنتدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيُخْرِزِي ، وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيُخَسِرُ
فقال : ما هكذا قال ؟ إنما قال : ه فيضحي وأما بالعشى فيخسر ه فقال : أوتحفظ الذى
قال ؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه ، ولوشئت أن أرددها لرددتها ، قال : فأرددها .
فأنشده إياها كلها .

(١) ديوان حسان ١٦٥ .

(٢) ديوانه ٣٥٩ ، ولم يرد فيه البيت الأول .

(٣) الديوان : « بكتطات » .

سموتَ إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا ذليلاً ولا وغيلاً^(١)

ونظر إليه معاوية يوماً يتكلم معه ، فأتبعه بصره ، فقال متمثلاً :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ مصيب ولم يثن اللسان على هُجرٍ
يصرّف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائراً أبيض خرج من قبره ، فتأولوه علمه خرج إلى الناس .

وقيل : دخل قبره طائر أبيض ، فقيل : هو بصره .

وقال أبو الزبير : مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف ، فجاء طائر أبيض فدخل في نعشه حين حُل ، فما رُئي خارجاً منه .

وفضائله كثيرة مشهورة ، فلنتف منها على هذا القدر .

[ذكر إياس القاضي]

وأما إياس ، فهو أبو وائلة بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال بن رباب المزنيّ ، قاضي البصرة . وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى عدى بن أروطة عامله على البصرة ؛ أن اجمع إياس بن معاوية المزنيّ والقاسم ابن ربيعة الحارثي ، قول القضاء أنذها وأقعهما . فجمع بينهما ، فقال كل واحد : إن صاحبه أنفذ وأقعه ، فقال له إياس : سل عنّي وعن القاسم فقيهي المصر : الحسن وابن سيرين - وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما - فعلم القاسم أنه إن سألها أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّي ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله إلا هو ؛ إن إياساً لأقعه منّي ، فإن كنت كاذباً فما عليك إلا ألا توليّنّي

(١) الرغل من الرجال : الضعيف الساقط .

وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال له إياس: إنك جئت برجل، فوقفته على شفير جهنم، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، فقال له عدى: أما إنك إذ فهمتها فأنت لها؛ فاستقضاء. وقال إياس رحمه الله: أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته، فسألني فسكت، فلما أطلت قال: هيه! قلت: سل عما بدا لك، قال: أقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف، قال: إني أريد أن أستمع بك على عملى، قلت: إن فى خصالاً ثلاثاً لا أصلح معها للعمل، قال: ما هى؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا عيى، وأنا حديد، قال: أما دمايتك فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العيى فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدة فإن السوط يقومك، قم. فولأنى القضاء، وأعطاني عشرة آلاف درهم، فهى أول مالٍ تمولته.

ودخل عليه عدى بن أرطاة فى مجلس القضاء. وعدى أمير البصرة، وكان أعرابي الطبع - فقال: يا هناء، أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: فاسمع منى، قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرفاء والبنين، قال: وشرطت لأهلها ألا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: فى حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فهم يحكم؟ قال: بألا تخرجها، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وأول ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتصاحم مع شيخ عند قاضيه، فقال إياس بحديثه على الشيخ، فقال له القاضى: إنه شيخ كبير، فغمض كلامك، فقال له إياس: الحق أكبر منه، فقال له القاضى:

«اسكت ، فقال : وَمَنْ يَنْطِقُ بِحَجَّتِي ؟ فقال له القاضي : ما أراك تقول حقاً ، فقال إياس : لا إله إلا الله ، أحقُّ هذا أم باطل ؟ فدخل القاضي من فوره إلى عبد الملك بن مروان ، فأعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : اخرج فاحكم بينهما ، وأخرجهُ الآن من دمشق إلى بلاده ثلاثاً يُقصد على أهل الشام .

ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبي ، وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالة ، وإياس يقدمهم ، فقال عبد الملك : أفٍ لهذه العنانين ؛ أما فيهم شيخٌ يقدمهم غير هذا الحدّث ! ثم التفت إليه ، وقال : كم سنّك ؟ فقال : سنّي - أطال الله بقاء الأمير - سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ؛ فقال : تقدّم بارك الله فيك ، وكان سنّه سبع عشرة سنة .

وأما ذكاؤه وفراسته ، فقد أُلّف في ذلك المداثني كتاباً سمّاه كتاب «زكّن إياس» . والزكّن : التشبيه ، يقال : زكّن عليهم وزكّم : شبّه وخيّل ، وقيل : «الزكّن : اللّظنّ والتفرّس . ومن زكّنه أنه اختصم إليهم رجلان في قطيفتين : حمراء وخضراء ، فقال أحدهما : دخلت الحوض لأغتسل ووضعت قطيفتي ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي ، فتبعته ، فزعم أنها قطيفته ، فقال : ألك بينة ؟ قال : لا ، قال : ائتوني بمشط ، فأتي به ، فمسرّح رأس هذا ، ثم هذا ، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر أخضر ، فقضى بالأخضر لصاحب الأخضر ، وبالأحمر لصاحب الأحمر .

وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزكّنه أهله حتى صاروا فرقتين : فرقة تزعم أنه معلم ، وأخرى تزعم أنه قاضٍ ، ثم وجهوا إليه رجلاً ، فأخبره خبرهم ، فقال : أصاب الذين ذكروا أني قاضٍ ، ورويداً أخبرك عن القوم ؛ أما الذي من صفته كذا فهو كذا ، وأما الذي يليه فهو كذا ، وأما ذاك الشيخ فإنه نجار ، فقال الرجل : في كلّهم والله أصبت إلا في الشيخ ،

فإنه من قریش ، فقال إياس : وإن كان من قریش ! فقام الرجل إلى أصحابه ، فقال : قد جئكم من عند أعجب الناس ، والله إن منكم من أحده إلا أخبرني بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار ، فقال : صدق والله : إني لأنجر عیدان جوارى - یعنی عود المزمار .

ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء ، فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسئلت فوجدن كذلك ، فسئل من أين لك علم ذلك ؟ فقال : لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أم الموضع لها ، فوضعت المرضع على ثديها ، والحامل على بطنها ، والبكر على فرجها .

وسمع نباح كلب لم يره ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر ، فنظر فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : سمعت عند نباحه دويًا ، ثم سمعت بعده صدًى يجيبه ، فعلت أنه عند بئر .

ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير ، فقال : هذا بعير أعور ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن وجدت اعتلافه من جهة واحدة .

ولما صار ذكاؤه يضرب به اللتل ، كما يضرب بجود حاتم وحلم الأحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب ، نظامهم حبيب في بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس . ابن الأمامون ، فقال :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس^(١)
وتوثي سنة ثنتين وعشرين ومائة . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

فعرفته حينئذٍ شخصي ؛ وآثرته بأحد قضي ، وأهبت به -
إلى قرصي ، فهش إعارفتي وعرفاني ، ولبي دعوة رغباني .

(١) ديوانه ١٧٤ ، وفيه : مدح أحمد بن المنعم .

وَانْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ ، وَظَلِّي إِمَامُهُ ، وَالْعَجُوزُ ثَالِثَةُ الْأَثْنَانِ ،
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتَنِي ،
وَأَخْضَرْتُهُ عُجَالَةَ مُسْكِنَتِي ، قَالَ لِي : يَا حَارِثُ ، أَمَعْنَا ثَالِثُ ؟
فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ ، قَالَ : مَادُونَهَا سِرٌّ يَحْجُوزُ . ثُمَّ فَتَحَ
إِخْدَى كَرِيَمَتِيهِ ، وَرَأَى بَتْوَةً مَتِيهِ ، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهِهِ يَقْدَانِ ،
كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَابْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ بَصَرِهِ ، وَعَجِبْتُ مِنْ
غَرَائِبِ سِيرِهِ ، وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارًا ، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارًا ، حَتَّى
سَأَلْتُهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَالِي ؛ مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي ، وَجَوَابِكَ الْمَوَاسِي ،
وَإِيْنَالِكَ فِي الْمَرَاسِي !

قوله : «أهبت به» ، أى دعوته ، وأصل «أهاب» دعاء نفسه من بعد : وقيل :
الإهابة دعاء الإبل للشرب . والقرص : رغيص صغير يُسمَّى قرصاً ، كأنه قرص من
العجين ، أى قُطِع ، والتقريص : التقطيع . هش : خف فرحاً . والعارفة ، يريد النعمة
وهي المعروف . لئى : أجاب وقال : لتيك ، ومصدره تلبية وهي « تفعلة » ، من
الإلباب وهو الألزام ، ولب بالمكان وألب به : أقام ، وأصله لب بثلاث باءات ،
فأبدلوا الآخرة ياء استقلاً لا اجتماع الأمثال ، كما قالوا : تظنيت وتمطيت ، فإلباء
فيهما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ، ثم أتموه الإبدال فى المصدر وهو تلبية ،
فياؤه باء . وقولهم : لتيكت ، معناه إجابة بعد إجابة ، ولزوماً لطاعتك بعد لزوم .
رُغْنَان : جمع رغيص ، يريد أنه لما سمع بذكر الخبر ، فكان الخبر دعاء فأجابه .
زمامه : مقوده . إمامه : هاديه . الأثنان : حجارة القدر ، وهى ثلاث ، والعرب
يقول : رماه الله بثلاثة الأثنان - يعنون بها الجبل ، لأنهم يجعلون حجرين

و يلبصقونهما بالجبل ، فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث ، واحداً منها أُنْمِيَّةً بالتشديد ، -
وقد تُخَفَّفُ ، وقد أُنْفِيت القدر وأُنْفَتْها وثَقِيَّتْها ، وتَسَمَّى العرب أُنْفَى الحديد..
النِّصَب . الرقيب : الحافظ ، يريد الله تعالى . استحلس وُكُنْتِي ، أى دخل بيتي ، -
وجلس على حِلْسِه ، وهو ما يُبْسَط تحت بسطه ؛ بَقِيها الأرض ، وفلان حِلْس..
بيته ، أى لازم التعمود فيه ، وفي الحديث : « كن في الفتنة حِلْس بيتك » ، أى .
لا تدخل فيها ، والحِلْس : كساء يلي ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه ، فُسْبِه
الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالحِلْس ، ومنه قولهم : لست من أحلاسها ، أى .
من أصحابها العارفين بها . ومنه بنو فلان أحلاس الخيل ، أى الذين يضمرّونها
ويلزمون ظهورها ، وأحلاس القوافي : المجيدون في نظم الشعر ، والوُكْنَة : النقبة .
في الحائط يسكنها الطائر ، وقيل : هى الموضع من الشجرة وغيرها ، يقع عليه .
للبيت ، وهى الوَكْن ، ووَكْن الطائرُ وَكْنًا ، فهو واكن إذا حضن على فرخه ، -
فلزم وُكْنَتَه . عَجَّالَةٌ مُكْنَتِي : ما تعجّل وأمكن من الطعام . محجوز : ممنوع ، -
وحجرت الشيء : حرزته ومنعته ، وحجرت بين الشئين حجراً ، فأنا حاجز ، إذا
جعلت بينهما جانلاً ، والمفعول محجوز ، ومنه الحِجَاز ؛ لأنها أرض حجرت بين .
نَجْد والسَّراة . كريمته : عينه ، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« ما من عبد أذهب الله كريمته إلا كان ثوابه عند الله الجنة » قالوا :
وما كريمته ؟ قال : عيناه . رأراً : قلبهما وأدارهما إدارة كثيرة . وتوهمته :
كريمته ، وقوله : « مسح كريمته » ، يريد أنه حكهما بكفّه ، فانتفض عنهما .
ما كان أَلصقهما به ، حتى التصا . وقيل : رأراً : أدار العين وحدّد نظرها .
وتوهمته : عيناه ، وفي الفريبي المصنّف : رأرت المرأة بعينها ولآلت ، إذا برقت .
عينها ، وأنشد ابن الأعرابي :

عجبت من الحور الكريم نجارها تُرَأرىء بالمعينين للرجل الحبل^(١)

الحبل : الداهية . الفرقدان : نجان مُتَبَرِّان في بنات نفس . ابتهجت : فرحت . -

(١) اللسان - جبل ، وروايته : « فبا عجا لا تعود تندى قناعها » .

سَيَرِهِ : عاداته . يُبْقِي قرار : يحبسني سكون وطمانينة . التَّعْمَى : استعمال العمى .
 المعامى : الطريق المجهولة ، وقيل : القفار البعيدة التي تعمى فيها الآثار فلا يُهْتَدَى
 فيها . الموامى : القفار ، واحدها مَوَماة . إِبْعَالُكَ : إبعادك ومبالغة دخولك .
 المرامى : المقاصد والبلاد التي ترميه إلى بلاد أُخْرَى ؛ يقول : سألت ما الذي
 دعاكَ إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق في المشقات وجَوْب البلاد
 البعيدة ، فلم تَحِدْ لنفسك حيلة حتى تشبَّهت بالعميان !

* * *

فَتَظَاهَرَ بِاللَّكْنَةِ ، وَتَشَاغَلَ بِاللَّهْنَةِ ، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ ، أَتَارَ
 إِلَى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْشَدَ :

وَأَمَّا تَعْمَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهِ
 تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمَى وَلَا غَرَّرَ أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذُوَ وَالِدِهِ
 ثُمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَانْتَنِي بِمَسْئُولِ يَرْوِقُ الظَّرْفِ ،
 وَنَيْقُ السِّكْفِ ، وَيُنْعَمُ الْبَشْرَةُ ، وَيُعْطَرُ السِّكْنَةُ ، وَيَشْدُ اللَّئِنَةُ ،
 وَيَقْوَى الْمَعِدَةُ ، وَلِيَكُنْ نَظِيفَ الظَّرْفِ ، أَرِيحَ الْعَرْفِ ، أَيْ
 الذَّقِّ ، نَاعِمِ السَّخَقِ ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ دَرُورًا ، وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا ،
 وَاقْرَأْ بِمِخْلَافَةِ نَقِيَّةِ الْأَصْلِ ، مَحْبُوبَةِ الْوَصْلِ ، أَيْنَقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعَاةَ
 إِلَى الْأَكْلِ ؛ لَهَا نَحَافَةُ الصَّبِّ ، وَصَقَالَةُ الْمُضْبِ ، وَآلَةُ الْحَرْبِ ،
 وَلَدُونَةُ الْمُضْنِ الرَّطْبِ .

* * *

تظاهر : استعان . واللكنة : احتباس اللسان ؛ يريد لنا امتلاً فيه بالطعام ،

لم يتسرح لسانه بالكلام ، فوجد بذلك آلة لقطع الجواب ، فكانت الألسنة أعانته على ذلك .
 اللهنة : الطعام المعجل للضيف قبل الفداء ، وكل ما تمجّله قبل إدراك الطعام لهنة ، ولهنت الضيف : علته بذلك . قضى وطّره : أتم حاجته من الأكل ، والوطر : المراد ، ولا فعل له . أثار : تابع نظره وحدّده . الورى : الخلق .
 أنحائه : أغراضه ومقاصده ، والنحو كالتقصّد . لاغرو : لا عجب . يحدو حدّوه : أى يفعل فعله .

[ذكر العمى وما ورد فيه من الشعر]

وهذا الاعتذار عن التعامى حسن ، وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه . وما يعزى للحضري^(١) فى ذلك :

وقالوا قد عميت فقلت كلاً فإنى اليوم أبصر من بصير
 سواد العين زار سواد قلبى ليجمعهما على فهم الأمور
 أخذته من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته وجدك أهدى من بصير وأخولا^(٢)
 عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظنّ العلم معيلاً
 وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى بقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً
 وشعر كنوز الرّوض لامت بينه بقول إذا ما أحرز الشعر أسماً
 وقال بشار :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدى لكم يهون^(٣)
 تالله ما فى البلاد شئ تأسى على فقدّه العميون

(١) الحضري ، يضم الماء وسكون الصاد ، منسوب إلى عمل المصر أو يبعها : على ابن عبد الله القيروانى ، صاحب قصيدة « ياليل الصب » ، وهو ابن خالة إبراهيم بن على المصرى ، صاحب كتاب زهر الآداب ، والبيتان فى نكت الهميان ٧٦ .

(٢) الأبيات عدا الأول فى الأغاني ٣ : ١٤٢ ، ونكت الهميان ٧٥ .

(٣) نكت الهميان ٧٥ .

وعكس هذا المعنى أبو العينا. حين سأله المتوكل : ما أشد ما عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : ما حرّمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جالك .

ومما يُستباح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين ، فإذا مشيا أو قعدا ، لحاذى عورٌ هذا عورٌ هذا نشأ بينهما أعمى .

وقال المتنبي يمدح العور ويذمه في بيت واحد :

أيا بن كروسٍ يا نصفَ أعمى وإن تفخر فيا نصفَ البصير^(١)
فإذا انضمّ ابن كروسٍ إلى مثله نشأ بينهما أعمى ، قال الشاعر :
وَيَدْنَا أَبْدَأُ أَعْمَى نَوَلِّفَهُ قَدْ يَخْلُقُ اللَّهُ عَيَانَا مِنَ الْعُورِ
وقال آخر :

ألم ترني وعمراً حين نفدوا إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ
أسايره على يميني يديه وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ
وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا :

هي عوراء باليمين وهذا أعورٌ بالشمال وافق شتاً
بين شخصيهما ضريرٌ إذا ما قعدت عن شماله تنفّى
فأما قول جميل^(٢) الشكري في صفة الذئب^(٣) :

وأعور من يمينه إن شاء مرة وإن شاء من يسراه ما كان راقداً
لقد فرزت دون المور - أوس - برتبة^(٣) وأعطيت نابا يلقى الصخر بارداً

(١) ديوانه ٢ : ١٤٤ ، قال في شرحه : « مخاطب ابن كروس الأعور وكان يدايه » .

(٢) كذا في الأصول ، ولعله تصحيف عن « النخل » .

(٣) أوس اسم علم على الذئب .

فإنما وصفه بشدة الحذر ، وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد
ابن ثور :

بِنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَتَيْهِ وَيَتَنَى بِأُخْرَى الْمَنَايَا فَهُوَ يَقْظَانُ نَائِمٌ^(١)
وقال ابن المعتل :

أَشْتَهَى فِي الْمَقْلَةِ الْقَبْلَا لَا كَثِيرًا يَشْبَهُ الْحَوْلَا .
وَاحْمَرَّارُ الْخَلْدَةِ مِنْ خَجَلٍ إِنِّي أُسْتَحْسِنُ الْخَجَلَا
وقال آخر :

وَأَحْوَلِ ذِي حَرَكَه يَمْلَأُ بَيْتِي بَرَكَه

يريد أنه يرى من الشيء اثنين ، كما قال الآخر :
قَدْ جَعَلْتُ أَرَى الشَّخْصَيْنِ أَرْبَعَةً وَالوَاحِدِ اثْنَيْنِ مِمَّا يَوْرِكُ الْبَصْرُ
لأن هذا يصف الكبير .

واعتذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(٢) عن الحول فأحسن ، حيث يقول :
حَدَّثَ إِلَهِي إِذْ بُلِيتُ بِحَبَّهَا وَبِي حَوْلٌ يَفْنَى عَنِ النَّظَرِ الشَّرُّ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَظُنُّنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعُذْرِ
فَعَوَّلُهُ رَفَعَ عَنْهُ ثَقُلَ مَوْنةُ التَّكَافُفِ الَّذِي ذَكَرَ الْآخَرُ حِينَ قَالَ :
وَلَمَّا التَّقِينَا وَالْعِيُونَ نَوَاطِرُ وَلَيْسَ لِنَا مُسَلِّ سِوَى الطَّرْفِ لِلطَّرْفِ

(١) البيت لحيد بن ثور ، ديوانه ١٠٥ ، : « يقظان هاجم » .

(٢) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن أحمد المالكي ، القاضي ذكره البناهي في
المرقبة الملبيا ٤٠ - ٤٢ .

تَنَزَّهَتْ فِي خَدَّيْكَ مِنْ نَظَرٍ خَفِيٍّ وَمَا زِلْتَ أَخْفِي الْوَدَّ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفِيٍّ
فَإِنْ غَنَلُ الْوَاشُونَ فَزْتُ بِنَظَرَةٍ وَإِنْ نَظَرُوا وَاحْمَوِي نَظَرْتُ إِلَى كَفِيٍّ
فَلَذَلِكَ حَمْدُ اللَّهِ عَلَى الْحَوْلِ .

وقال الناشئ في هذا المعنى فأحسن :

يَتَنَاقِلَانِ اللَّفْظَ مِنْ جَنَّتَيْهِمَا فَكَأَنَّمَا يَتَنَاسَخَانِ كِتَابًا
وَإِذَا سَهَتْ عَيْنُ الرَّقِيبِ تَحَالَتْ كَفَّاهُمَا خَلَسَ السَّلَامُ سِلَابًا

وللقاضى أبى محمد عبد الوهاب ، أنشدنا بعض أشياخنا البيت الثانى
والأخير من القطعة التالية ، وكان كثيراً ما يحرضنا بها على الطلب ، ويسلينا
عن العربة :

وَمَحْجُوبَةٌ فِي الْخِذْرِ عَنْ كُلِّ نَاطِلٍ وَلَوْ بَرَزَتْ بِاللَّيْلِ مَاضِلٌ مَنِ يَسْرِي
أَقُولُ لَهَا وَالْدَّمْعُ يَنْفُذُ صَبْرَهَا أَعِدِّي لِقَدَى مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّبْرِ
سَأَنْفِقُ رِبْعَانِ الشَّبِيبةِ آفَاءً عَلَى طَلَبِ الْعَلْيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ
أَلَيْسَ مِنَ الْحَرَمَانِ أَنْ لِيَالِيَا تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتَحْسَبُ مِنْ عُجْرِي !

ولم ينشدنا البيت الأول ولا الأوسط ، وهما من القطعة .

وأما كلام الحريرى الذى فرغنا من شرحه ؛ فهو منقول من مقامة البديع^(١) ،
يقول على لسان عيسى بن هشام : « ثم فارقهم وتبعته ، وعرفت أنه متعام بسرعة
ما عرف الديبار . فلما نظمنا خلوة ، مدت يمينى إلى يسرى عضديه ، قلت :
والله لترينى سرّك ، أو لأهتكى^(٢) سترك ، ففتح عن توءمته^(٣) ، وحدّر لثامه
عن وجهه ، فإذا والله أبو الفتح الإسكندرى ، قلت له : أنت أبو الفتح ؟ فقال : »

(٢) المقامات : « لا كفن » .

(١) المقامات ٩٣ .

(٣) المقامات : « توءمته لوز » .

أنا أبو قنوت في كل لون أكون
اختر من الكسب دوناً فإن دهرك دُونُ
زَجَّ الزمان بحسبي إن الزمان زَبُونُ
لا تكذبنَّ بعقل ما العقل إلا الجنونُ

وعُتِبَ الحريري على المعى فائق في النثر ، وشعره في الاعتذار عنه رائق في
النظام ، وهو على انطباعه في التصد إذا أتى باليتين أتى بالمعجب ، وهو في ذلك
كما قيل في أبي منصور الفقيه : إذا رمى بزُجَّيه قتل .

* * *

قوله : « الخدع » ، هو بيت داخل بيت ، قال ابن الأنباري : هو الخيانة في جانب
البيت ، وهو من خدع ، إذا توارى واستتر ، وأخدعه إخداعاً : أخفاه ، فمن ضمَّ
ميم « مُخدع » فهو من « أخدع » ، ومن فتح فهو من « خدع » ، وخدع الضبُّ
في جُحره خدعاً : دخله خوفاً من صائده . اللَّـهُ : الول : الأسنان ، وهو التناوة ،
ويقال أيضاً : الفاسول ، وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسُول .
يَرُوق : يعجب . والطرف : العين . ينقُ : ينظف . والبشرة : ظاهر الجلد .
والنسكة : رائحة الفم ، ونكته الرجل أنكبه وأنكبه - والفتح أقل -
واستنكهته ، كله شممت فاه ، قال الشاعر :

نكِتُ مجالداً فشممتُ منه كريح الكلب مات حديثاً عهد
واللثة : اللحم على الأسنان . نظيف الظرف : قتي الوعاء . أريج العرف :
عطر الرائحة ، والأريج : فواح الطيب وأرج المسك : فاح . قتي الدق : طري الكسر .
ناعم : حسن ، قد بولغ في سحته ، يريد أنه في الحال الذي يسحق يستعمل .
الناشق : الشام . والذرور والكافور : من أنواع الطيب ، والذرور هو

(١) المسان — نسكة ، وفيه : « فوجدت منه » .

المعروف بالذريعة، والذرور أيضاً: غبار يُذَرّ في العين، وكله مأخوذ من الذرّ، وهو التفرق، لأن أجزاءه تفرقت عند سحبه، وفعله ذرّ، وأصله ذرر. والكافور مأخوذ من الكثر، وهو التغطية، فلشدّة فَوْحِهِ وحده يستريح رائحة غيره من الطّيب. واللامس: الذي يمسّه بيده. الخلالة: عويد رقيق يخرج به الطعام من خلل الأسنان. أنيقة الشكل، معجبة الهيئة، وشكل الشيء: هيئته التي هو عليها. ومدعاة: داعية، والهاء للمبالغة. نحافة الصّب: رقة العاشق. والعضب: السيف القاطع. آلة: عدّة وأداة، يريد أنها محدّدة مصتولة مثل آلة الحرب. ويروى: «آلة» بالتشديد، وهي الحربة. لدونة: لين. نحافة الصّب: ليس هو تشبيهاً حقيقياً، وإنما أراد أنها أخذت من العاشق نحافته، ومن العضب صقالته، ومن النقص لدونته، ولو شبه الخلالة في الرقة بالعاشق ونحوه لكان جائزاً، وكان من التشبيه المقلوب، وكلاهما بديع في بابه.

والخلالة التي ذكر، أصلها نبات لشجيرة نبت في الصيف، وتطلع له رؤوس، يكون في الواحد منها عدّة من قضبان رقاق، فيمسك الرجل منها في جيبه رأساً، فتى أكل طعاماً نزع منها قضيباً فتخلل به، ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج، فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذي عندهم في المشرق، وإلا فصفت التي وصفت موجودة في البستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة.

وجاء في الحديث النّهى عن التخلل بعود الآس والرّمان والقصب، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نقوا أفواهكم بالخلال فإنها مسكن للمكين الكاتبين الحافظين، وإن قلّهما اللسان، ومدادها الرّيق، وليس عليهما شيء أشدّ من فضول الطعام».

أبو أيوب: قال صلى الله عليه وسلم: «حبذا المتخلّلون في الوضوء والطعام». أبو هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «من أكل فليتخلّل، فما تخلّل فليلفظ، ومالاك بلسانه فليبتلع».

[استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائقة]

والخِلالة إذا بلغت من رقبتها ، أن تقع بين الأسنان ، فالماشق إذا بلغ الغاية التحول ، هو الذي يشبه بها ، كما قال في التاسعة في وصف الصبي الهزبل من الجوع : « ولى منه سُلالة ، كأنها خِلالة » ، وأخذه من قول ديك الجن :
 ارحمَ اليوم ذلتى وخُصُوعى فلقد صرت ناحلاً كالخِلالِ
 وقال أبو الطيب :

رُوحٌ تَرَدَّدُ في مثل الخِلالِ إذا أطارَت الريح عنه الثوب لم يَبين^(١)
 فذكر أن ثوبه على بدنٍ لم يتبين للناظر . والتشبيه المقلوب عندهم شىء مستظرف ، ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :
 ورملي كأوراكِ المذارى قطعته وقد جَلَّته المظلماتُ الحنادِسُ^(٢)
 فقلب التشبيه ، لأن العادة أن تشبّه الأعمار بكشبان الرمل ، كما قال الآخر
 * مثل قضيبٍ تحته كثيبُ *
 وكما قال الآخر :

ويبيضُ نصيراتِ الوجوه كأنما تازُرُن دون الأزرِ رملاتِ عالجِ
 وأخذه حبيب ، وجود الصنعة حيث قال :
 كم أحرزت قضب المندى مصلةً تهتز من قضبٍ تهتز من كُثبٍ^(٣)

(١) ديوانه ٤ : ١٨٦

(٢) ديوانه ٣١٨

(٣) ديوانه ١١

علق قوله: «من قُضِبَ تَهْتَز» : «أحرزت» ياج^(١) لك بديع صنعته بسرعة ، فإنه أراد: كم أحرزت قُضِبَ الهند وهي السيوف إذا أُضِلَّت من أغمارها ، وهزّت . من قُضِبَ ، أى قدود نساء . تهتز من كُشِبَ ، أى أكفال شبه أكفاس رمال . وما أعذب وأظرف قول البحترى :

أين الغزال للمستعير من النقا كَفَلًا ، ومن نورِ الأفاقي مِيسًا^(٢)

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه ، قلب ذو الرمة العُرف والعادة ؛ فشبه كُشِبَان النقا بأ كفال النساء ، وتبعه خالد الكاتب وغيره .

حدث جعظة قال : حدثنى خالد الكاتب ، قال : جاءنى يوماً رسول إبراهيم بن المهدي ، فسرت إليه ، فرأيت رجلاً أسود على فُرُشٍ قد غاص فيها ، فاستجسنى وقال : أنشدنى من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأته	من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشيّة حيّاني بوردٍ كأنّه	خدود أضيفت بعضهن إلى بعض
ونازعني كأساً كأنّ حبابها	دموعي لما صدّ عن مُقلتي غمضي
وراح وفعلُ الراح في حركاته	كفعل نسيم الريح في الفصن الغضّ

فزحف حتى صار في ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخدود بالورد هو أنت شبهت الورد بالخدود ! فزدنى ، فأنشدته :

عابتُ نفسي في هوا	لك فلم أجدها تقبل ^(٣)
وأطعت داعيها إليـ	لك ولم أطع من يغذل
لاوالذى جعل الوجو	ه لحسن وجهك تمثّل
لاقلت إن الصبر عند	لك من التّصابي أجمل

(١) كذا في أ ، ب ، وى ط : « يلع » .

(٢) الأغاني ٢١ : ٣١

(٣) ديوانه ١٩٥٨

فزحف حتى انحدر من الفراش ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عش فحُبِّيكَ سريعاَ قاتلي والصنى إن لم تصلى وأصلي
فأنا بين اكْتِئابٍ وضئى تركاني كالتَّضيبِ الذَّابِلِ
فبكي العاذل لي من رحمةٍ فبكاني لبكاء العاذلِ

فاستخفتُ طرباً ، ثم قال : يا بليق^(١) ، كم معك لفتقتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً ، قال : اقسمها بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وقد سبق إلى قوله : « كأنه خدود » ، قال المفضل : دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد ، وعنده جاريةٌ مليحةٌ شاعرةٌ أدبية ، قد أهديت إليه ، فقال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئاً تشبه به ، فأنشأتُ أقول :

كأنه خَدُّ ممشوقٍ يقبلُهُ فم الحبيب وقد أبقي به خَجَلاً

وقالت الجارية :

كأنه لونُ خدَي حين تدفَعني كَفُّ الرشيدِ لأمرٍ يوجبُ الفُسْلاً
فقال : يا مفضل قم فاخرج ، فإن هذه اللاجنة قد هيَّجتنا ، فقامت وأرخت .
الستور .

ولقد أحسن ابن الزقاق في قوله :

ورباضٍ من الشقائق أضعُتْ تنهادي بها نسيم الرياح^(٢)
زرتها والنعام يجلد منها زهراتٍ تروق لونَ الراح
قلت : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً : سرقتُ مُحَرَّةَ الخدودِ الملاحِ

(١) الأغاني : « بارشيق » .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، المغرب ٢٢٤ .

وقال البحتري :

في طالعة الشمس شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تشنُّبها^(١)

وقال ابن المعتز :

سقتني في ليلٍ شبيهة بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيتُ في ليالين : في الشعر والدجى وشمسين : من خمر وخذ حبيب
وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة النحول الذي ذكرنا ، فأقول : إذا
صار جسم العاشق من النحول يوصف بمثل قول الشاعر :

أنحلى الحب فلو زج بي في مُقَلَّةِ النَّائم لم ينتبسه
قد كان لي فيما مضى خاتمٌ والآن لو شئت تمنطقت به
وبمثل قول أبي بكر بن دُرَيْد :

إن الذي أبقيت من جسمه يامتاف الصب ولم يشعر^(٢)
صباية لو أنها قطرة تجول في جفئك لم تقطر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصب بأضعاف ، فينقلب
التشبيه ، وكذلك إذا بولغ في وصف الأ كفال بالمعظم صغرت عندها الكُفبان ،
فينقلب التشبيه .

وقد ترجم ابن جني في خصائصه ترجمة ، فقال : هذا باب من غلبة الأصول
على الفروع ، ثم أنشد بعض ما أنشدنا ، وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه
الباب^(٣) .

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « في حرة الورد شكل من تلها » .

(٢) ديوانه ٦٧

(٣) المحاسن ١ : ٢٠١ - ٢٠٣

(٢٠ - شرح مقامات الحريري ١)

وللمتقدمين والمتأخرين في النحول شعر كثير، ويستحسن في ذلك قول الجنون:
 فأصبحتُ من ليلى الغداة كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجم مقرب^(١)
 ألا إنما غادرت يا أمَّ مالكٍ صدَّى أينما تذهب به الريح يذهب
 أخذه المؤمل فقال :

قد صرتُ من ضعفي إلى حالِّه تجرى لها آفاقُ حسَّادِي
 يكاد جسي من نحول الضَّئِي تحمله أنفاسُ عُودِي

وزاد خالد الكاتب ، فجعله لا يدرك إلا بالوهم ، فقال :
 يا من تجاهلَ عما كان يعملُه عمدًا وباحَ بسرٍّ كان يكتمُه
 غداً خليلك نضواً لا حراكَ به لم يبق من جسمه إلا توهمه
 فزاد ابن المعتز ، وجعله يخفى على الموت ، فقال :

مُسَهَّدٌ خانهُ التفريقُ في أَمَلِه أضناه سيِّدُه ظلمًا بمرتحلِه^(٢)
 فدفقَ حتى لو أن الدهرَ قادَ لهُ حننًا لما أبهرته مقلتا أجبَلِه
 فأعدمه المتنبي واستريح منه ، فقال :

أراكِ حببتِ السَّلكَ جسي فَمَقَّتِه عليك بدُرٍّ عَنْ لقاءِ التَّرابِ^(٣)
 ولو قَلَمَ أَلْقَيْتُ في شِقِّ رَأْسِه من السَّقمِ ما غَيَّرْتُ من خَطِّ كَاتِبِ

* * *

قال : فَهَضْتُ فِيهَا أَمْرَ ، لَأَذْرَأَ عَنْهُ الْعَمَرَ ، وَلَمْ أَمِّ إِلَى أَنَّهُ

(١) البيتان في حاشية ابن الفجري ١٥٦ ينسبهما إلى محمد بن النمرى

(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ . السلك : الخط . والتراب : عمل القلادة من الصدر .

قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ ، بِإِذْخَالِي الْمَخْدَعَ ، وَلَا تَظَنَّنْتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ ،
فِي اسْتِدْعَاءِ الْخَلَالَةِ وَالْفُسُولِ .

فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمَلْتَمَسِ ، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ ، وَجَدْتُ
الْجَوْ قَدْ خَلَا ، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا ، فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ
غَضَبًا ، وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا ، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ ، أَوْ
عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

• • •

قوله : «أدرا» ، أى أزيل . القمر : الودك . أظن : أذهب وهمي .
تَظَنَّنْتُ : حسبت ، وأبدل إحدى نوني «ظن» بباء تخفيفاً للتضعيف . سخر : هزأ .
الملتَمَس : المطلوب . الجوّ هنا : داخل البيت . أجفلا : هربا وأسرعاً . قوله :
«استشطت» : اشتد غضبي . مكره : خداعه . أوغلت : بالغت وباعدت .
قُمِسَ : غمس . عُرِجَ به : طلع به . عَنَانٌ بفتح العين : سحاب ، والعنّانة :
السحابة ، وأعنت السماء : صار لها عنان ، والله الموفق للصواب .

المقالة الثامنة وهى المعصرة

[معصرة النعمان]

هى بلدة بالشام ، والنعمان : اسم جبل مطّل عليها ، والمعصرة اسم البلدة ، فأضيفت إليه ، ولها سبعة أبواب ، وعلى جبل منها دَيْرُ نَعْمَان ، فيه قبر عمر بن عبد العزيز . وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها ، وداخلها قبر يوشع بن نون ، وله يوم حَفِيل فى كل عام ، وإلى المعصرة ينسب الشاعر المعري . قال شيخنا ابن جبير : إنه خرج من قنسرين يريد حصص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعصرة ، وهى سواد كلها محاطة بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ، ويتصل التناف بساتبينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهى من أخصب البلاد ، وأكثرها أرزاقا ، ووراءها جبل لبنان ، وهو ساهى الارتفاع ، تمتد الجبال ، متصل من البحر إلى البحر ، وفى سفح الجبل حصون للملحدة الإسماعيلية ، فرقة مَرَقَتْ من الإسلام ، وادّعت الإلهية^(١) ، قُبِضَ لهم شيطان يعرف بـسنان ، خدعهم بأباطيل وخيالات ، وموّه عليهم باستعمالها ، وسحّرم بمحالها ، فاتخذوه إلهًا يعبدونه ، ويبدلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته^(٢) بحيث يأمر أحدهم بالتردى من شاهق جبل ، فيتردى للأمور ، والله يضل من يشاء^(٣) .

أخبر الحارث بن هشام قال : رأيتُ من أعاجيب الزَّمانِ ، أن :

(١) بعدها فى ابن جبير « فى أحد الأيام » .

(٢) بعدها فى ابن جبير « وانتال أمره » .

(٣) رحلة ابن جبير ٢٣٤

تَقَدَّمَ خَصْمَانِ ، إِلَى قَاضِي مَعْرِقَةِ الثُّمَانِ ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ
الْأُطْيَانُ ، وَالْآخَرُ كَانَتْهُ قَضِيبُ الْبَانِ .

° ° °

قوله : « الأُطْيَان » ، أى الأكل والنكاح ، أى هوشىخ مسنّ ، وقيل :
الأُطْيَان : النوم والنكاح ، وقيل : طيب النكاح ، وطيب النكحة .

أبو هريرة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الأُطْيَان التمر واللين » .

وسئل شيخ مسنّ من العرب عن حائه ، فقال : ذهب منى الأُطْيَان :
السَّيْر والأَيْر ، وبقي الأُرْطَبَان : الضراط والسعال .

والبان : شجر تشبّه بقضبانة القدود الناعمة .

* * *

فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِي ، كَمَا أَيَّرَ بِهِ الْمُتَقَاضِي ، إِنَّهُ
كَانَتْ لِي تَمْلُوكَةٌ رَشِيْقَةٌ الْقَدِّ ، أَسِيلَةُ الْخَلْدِ ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ،
تَحَبُّ أَحْيَانًا كَالْتَّهْدِ ، وَتَرْقُدُ أَطْوَارًا فِي الْمَهْدِ ، وَتَجِدُ فِي تَمُوزَ
مَسَّ الْبَرْدِ ، ذَاتُ عَقْلِ وَعَيْنٍ ، وَخَدَّ وَسِنَانٍ ، وَكَفَّ يَبْنَانٍ ، وَفَمٍ
بِلَا أَسْنَانٍ ؛ تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْنَانِ ، وَتَرْفُلُ فِي ذَيْلٍ فَضْفَاضِ ،
وَتُجَلِي فِي سَوَادٍ وَيَيَاضٍ ، وَتُسْقَى وَلَسْكِنْ مِنْ غَيْرِ حَيَاضٍ ، نَاصِحَةٌ
خُدَعَةٌ ، خُبَاءَةٌ طَلْعَةٌ ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمَنْفَعَةِ ، وَمِطْوَاعَةٌ فِي الضُّيْقِ
وَالسَّعَةِ ، إِذَا قَطَعْتَ رَصَلَتِ ، وَمَتَى فَصَلْتَهَا عَنْكَ أَنْفَصَلَتْ ، وَطَالَمَا
خَدَمْتِكَ فَجَبَلَتْ ، وَرُبَّمَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَأَلَتْ وَمَلَمَاتِ ، وَإِنَّ هَذَا

الْفَتَى اسْتَعْدَمْنِيهَا لِفَرَضٍ ، فَأَخَذَ مِنْهُ إِيَّاهَا بِلَا عِيَوضٍ ، عَلَى أَنْ
يَجْزِيَ نَفَمَهَا ، وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وَسْمَهَا ، فَأَوْلَجَ فِيهَا مَتَاعَهُ ، وَأَطَالَ
بِهَا أَسْتِمَتَاعَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا ، وَبَذَلَ عَنْهَا قِيَمَةً
لَا أَرْضَاهَا .

• • •

المتقاضى ، أى المتحاجم إليه الذى يطلب من الحاكم قضاءه ، وعونه على خصمه ؛
وهذا الفرض الذى ذكره ضرب من الألفاظ ، لأنه مشى كلامه فى وصف جارية-
وغلام ، وقد ضمن الكلام وصف إبنة ومزود . مملوكة ، يعنى الإبنة جعلها مملوكة
لأنها مما يُتَمَوَّل . رشيقه القد : معتدلة القامة . أسيلة : ملساء . خذ الإبنة : شق فيه-
تقبها ، وأصل الخذ شق مستطيل فى الأرض ، والأسالة : ملاسة مع طول .
صبور على الكد ، أى صابرة على المشقة والتعب ، ونعول - بمعنى فاعل -
يُمتنع من إلحاق الماء به إذا وقع صفة لمؤنث ، قال عنتره :

إِنِّى أَمْرُؤٌ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَا جَدُّ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّابِجُوجَ هَوَاهَا

ومنه : امرأة شكور وصبور ولبجوج ولحن أبو محمد خواص العراق يقولهم :
شكورة ولجوجة وصبورة ، قال : إن هذه التاء إنما تدخل فى «نعمول» إذا كانت-
بمعنى «نعمول» ، نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة^(١) . قال : وذكر النحويون فى امتناع
الماء من «نعمول» بمعنى «فاعل» للمؤنث عملاً ، أجودها أن الصفات الموضوعة
للمبالغة نُقِلَتْ عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به ، فأسقط الماء من صبور
وفتاة معطار ونظائره ؛ كما ألحقت بصفة المذكر فى رجل علامة ونسابة ، ليدل
على تحقيق المبالغة ، وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة . وامتناع الماء المذكورة

(١) قال فى درة النواص : «لأنهما بمعنى مركوبة ومحلوبة» .

أصل مطّرد [لم يشذّ منه إلا قولهم] ^(١) : عدوّته ، فإنهم ألحقوه بصديقه ، والشيء في أصول العربية [قد] يحتمل على ضده وتقيضه ، كما يحتمل على نظيره ورّسياه ^(٢) .
 تَخُبّ : تثب في الثوب بسرعة . التّهد : الفرس الضخم . أطواراً : أحياناً ، ومهدا : منبر الخياط الذي تمسك به إبرته . تمّوز : أحد الشهور ، وهو يولييه .
 والبرد : أن يبردها الحدّاد بالمبرد ليقومها ويعدّلها ، فالبرد هنا فِعْل صانعها . قال ابن ظفر : ذهب بالبرد إلى ما طُبِع عليه الحديد من البرد في القبط . قوله : « ذات عقل وعنان » ، أراد بالعنان الخيط لأنها ترسله في الخياطة ، والعقل شدّها بالخيط حين تمسك في الثوب . سنان : طرفها المسنون ، أى الحدّ . كَفّ بينان : الكفّ والتضريب شيثان معروفان في الخياطة ، فيريد أن الخياط يقلّب التضريب بأصابعه وهى البنان ويكفّه بالإبرة . فم ، يريد ثقب الإبرة . تلدغ : تضرب الإصبع . واللسان النضناض للحية ، والنّضنضة ، قيل : هى صوت الحية ، وقيل : حركة لسانها ، وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضُيق عليها فتحت فاهها وصفرت وحركت لسانها ، فيقال : نضنضت ، وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب ؛ وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور السراج :

وقندبيل كأنّ النُّورَ منه محيّا من أحبّ إذا تجلّى
 أشار على الدّجى بلسانٍ أقمى فشمر ذيله فرقاً ووَلّى

وقال ابن الصبّاغ الصقلّى في شعبة :

يطمن صدر الدجى بعالية صنوبرى لسان كوكبها
 كهيئة باللسان لاحسة ما أدركت من سواد غيبتها

وللبيتين الأولين حكاية مستظرفة ، حدثني بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين : لشهرتها ، ولأنى وجدت البيتين منبتين في بعض النسخ من

القلاند لأحد رجالها ، ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكرها ، فذكرتها على اختصار انائدتها ؛ وذلك أن الشاعر المعروف بالبكيّ - الهجاء ، دخل عليه في ليلة مطرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دواب - شخص في الظلام لا يعرفه ، وعلى البكيّ بقية من سباهمة^(١) خلقة ، لا يواريه غيرها ، وعلى الثاني بقية من قيص قد اسودّ من طول البلى وكثرة الأوساخ ، حتى لا يعرف رائيه من أى ثوب هو ؛ وقد بلل كل واحد منهما المطر ، وها في بلاء من الفقر والجوع والبرد ، فرقّ لها خادم الفندق ، فدخل عليهما بقنديل ، فعندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأسّى به ، ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيراً في الشقاء . فقال البكيّ لجليسه : أى شيء أنت ؟ فقال : شاعر ، وشؤم الأدب بلغ بى ماترى ، قال : فأجِرْ ، فقال : * وقنديل كَأَنَّ التُّورَ مِنْهُ *

فقال الآخر :

* محبّاً من أحبّ إِذَا تَجَلَّى *

فقال البكيّ :

* أَشَارَ عَلَى الدُّجَى بِلِسَانِ أَفْعَى *

فقال الآخر :

* فَشَمَّرَ ذِيْلَهُ فَرَقّاً وَوَلَّى *

فقال له البكيّ - وقد أعجب به : بمن تعرّف ؟ فقال : بعنق البرة ، قال له : وأنا البكيّ ، فجعلنا يتناظران بقية ليلتهما في أيهما أكثر حرماناً ، حتى أصبحا وكانا يتلمسان . فقال عنق البرة للبكيّ : هلمّ لنفترع ؛ أينما يقبهم هنا ، وأبنا يرتحل ؟ فإننا إن بقينا في موضع واحد ، أدرك الناس من شؤمنا ما يؤدى بهم إلى الهلاك ، فافترعا فخرجت قرعة البكيّ بالرحيل ، فارتحل ونزل بفاس ، فحلّ بأهلها من بلاءه ما قد شهّر .

(١) كذا في الأصول ، ولم أقف على معناها .

قوله : « ترفل في ذيل فصفاض » ، أى تمشى في خيط طويل . تجلّى في سواد وبياض ، أى تبرز في خيط أسود لخياطة السواد ، وأبيض لخياطة البياض . تسقى : أراد سقى الحدّاد لها إذا أخرجها من النار وألقاها في الماء لتصلّب . ناصحة : خائطة ، والنصاح : الخياط ، ونصحت الثوب : خطته . خُدعة : مخدع الخائض كثيراً ، فتمخيط وجه الثوب الأعلى ، وترك الأسفل ، والهاء في هذه الصفات للبالغ . خُبْأة طُلعة ؛ يصف حالها من الخياطة حين تختبئ في الثوب ، ثم تطلع في يد الخائض . مطبوعة ، أى مصنوعة لينتفع بها . مطواعة في الضيق والسّة ؛ يريد إذا دفعته في الثوب دخلت فيه ، سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق . إذا قطعت وصلت ، يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألقته . فصّاتها عنك : نحيتها ، وجعلتها في مثيرها . خدمتك ، أى صرفتها فيما محتاج من خياطة ثيابك . جَمَعْتُ : أَلَقْتُ قطع الثوب . جنت عليك فألت ، أى ضربتك فأوجعتك وصيّرتك ذا ألم . ملّمت ، أى جعلتك متقلّباً لشدة الوجع . قوله : « استخدمنيها » ، أى طلب منى خدمتها . العَرَض : الحاجة ، وأصل العَرَض ما قصَدته سهام الرامي ، ثم سميت الحاجة غرضاً ، لأنها قُصِدَت بالرغبة فيها . وسعها : طاقتها وقدر ما تحمل مما تكلف . أوج فيها متاعه ، أى أدخل فيها خيطه . أفضاها : خرق عينها ، وفي المرأة خلط مسلكتها ، من أفضيت إلى الشيء ، وصلت إلى مدّسه ، ومنه : القوم فوضى ، أى متسعون مختلطون . بذل : أعطى .

وَقَالَ الْحَدَّثُ : أُمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا ، وَأُمَّا الْإِفْضَاءُ ففَرَطُ عَنْ خَطَا ، وَقَدْ رَهْنَتْهُ ، عَنْ أَرْضٍ مَا أَوْهَنْتُهُ ، تَمْلُوكًا لِي مُتَنَاسِبَ الطَّرَفَيْنِ ، مُنْتَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ ، نَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ ، مُقَارِنُ مَحَلِّهِ سَوَادِ الْعَيْنِ . يُفْشِي الْإِحْسَانَ ، وَيُذْهِبُ الْاسْتِحْسَانَ ،

وَيُنْفِذِي الْإِنْسَانَ ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ ، إِنَّ سُودَّ جَادَ ، أَوْ وَسَمَ
 أَجَادَ ، وَإِذَا زُرُّودَ وَهَبَ الزَّادَ ، وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ ، لَا يَسْتَقِرُّ بَعْنَى ،
 وَقَلَمًا يَنْكَسِحُ إِلَّا مَشْنَى ، يَسْنُو بِمَوْجُودِهِ ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ ،
 وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينَتِهِ ، وَسُتَمِعُ بَرِينَتِهِ ،
 وَإِنْ لَمْ يُطْمَعْ فِي لِينَتِهِ .

[القَطَا]

الْقَطَا : طائر يصيح «قَطَا قَطَا» فسمي بصياحه ، وبما يفهم من صوته ، ولذلك
 تسميه العرب الصَّدُوق ، ويقال : أنسب من قطاة ، لأنها إذا صاحت عرفت ،
 وقال الشاعر :

تدعو القطا وبه تدعى إذا اننسبت يا صدقها حين تدعوها فتتنسب
 حمراء مقبلة سكاك مدبرة للماء في البحر منها نؤطة تحجب
 وقال الكيث :

لَا تَكْذِبِ الْقَوْلَ إِنْ قَالَتْ قَطَا صَدَقْتُ إِذْ كُلَّ ذِي نَسَبٍ لَا بُدَّ يَنْتَحِلُ^(١)
 وقال أبو وجزة :

مَا زِلْنِي يَنْسُبْنِي وَهَنًا كُلَّ صَادِقَةٍ بَاتَتْ تَبَاشِرُ غُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجِ^(٢)

(١) الميوان ٦ : ٥٧٨ .

(٢) الميوان ٥ : ٥٧٣ ، وروايته : « ومن ينسبني » ، والوهن : نصف الليل

يريد ، أن الحبر وَرَدَت الماء ليلاً ، فَأَثَارَت القَطَا عن أَفَاحِيصِه ، فَصَاحَت : « قَطَا »
 قَطَا ؛ فذلِكَ انتِسابِه وجعلها صَادِقَةً لصِيَاحِهَا قَطَا ، والعُرْمُ يَبْضُها ، لأن فِيهِ سَوَاداً
 وَبَيَاضاً ، وَبَيَاضُ النَّطَا أَفْرَادُ ثَلَاثَةِ أَوْخَمَةِ ، قَالَ مَزَاحِمُ الْعَقِيلِ فِي الْقَطَا وَفِرَاخِهَا :
 فَلَمَّا دَعَتْهُ بِالْقَطَاةِ أَجَابَهَا بِمَثَلِ الَّذِي قَالَتْ لَهُ لَمْ يَدَلِّ^(١)

وَقَالَ الْعَرَبِيُّ :

عُرِفْتُ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَلَمَّا لَفِظَ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنِ أَنْسَابِهَا^(٢)
 وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْقَطَا لَا تَصِيحُ إِلَّا إِذَا أَرَادَتِ الْمَاءَ ، فَإِذَا عَدِمَ الْمَاءَ ، وَسَمِعَتْ
 الْعَرَبُ صِيَاحَ الْقَطَا ، فَرَحُوا بِهِ وَعَرَفُوا قُرْبَ الْمَاءِ مِنْ بَعْدِهِ .
 وَقِيلَ : سُمِّيَ الْقَطَا لثِقَلِ مَشْيِهِ ، يُقَالُ : قَطَا الرَّجُلُ يَقْطُو ، إِذَا ثَقُلَ مَشْيُهُ ..

* * *

قوله : « فرط » أى سبق . عن خطا ، أى عن غير تَعَدُّد . رهنته : أعطيته .
 رهناً ، وأرهنتك : أعطيتك ما ترهنه . والأرْشُ : قيمة العيب ، أى دية الجرح .
 مأخوذ من أرش بين القوم لأنَّ الأرض يُخْتَصَمُ في قدره . أوْهَنْتُه : أفسدته .
 ووَهَنَ الشَّيْءُ يَوْهَنُ وَيُوهِنُ : ضَعُفَ ، وَأَوْهَنْتُهُ أَنَا ، إِذَا أضعفتَه . مملوكا ، يعنى .
 المروء . متناسب الطرفين ، أى هذا الطرف مثل هذا الطرف ، تكتحل بأيَّهما .
 شئت . القَيْنَ : الحدَّاد الذى صنعه . الدَّرَنَ : وَسَخَ الحديد ، والشَّيْنُ : العيب ،
 أى هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب . يقارن بحلَّة سواد العين ،
 أى عند التَّكْحَلِ بِهِ . يَفْشَى : يَحْدِثُ ويظهر . وإِحْسَانُ الكَمَحَلِ فى العين
 لا يَخْفَى . يَنْشَىءُ استحسان ، أى يَنْشَىءُ لناظر العين استحسان الكحل فى العين .

(١) الحيوان ٥ : ٥٧٨ .

(٢) لم أجده فى سقط الزند ولا فى الأروميات .

والإنسان : إنسان العين يذويه بالكحل ، والإنسان : السواد الذى فى وسط العين ، إذا رأيت فيه شخصاً ، والشخص هو الإنسان ، فسُمي السواد به . يتحاجى : يبعد عنه ، يريد أنه يكحل العين ولا يقرب من النمل . قوله : « سَوْد » ، أى جعل فيه الكحل . جاد : أعطاه العين . وَسَم العين بالكحل : أجاد عمله فيها . قلما ينكح إلا مثنى ، أى ينكح عينا واحدة فى الغالب . وقد نظم هذا النثر فى الثانية والأربعين .

جوده ، أى يحود بكحله للعين . ويسمو : يطالع للعين ، وجعل له الكحل غذاء يأخذ ويرتفع به للغير . قرينته : مكحلته . من طينته : من جنسه . زينته : تزيينه للعين . يطعم فى لينته : أى لا يطعم أن يكون الحديد أثينا . وكل لفظة فسر بها المروءة والإبرة ، لها لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به .

* * *

فقال لهما القاضى : إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا ، وَإِلَّا فَبَيْنَا ، فابْتَدَرَ
الغلام ، وقال :

أَعَارَنِي إِبْرَةَ لِأَرْفُو أَطْ	مَارَا عَقَاهَا الْبَلَى وَسَوْدَهَا
فَانْخَرَمْتُ فِي يَدِي عَلَى خَطَا	مِنَى لَمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا
فَلَمْ يَرَ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي	بَارَشِيهَا إِذْ رَأَى تَأْوُدَهَا
بَلْ قَالَ هَاتِ إِبْرَةَ نَعْمَانِهَا	أَوْ قِيَمَةَ بَعْدَ أَنْ تُجَوِّدَهَا
وَاعْتَاقَ مِثْلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا	هَيْكَ بِهَا سُبَّةً تَزَوَّدَهَا
فَأَمِينُ مَرْمَى لِرَهْنِهِ وَيَدِي	تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ مِرْوَدَهَا
فَأَسْبَرُ بَذَا الشَّرِيحِ غَوْرَ مَسْكَتِي	وَارِثِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَعَوَّدَهَا

* * *

تينا : توضّحاً وتفسّراً حديثك الملمّز . فيينا : أبعدا ، أو ارتفعاً .
قوله : «أرفو» أى أخيط ، ويروى «لأرفأ» يقال : رفأت الثوب أرفؤه ورفوته
وأرفوه ، والرفو من أدقّ أنواع الخياطة ، وهو نسج الخرق في الثوب حتى يعود
كأنه لم يكن فيه خرق .

[مما قيل في رفو الثياب]

وقال ابن القابلة السبتيّ في غلام رفاء :

يارافياً قطع كلّ ثوبٍ ويارشاً حبةً اعتمادى
عسى بخيط الوصال ترفو ما قطع المجر من فؤادى
وقال الحلواني في خياط :

ربّ خياطٍ فُتنت به فتنة أوهمت قوَى جلدي
لاعبٌ بالخيط يفتله أتراه ظنه جَسدي !
ليت أنى كنته فأرى بين ذاك الدرّ والبرد
فعلتْ بالثوب إبرته فعلَ سهم الشوق في خلدي
وجرى للمراض في يده جرى عينيه على كبدي

ومن مجون أبي نواس ، أنه كان يؤا كل إسماعيل بن أبي سهل ، فعرضت
له على مائدة رُقاقة في جانبها خُرق قد ضمّ ، فرفعها بإحدى يديه ونقرأها بالأخرى ،
فانفجرت ، وقال وهو يضحك : أخبزكم مرفوء ؟ فلما خرج قال :

خبز إسماعيل كالونسي إذا ما انشق يُرفأ
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
إن رفاءك هذا أطف الأمة كفا
فلذا قابل بالنصف من الخبز نصفاً

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ حَتَّى لَا تَرَى الْمَغْرَزَ أَشَقَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنُورِ مَا غَادَرَ حَرْفًا

والأطيار : الثياب الخَلَقَة ، واحدها طِمْر . عفاها البلى : غَيَّرَهَا الْقَدَمُ
وَدَرَسَهَا ، وَسَوَّدَهَا بِالْأَوْسَاحِ حَتَّى صَارَتْ فِي طَبْعِ الثَّوبِ ، فَتَى غَسَلَتْ لَمْ تَزَلْ .

[مِمَّا قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَطْيَارِ الْبَالِيَةِ]

وَمِمَّا قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَطْيَارِ الْبَالِيَةِ مِمَّا يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ الْحَمْدُونِيِّ فِي
طَيْلَسَانَ^(١) وَهَبَهُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمُهَلَّبِيُّ :

يَا بْنَ حَرْبٍ أَطْلَتِ هَمِّي بِرَفْوِي طَيْلَسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَفِيًّا^(٢)
فَهَوِيَ فِي الرَّفْوِ آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْعَرْضِ ضَ عَلَى النَّارِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

طَيْلَسَانُ لَا بْنَ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مَسَاسًا
قَدْ طَوَى قَرْنًا فَقَرْنًا وَأُنَاسًا فَأُنَاسًا
لَيْسَ الْأَيَّامُ حَاشِي لَمْ تَدْعُ فِيهِ لِبَاسًا
غَابَ تَحْتَ الْخَسِّ حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَاسًا

(١) قَالَ التَّمَالِي فِي الْمَضَافِ وَالْمَنْسُوبِ ٦٠٢ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ أَهْدَى إِلَى الْحَمْدُونِيِّ طَيْلَسَانًا
خَلْقًا ، وَكَانَ الْحَمْدُونِيُّ يَحْفَظُ قَوْلَ ابْنِ حِرَّانِ الْمَلَسِيِّ فِي طَيْلَسَانَ :

يَا طَيْلَسَانَ أَبِي حِرَّانٍ قَدْ بَرَمَتْ بِكَ الْحَيَاةُ فَمَا تَلْتَذُّ بِالْعُمُورِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ رَفَأٌ يَجِدُّهُ هَيْبَاتٍ يَنْفَعُ تَجْدِيدُهَا مَعَ الْكِبَرِ
إِذَا ارْتَدَاهُ لَعِيدٌ أَوْ لَجَعَتُهُ تَنْكَبُ النَّاسَ لَا يَبْلَى مِنَ النَّفَارِ
وَاحْتَذَى حَذْوَهُ ، وَانْتَالَتْ عَلَيْهِ الْمُنَاقِبُ ، حَتَّى قَالَ وَوَصَفَ الطَّيْلَسَانَ قِرَابَةً مَائِيًّا مَقْطُوعَةً ،
يُؤَلَّا تَخْلُو وَاحِدَةً مِنْهَا مِنْ مَعْنَى يَدْبِجُ

(٢) الْمَضَافِ وَالْمَنْسُوبِ لِلتَّمَالِيِّ ٦٠٢ ، وَفِيهِ : « أَطْلَتِ فَرَى » .

وقال فيه أيضاً :

قل لابن حرب مقالة العاتب
أما رأيت الرفاء يُحزِنني
أفناه جَوْرُ البليّ عليه كما
ولستُ فيما أقولُ بالكاذِبِ
برفوه طيلسانك الذاهِبِ
أفنى الهوى عمرَ خالدِ الكاتبِ

وقال فيه أيضاً :

إن ابن حرب جادى كاسياً
انظر إلى كثرة تمزيقه
رفوى له وهو رميمٌ كمن
يصدعه اللحظ بآيماضه
بُذِكرُنى كثرة تمزيقه
بطيلسان هريمٍ قشعمٍ
كأنما مُزق في مائهم
يبنى بناء فوق مستهدمٍ
صدع فؤاد العاشق للغرم
تترقّ الناس عن الموسم

وقال فيه أيضاً :

يا بن حرب كسرتني طيلساناً
طال ترداده إلى الرفو حتى
فَحَسِبْنَا نسج العناكب قد جَنَنَ
ملّ من صحبة الزمان وصدّاً^(١)
لو بعثناه وحده كتهدي
إلى ضعف طيلسانك شداً

وقال فيه أيضاً :

يا قاتل الله ابن حرب لقد
بطيلسان خلت أن البليّ
أجد في رفوى له والبليّ
أطال إيتابى على عمدٍ
يطلبه بالوتر والحدّ
يا هو به في الخزل والجُدّ

(١) المضاف والمنسوب ٦٠٣

إِنْ أَتَاهُمُ الرَّافِي فِي رَفْوِهِ مَفْزِي بِهِ التَّمْزِيقُ فِي تَجْدِيدِهِ

عَمَّيْتَهُ لَا مَفْزِي رَاحِلًا : تَرَكَتْنِي يَا وَاحِدِي وَوَاحِدِي

والحمد لله هو إسماعيل بن إبراهيم حدوديه ، نُسب إلى جده ، وهو من أهل
مَيسان ، وكان حلو التصرف ما يحل الافتنان ، وهو القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَتَحَسَّ مِنْ نَظَارَةِ أَذْنَى

نَلَحْظُهَا مِنْ كُتُبِ حَسْرَةٍ كَأَنَّهَا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال ابن الرومي في طليسانه :

وَلِي طَلِيَّاسَانُ نَاحِلٌ غَيْرُ أَنَّهُ ثَبُوتُ لَهْمَاتِ الرِّيَّاحِ الزَّعَازِعِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ مَتَبَتِّكُ يَحُلِي سَبِيلَ الرِّيحِ غَيْرَ مُنَازِعِ

أَرَاهُ لُضُوءَ الشَّمْسِ بِالْعَيْنِ رُؤْيَةً وَيَتَمَنَعِي مِنْ لَمَعِ الْأَصَابِعِ

شَكَاتُ قُلِّ اسْمِ الطَّلِيَّاسَانِ لُضْعَةً فَسَمِيَتْهُ سَاجَا فَهَلْ ذَاكَ نَافِعِي !

وقال ابن سارة في فروة :

أَوْدَتْ بِذَاتِ بَدْيِ فُرْبُوعَةٍ أُرْنَبٍ كَفَوَادِ عُرُوءَةٍ فِي الضَّنَا وَالرَّقَّةِ

يَتَجَشَّمُ الرِّقَاقُ فِي تَرْقِيمِهَا بَعْدَ الشَّقَةِ فِي قَرِيبِ الشَّقَةِ

لَوْ أَنَّ مَا أَتَقَقَّتْ فِي تَرْقِيمِهَا يَحْصِي لَزَادَ عَلَى رِمَالِ الرَّقَةِ

إِنْ قُلْتُ : « بِاسْمِ اللَّهِ » عِنْدَ لَبَاسِهَا قَرَأْتُ عَلَى « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »

وله فيها أيضاً :

لِي فُرُوءَةٌ وَصْنِي لِحَاثُحَتِي بِهَا بِأَتَيْكَ بَيْنَ مَقْرَمٍ وَمَشْتَفٍ

عَطَلْتُ كُتُبَ أَبِي عَيْبِدٍ بِالَّذِي أَلَفْتُ فِيهَا مِنْ غَرِيبِ مُصَنَّفٍ

يَسْطُو عَلَى الْغَرَمِ فِي تَرْقِيمِهَا سَطَوَ الْغَرَامُ عَلَى فَوَادِ الْمَدَنَفِ

فأنا وفروى خوف تمزيق لَهَا أَحكى معاويةً بجنب الأحنفِ
وله فى طيلسانه :

وطيلسان هَرَمٍ يُحْتَمَى عليه أكلُ الغُلِّ والبَقْلِ
كأن كَفَى إذا انضَمَّتَا عليه خوف الرِّيح فى غُلٍّ
ولبعض أصحابه فيه :

على منكب ابنِ عَلى سَمَلٌ تَقَطَّعَ لحظَّات المَقَلِّ
إذا غَيِمَ الجَوَّ أبصرته رهين الذَّبُول بكفِّ البَلَلِ
نساوطيلسان ابن حربٍ به وصاروا به يضرِبون المَثَلِ
وله فى غِفَّارته ^(١) :

لأحمد بنِ عَلى غِفَّارَةٌ كالسَّرَابِ
إن هَبَّ أدنى نسيمٍ تمرَّ مرَّ السَّحَابِ

والشعر فى هذا الباب كثير .

قوله : « انخرمت » ، أى انكسرت . مَقودها : خيَاطها . تَأَوَّدُها :
انكسارها ، وأصله الاعوجاج . أَعْتاق مِيلَى : أحبس مِرْوَدَى . نَاهِيكَ :
كافيك ، ومعناه المبالغة ، كأنه بلغ النهاية فى العَيْب الذى فعل . سَبَّة : عيب
يُسَبَّ به . مَرَقَى : خالية من الكُجَل ، وقد مَرِه الرجل مَرَّها إذا لم يتمهد
الكحل ، والمَرَقَى من النساء : البِيضاء البينة الزَّرَق الذى يختص الكحل فى
زَرَقها . اسْتَبْر : قَس . غَوْر : غاية وقَدْر . ارْث : ارحم وتوجع .

(١) الغفارة ، ككتابة : زرد من الدرغ يلبس تحت القلنسوة .

(٢١ - شرح مقامات الحريرى ١)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ : إِيْهِ ، بِغَيْرِ تَمْوِيهِ ،

فَقَالَ :

أَفْسَمْتُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَنْ
لَوْ سَاعَفْتَنِي الْيَوْمَ لَمْ يَرَنِي
وَلَا تَصَدِّتْ أَتَيْتَنِي بَدَلًا
لَكِنَّ قَوْسَ الْخُطُوبِ تَرَشُّقُنِي
وَكُفْرٌ حَالِي كَكُفْرِ حَالَتِهِ
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ يَتَنَنَا فَأَنَا
لَاهُو يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ
وَلَا مَجَالِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدِي
فِيهِدِرِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ
ضَمٌّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفَ مِنِّي
مُرْتَهَنًا مِثْلَهُ الَّذِي رَهْنًا
مِنْ إِبْرَةٍ غَالِيَا وَلَا ثَمَنًا
بِمُضْمِيَّاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهَنًا
ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَضَنِي
نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهَنًا
فِيهِ اتَّسَاعُ اللَّعْفُو حِينَ جَنَى
فَانْظُرْ إِلَيْنَا وَيَتَنَنَا وَلَنَا

° ° °

إِيْهِ : كلمة يُستزاد بها الحديث . والتمويه : الكذب ، وهو في الحديث
كالتمعية ، وقد موه عليه ، إذا خيل له أنه على شيء وهو على ضده ، وأصل
التمويه الضَّغْل ، كأنَّ على ألفاظه الموهة صقالة ، وهو من لفظ الماء . المشعر :
المزدلفة ، وهو جمع ، سُمِّيَ مشعراً لأنه من علامات الحج ، وكل علامات الحج
مشاعر ، والمشعر والنَّسك : موضع ذبح الهدى بمكة المفضَّل ، سُمِّيَ مشعراً ، لأنه
شعر أنه حرام كالبيت . الناسكين : الحجاج الذين يُشعرون الهدى وما يُنجز ،
أَنْسَكَ وَنَسَكَ مَنْسَكًا وَنَسَكًا ، إذا ذبح الأُنْكَ ، وأصلها ذبائح

الجاهلية ثم سُميت الأضاحي، والناسك أيضاً : الزاهد . خيف : موضع بمعنى .
 قوله : « ساعفتني » : ساعدتني . تصدّيت : تعرّضت . غالما : أهلكها .
 الخطوب : الأمور الشداد . ترشفتني : تصيبني . بمصميات : بسهام قاتلة .
 بؤس : شدة حال . ضئى : ضعف ومرض . وهو أنا ، أى هو منلى في
 ضيق الحال . مجالى : موضع نصرتي . ذات يدي : مالى ، وذات اليد ما يملك .
 العفو : الغفران . جئى : أذنب . قصّيتى : حديثي ، يقول : فانظر إلينا بعين الشفقة
 والرحمة ، وأصاح بيننا بما ننصرف به شاكرين لك ، وهب لنا ما نثني به
 عليك ، وجعل النظر عاملا في الجميع ، لأن من وجوه النظر الإصلاح بينهم
 والتكريم عليهم .

* * *

فَلَمَّا وَعَى الْقَاضِي قِصَصَهُمَا ، وَتَبَيَّنَ خِصَاصَهُمَا وَتَخَصُّصَهُمَا ؛
 أَبْرَزَ لَهُمَا دِيَارًا مِنْ تَحْتِ مُصَلَاهُ ، وَقَالَ لَهُمَا : اقْطَعَا بِهِ الْخِصَامَ
 وَافْصِلَاهُ . فَمَلَقَهُ الشَّيْخُ دُونَ الْحَدَثِ ، وَاسْتَخْلَصَهُ عَلَى وَجْهِ
 الْجِدِّ لَا الْقَبْثِ ، وَقَالَ لِلْحَدَثِ : نِصْفُهُ لِي بِسَهْمِ مَبْرَتِي ،
 وَسَهْمُكَ لِي عَنْ أَرْضِ إِبْرَتِي ، وَلَسْتُ عَنْ الْحَقِّ أَمِيلُ ، فَعَمِ
 وَخَذِرِ الْمِيلَ . فَقَرَأَ الْحَدَثُ لِمَا حَدَّثَ اكْتِتَابُ ، وَاكْتَفَهَرَّ عَلَى
 سَمَائِهِمْ سَحَابُ ، وَجَمَّ لَهُ الْقَاضِي ، وَهَيَّجَ أَسْفَهُ عَلَى الدِّيَارِ الْمَاضِي ؛
 إِلَّا أَنَّهُ جَبَرَ بِالِ الْفَتَى وَبَلْبَالَهُ ، بِدُرِيْهِمَاتِ رَضِخٍ بِهَا لَهُ ، وَقَالَ
 لَهُمَا : اجْتَنِبَا الْمَعَامِلَاتِ ، وَادْرَأَا الْمُخَاصِمَاتِ ، وَلَا تَحْضُرَانِي فِي
 الْمُحَاكِمَاتِ ، فَمَا عِنْدِي كَيْسُ الْفَرَامَاتِ .

فَنَهَضًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَرَحِينَ بِرَفْدِهِ ، مُفَصِّحِينَ بِحَمْدِهِ ،
وَالْقَاضِيَ مَا يَخْبُو ضَجْرُهُ ، مُذْ بَضَّ حَجْرُهُ ، وَلَا يَنْصُلُ كَمْدُهُ ،
مُذْ رَشَحَ جَلَمْدُهُ .

* * *

قصصهما ، أى حديثهما ، وهو جمع قصة . خصائصهما : فقرهما . تخصصهما : رفعتهما واقتباسهما ، وقد تخصص الرجل ، إذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة . أبرز : أخرج . مصلاه : بساطه الذى يصلى عليه . افصلاه : اقطعه وأزيله . استخلصه : حازه لنفسه خالصاً . الجِدَّة : التحقيق . العبث : الهزل . سهم : نصيب . مبرتى : إكرامى الذى وصلنى به القاضى . أميل : أخرج وأعدّل عنه . عَرَا : قصد ونزل به . حَـدَث : ظهر . اكتتاب : حُزن وهم . وَجَم : غضب ، والوجوم : السكوت على غضب . هَيَّج : حرّك . أسفه : حزنه . باله : فكره . بلباله : حزنه ووسواسه . رضح : كثر العطاء . اجتنبا : باعدا . المعاملات : المعاوضات والموارى . ادركا : ادفعا . كيس : وعاء الدراهم . رفده : عطاؤه . يخبو ضجره : يسكن غضبه : بَضَّ حجره : رشحت كفه ، قال الأخطل :

كَزَمَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَطِيَةِ مَمْسُكٌ مَا إِنْ تَبِضَّ صَفَاتُهُ بِلَالٍ^(١)

ينصل كده : يزول حزنه . الجلمد : الصخر الصلب ، كنى به عن كفه ؛ وأنه

بخيل ، ويد البخيل تشبه بالحجر ، وقال جرير :

كَأَنَّمَا خَلِقَتْ كَفَّاهُ مِنْ حَجَرٍ فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنَّادَى عَمَلٌ^(٢)
يَرَى التَّيْسَ فِي بَرٍّ وَفِي بَحْرِ خَشَافَةٌ أَنْ يَرَى فِي كَفِّهِ بَلَلٌ

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) لم يرد البيتان في ديوانه

وقال ابن عبد ربه :

زِرَاعَةٌ غَرَنِي مِنْهَا وَمِیْضٌ سَنًا حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهِ الْكَفَّ مَقْتَبِسًا^(١)
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تُضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بَعْضًا مُوسَى لَمَا انْبَجَسَا
كَأَنَّمَا صَيِغَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَذِبٍ فَكَانَ هَذَا لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

أين هذه الألف من التي ذكر حجة بن المضرّب ، حين قال :

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ فَأَبْدِيَهُمْ بَيْضٌ وَأَوْجُهُهُمْ غُرٌّ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مُؤَنَّلًا بِيَذُلْ أَلْفٌ دُونَهَا الْمَزْنُ وَالْبَحْرُ
غَلَوُ لَامِسِ الصَّخْرِ الْأَمَمِ أَكَنَّهُمْ أَفَاضَ يَنَابِيعَ النَّدَى ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال أبو الشيص :

إِنَّمَا الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ يَا عَقَبَ شَطَاً بِمَرْكَ الْفَيَاضِ^(٢)
يَحْمَرُّ بِلَوْدِ الْعَفْوَفِ بِسَيْلِهِ فَمِ الْجَدَاوِلِ مَتَرَعُ الْأَحْوَاضِ
لَأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُؤَمِّلِ رَاحَتَا مَلَكٍ إِلَى أَعْلَى الْعُلَا نَهَاضِ
فِيهِ تَدْفُقُ بِالْفَنَى لَصْدِيقِهِ وَيَدُّ عَلَى الْأَسْدَاءِ سَمٌّ قَاضِ

وقال أبو تمام :

تَعْوَدُ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاها لَقَبَضِيَ لَمْ تَجِبْهُ أَنَامِلُهُ^(٣)

وقال البحتري :

قَدْ قُلْتُ لِلْفَيْثِ الرِّكَامِ وَلَجٍ فِي إِبْرَاقِهِ ، وَأَلَحَ فِي إِرْعَادِهِ^(٤)

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٦
(٤) ديوانه ٧٠٣

(١) المقد ٦ : ٧٩٥ .
(٣) ديوانه ٣٣٣٠

لا تعرضنَّ للجعفرِ منشَبَةً بندي يديه فاست من أُنْداده
الله شرفه ، وأعلى ذكره ورآه غيث بلادِه وعباده

وقال ابن الرومي :

مُقبِلٌ ظهر الكف وهاب بطنها له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ
فظاهرها للناس ركنٌ مقبِلٌ وباطنها عينٌ من الجود عَظيمُ

* * *

حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى غَاشِيَّتِهِ وَقَالَ : قَدْ
أَشْرَبَ حِسِّي ، وَتَبَّأَنِي حَدَّثِي ؛ أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ ، لَخَصَمَا أَدْعَاءٍ ،
فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَبْرِهِمَا ، وَاسْتِنْبَاطِ سِرِّهِمَا ! فَقَالَ لَهُ يُخْرِيرُ
زُمرَتِهِ ، وَشَرَارَةُ جُمرَتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبْنِهِمَا إِلَّا بِهِمَا ،
فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُمَا : اصْدُقَانِي
سَنَ بَكْرِكُمَا ، وَكُفَا الْأَمَانُ مِنْ تَبِيعَةِ مَكْرِكُمَا . فَأَخْجَمَ الْحَدَّثُ
وَاسْتَقَالَ ، وَأَقْدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ :

* * *

قوله : « غَشِيَّتِهِ » ، أى ذهاب عقله بأن يُعَمَى عليه . وغاشيته : زوَّاره وَمَنْ
يَفْشَى موضعه . أَشْرَبَ : دُوخِلَ : حِسِّي : إدراكى وفهى . تَبَّأَنِي : حَدَّثَنِي .
وَأَخْبَرَنِي . حَدَّثَنِي : ظَنَى ، قَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللهُ : حَدَّثْتُ أَحَدِسَ ، إِذَا قُلْتَ فِي
الشَّيْءِ بِرَأْيِكَ . غَيْرُهُ : حَدَّثْتُ : ظَنَنْتُ ظَنًّا بَلَغَتْ مِنْهُ غَايَةُ الشَّيْءِ فِي عَدَدِهِ أَوْ

وزنه ، وأصله من قول العرب : باغت الخدس ، أى الشيء الذى تطلب لحاقه .
والدهاء فى الرجل : الخدق والتبصّر فى الأشياء . لاختصا ادّعاء ، أى ليس بينهما
ادّعاء على الحقيقة فيختصمان فيها . سبّرها : اختبارها . استنباط : استخراج .
نحرير : حاذق . زممرته : جماعته ، وجمله شرارة ؛ لنفوذ ذهنه واتقاده ، ولذلك
يسمى نحريراً ، أى ماهراً بالأشياء كلها ، كأنه لإدراكه وفهمه بالأشياء ينحرفها بظنه
الصادق . خبيئها : خفى ما عندها . قفاها : أتبعهما . والعون : الشرطى ، لأنه
يُعين من يتصرّف له . مثلاً : وفقاً ، يقال : مثّل الشيء ، فهو مائل ، إذا قام
وانتصب ، وإذا لطم بالأرض أو ذهب ، وهو من الأضداد . سنّ بكر كما :
حقيقة خبر كما . والبكر : الفتي من الإبل ، وسنه : مبلغ عمره ، لأنّ بالسّن يُعرف كم
بلغ من العمر ، ولفظ المثل « صدقنى سنّ بكره » ، وروى البكرى عن ابن الأعرابي
أن رجلاً سأم رجلاً بكرّاً على أن يشتريه مسنّاً ، فقال البائع : هذا جمل ؛ لبكر
له ، وقال المشتري : هذا بكر ، فقال البائع : بل هو مسنّ ، فبينما هما يتنازعان
إذ نفر البكر ، فقال صاحبه : ليسكن نفاره : « هدع هدع » ، وهى كلمة من العرب
يسكن بها صفار الإبل عند نفارها ، ولا تقال للكبار ، فقال المشتري عند ذلك :
صدقنى سنّ بكره . تبعة ؛ شُرحت فى الصدر . أحجم : تأخّر فزعاً . أقدم :
تقدم متشجعاً . استقال : طلب الإقالة .

* * *

أنا المَرْجُوعِيُّ وَهَذَا وَلَدِي	وَالشَّبِلُ فِي الْمَخْبِرِ مِثْلُ الْأَسَدِ
وَمَا تَعَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي	فِي إِبْرَةِ يَوْمًا وَلَا فِي مِرْوَدِ
وَإِنَّمَا الدَّهْرُ الْمُسِيءُ الْمَعْتَدِي	مَالَ بَنَّا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي
كُلَّ نَدَى الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمُرْدِ	وَكُلَّ جَمْدِ الْكَفِّ مَنُولِ الْيَدِ

بِكُلِّ فَنِّ وَبِكُلِّ مَقْصِدٍ بِالْجِدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالذِّ
لِجَلْبِ الرِّشْحِ إِلَى الْخَطِّ الصَّدَى وَنَفِدَ الْمَمَرُ بِعَيْشِ أَنْكَدِ
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدِ لَنَا بِالْمَرْصَدِ إِنْ لَمْ يَفَاجِ الْيَوْمَ فَاجَى فِي غَدِ

• • •

السَّيْلُ : ولدا الأسد . المخبر : التجربة والخبرة . تعدت : ظلمت ، والتعدى :
الظالم المجاوز الحد في الظلم . مال بنا ، أى حطنا . نجتدى : نسأل الناس الجدا ، وهو
للمطاء . ندى الراحة : كريم الكف . وجعد الكف ، ضده ، وأراد أن يسأل كل
كريم سهل العطاء ، وكل لثيم صعبه ، وأصل الجموعة انقباض الشعر ، ثم استعيرت
لقبض الكف من اللؤم ، ومثله مغلول اليد ، أى كأن يده محبوسة بغلّ اللؤمها ،
والسائل كأنه يحاول بسطها بالجلود فيجدها محبوسة بغلّ اللؤم ، وفي الكتاب
العزيز : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾^(١)
فهذا نهى عن التبذير .

وقال حبيب في قصيدة يمدح بها حمص بن عمر الأزدي ويذكر الجموعة ، وهي :

يَرَى الْوَعْدَ أَخْزَى الْعَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مَقْدَمَةَ الْوَعْدِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَا يَعْطِيهِ غَيْثًا لَأَمْطَرَتْ سَعَاتِهِ مِنْ غَيْرِ بَرْقٍ وَلَا رَعْدٍ
مَنْ الْقَوْمِ جَعَدُ أَبْيَضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى وَلَيْسَ بَنَانٌ يَجْتَدِي مِنْهُ بِالْجَفْدِ

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) ديوانه ١٣٠

وقال البحتري :

حَصَنَتْنِي عَنْ مَعَاشِرٍ لَا أُسَمِّي أَوْلِيَهُمْ إِلَّا شِدَاةَ سَيْبَانِي^(۱)
 مِنْ جِمَادٍ الْأَكْفَ غَيْرِ جِمَادٍ وَغَضَابِ الْوَجُوهِ غَيْرِ غَضَابِ
 خَطَرُوا خَطَرَةَ الْجَهَامِ وَسَارُوا فِي نَوَاحِي الظُّنُونِ سَيْرَ السَّحَابِ

وقال أيضاً في نحوه :

وَخَلَقَنِي الزَّمَانُ عَلَى أَنْاسٍ وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ حَدِيدٌ^(۲)
 لَهُمْ حُلٌّ حَسَنٌ فَهِنْ بِيضٌ وَأَخْلَاقٌ قَبِيحٌ فَهِنْ سُودٌ
 أَنْاسٌ لَوْ تَأَمَّلْتَهُمْ لَبِيدٌ بَكَى الْخُلُوفَ الَّذِي يَشْكُو لَبِيدٌ

قوله « الدد » : ضد الجدة ، وهو اللهو واللعب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لست بمن ددٍ ولا الدد مني » ، أي لست من باطل ولا الباطل مني . أجدى : نفع . الحظ : البخت والنصيب . والصدى : العطشان ، وأراد أن حظه في الدنيا قليل ، فهو سعى له ليجلب رزقاً يكثر به حظه . تنفذ : تتم . أنكد : مشغوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد . والمرصد : الموضع الذي ترتقب فيه من تريد أخذه ، وقد رصدته رسداً ترتقبه . يفاج : يأت على غفلة ، وأصله فاجأ بالهمز ، فسَّهله .

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : اللَّهُ دَرَكٌ ، فَمَا أَغْذَبَ نَفَثَاتِ فَيْكَ ، وَوَاهَا
 لَكَ لَوْلَا خِدَاعُ فَيْكَ ، وَإِنِّي لَكَ لِمِنَ الْمُنْذِرِينَ ، وَعَلَيْكَ مِنْ

(۱) ديوانه ۸۶

(۲) ديوانه ۸۱ •

الْحَذِرِينَ ، فَلَا تَمَّا كِرَ بَعْدَهَا الْحَاكِيمِينَ ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْمُتَحَكِّمِينَ ،
فَمَا كُلُّ مُسَيِّطَرٍ يُقِيلُ ، وَلَا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ الْقِيلَ .

فَعَاهِدُهُ الشَّيْخُ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ ، وَالْارْتِدَاعِ عَنْ تَلْبِيسِ
صُورَتِهِ . وَفَصَلَ عَنْ جَهَنَّمِ ، وَاخْتَرُ يَلْمَعُ مِنْ جَبْهَتِهِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْهَا فِي تَصَارِيفِ الْأَسْفَارِ ،
وَلَا قَرَأْتُ مِثْلَهَا فِي تَصَانِيفِ الْأَسْفَارِ .

قوله : «لله درك» ، أى ما أحسن كلامك ، والدَّرُّ أصله اللابن ، وكأنه سُمِّيَ
بِحِكَايَةِ صَوْتِهِ عِنْدَ الْحَابِ . وَلِلَّهِ ، أَصْلُهُ الْقَسَمُ ، وَلَا تَدْخُلُ اللَّامُ فِي الْقَسَمِ إِلَّا عَلَى
اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالتَّعَجُّبُ مَعَهَا لَازِمٌ ، فَإِذَا قَالَ الَّذِي يَسْمَعُ صَوْتَ الْحَلْبِ لِصَاحِبِ
النَّاقَةِ : لِلَّهِ دَرَكٌ ! فَكَأَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ دَرَكَ هَذَا لَكَثِيرٌ ، ثُمَّ اسْتَعْيَرَ لِلْفَصِيحِ فِي
كَلَامِهِ ، وَلِكُلِّ مَنْ أَحْسَنَ فِي شَيْءٍ ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ مَا جِئْتَ بِهِ ! وَقِيلَ :
مَعْنَاهُ لِلَّهِ اللَّابِنُ الَّذِي شَرِبَتْهُ مِنْ أَمْكٍ ، قَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ : رَبَّمَا قَالُوا : دَرَكٌ ، وَلَمْ
يَقُولُوا : لِلَّهِ دَرَكٌ ، وَأَنْشُدَ :

دَرَّ دَرَّ الشَّبَابَ وَالشَّعَرَ الْأَسَدَ سَوْدٍ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرُّجَالِ

قوله : «نفثات» ، أى كلمات . واهًا : عجبًا . والنذر : المعلم بما يخاف . تماكر :
تخادع . سطوة : بطشة . المتحكم : الذى يتحكم بما شاء فيُمَثِّلُ حكمه . مسيطر :
أمير مساط . يقيل : ينفذ الزلة . أوان : وقت . عاهده : حالته . مشورته : أخذ
رأيه . الارتداع : الكف . تلبيس : تخليط . صورته : قصته . فصل : زال .

الخنز : الخداع . يلع : يضىء ، يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الغدر ،
وأن يمينه التى حلف له كاذبة ، وأوّل مَنْ نظم فى هذا المعنى الشّماخ
حين قال :

أَتَنَى تَمِيمٌ قَصَّهَا بِقَضِيْفِهَا تَمَسَّحَ حَوْلِي بِالْبَيْعِ سِبَالَهَا
يَقُولُونَ لِي : احْلِفْ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ أَخَادَعَهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنَا لَهَا
فَفَرَجَتْ هَمَّ النَّفْسِ عَنِي بِحَلْفَةٍ كَمَا شَقَّتَ الشُّقْرَاءُ عَنِي جِلَالَهَا
ومن الملح فى اليمين الفاجرة ، قول ابن الرومى :

وإِنِ لَدُنَّو حَافٍ كَاذِبٍ إِذَا مَا اسْتَمَحْتُ وَفِي الْمَالِ ضِيقُ
وَهَلِ مِنْ جَنَاحٍ عَلَى مَعْسَرٍ يَدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ
وقال فيه أيضاً :

إِذَا حَلَّتْ عَلَى ضِيقٍ دُيُونِي وَبَاكَرَنِي التَّجَارُ وَخَوْفُونِي
دَفَعْتُهُمْ بَعْنٍ لَوْ شَاءَ أَدَى حَقُوقَهُمْ إِلَيْهِمْ مِنْذَرِينِ
ولِدَعِبَل :

سَأَلُونِي الْيَمِينَ فَارْتَمَتْ عَنْهَا كَيْ يَفِرُوا بِذَلِكَ الْإِرْتِيَاعِ^(۱)
ثُمَّ أَرْسَلَهَا كَمَنْحَدَرِ السَّيْلِ تَدُلُّ مِنَ الْمَكَانِ الْيَفَاعِ
وَأَنشَدَ أَبُو عَلِيٍّ :

لَا شَيْءَ يَدْفَعُ حَقَّ خَصْمٍ شَاغِبٍ إِلَّا كَحَلْفِ عَمِيدَةٍ بَنِ سَمِيدَعٍ
يَمْضَى الْيَمِينَ عَلَى الْيَمِينَ لِلْحَاجَةِ عَصَ الْجُوحِ عَلَى اللِّجَامِ الْقَدِيدِ
فَإِذَا يَذْكُرُ حَلْفَةَ أَصْفَى لَهَا وَإِذَا يَذْكُرُ بَاتَقَى لَمْ يَسْمَعِ

قوله: «تصاريف»، أراد التصريف بالجلولان في البلدان. والأسفار: الأول :
 جمع السفر في البلاد، والثاني : جمع سَفَر، وهو الكتاب، قال الفراء رحمه الله:
 الأسفار : الكتب العظام . والتصانيف : التأليف المتنوعة ، والمصنف الذي فيه
 أنواع شتى .

المقامة التاسعة وهي الإلهام كندرائية

قال الحارث بن همام : طعاني مَرَحُ الشَّبَابِ ؛ وَهَوَى
الْاِكْتِسَابِ ، إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةٍ وَغَانَةٍ ، أَخُوضُ النِّمَارَ ،
لِأَجْنَى الثَّمَارِ ، وَأَتَقَحِّمُ الْأَخْطَارَ ، لِيَكُنِّي أَذْرَكَ الْأَوْطَارِ ،
وَكُنْتُ لَقِيفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَقِيفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ،
أَنَّهُ يَلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبُ ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبُ ، أَنْ يَسْتِمِيلَ
قَاضِيَهُ ، وَبَسْتَخْطِصَ مَرَضِيَّتَهُ ، لِيَشْتَدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ الْخِصَامِ ،
وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جُورَ الْحُكَّامِ ؛ فَاتَّخَذْتُ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا ،
وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَخَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وَجِلْتُ عَرِيْنَةً ،
إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بِنَايَتِهِ
تَقَوَّى الْأَجْسَادُ بِاللُّوْاحِ .

طحا بك قلبك ووجهك طحوا وطحنيا : ذهب بك ، وطحا الله الأرض
ودحاها : بسطها . ابن الأنباري : طحا قلبه في الهوى واللهو ، إذا تطاول وتمادى ، قال .
علقة :

* طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبٌ *

مرح الشباب : نشاط الفتوة . جُبْتُ : قطعت ومشيت .

[ذكر فرغانة]

فرغانة : مدينة في أقصى خراسان ، وكان فيها بيت يُسَمَّى هيكَل الشمس ، بناه فارس الملك ، وخرَّبه المعتصم ، وبها قُتِل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين ، وبينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخاً . قال اليعقوبي : من سمرقند إلى أسروشنة خمس مراحل شرقاً ، ومن أسروشنة إلى فرغانة مرحلتان ، ومدينة فرغانة التي ينزلها الملك يقال لها كاسان ، وهي مدينة جليلة القدر ، عظيمة الأمر ، وكلُّ هذه المدن مضافة إلى عمل سمرقند . وكان أنوش . وان بنى فرغانة ، ونقل إليها من كل بيت قومًا ، وسماها أزرخانة ، أي من كل بيت .

[ذكر غانة]

وغانة : بلد من بلاد السودان ، وإليها ينتهي التجار ، والمُدخل إليها من سِجِلْمَاسَة ر ن سِجِلْمَاسَة إليها مسافة ثلاثة أشهر ، ومن غانة إلى سِجِلْمَاسَة شهر ونصف ، ودون ذلك ، وسبب ذلك أن الرِّفاق تتجهز إليها من سِجِلْمَاسَة بالأمّاتع والأثقال ، فتباع في غانة بالتَّبر ، فمن سافر إليها بثلاثين حِملًا يرجع منها بثلاثة أحمال ، أو بحملين : واحد لركوبه ، وثاني للماء بسبب المفازة التي في طريقها ، حدَّثني غيرُ واحدٍ من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يومًا ، لا يرون فيها ماء إلا على ظهور الإبل ، فأثمان أحمال الثلاثين حِملًا يجتمع فيها من التَّبر ما يجعل في مزود واحد ، فيطوون الراحل للخِفة . وغانة بلد مملكة السودان ، وانتشر الإسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيّبون الخِصْب والأمن وكثرة المتاجر ، فيشترون بها خدما للترسّي ، ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، والخدم فيها قد جبل الله فيمن من

الخصال الكريمة في خلقهنّ وخلقهنّ فوق المراد، من ملاسة الأبدان، وتفتق السواد،
وحسن العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح.

[مما ورد من الشعر في وصف السواد والبياض]

وكان ابن الرومي وصف واحدة منهنّ بقوله :

تذكرك المسك والنوالى والنَّدْ ذواتُ النَّسيمِ والعَبَقِ
ليست من العُبْسِ الأكف ولا السُّفَجِ الشَّفاءِ الخبائثِ العَرَقِ
أَكْسَبَهَا الحَبَّ أَنَهَا صُيِّفَتْ صِنْفَةَ حَبِّ القُلُوبِ والحدَقِ
يفتَرِّدُكَ السَّوَادُ عن بَقَى من تَغْرِهَا كاللَّيْلِ النَّسَقِ
كَأَنَّهَا والمِزَاحِ يَضْحَكُهَا لَيْلُ تَعْرِى دُجَاهِ عن فَاقِ
لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَّةَ من قَلْبٍ صَبٍّ وصَدْرِ ذِي حَنْقِ
يَزْدَادُ ضَيْقًا على المِرَاسِ كما تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الوَهَقِ
غَصْنٍ من الآبَنُوسِ رُكْبٍ فِي مُؤَزَّرٍ مَعْجَبٍ وَمُنْتَطِقِ
وقال الشريف الرضى :

أَحْبَبُكَ يَا لَوْنَ السَّوَادِ فَإِنِّي رَأَيْتُكَ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالْقَلْبِ تَوًّا^(١)
وَمَا كَانَ سَهْمُ الْعَيْنِ لَوْ لَا سَوَادُهَا لِيَبْلُغَ حَبَاتِ القُلُوبِ إِذَا رَمَى
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى الظَّبْيَ أَلْتَمَى فَلَا تَلَمْ جَنُونِي عَلَى الظَّبْيِ الَّذِي كُلُّهُ لَمَى
وقال ابن مسلة :

يَكُونُ الْخِلَالُ فِي خَدِّ قَبِيحٍ فَيَكْسُوهُ لِلْمَلَاخَةِ وَالْجَمَالِ

فكيف يَلامُ مشغوفٌ على مَنْ يَراها كَلَمًا في العَيْنِ خالًا!
وله أيضًا :

لامِ العواذلِ في سوداءِ فاحَةٍ كأنَّها في سوادِ القلبِ تمثالُ
وهامِ بائِئالِ أقوامٍ وما عَلِمُوا أنَّ أهِيمُ بشخصٍ كلَّه سَخالُ
ولابنِ رباح :

وسوداءِ الأديمِ إذا تبدَّتْ يرى ماءَ التعميمِ جرى عليه
رأها ناظرِي فصبا إليها وشبههُ الشَّيءُ مُنجَذِبٌ إليه
ولابنِ رشيقي :

دعا بِكِ الحُسنِ فاستجِبي بِامسِكُ في صبغةٍ وطيبِ^(١)
تِهبي على البَيضِ واستطِلي تِه شَبابٍ على مَشِيبِ
ولا يرعك اسودادُ لونٍ كَمَقَلَّةِ الشَّادِنِ الرَّبِيبِ
فإنَّما الثَّورُ عن سوادٍ في أعينِ النَّاسِ والقُلُوبِ

قال ابن رشيقي : أخذته من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

مشبهاتُ الشَّبابِ والمسكِ تفديهنَّ قَمِي من الرَّدَى والخطوبِ
كيف يهوى النقي اللَّيبُ وصال البَيضُ ، والبَيضُ مشبهاتُ المَشِيبِ
وأخذ بيته الآخر من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

وإنَّ سوادَ العينِ في العينِ نورُها وما لبياضِ العينِ نُورٌ قَيِّمٌ
فأخذه أيضاً أبو الطيب ، فقال في كافور وأحسن :

(١) النيث المنسجم ٢ : ١٦١ ، معاهد التنصيص ٢ : ٢٣ ، ديوان الصبابة (على هامش
تزيين الأسوان) ٦٨ .

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه وخلت بياضاً خلفها وماقياً^(١)
ولابن الجهم :

وعائب للشمر من جملِه منفصل للبيض ذى محك^(٢)
قولوا له عني : أما تستحي ! من يحمل الكافور كالمسك !
والسابق لهذا المعنى أبو حنص الشطرنجي ، والناس تبع له حيث قال :
أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعدة
لا شك - إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة
على أن العباس^(٣) بن الأخنف معاصره ، قال :

أحب النساء السود من أجل تكتهم
ومن أجلها أحببت ما كان أشوداً
فجئني بمثل المسك أطيب نكهة وجئني بمثل الليل أطيب مرقدًا
أخذ بيته الأول من قول ابن الأعرابي :

أحبُّ لحبها السودان حتى أحبُّ لحبها سود الكلاب
وقال ابن الرومي في تفضيل السواد على البياض :

وبعض ما فضل السواد به والحق ذو سلم وذو نفق
ألا يعيب السواد خالسته وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على
تحسين القبيح ، والأمر الجمع عليه تفضيل البياض .

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧

(٢) ديوانه ١٦٢ (عن الصريش)

(٣) كذا في ب ، وق ط ، ١ : « على بن العباس » ، تصحيف ، ولم أجد الأبيات في
ديوان عباس بن الأخنف .

(٢٢ - شرح مقامات الحريري ١)

قال الجاحظ : العرب تمدح بالبياض ، وتهجو بالسواد ، وربما مدحوا
بالسواد ، ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمّه ، وأنشد :

لهم ديباجةٌ عُرِفَتْ قديماً بياضٌ في الوجوه وفي الجلودِ
وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله :

يا مشرباً في فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمة^(١)
خُلقك من خلقتك مستخرجٌ والظلم مشتقٌ من الظلمة^(٢)

قوله : « جبت ما بين فرغانة وغانة » ، ماها هنا بمعنى الذى ، كأنه قال : جبت
الذى بين فرغانة التى هى أقصى الشرق ، وغانة التى هى أقصى المغرب من البلاد
والقفار والبحار لكسب المال ، فهاهى التى أوجبت لى بين البلدين ما ذكر
أن نعم بالشئ ، ولوسطة لم يلزم العموم ، وكأنه يشير بهذا التعبير إلى
قول حبيب :

سلى هل عمرت القفر وهو سباسبٌ وغادرت ربعى من ركابى سباسباً^(٣)
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرقٍ وشرقت حتى قد نسيت للمغرباً

قوله : « أخوض الفمار » ، أى أدخل المياه الغزيرة فأجوزها . أفتحم
الأخطار ، أى أترامى فى المخاوف . والخطر : الفرر . والأوطار : الحاجات .
وقال أبو عمر القسطلي^(٤) فيما يتعلق بهذا :

تخوفني طول السفار وإننى لتقبيل كفّ العاصمى سفيرٌ
دعيتني أريد ماءً المفاوز أجناً إلى حيث ماء الكرمات تميمٌ

(١) ديوانه ١٧ ، وفيه : « فى لونه فله » .

(٢) فى الديوان : « فذلك من خالك » .

(٣) ديوانه ١٧ ، والسباسب : القفار القبيحة .

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن الماس بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دار ، المروى
بأبن دراج القسطلي ، فى : « أبو عمرو » ، خطأ يذكر فى بعض تراجمه ؟ وقد نبه إليه الدكتور
محمود مكى فى حواشيه على ديوان ابن دراج ص ٢١ ، والأبيات فى ديوانه ٢٩٨ .

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّوَاءَ هُوَ النَّوَى وَأَنَّ بَيْوتَ الْمَاجِزِينَ قُبُورُ
وَأَنَّ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضُمُنُ لِرَاكِبِهَا أَنَّ الْجِزَاءَ خَطِيرُ
وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجُمْدَى :

إِذَا لَرَى لَمْ يَطْلُبْ مَعَالِشًا لِنَفْسِهِ

شَكَالْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَكَثُرَا^(١)

فَسِيرُ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسِ الْغَنَى تَمَشُّ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتُ فَتُقَدَّرَا
وَقَالَ ابْنُ سَارَةَ :

سَافِرٌ فَإِنَّ الْغَنَى مِنْ بَاتٍ مَفْتَحًا قُفْلَ الْفَجَاحِ بِمِفْتَاحٍ مِنَ السَّفَرِ
إِنْ شَتَّ خَضَرَتِهَا يَا ابْنَ الرَّخَاءِ فَكُنْ

فِي طَيِّ غَمْرِ الْقِيَافِ نَائِي الْحَضَرِ
وَلَا يَصْدَنُّكَ عَنْ أَمْرِ تَصَبُّهِ قَدِينِيعِ الْكُوْثَرِ السَّلْسَالِ مِنْ حَجَرٍ
لَا بَدَأَ أَنْ يَقَعَ الْمَطْلُوبُ فِي شَرَكِهِ وَلَوْ بَنَى وَكَرَّهُ فِي دَارَةِ الْقَمَرِ

[بَابُ فِي الْحَضَرِ عَلَى السَّفَرِ وَتَرْكِ الْمَجْزِ]

وَمَا يَنْتَظِمُ فِي بَابِ الْحَضَرِ عَلَى السَّفَرِ وَتَرْكِ الْمَجْزِ قَوْلُهُمْ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ
أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ ، إِمَّا فِي الْغَايَةِ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا ، وَإِمَّا فِي الْغَايَةِ
مِنْ تَرْكِهَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُرَى إِلَّا فِي أَحَدِ مَكَانَيْنِ ، إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مَكْرَمًا ،
وإِمَّا مَعَ الْعِبَادِ مُتَبَتِّلًا ، وَلَا يَبْعُدُ الْغَرَمُ غَرَمًا إِلَّا إِذَا سَاقَ غُنْمًا ، وَلَا الْإِسْمُ غُنْمًا إِلَّا
إِذَا سَاقَ غُرْمًا ؛ وَنَظَمَ هَذَا الْمَعْرِي فَقَالَ :

ذِرِ الدَّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْطَ فِيهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا^(١)
وَأَصْبَحْ وَاحِدَ الرَّجَالِنِ إِنَّمَا مَلِكًا فِي الْعَشَائِرِ أَوْ أَيْلًا

الأبيل : الراهب .

وفي كتاب الهند : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب .
وفي التوراة : ابن آدم ، خلقت من الحركة إلى الحركة ، فتحرك وأنا معك .
وفي بعض الكتب : امدد يدك إلى بابٍ من العمل ؛ أفتح لك باباً من
الرزق .

وقالوا : مَنْ ضَعُفَ عَنْ عَمَلِهِ اتَّكَلْ عَلَى رِزْقٍ غَيْرِهِ .
وقال عليّ رضي الله عنه : الحرص مقدمة الكون .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : ما المروءة فيكم ؟ قالوا :
العفة والحِرنة .

ورثي عكرمة وراء نهر بئح ، فقيل له : ما جاء بك هاهنا ؟ فقال : بناتي .
وقال رجل لمعروف الكرخي : يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس ؟
قال : لا بل تحرك ، فإنه أصلحُ لك ، فقال : أقول هذا ؟ قال : وما أنا قاتله
ولكن الله عز وجل أمر به ، قال لمريم عليها السلام : ﴿ وَهْزِي إِلَيْكَ إِلَيْكَ الْجِذْعَ
النَّخْلَةِ تَسَاقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا غَيْرَ الْمُحْتَاطِ ﴾^(٢) ولو شاء لأنزله عليها .

وأنشد الثعالبي :

ألم ترَ أن الله أوحى لمريم وهْزِي إِلَيْكَ الْجِذْعَ يَسَاقِطُ الرُّطْبُ

(١) سقط الزند ١٣٧١ .

(٢) سورة مريم ٢٥

ولو شاء أن تجنّبه من غير هزّها جنّته ، ولكن كل شيء له سبب
وقال موسى بن عمران عليه السلام : لا تلوموا السّفر ؛ فإنّي أدركت فيه ما لم
يبدركه أحد ؛ يريد أن الله كلمه فيه .
ونظم هذا المعنى حبيب فقال :

فإن موسى صلى على روحه الله صلاةً كثيرة القدس^(١)
صار نبياً وعظماً بعبّيته في جذوة للصلاة والقبس^(٢)
قال المأمون : لأشياء ألدّ من السفر في كفاية ؛ لأنك تحلّ كل يوم في محلّة
لم تحلّها ، وتعاشر قوماً لم تعاشرهم .

الثعالبي : من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار ، وبدائع
الأقطار ، ومحاسن الآثار ، ما يزيد علمه بقدره الله ، ويدعوه إلى شكر نعمته .

وفي الأثر الصحيح : سافروا تصحّوا وتغنموا .

آخر : السفر يشدّ الأبدان ، وينشط الكسلان ، ويشهّي إلى الطعام .

آخر : ليس بينك وبين بلد نسب ، فخير البلاد ما حملك .

قال ابن رشيّق : كتبت إلى بعض إخواني : مثل الرجل القاعد - أعزّك الله -
كمثل الماء الراكد ، إن ترك تغير ، وإن تحرّك تكدر ، ومثل المسافر كالسحاب
الماطر ، هؤلاء يدعونه رحمة ، وهؤلاء يدعونه نقمة ، فإذا اتصلت أيامه ، ثقل
مقامه ، وكثر لؤامه ، فاجمع لنفسك فرجة الفية ، وفرحة الأوبة ، والسلام .

وقال ابن رشيّق :

غِبْ عن بلادك وارْجُ حسن معيّة إن كنت حقا تشكى الإقلا^(٣)

(١) ديوانه ١٧٠ . والقدس : الطهارة

(٢) البنية : الطالب . الجذوة : الحرة ، والصلاة ، التدفؤ .

(٣) نغله في التنف ٥٩

فالبدرُ لم يُجَحِّفْ به إداره ألا يسافر يطلب الإقبالا
وقال أبو الطيب :

وما بلد الإنسان غير الموافق ولا أهله الأدنون غير الأصادق^(١)
وقال البحتري :

وإذا ما تذكرت لي بلاداً أو صديق فإنتى بالخيار^(٢)
وقال أبو الطيب :

إذا لم أجد في بلدة ما أريده فمندی لأخرى عزمة وركاب
وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفسي إلى أهل وأوطان^(٣)
تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

أي لا يمنعك الشوق إلى الوطن في الغربة من الاستمتاع بلذة العيش ،
فالأرض واحدة ، والناس جنس واحد . وفي غير الحماسة :

لا يمنعك خفض العيش في دعة من أن تبدل أوطاناً بأوطان
برفع « خفض » ، أي لا يمنعك عيشك الهنيء في بلدك أن تجول في البلدان ،
وترى الناس ، تستفيد النزهة والتجربة .

وقالوا : المسافر يسمع العجائب ، ويكشف التجارب ، ويحلب المكاسب ..
أوحش أهلك إذا كان أنسك في إباحشهم ، واهجر وطنك إذا نبت نفسك عنه .
قيل لأعشى بكر : إلى كم ذا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدعة ! قال : لودامت
الشمس عليكم يومين الملتموها .

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٩٨٢

(٣) ديوانه ١٠١ ، ديوان الماني ١ : ١٩٢ .

أخذه حبيب فقال :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدُ^(١)
فَأَتَى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
وقال الحكماء : لا تُنَالِ الراحة إلا بالتعب ، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب .

وقال حبيب :

على أنني لم أحوِ وَفراً مَجْمَعاً ففرت به إلا بشملٍ مَبْدُودٍ^(٢)
وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ يوماً مَسْكناً أَلَدَ به إلا بنومٍ مُشَرَّدٍ
وقال ابن عبد ربه : هل يجوز في عقل ، أو يمثل في وهم ، أو يصح في قياس ،
أن يُحَمَّدَ زرعٌ بغير بذر ، أو يثمر مالٌ بغير طلب ، أو تُجَنَّى ثمرةٌ بغير غرس ،
أو يُورَى زندٌ بغير قدح ! وقد يكون الإكداء مع المكدة ، والخفية مع الغيبة .

وقال الشاعر :

وما زلت أقطعُ عَرْضَ البلادِ من المشرقين إلى المغربين
وأدّرعُ الخوفَ تحت الدجى وأستصحبُ الجدَى والفرقدَيْنِ
وأطوى وأنشرُ ثوبَ الهمومِ إلى أن رجعتُ بِخُفَى حُنَيْنِ
وقال ابن رشيقي :

يُعْطَى الْفَتَى فِينَالُ فِي دَعَا ما لم ينل بالكد والتعب^(٣)
فاطلبْ لنفسك فَضْلَ رَاحَتِهَا إذ ليست الأشياءُ بِالطَّلَبِ
إن كان لا رزقٌ بلا سببٍ فرجاء ربك أعظمُ السَّبَبِ

وقال محمد بن يسير :

(١) ديوانه ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) ديوانه ١٠٠ . وفيه : « ولكني لم أحو » .

(٣) نقله في التنف ١١ .

قد يُرْزَقُ الخافضُ المقيمُ وما شدَّ لعنسي رَحَلًا ولا قَتَبًا^(١)
ويحرم المسال ذو المطية والرء حل ومن لا يزال مُفْتَرِبًا
وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المرء لم تتعب رواحله ويحرم الرزق بالأسفار والتعب
إني وعمرك ما أحصى ذوى حق الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب
ولآخر :

ألا رب باغى حاجة لا ينالها وآخر قد تُقَفَّى له وهو جالس
آخر :

قد يُرْزَقُ المرء، لا من حسن حيلته وبصرف الرزق عن ذى الحيلة اللهأى
مامسى من غنى يومٍ ولا عدمٍ إلا وقولى فيه : الحمد لله
آخر :

لو كان باللب يزداد اللبيب غنى لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يقصى اللبيب، ويعطى كل ما خور
ومثل هذا قليل فى كثير وإنما يحكم بالأغلب ، والفج مع الطلب أكثر،
والحرمان للعاجز أصعب ، وشرح حبيب هذا المعنى يقال :

هم الفقى فى الأرض أغصانُ المنى غُرِسَتْ وليست كل حين تُورق
أوصى بعض الحكماء ابنه وأراد سفرا ، فقال : إنك تدخل بلدا لا تعرفه،
ولا يعرفك أهله ، فتمسك بوصيتى تدنق بها ؛ عليك بحسن الشائل ؛ فإنها تدان على
الحرية ، وبقاء الأطراف فإنها تشهد بالملوكية ، ونظافة البرزة فإنها تشهد بالنسب فى
النعمة ، وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة ، والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة ،
وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، والزم

(١) الأغاني ٥ : ٢١ ، من أبيات نسبها إلى بن عبد الأسد

الحياء والأئمة فإنك إن استحييت من الفظاظة اجتنبت الخساسة ، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة .

قوله : «لَقِيتُ» ، أخذت ، واللَّقَفَ : أخذ ما يرمى إليك بيده . ثَقِفَتْ : قيدت ، ويمدح الرجل الحازم به فيقال : فلان ثَقِفَ لَقِفَ . والأريب : العاقل ، وقد أرب أرابة وأرباً ، صار أريباً ، والأريب من أربت العقدة أرباً ، شدتها . يستميل : يستنزل ويدعوه أن يميل إليه . يستخلص مراضيه ، أى يحوزها لنفسه . ومراضيه : ما يرضى القاضى ويوافق ، وهو جمع مَرْضَاة ، ويقال : صلة الرحم مَرْضَاة للرب ، أى يرضيه برّها ، يقول : العاقل إذا دخل بلدة استعطف قاضيتها لنفسه ، بحسن خلقه حتى يخفّ عليه أمره . اِشْتَدَّ : ليتقوى . جَوَزَ : ظَلَمَ ، إِمَاماً : قُدُوءَ ، زامماً : حبلاً أقودها به . ولجت : دخلت . عرينة : بلدة ، وأصلها بيت الأسد . الراح : اسم الخمر ، وأبهم على ابن الرومى ممّ اشتق اسمها حين قال :

والله ما أدرى لأبنة عِلَّةٍ يدعونها فى الراح باسم الراح
ألريحها أم رُوحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها الراح !

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والأربعين .

عنايته : اعتناؤه به واهتمامه .

* * *

فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عشية عريّة ، وقد أخضرت مآل الصدقات ، ليُفَضَّهُ عَلَى ذَوَى الْفَاقَاتِ ، إذ حلّ شخص عَفْرِيّةٌ ، تَعْتَلُهُ امرأة مُصْبِيّةٌ ، فقالت : أَيْدِ اللهُ الْقَاضِي ، وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاضِي ، إِنِّي امرأةٌ من أكرم جزئومة ، وأطهر أرومة ،

وَأَشْرَفَ خُثُولَةٍ وَعُمُومَةٍ ، مَبْسَمِي الصَّوْنِ ، وَشَيْعِي الْهَوْنِ ،
وَوَخُلُقِي نِعَمَ الْقَوْنِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي
بُنَاةَ الْمَجْدِ ، وَأَرْبَابُ الْجَدِّ ، سَكَتَهُمْ وَبَكَتَهُمْ ، وَعَافَ
وَصَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ بِحِلْفَةٍ ، أَلَّا يُصَاهِرَ
غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ .

° ° °

[ذكر الإسكندرية]

مدينة عظيمة من بلاد مصر ، بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهو الذي
مشى مشارق الأرض ومغاربها . قال السدي : لما سأل أهل الكتاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، قال : سأخبركم كما تجدونه مكتوباً عندكم :
إِنَّ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَنَّهُ غَلَامٌ مِنَ الرُّومِ ، أُعْطِيَ مُلْكًا ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، فَابْتَنَى عِنْدَهَا مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا الْإِسْكََنْدَرِيَّةُ .

وقال الهمداني : ذو القرنين ينسب إليه التاريخ قبل الإسلام ، ومؤدبه
أرسطاطاليس الحكيم ، وكان مُلْكُهُ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ أَقْصَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ خَمْسَةَ عَشَرَ
عَامًا ، وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةُ لَمَّا بَنَاهَا رَخَّهَا بِالرَّخَامِ الْأَبْيَضِ جُدُّهَا وَأَرْضُهَا ، فَكَانَ
لِبَاسُهُمْ فِيهَا السَّوَادُ مِنْ نَصُوعِ بَيَاضِ الرَّخَامِ ، وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ مَقْمَرَةٌ يُدْخِلُ
الْخِيَاطُ الْغَيْطَ فِي خَرْقِ الْإِبْرَةِ مِنْ بَيَاضِ رَخَامِهَا .

وقيل : إنها مكنت سبعين عامًا لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء
من بياض جِصِّهَا وَرُخَامِهَا ، وَلَمْ يَحْتَجْ لَهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَى سِرَاجٍ بِاللَّيْلِ مِنْ
ضِيَائِهَا . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور .

قال ابن جبير: ما شهدنا^(١) بلداً أوسع مسالكاً، ولا أعلى بناءً، ولا أعتق. ولا أحفل من الإسكندرية، وأسواقها في نهاية الاحتفال. ومن أعجب ما في وصفها: أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق، لأن الماء إذا جاء من النيل يخرق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض، فتتصل الآبار بعضها ببعض، ويمد بعضها بعضاً، وعائناً فيها من سوارى الرخام وألواح كبراً وعلواً واتساقاً وحسناً مالا يتخيل إلا بالوهم؛ حتى إنك تلقى بعض سوارىها يفض بها الجو صموداً لا يدري معناها. ولا لأي شيء وضعت إلا ما يتحدث به أنه كان عليها من قديم الزمان مبانٍ للفلاسفة وأهل الرئاسة. ومن أعظم عجائبها المنار، آية للمتوسمين، وهداية للمسافرين، لولاه ما اهتموا في البحر إلى بر الإسكندرية، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً، ومبناه في نهاية العتاقة والثاقة طولاً وعرضاً، يراحم الجو سموً وارتفاعاً ينحصر عنه الوصف، وينحصر دونه الطرف، الخبر عنه يضيّق، والشاهدة له تسع، ذرّعنا أحد جوانبه الأربع، فالتينا فيه ثقباً وخمين باعاً، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمين قامة.

وأما داخله فمرأى هائل، اتساع معارج، ومدخل^(٢) وكثرة مساكن. حتى إن الواج في مسالكه ربما ضل. وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة، يبرك الناس بالصلاة فيه، طلعنا إليه، وشهدنا من شأن مبناه عجباً لا يستوفيه وصف واصل. والله تعالى لا يخفيه من عزة الإسلام.

قوله «عشية عربية»، أي باردة. يفصه: يفرقه. ذوى الفاقات: أهل الفقر والحاجات. عنبرية: يقال رجل عنبرية وعنبر وعنبري، إذا كان صحيحاً شديداً موثقاً.

(١) رحلة ابن جبير ٩، ١٠ بتصرف.

(٢) ط: «دواخل»، وما أثبتته من أ، ب وابن جبير.

الخلق ، أخذ من عَفَرِ الْأَرْضِ : وهو التراب ، أى من عُلِقَ به عَفَرُه بِالْأَرْضِ . ومنه
 لَيْثٌ عَفِيرٌ ، أى لَيْثٌ لِيُوْثٌ ، مُعَفَّرٌ لِفَرِسَتِهِ . قَالَ الْخَلِيلُ : رَجُلٌ عَفَرٌ بَيْنَ الْعَفَارَةِ ،
 إِذَا وَصِفَ بِالشَّيْطَانَةِ ، وَالْعَفِيرُ أَيْضًا : الظَّرِيفُ الْكَيْسُ ، وَيُقَالُ لِلشَّيْطَانِ : عَفِيرٌ
 وَعَفِيرَةٌ ، وَهِيَ عَفَارِيَةٌ . وَقُرِئَ : ﴿ قَالَ عَفِيرَةً مِنْ الْحِنْ ﴾ ^(١) ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنْ
 اللَّهُ لَيُبَغِّضَ الْعَفِيرَ النَّفَرِيَّةَ » ، قِيلَ هُوَ الْجُمُوعُ الْمُنُوعُ .

وَقَالَ أَبُو عُمَانَ التَّهْدِي : دَخَلَ رَجُلٌ عَظِيمَ الْجِسْمِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : مَتَى عَهْدُكَ بِالْحَيِّ . قَالَ : مَا أَعْرِفُهَا ، قَالَ : فَبِالصَّدَاقِ ؟ قَالَ :
 مَا أَدْرِي مَا هُوَ ! قَالَ : أَفَأَصِيبُ بِمَالِكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرُزْتُ بِوَلَدِكَ ؟ قَالَ :
 لَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يُبَغِّضَ الْعَفِيرَ النَّفَرِيَّةَ » ، وَهُوَ الَّذِي
 لَا يَرْزَأُ فِي بَدَنِهِ وَلَا يَصَابُ فِي مَالِهِ .

وَقَوْلُهُ : « تَعْتَلُهُ » ، أَيْ تَسْوِقُهُ بِعَنْفٍ ، وَكَذَلِكَ تَدْعُهُ مُصْبِيَةٌ : لَهَا صَبِيٌّ .
 جَرْنُومَةٌ : أَصْلٌ ، وَكَذَلِكَ أَرْوَمَةٌ . مَيْسَى : عَلَامَتِي . الصَّوْنُ : الصِّيَانَةُ
 وَالْإِقْبَاضُ . شَيْمَتِي : طَبِيعَتِي . الْهَوْنُ . الرِّفْقُ . بَوْنٌ : بُعْدٌ . بِنَاءٌ : جَمْعُ بَانٍ ،
 وَالْجِدُّ : الشَّرَفُ الضَّخْمُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِبِلِ الْمَوَاجِدِ ، وَهِيَ الَّتِي امْتَلَأَتْ
 بِطَوْنُهَا مِنَ الرِّعَى وَعَظُمَتْ . وَأَجْمَدُ هَارِاعِيهَا ، إِذَا رَعَاهَا بِحَيْثُ تَجَدُّ ، وَتَجَدُّتْ
 وَهِيَ تَجَدُّ : رَعَتْ فَامْتَلَأَتْ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أُتِيَتْ شُعْبَةُ يَوْمًا ؛ وَعِنْدَهُ
 حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَهَمَا يَتَكَلَّمَانِ فِي حَدِيثٍ فَقَالَ شُعْبَةُ : يَا أَبَا سَلَمَةَ ، هَذَا الْفَتَى الَّذِي
 ذَكَرْتَ لَكَ ، فَقَالَ حَمَادُ يَا بَنِيَّ كَيْفَ تَنْشُدُ بَيْتَ الْحَطِيطَةِ : « أَوْلَيْتُكَ قَوْمٌ . . » ؟
 فَابْتَدَأَتْ الْقَصِيدَةَ مِنْ أَوَّلِهَا :

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَ مَا هَجَعَتْ هِنْدُ وَقَدَسِرْنَ خَسَاوَاتِلَ بِهَا الْجِدَّ ^(٢)

(١) هِيَ قِرَاءَةُ عَيْسَى الثَّقَفِي ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ١٣ : ٢٠٣ .

(٢) دِيوَانُهُ ١٩ ، ٢٠ .

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا إليَّ وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا^(١)
فقال لى حماد نيا بنى إن العرب تقول : بنى يبنى بناءً فى العمران ، ويقولون
فى الشرف : نيا يندبو نَبَوًا ، فأنشد هذا البيت « أحسنوا إليَّ » ، فمرفت قدّر
حماد من ذلك فما كنت أنشد إلا كما لقننى .

قوله : « أرباب الجدّ » . أى أصحاب السعد والمال ، والعرب تقول : لفلان .
جدّ فى الدنيا ، أى حظ وبخت ، قال امرؤ القيس :
* وقام جدّهم بينى أبيهم^(٢) *

وقال آخر :

عش بجدّ ولا يضرّك نوّك إنما عيش من ترى بالجدود
وجدّ الرجل : صار له جدّ ، وأجدّه الله : جعل له جدًّا ، وما كنت
ذا جدّ ، ولقد جدّدت تجدّ ، ورجل جديد : حافىظ من الجدّ والحظّ .
أبو عبيد قوله : « ولا يذفع ذا الجدّ منك الجدّ »^(٣) ، أى ولا يذفع ذا الننى .
منك غناه إنما تنفعه طاعته . يعقوب : أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه
ذلك فى الآخرة .

بكتّهم : قطع كلامهم وأهانهم . عاف : كره . وضائهم : اتصلهم به ،
والوُصلة : سبب التواصل ، وهى فى الآدميين ما يصل واحدًا بآخر من حبّ وغيره ،
والوُصلة بالفتح : ما جعلته بين عود وعود ، أو حبل وحبل ، فوصلتهما به . صلّتهم :
عطيتهم . حلقة : يمين . يصاهر : يخاتن . حِرْقة : صنعة ومكسب ، وهى فِيلة
من الحرف وهو الحرمان ، والحارَف : المحروم ، كأن صاحبها منع الرزق ، فصار
يعالج كسبه .

(١) ديوان : ١٣٨ و بقبته :

* وبالأشقين ما كان العقاب *

(٢) اللسان - جدّه ، وفى رواية : الجدّ ، بكسر الجيم ، أم الاجتهاد والصل .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير الكسب كسب
يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ » .

سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمل
الْأَبْرَارِ مِنَ الرِّجَالِ الْخِيَاطَةُ ، وَمِنَ النِّسَاءِ الْغَزْلُ » .

فَقِيْضَ الْقَدَرُ لِنَصِيٍّ وَوَصِيٍّ ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَاعُ
نَادَى أَبِي ، فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ، أَنَّهُ وَفَى شَرِّطِهِ ، وَادَّعى أَنَّهُ طَامًا
نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ ، فَبَاءَهُمَا بَيْدَرَةٌ ؛ فَاغْتَرَّ أَبِي بِزُخْرَفِ مُحَالِهِ ؛
وَزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِدَاسِي ، وَرَحَّلَنِي
عَنْ أَنَاسِي ، وَتَقَلَّنِي إِلَى كَسْرِهِ ، وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أُسْرِهِ ، وَجَدْتُهُ
قُعْدَةً جُنْمَةً ، وَالْفَيْئَةُ ضُجْمَةٌ نُومَةٌ . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِرِيَاشٍ
وَزِيٍّ ، وَأَثَاثٍ وَرِيٍّ ، فَمَا بَرِحَ يَبِيْعُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ ،
وَيُتْلِفُ ثَمَنَهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ ، إِلَى أَنْ مَزَّقَ حَالِي بِأُسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ
مَالِي فِي عُسْرِهِ .

۔ ۔ ۔

قوله : « فيص » ، أى قدر وساق . نَصِيٍّ : تعبي . وَوَصِيٍّ : مرضى ،
ونصيب الرجل نَصَبًا . أَعْيَا مِنْ التَّعَبِ ، وَوَصَبَ وَصَبًا : أُنْعِمَ الْمَرَضُ ، فَهُوَ نَصِيبٌ
وَوَصِبٌ . الْخُدَاعَةُ : الْكَثِيرُ الْخُدَاعِ لغيره ، وَبِسُكُونِ الدَّالِ الَّذِي يَخْدَعُهُ غَيْرُهُ
كَثِيرًا ؛ التَّحْرِيكُ لِلْفَاعِلِ وَالسُّكُونُ لِلْمَفْعُولِ فَيَأْتِي عَلَى « مُعْلَمَةٍ » مِنَ الصِّفَاتِ .
نَادَى : مَجْلَسٌ . رَهْطُهُ : قَوْمُهُ ، وَهُوَ اسْمُ الْجَمَاعَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ ، وَيَجْمَعُ

أَرْهَطُ وَأَرَاهُطُ . وفق شرطه : أى موافق ما اشترط . نَقَطُ دُرَّةً ، يريد أنه
 جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ . بَذَرَةُ : عشرة آلاف درهم ، وأراد بالدُرَّة هنا
 الكلمة ، ويعبر بها عن الحكمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَا تَدْعُوا الدُّرَّةَ
 فِي أَفْوَاهِ الْكَلَابِ » ، يعنى العلم . اغترت : انخدع ، وهو افتعل من الغرور . زخرف
 محاله : تزين باطله ، وأصل زخرف : زين الشيء بالزخرف وهو الذهب .
 كِنَاسِي : يبتى وأصله للظبي ، وهو من قوله تعالى : ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَاسِ ﴾ ^(١) تشبيهاً
 لها بالظباء على ما ذكره ابن قتيبة ؛ ويقال له : كُنَاسٌ وَمِكنَسٌ من الكُنَس ،
 كَانَ الظبية قد كنست مرقدها ووطأتها . رَحَلَنِي : نقلني وَحَلَنِي على الرَّحْلِ .
 كِسْرُهُ : بيته ، وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء ، لأن جانب الخباء قد
 انكسر عن يمينه . أَسْرُهُ : حبسه . قُعْدَةُ : كثير القمود . جُمْتُة : كثير الجثوم ،
 وهو ملازمة للموضع . ضُجْجَةُ : كثير الاضطجاع ، وهو الامتداد على الأرض
 للنوم . نَوْمَةُ : كثير النوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَمْ يَلْقَ
 مِنْ اللَّهِ » ، وذكر الذى يكثر النوم بالنهار ، ولم يأخذ من الليل شيئاً ، وفي حديث
 آخر : « خَيْرُ أَهْلِ شَرِّ الزَّمَانِ مُؤْمِنٌ نَوْمَةٌ » . أَبُو عبيدة : هو الخامل الذى ذكر
 الذى لا يعرف الشر وأهله ، فتريد أنه عاجز قد لازم بيتها ، فإن تصرف فيه
 اعترضها ممتدأً ، فلا تجد معراحة . رِيَاشٌ : ثياب ، « فِعَالٌ » من الرِّيش ، لأنها تكسو
 البدن كما يكسو الرِّيش الطائر . زِيَى : هيئة حسنة من اللباس . أُنَاثٌ : متاع .
 رِيَى : حالة حسنة ، وأصله الهمز ، فَسَّهَلَ وَأُدْغِمَ لِيُوَافِقَ « زِيَاً » . قال ابن الأثير :
 الْأُنَاثُ : اللِّتَاعُ . وَالرَّوْزَى وَالرَّؤْءَا : للنظر ، وما له رؤاء أى ماله منظر ولا لسان .
 وَالْحَرْفَانِ ، مَنْ رَأَيْتُ أَرَى . مَا بَرَحَ : مَا زَالَ . الْهَضْمُ : التَّقْصَانُ . اتْلَخَضَمُ :
 الْأَكَلَ بِالْفَمِ كُلَّهُ . وَالْقَضْمُ : الْأَكَلَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ . مَزَقَ : قَطَعَ وَأَفْسَدَ .
 حَالِي : غِنَايَ ، وَيُرْوَى « مَالِي » مَكَانَ « حَالِي » ، وَمَا فِيهِ بِمَعْنَى الَّذِي كَانَهُ قَالَ : فَرَقَ

الذى لى ، ورواية ابن ظفر «بالي» بالباء ، وقال : البال : الخاطر ، وما لهذا الشيء .
بال ، إذا حَقَرْتَهُ ، والبال كالحلْد ، تقول خَطَرَ بِيَالِي ، كما تقول : خَطَرَ بِحَلْدِي .
ونفسى ، وكانَ هذا هو الأصل . والبال : الحال أيضاً ، ومنه قوله :

* وخالف بال أهل الدار بالي *

عسره ، أى فقره .

* * *

فَلَمَّا أُنْسَانِي طَعْمَ الرَّاحَةِ ، وَغَادَرَ يَتِيئِي أَنْتَى مِنَ الرَّاحَةِ ،
قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّهُ لَا نَحْباً بَعْدَ بُؤْسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ ،
فَانْهَضْ لِلْاِكْتِسَابِ بِمِصْنَاعَتِكَ ، وَأَجْنِبْنِي ثَمَرَةَ بَرَاءَتِكَ ؛ فَرَعَمَ أَنَّ
صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ ، لِأَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ ،
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ ، وَكِلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ
شَبَعَةٌ ، وَلَا تَرْفَأُ لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمْعَةٌ ، وَقَدْ قُدَّتُهُ
إِلَيْكَ ، وَأَخْضَرَّتُهُ لَدَيْكَ ، لِنَتَجِمَ عُوْدَ دَعْوَاهُ ، وَتَحْكُمَ يَدُنَا
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ .

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِزِّكَ ،
فَبَرِهْنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ ،
وَأَمَرْتُ بِجَبْسِكَ ؛ فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَنْعُمَانِ ، ثُمَّ شَمَرَ لِلْعَرَبِ
الْعَوَانِ ، وَقَالَ :

الراحة : القرار والعيش الهنيء ، وأراد : بأنقى من الراحة خلواً الكف
من الشعر . مخبأ : ستر . بؤس : شدة فقر . عطر : طيب .

[أصل المثل : لا عطر بعد عروس]

ولا عطرَ بعد عروس ، مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه ،
وأصله أن رجلاً تزوج امرأة فوجدها تَفَلَّةً^(١) ، فقال لها : أين عطرِك ؟ قالت :
خبأتُه لغير هذا الوقت ، فقال لها : لا مخبأ لعطر بعد عروس ؛ وبهذا اللفظ روى
أبو زيد الأنصاري المثل^(٢) .

البكرى : عروس رجل كانت عنده ابنة عم له ، فأت عنها ، فترتوجها
بعده ابن عم لها آخر ، وهي كارهة ، وانطلق بها إلى أهلِه وقد زودها طيباً في
سَفَط ، فمر بها بقبر عروس ، فأقبلت تبكيه وترفع صوتها ، وتقول : يا عروس الأعراس ،
ويا شديد الباس ؛ مع أشياء لا يعلمها الناس . فأنتهرها زوجها ، وقال : ماتلك
الأشياء ؟ فقالت : كان عن المكارم غير نَمَاس ، يُعْمِلُ السيف صبيحة الباس .
ثم قالت : يا عروس الأعراس الأزهر ، الكريم المحضر ، مع أشياء كانت
تذكر ؛ فازداد زوجها غضباً ، وقال : ماتلك الأشياء ؟ فقالت : كان عيوقاً
للخنا والمذكر ، طيب النكهة غير أبخر ، ثم أخذت السَفَط وكسرتة على قبر
عروس ، ثم قالت : لا عطر بعد عروس ، فذهب مثلاً . فقال زوجها : ارجعي
إلى أهلي ، أنت طالق ، فقالت : إذا أنصرف مغتبطة^(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن عروساً هذا رجل من هذيل ، وامراته
هذلية اسمها أسماء .

قوله : « براعتك » ، أى جودة تدبيرك . سلالة : ولد صغير كما سُئل من بطن

(١) تفل الشيء : تغيرت رائحته ، وامرأة تَفَلَّة ومفالة .

(٢) اللسان - عرس ، جبهة الأمتال ٢ : ٣٩٥ ، الفاخر ٢١١ .

(٣) فصل المقال ٣٣٨

(٢٣ - شرح مقامات الحريري ١)

أُمه ؛ ولهذا سُمِّيَ ولد الناقة عند النَّتَاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى : سليل ، ثم اتسموا في السَّلالة فقالوا : فلان كريم السَّلالة . والخِلالَة : عود تُنقَى به الأضراس من الطعام ، شَبَّهَتْ ولدها به في رِقَّتِه . ترقأ : تنقطع . الطَّوى : الجوع ، وقال النبی صلی الله علیه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يَضِيعَ من يَقوت » . تعجُّم : تحتبر . دَعَوَاه : ما أدَّعاه من الصَّنعة ، وعجمت العود : عضضته بأسنانك لتعلم قوَّته من ضعفه . وعيت : حَفِظْتَ . قِصَصَ عرسك : حديث زوجك . برهن : أظهر حُجَّتَكَ ، والبرهان : الحجة . لبَّسك : تخليطك والتباس أمرك . أطرق : أُمال رأسه إلى الأرض ساكناً . الأَفْمُوان : ذَكَرُ الأَفْعَى ، وهذا منقول من قول للمتيسر :

فأطرقَ إطراقَ الشَّجاع ولو رأى مساعاً لنابيه الشَّجاعُ لصمًا^(١)
ووقع لنا في رواية « لناباه »^(٢) ، وهى لغة . شمر : احتزم . العوان : التى قُوتل فيها مرة بعد أخرى ، وهى أشدُّ ، والمرأة العوان : التى علت في السنِّ ولم تهزم . والعوان : الثَّيب ، كانت ذات زوج أو لم تكن ، وعوت المرأة تعويئاً ، والجمع عُون .

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبُ * يُضْحَكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيُنْتَعَبُ *
أَنَا أَمْرٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ * عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَائِرِهِ رَيْبُ
مَرْجُوحٌ دَارِي الَّتِي وَلِدْتُ بِهَا * وَالْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ اتَّسَبُ
وَشَغْلَى الدَّرْسِ ، وَالتَّبْعُ فِي السِّمْلِ * طَلَّابِي ، وَحَبِذَا الطَّلَبُ
وَرَأْسُ مَالِي سِجْرُ الْكَلَامِ الَّذِي * مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ وَالْخَطَبُ

(١) من الأصعية ٩٢ ص ٢٥٦ ، الشجاع : الحية الذكر ، وساغ ، مفعول من ساغ يساغ ، وأصل معناه سهولة مدخل الشراب في الخلق .

(٢) يحملونه شاهدا على إلزام المثني الألف في إعرابه .

أُغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْشَتَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأُتَخَبُّ
وَأُجْتَنِّي الْيَانِعَ الْجَنِّيَّ مِنَ السَّقُولِ ، وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
وَأَخُذُ اللَّفْظَ فِضَّةً فَإِذَا مَا صُنَّتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أُمْتَرِي نَشَبًا بِالْأَدَبِ الْمُتَقَى وَأُخْتَلِبُ
وَسَتَطِي أَخْصِي لِحْزَمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

• • •

قوله : « يُتَخَبُّ » ، أى يُبْكِى ، ونحب نحياً : أعلن بالبكاء . خصائصه :
فضائله وما يختص به من الأفعال المحمودة . رُبُّ : شكوك . التبخر : التوسع .
حِلَابِي : أى طلي ، وإنما هو العلم ، وذكر التبخر واللالى والغوص وغير ذلك
مجازاً ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما اتعل رجل قطاً ولا تحقّف
ولا لبس ثوباً ليفدّو في طلب علم يتعلمه إلاّ غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته » .
رؤى عن عائشة رضى الله عنها أنّها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « من اتعل ليتعلم خيراً غفر الله له قبل أن يخطو » .

ابن عباس رضى الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الفدّو والرواح
في تعليم العلم خيرٌ عند الله من الجهاد في سبيله » .

ابن مسعود رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ
بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لِيَرُدَّ بِهِ ضَلَالاً إِلَى هَدًى ، أَوْ بَاطِلاً إِلَى حَقٍّ ، كَانَ كَمِبادَةِ مَتْعَبِدٍ
أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قوله : « يَصَاغُ » ، أى يصنع . القريض : الشعر . أغوص : أغيب في الماء إلى
قعره . واللجة : معظم الماء ، جعله للبيان مجازاً . اللالى : جمع لؤلؤة . أُنْتَخِبُ :

أختار . وقال السيب بن عاصم^(١) في وصف الفائص وانتخابه الدرّة وتشبيه المرأة بها :

كجَمَانَةِ الْبَحْرِىِّ جَاءَ بِهَا غَوَاصُّهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ^(٢)
نصف النهار الماء غامرُه وشربكه بالنيب ما بدرى
فأصاب مُنْبِتَه فجاء بِهَا صدقيّة كضيفة الجفري
يُعْطَى بِهَا ثَنَا فِيمَنْعُهَا ويقول صاحبه: ألا تشرى !^(٣)
وترى الصّرارى يسجدون لها ويضمُّها بيديه للنحر
وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهى بيضاء مثل جوهرة الفواصِرِ مُيَزَّتْ من جوهري مكنون.
وقال النافعة :

أو درّة صدقيّة غواصُّها بهرج متى يرها يُهَلِّ ويسجد
قوله: «اليانع» أى الناعم. الجنيّ: الطارى. أمتري نشباً، أى أستخرج
مالاً، ومريتُ ضرع النافعة: مسحته وحككته ليدّر اللبن. والنشب، قيل: هو
القمار وما لا ينقل، وكان مالكة قد نسب إليه حيث لا ينتقل به، كالذى ماله الماشية.
أو الذهب والنضة. المنتقى: المختار، ويروى «المقتنى»، وهو المكتسب. ويقال:
احتلب وحلب حلباً، والحليب: اللبن، وهو الحلاب، والحلاب أيضاً: الإبل بحلب
فيه، وأصله السيلان. وتحلب الضرع: سال، وانحلبت عينه: سال دمعها. يمتطى:
يركب. أخصى: باطن قدمي، وهو ماضر منها وارتفع عن الأرض. حرمته:
أى لرفعتة وشرفه. مراتباً: منازل. والمرتبة منزلة الشرف، من الرتب وهو

(١) ط: «على» تحريف.

(٢) الأبيات في شعراء النصرانية ٣٥٦، وخزانة الأدب ١: ٥٤٥.

(٣) ألا تشرى، أى ألا تبيع، كما ذكره ابن الأثير في الأضداد ٧٤.

ها أشرف من الأرض . والرُّتَب : جمع رتبة ، وهى بمعنى المرتبة ، وأصل الرُّتَب الدَّرَج تُقَطع فى الحجر ليصعد بها إلى أعلى الجبل ، ومنه رتَب فلامه ، إذا أتبع بمضه بعضا على نظام واعتدال . رُفَّت : سُحِت ، من رَفَفَت العروس إلى زوجها إذا أهدبَتهاله . الصَّلَات : العطايا . رَبَّنَى : منزلى . لم أرض كل مَنْ يَهَبُ ، أى لا أرضى أن أكون تحت مِنَّة كل أحد .

* * *

فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلِكُ الرَّجَاءَ بِهِ أ كَسَدُ شَيْءٍ فِي سَوْقِهِ الْأَدَبُ
لَا عِزُّ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلَّا بِمَا لَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفٌ يُبْعَدُ مِنْ نَتْنِهَا وَيُجْتَنَّبُ
فَقَارَ لُبِّي لِمَا مُنِيتُ بِهِ مِنَ اللَّيَالِي وَمَرْفُهَا عَجَبُ
وَصَاقَ ذَرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَسَاوَرَتْنِي الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سُلُوكٍ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحَسَبُ
فَبِغْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبَدٌ وَلَا بَقَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَابُ
وَادَنْتُ حَتَّى أَنْقَلْتُ سَالِفَتِي بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ
ثُمَّ طَوَيْتُ الْخُنْثَى عَلَى سَعَبٍ خَسَا فَلَمَّا أَمَضَنِي السَّعَبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَصًا أَجُولُ فِي يَنْعَمٍ وَأَضْطَرِبُ

* * *

مَنْ يَمْلِكُ : معنى من استفهام ^(١) . يَرْقُبُ : يَرعى . إِلَ : قرابة ، وإِلَ : بقاء

(١) حاشية ط : قوله : مَنْ استفهام ، الظاهر أن من موصولة وعبارة غيره ؛ أى أن من يطلق به الأمل ، ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف ، حتى صار ذلك كالسلطة بالكسادة عنده . انتهى بالحرف . مصححه .

عهد . وسبب : معرفة وصحبه ، والسبب : العلم ، ومنه : ﴿وَاتَيْنَاكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ؛ وأصله الخبل ؛ ثم يستعمل في كل ما يرتبط شيئاً بشيء ، من كلام أو غيره . عِرَاصِهِمْ : مواضعهم ، وأصل العِرَاصَةُ ، فناء الدار . يقال : لَبَّ الرَّجُلُ يُلَبُّ لَبَابَةً ، ورجل ملبُوب : موصوف باللبابة ، ولُبَّ كل شيء من الثمار ولبابه : داخله ، ولَبَّ كل شيء : خالسه . مُنِيت : ابتليت وقُدِّر لي . صَرَفُهَا : قلبها وتصرفها بما بكره . دَرَعِي : كناية عن صدرى وخُلُقِي ، وأصل الذَّرْع : كيل الشيء بالذراع ؛ ثم صار مثلاً ، يقال : ضاق دَرَعِي بسكذا إذا لم تحمله . وضاق تصرفك فيه . ذات يدي ، أى مالى . ساورتنى : واثمتنى . السكرت : الهموم ، وكررتها لاختلاف اللفظ . المَلِيم : الذى أتى بما يُبْلَم عليه . سُلُوك : دخول . يستشينه : يستعيبه ، والشَّيْن : العيب . لَبَد : شيء لا قليل ولا كثير ، وأصله الصَّوْف ، وأكثر ما يستعمل مُزْدَوِجاً مع سَبَد ؛ يقال : ما عنده سَبَد ولا لَبَد ، أى لا شعر ولا صوف ، ويراد بها نقي الإبل والغنم ، ثم صار نقياً لكل شيء من المال . بَتَات : زاد . أَقْلَب : أرجع .

أَدَّت : أخذت بالدين ، وفي حديث عمر : «فَادَّانُ مُعْرِضًا»^(٢) . والسالفة : صنعة العنق ، يريد أن هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العطب ، والعطب : الذى هو الهلاك دونه فى الشدة . عائشة رضى الله عنها : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذِلَّ عَبْدَهُ ابْتِلَاهُ بِالَّذِينَ وَجَعَهُ فِي عَقَقِهِ» ، وقال أنس رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إِيَّاكُمْ وَالَّذِينَ فَإِنَّهُمْ بِاللَّيْلِ وَمَدَلَّةَ النَّهَارِ» ، وروى جابر رضى الله عنه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لَا إِلَهَ إِلَّا هُمُ الدِّينُ وَلَا وَجَعٌ إِلَّا وَجَعُ الْعَيْنِ» .

الحشى : أسقاط الجوف . سَقَب : جوع . أَمْضَى : أحرقتى . جهازها :

(١) سورة الكهف ٨٤ .

(٢) فى حديثه عن أسيف جبينه ، أى استعان مرضاً . النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٩ .

متاعها الذي جاءتني به ، والجهاز ، متاع البيت ، يريد شوارها . عَرَضًا ، أراد « عَرَضًا » فحركة ضرورة ، والعرض الأمتعة هنا ، أخبرني بهذا مَنْ يوثق به في اللغة : والعرض خلاف النقد مشهور في اللغة . وفي المين : العَرَض ، بفتح الراء : كثرة المال ، فيقول : لمتا لم يبقَ لي مالٌ لم أرَ مالاَ إلا جهازها ، فيكون على هذا أتم معنى ، ويخرج عن الضرورة التي ألزمته ذلك التحريك . أحول : أتصرف . أضطرب : أكثر التردد والتصرف .

* * *

فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ	وَالْمَيْنُ عَبْرِي وَالْقَلْبُ مَكْتَنِبٌ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَّثْتُ بِهِ	حَدَّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ النَّضْبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُمَهَا	أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا	زَخَرَفْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرْبُ
فَوَالَّذِي سَارَتْ الرُّفَاقُ إِلَى	كَمَيْتِهِ نَسْتَحِثُّهَا الشُّجْبُ
مَا الْمَكْرُ بِالْمُحْصَنَاتِ مِنْ شَيْمِي	وَلَا شِعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نِيطَ بَهَا	إِلَّا مَوَاضِي الْبِرَاعِ وَالْكَتْبُ
بَلْ فِسْكَرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ لَا	كَفِّي ، وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا الشُّجْبُ
فَهَذِي الْحِرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى	مَا كُنْتُ أَخْوِي بَهَا وَاجْتَلِبُ
فَأَذَنْ لَشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا	وَلَا تَرَاقِبْ وَاحْكُمْ بَمَا يَجِبُ

* * *

عَبْرِي : باكية . مكتنب : حزين . لعبت وتحركت فيه ؛ يقول :
ما تصرفت في بيعه إلا برضا منها ومنى^(١) . قوله : « تَوَهُمَهَا » ، أى ظننها . خطبتها :

(١) حاشية ط : « قوله : ومنى ، لاحاجة إليه » .

مراسلتها في النكاح . لينجج الأرب : لتفنى الحاجة . تستعظمها : تستعجلها .
 الثُّجُب : الإبل الكرام . المكر : الخداع ، المحصنات : العفاف . شيمى :
 طبائعى . شعارى : علامتى : التوبة ، تقدم في الثامنة . نيط : علق ، وناط الشيء .
 غوطاً : علقه . البراع : الأقلام . والمواضى : السرعة في الكتابة ؛ يريد أنه فصيح
 لا يتوقف قلمه . السُّخْب : جمع سخاب ، وهى قلادة قرنفل ليس فيها جوهر
 ولا لؤلؤ . قال ابن ظر : السُّخْب : العقود من اللؤلؤ وغيره ، ومن الطَّيب
 أيضا . أخوى : أخوز وأجمع .

فاذن : اسمع . لا تراقب : لا تراع مقأ أحدا ولا تؤثره على صاحبه
 وأحكم بيننا بما يجب ؛ وأخذ معنى الأبيات المتقدمة من قول ابن هرمة :
 إني امرؤ لأصوغ الحلى بعمله كفاى لكن لسانى صائغ الكلام
 وقال آخر :

وإني لنظام القلائد للعلا ولستُ بنظام القلائد للنَّحر

قال : فلما أحكم ما شأده ، وأكمل إنشأده ، عطف القاضى إلى
 الفتاة ، بعد أن شغف بالأبيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع
 الحكماء ، وولاة الأحكام ، انقراض جيل الكرام ، وميل الأيام
 إلى اللثام ، وإني لإخال بملك صدوقا في الكلام ، برىا من الملام ،
 وهامو قد اعترف لك بالقرض ، وصرح عن المحض ، وبين مصداق
 النظم ، وتبين أنه معروق العظم ؛ وإغنيات المُنْذِر مَلْأمة ، وحسبُ
 المُعْسِر مَلْأمة ، وكيماؤ الفقير زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر

عِبَادَةَ ، فَارْجِي إِلَى خَيْرِكَ ، وَاعْذُرِي أَبَا عَذْرِكَ ، وَتَهْنِئِي
مِنْ غَيْرِكَ ، وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي
الصَّدَقَاتِ حِصَّةً ، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهِمَا قَبْضَةً ، وَقَالَ لَهُمَا :
تَمَلَّلَا بِهَذِهِ الْمَلَالَةِ ، وَتَنَدَّيَا بِهَذِهِ الْبِلَالَةِ ، وَاصْبِرَا
عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكُدِّهِ ، فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَهَضَا وَالشَّيْخُ فَرَحَةً الْمُطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ ،
وَهَزَّةَ الْمُوَسَّرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ .

قوله : « أَحْكَمْ » ، أى أَتَقَنَ . شاده : بناه وزينه ، وشاد البناء : أطاله وعمله
بالشَّيد ، وهو الحِصْنُ ، ويقال فيه : أشاد ، ويقال : شاد عمله بالشَّيد وأشاده : أطاله ،
هو الأول ، وأشاد الحديث : رنمه ، وعطف : ثنى عُنُقَهُ وَرَدَّهَا ، وكل ما تننيه
من عُنْقٍ أَوْ جَارِحَةٍ أَوْ عُودٍ فَقَدْ عَطَفْتَهُ . شُعِفَ : أعجب . اقراض : اقتطاع
وهلاك . جيل : صِنْفٌ ، وَجِيلُكَ : أَهْلُ عَمْرِكَ . بَيْتُكَ : زَوْجُكَ ، وَبَيْتُ الرَّجُلِ
بُؤُولُهُ : تَزْوُجُ . والقرض : السَّلْفُ ، أَرَادَ بِهِ مَا أَعْطَاهُ مِنْ ثَمَنِ جَهَازِهَا سَلْفًا .
صرح : بَيَّنَ . وصرح عن المخض ، مثل يضرب لسرِّ الأمر ، إِذَا انْكَشَفَ ،
وَقَالُوا : أَمْرٌ صُرِّحَ ، أى مَنْكَشَفَ ظَاهِرٌ ، والصريح من اللبن : الخوض الخالص
الذى لَا رَغْوَةَ فِيهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبَنِ الصَّرِيحُ ^(١) *

ثم قالوا : لكل شئٍ خالص : صريح . وقوله : « بَيْنَ مُصَدِّقِ النِّظْمِ » ، يريد
أَنْ نَظَّمَهُ إِنَّمَا هُوَ لِلشَّعْرِ لَا لِلْجَوْهَرِ . معروق : لَا لَحْمَ عَلَى عَظْمِهِ ، أى هُوَ فَقِيرٌ

(١) أصل اللؤلؤ : « تَحْتَ الرِّغْوَةِ الصَّرِيحِ » ، وأول من قاله عامر بن الطرب . وانظر
جمهرة الأمثال ١ : ٢٧٠ .

إعنات : مشقة . العذر : الذى يجهد نفسه فى الشئ ثم لا يستطيعه ، يقال : قد أعذر ، أى قد بين عذره أنه لا يقدر عليه ، وعذر فهو معذر ، إذا قصر فى طلب الشئ ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ ^(١) ، وقال ابن دريد :
* حكم المعذر غير حكم للمعذر *

الملائمة والملائمة : اللزوم والإيناس . والمسر : الفقير : والزهادة : قلة الرغبة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَاعَ وَاحْتاجَ فَكُتِبَ لَهُ النَّاسُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ رِزْقَ سَنَةٍ مِنْ حَلَالٍ » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثاً إلا أتاهم الله عز وجل برزق » .

خدرك : يبتك ، وأصله الشتر يكون خلفه الجارية المحجوبة . أبا تذرك : زوجك المقتض لك . نهى : كفى . غربك : حدة لسانك . وقيل : معنى « نهى » من غربك ، أى غيضى من دموعك ، والغرب : قيض الدمع ، والأوّل أشبه . سلمى : اقشادى . قرص ، أى أوجب . حصّة : نصيب . ناولها : أعطاهما . قبضة : ما أخذت بأطراف أصابعك . العلالة : الشئ القليل . تغلّا : خذا منه شيئاً بعد شئ ، وكذلك تغلّا ، وأصل العلالة بقية المساء فى الإناء ، وبقية اللبن فى الضرع بعد الحلب ، قال الراجز :

* يرضعها الدرة والعلالة * ^(٢)

(١) سورة التوبة ٩٠ (٢) اللسان - علل ، وروايته : « يرضع » ، وقوله :

* أتحل أُمى وهى الحلالة *

والبلالة : الندى القليل بيلُّ وجه الأرض . كيد : مكر . كدّه : جهده
وأشد أبو مخجن النفى :

عسى فرجٌ باتى به الله إنه له كلُّ يومٍ فى خليقته أمرٌ
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألح به الدهرُ
إذا اشتدَّ عسرُ قارجٍ يُسرُّ فإنه قضى الله أن العسرَ يتبعه اليسرُ

الإسار : الحبل يشدُّ به الأسير . هزّة : طرب . الموسر : الفنى . الإعسار :
الفقر ، وسئل حكيم : أى الأشياء أحلى ؟ قال : النصرة على العدو بعد الهزيمة ،
والاستغناء بعد الحاجة ، والغلبة للمتكلم .

• • •

قال الراوى : وكنتُ عرفتُ أنه أبو زيد ساعة بزغت
شمسه ، ونزعت عرسه ، وكذت أفصح عن افتنانه ؛ وإثمار
أفئانه ؛ ثم أشفقت من عثور القاضى على بهتانه ، وتزويق
لسانه ، فلا يرى عند عرفانه ، أن يرشحه لإخسانه ، فأحجمت
عن القول إجحام المرتاب ، وطويت ذكراً كطى السجل للكتاب ؛
إلا أنى قلت بعد ما فصل ، ووصل إلى ما وصل : لو أن لنا
من ينطلق فى أثره ، لآتانا بفص خبره ، وبما ينشر من خبره ؛
فأتبعه القاضى أحد أمانه ، وأمره بالتجسس عن أنبائه ،
فما لبث أن رجع متدهنهما ، ومهقر مقتقها ، فقال له القاضى : منهم ،
يا أبا مريم ، فقال : لقد عاينت عجبا ، وسمعت ما أنشأ لى طربا ،

فَقَالَ لَهُ : مَاذَا رَأَيْتُ ، وَالَّذِي وَعَّيْتُ !

• • •

قوله : « نزغت » ، أى طاعت . ونزغت : نشرت وقابلته بالشر والذِّكر
« القبيح » ، وأراد أنه عرفه حين ساقته زوجته إلى القاضي . أفصح : أبين . افتنانه :
تنوعه . إثمار : إخراج الثمر ، وهو حمل كل شجرة . أفنانه : أغصانه . أشفقت :
خافت . عثور : ظهور ، وعثر على الأمر : أطلع عليه . بهتانه : باطله وكذبه .
تزويق : تزين ، وهو من الزَّووق الذى يعرفه العامة بالزَّواق ، أى أنه تزين
فى الظاهر ، وليس له ثبات . عرفانه : تقدّم معرفته . يرشحه : يهبته ، وفلان يرشّح
لكذا ، أى يؤهل له ، من رشّحت الأم ولدها بالابن ، إذا جعلته فى فيه شيئاً بعد
شئ حتى يقوى ، وقيل : الترشيح : التربية ، وقيل : هو تحنُّن الأم على ولدها من
الشدة . أحججت : تأخرت . المرتاب : صاحب الريبة . طويت : سترت . السَّجَل :
الورق . والسَّجَل : المكتوب فيها ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجَلُ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(١) ،
قيل : السَّجَل : اسم كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ملك من السماء الثالثة ترفع
إليه الحظّة أعمال العباد كل خميس وإثنين . فَصَّل : زال وانفصل . بنص خبره :
بحقيقة أمره . ينشر : يظهر . خبره : حسن كلامه ، وأصله ثياب يمانية مزينة ،
ونشرها : حلتها من طيها . التجسّس : البحث . أنبائه : أخباره . ما لبث ، أى
ما أقام ، والمعنى ما لبث شيئاً حتى رجع . متدهداً : متحرّكاً ، والتدهده : قدّاك
الحجر من أعلى إلى أسفل . قهقر : رجع إلى خلف . مقهقهاً : مبالغاً فى الضحك ،
والقهقهة : حكاية صوت الضاحك . مهمم : كلمة استفهام ، معناها : ما الأمر ؟
غابت : رأيت . أنشأ : أحدث ، وتقديره : سمعت شيئاً أحدث لى ذلك الشئ .

(١) سورة الأنبياء ١٠٤ .

المسوع الطَّرب ، ولا يكون «أنشأ» فعلاً لأبي زيد ، إنما هو فعل «ما» من قوله : «ما أنشأ» . وعيت : حفظت .

قال : ولم يزل الشيخ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ يَدَيْهِ ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيُنْفِرُ دُعَاةَ شِدْقَيْهِ ، وَيَقُولُ :

كَذْتُ أَصْلَى بَيْلِيهِ مِنْ وَقَاحِ شَمَرِيَّةٍ
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ
فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِينَتُهُ ، وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ ،
فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ ، وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ بِالْاسْتِخْفَارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ
بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَأَذِّبِينَ . ثُمَّ قَالَ
لِلَّذَلِكَ الْأَمِينِ : عَلَى يَهْ ، فَاَنْطَلِقْ مُجِدِّدًا فِي طَلَبِيهِ . ثُمَّ حَادَّ بَعْدَ
لَايِهِ ، مُخْبِرًا بَنَائِيهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ ، لَكُنِّي
الْحَذَرَ ، ثُمَّ لَأَوَّلِيَّتُهُ مَا هُوَ بِرَأْوَلِي ، وَلَأَوَّلِيَّتُهُ أَنْ الْآخِرَةُ خَيْرٌ
لَهُ مِنَ الْأَوَّلَى .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَفْوَةَ الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفَوَتْ
ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ الْفِرْزَدِقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ ،
وَالْكُسَيْمَى لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ .

• • •

يُصَفِّقُ يَدَيْهِ : يضرب بكفيه . يَخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ : يمشي بهما في مشيه .

خفيض كل رَجُلٍ موضع الأخرى ، وهى من أنواع الرقص ؛ أراد أنه يضرب بكأيه ويرقص . يفرّد : يفتى . يملء شذقيه ، أى بصوت شديد تمتلئ به أشداقه .

وملء الفدح : قدر ما يملؤه . أبو يعقوب : يقال : أعطى ملء الفدح ماء ، وأعطى مِلائيه ، وأعطى ثلاثة أملائه .

أصلى ببلىة ، أى قربت أن أحترق بها وأتصلّى بها ، والبلىة : المصيبة يبتلى بها ، وقّاح ، جمع وقاحة ، وهى صلابة الوجه ، وأصلها من الحافر الصّلب ، وقال بعضهم فى صلابة الوجه :

لا يعملُ المَبْرَدُ فى وَجْهِهِ بل وجهه يعمل فى المَبْرَدِ

فجعل وجهه لصلابته يؤثّر فى الحديد . شَمَرِيّة ، أى شديدة القحّة ، قال الأصمعى : سألت أعرابيا ، وقد خرج من الصلاة : ما قرأ الإمام ؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شَمَرِيّة . هوت : سقطت . دَرِينَتَه : قلنسوته ، وهذه اللفظة إنما وقعت فى القامات بفتح الدال وكسر النون ، ودنينته بنونين لتوافق «سكينته» ، والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الأولى ، وهى قانسوة محدّدة الطرف يلبسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ، وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن لَنَسَكْكَ :

نفسى نقيك أبا الهندامِ يا أَمَلِي إِنِّى بَكلِّ الذى ترضاه لى راضِي^(١)
ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به فكيف ألبسته دَرِينَتَه القاضِي
وقال الصابى :

وفوقه دينيته تَذْهَبُ طَوْرًا وتَجِي

(١) بيتة الدهر .

(١) بيتة الدهر ٢ : ٣٢٦ ، وهناك : « نقيك أبا الهندام كل أذى » ، وأبو الهندام شاعرا اسمه كلاب بن حمزة ؛ كان ابن لَنَسَكْكَ مولعا بهجائه .

ذَوْتُ : زالت وخفيت. سكينته : وقاره ، وأصل ذَوَى ، في الشيء الذي فيه بلل وندوة ، فيجف بلاءه ، فاستعاره للسكينة. فاء : رجع. وعقب : أتبع. الاستغراب : كثرة الضحك ، حتى تدمع العينان ؛ أراد أنه أتبع ضحكه الاستغفار ليكون كفارة له ، وهذا الذي حُسِىَ عن القاضى يُخسَى مثاله عن الحجاج ، يقال : إنه كان إذا استغرب ضحكاً يوالى من الاستغفار .

وقال عبد الله بن مسعود : في كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنباً قرأها ثم استغفر الله إلا غفر له الأولى : قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا قَالُوا فَاحِشَةً . . . ﴾^(١) الآية ، والثانية قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ . . . ﴾^(٢) الآية .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : من قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه » خمس مرات ، غفر له ولو فرّ من الزحف .

شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت وأنا عبدك أصبحت على عهدك^(٣) ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

وأصل غفر واستغفر غَطَى . قال قطرب : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أى غطها ، من قول العرب : غفرت المتاع في الوعاء أغفره غفراً ، أى غطيته . ثعلب : غفر الرجل في مرضه يغفر غفراً ، أى نكس ، فكان المرض غطى عليه . وقال الأصمى رحمه الله : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أى استرها علينا ، ومنه : اصبر ثوبك ، فإنه أغفر لآوسخ ، أى أستر ، وهذه معان متقاربة .

(٢) النساء ١١٠ .

(١) آل عمران ١٣٥

(٣) الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، وفيه : « وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك » ، وفي آخر الحديث : « ومن قالها من الليل وهو موثق بها فات قبل أن يصبح كان من أهل الجنة » .

قوله : « عَلَىَّ بِهِ » ، أى جئنى به . مجذاً : مجتهداً فى طلبه . لأيه : إبطائه . نأيه : بعده . الحذر : الخوف . أوليته ، بمعنى وليته وأعطيته . أولى : أحق ، يريد أنه لو رجع إليه كان يصله فى المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أوّل مرة . قوله : « صفو » ، أى ميل . فَوَتْ : ذهاب . التنبيه : الإعلام . غشيتى : غطيتى . ولحقتى . أبان : طلق . النوار : بنت عم الفرزدق وزوجه . استبان : تبين .

وقال الشاعر :

لو أن صدور الأمر تبرز لفلقتى كأعقابه لم تُلَفه يتندّم

[ذكر الفرزدق وبعض أخباره]

والفرزدق اسمه هلم بن غالب بن صعصعة ، دارمى من أشرف تميم ، والفرزدق لقّب به لجهومة وجهه وغلظه ، والفرزدق : قطعة المعجن ، وقيل : الرغيف الضخم .

وخبره مع النوار بنت أعين الجاشعى ، أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم ، فبعثت إلى الفرزدق أن يكون وليّها إذا كان ابن عمها ، فقال : إن بالشّام مَنْ هو أقرب إليك منى ولاء ، وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم ، فينكر ذلك علىّ ، فاشهدى أنك جعلت أمرك إلىّ . فجعلت له أمرها أن يزوّجها ممن يرى ، وأشهدت له بذلك ، فقال لها : أرسلى إلى القوم أزوّجك ممن خطبك . فلما غصّ مسجدُ بنى مجاشع ببني تميم جاء الفرزدق ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد علمتم أن النوار ولّتى أمرها ، وأشهدكم أنّى قد زوّجتها من نفسى ، فنشرت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكّة حين أعيّاها أمراء البصرة ، أن يطبقوها منه . وأعيّاها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شرّه ، فلم يقدر أحد على

حملها ، حتى تحمّلها قومٌ من بني عدّى ، يقال لهم بنو نسير إلى مكة ، فصحبهم
النّوار ، فقال الفرزدق :

وقد سخطت منّي النّوار الذي ارتضى به قباها الأزواجُ ، خاب رحيلاً^(١)
أطاعت بني أمّ النّسير فأصبحتُ على شارفٍ ورفاء صعب ذلولها^(٢)
وإنّ امرأً يسعى ليفسد زوجتي^(٣) كساعٍ إلى أسدٍ الشّرى يستديها^(٤)
ومن دون أبوال الأسود بسالةٌ وبسطة أيدٍ يمنع الضّيم طولها
وإنّ أمير المؤمنين لعالم بتأويل ما وصّى العباد رسولها

ثم ارتحل في أثرها حتى وصلا مكة ، فنزلت النّوار على بنت منظور بن
زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، ونزل الفرزدق على ابنه حمزة ، وقال :

أصبحتُ قد نزلتُ بحمزة حاجتي إنّ المنوّه باسمه الوثوق^(٥)
بأبي عمارة خير من وطئ الحصى وجرت له في الصّاخين عروق
بين الحوارى الأغرى وهاشمٍ ثم الخليفة بعد الصّدّيق

فكان كلُّ ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهياراً أفسده
بنت منظور ليلاً ، حتى غلبت النّوار ، وقضى ابن الزبير عليه ، فقال :

أمّا البنون فلم تُقبل شفاعتهم وشُعّمت بنتُ منظور بن زبانا^(٥)
ليس الشّفيع الذي يأتيك مؤزراً مثل الشّنيع الذي يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره ، توقّف في أمره ، فلقية يوماً بباب المسجد ، فضمه
إلى الحائط ، حتى كادت تُزهِق نفس الفرزدق . وكان الزبير في غاية من القوّة ، ثم

(١) ديوانه ٦٠٤ ، ٥٦ ، القناص ٨٠٤ ، طبقات الشعراء ٢٨١ (٢) الشارف : النافقة للجنة .

(٣) يستبسلها : يأخذ بولها بيده . (٤) ديوانه ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ٨٧٤ ، القناص ٨٠٥ ، طبقات الشعراء ٢٨٢ .

(٢٤) - شرح مقامات الحريري (١)

هزّه وتركه خائفاً. ثم دخل على النّوار ، فقال لها : إمّا أن تُتِمِّي زواج ابن عمك وإلا قتلته ، وأرحمت المسلمين من شرّ لسانه ، فقالت له : ولا بدّ أن تقتله ؟ قال : ولا بدّ ، فمطفئها عليه رَحِمَ القِرابة ، وقالت : لا والله لا أدعُهُ للقتل ، قدر ضيقته . فتزوَّجها ، فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم ، فسأل : هل بمكة أحد يعينه ؟ فُدِّلَ على سلم بن زياد ، وكان ابن الزبير قد حبَّسه ، فقال :

دَعِيَ مُغْلِقِي الأبواب دون فعالمهم ومُرَى بمسرى لي هُبُلَتِ إلى سَلَمٍ^(١)
إلى مَنْ يَرى المعروف سهلاً سبيله ويفعل أفعال الكرام التي تَنْبِي

ثم دخل على سَلَمٍ ؛ وأنشده القصيدة ، فقال : هي لك ومثلها لنفتكتك ، فقبض عشرين ألفاً ، فدفع مهرَها ، فدخل بها ، وأحبها قبل أن تخرج من مكة ، ثم خرج بها ، وها عديلان في محل ، وكانت أبدأ تخالفه وتبته ، لأنها كانت صالحة الدِّين ، وكان هو رديء الدين ، زانياً قاذفاً للمحسّنات ، فكانت تكرهه .

ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، فهدّدها بالهجاء ، فاستعانت بالنّوار ، فقالت : واعديني ليلة ، ثم أعلميني . ففعلت ، وجاءت النّوار ، ودخلت الحُجْلة مع المرأة ، فلما دخل الفرزدق البيت ، أمرت الجارية فأطفأت السراج ، وبادر الحُجْلة والنّوار فيها ، وهو لا يشك أنها صاحبة الدار ، فواقمها . فلما فرغ قالت : يا عدوّ الله ، يا فاسق ! فعرّفها ، وعلم أنه قد خُدِعَ ، فقال لها : وأنت هي ! يا سبحان الله ! ما أطيبك حراماً ، وأبردك حلالاً ! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها .

نُحِثَ أبو معقل راويته ، قال : قال لي الفرزدق يوماً : امض بنا إلى حلقة الحسن ، فإنّي أريد أن أطلّق النّوار ، فقلت : إنّي أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد

عليك الحسن وأصحابه ، قال : امض بنا ، فحُتُّنا حتى وقفنا على الحسن فقال :
 كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال :
 لعمرك أن النّوار طالق مني ثلاثاً ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، قال :
 فانطلقنا ، فقال الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النّوار شيئاً ، فقلت : قد
 حذرتك ، فقال :

ندمتُ ندامةَ الكُسمَى لَمَّا غدت مِنِّي مطلقَةً نَوَارُ^(١)
 وكانتُ جَنَّتِي نَفَرْتُ مِنْهَا كَأَدَمَ حِينَ أُخْرِجَهُ الضَّرَارُ
 ولو أني ملكتُ يَدِي ونَفْسِي لأصبح لى على القَدَرِ اختِيارُ
 وكنتُ كفافي عَيْنِيهِ عَمْدًا فأصبح ما يُضِيءُ لَهُ نَهَارُ

وتوفى سنة عشر ومائة. وفيها مات جرير وابن سبرين والحسن ، فقالت
 امرأة بصرية : كيف يفلح بلد مات فيها شاعراه ، وأضافت جريراً إلى البصرة
 لكثرة قدومه إليها ، ومسكنه باليمامة . وأخباره أطول ، وإنما ذكرنا منها ما تعلق
 بالنّوار معه .

[ذكر خبر الكُسمَى وقوسه]

وأما الكُسمَى فرجل منسوب إلى كُسم ، قبيلة باليمن ، واسمه محارب
 ابن قيس ، وبندامته يُضرب المثل ؛ يقال : أُنْدم من الكُسمَى^(٢) ، وقيل : إنه من بني
 سعد بن ذبيان ، وقيل : اسمه عامر بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يرعى إبلاً بوادي كثير العشب والخلط ؛ فبينما هو يرعاها
 بُصِرَ بِتَبْعَةٍ على صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوساً ، فجعل يتمهدُها
 ويَتَوَسَّمُها حتى أدركت ، فقطعها ، فلما جئت اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

(١) ديوانه ٣٦٣ .

(٢) ثمار القلوب ١٣٤ ، البدائي ٢ : ٣٤٨

يَا رَبِّ وَقَفَّنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَأَيُّهَا مَنْ لَذَنِي لِنَفْسِي
وَانْقَع بِقَوْسِي وَلَدَى وَعِرْيِي أَنْحَثْهَا صَفَرَاءَ مِثْلِ الْوَرَسِ
* صِلْدَاءَ لَيْسَتْ كَقَيْسَى النَّكْسِ *

ثم دهنها وخطمها بوتر، واتخذ من برايتها خمسة أسهم، وجعل يقلبها في
كفه، ولبشد :

هَنْ وَرَبِّي أَسْهَمٌ حِسَابٌ يَلْدَ لَأْرَامِي بِهَا التَّبَنَاتُ
كَأَنَّمَا قَوْمُهَا مِيزَانٌ فَأَبْشُرُوا بِالْخَصْبِ يَا صَبِيَانُ
* إِنْ لَمْ يَعْنَى الشُّؤْمُ وَالْحِرْمَانُ *

ثم أتى قُتْرَةَ^(١) على موارد حُر، فمكن فيها، فمرَّ به قطيع، فرمى غيراً
منها بسهم، فأخطه - أي أنمذه - وجازه، وأصاب الجبل، فأورى نارا، فظن أنه
أخطاه، فأنشأ يقول :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدَّةِ مَعَا وَالْحَرَمَانِ
مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ بَيْنَ الصَّوَّانِ يُورِي شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ الْعُقَيَّانِ
* فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبَّيَّانِ *

ثم مرَّ به قطيع آخر، فرمى غيراً فأخطه السهم، فصنع صنيعه الأول،
فأنشأ يقول :

لَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي رَمْيِ الْقُتْرَةِ أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ
أَخْطَطُ السَّهْمَ لِإِرْهَاقِ الضَّرَرِ أَمْ ذَالِكُ مِنْ سُوءِ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ
* أَمْ لَيْسَ بِغْنَى حَذَرٍ عَنْهُ قَدَرٌ *

(١) القُتْرَةُ : ناموس الصائد .

ثم مرة به قطع آخر فرى غيراً ، فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ، فأنشأ
بقول :

ما بال سهمى يوقد الحباحباً قد كنت أرجو أن يكون صائياً
فأخطأ العير وولى جانباً فصار رأيي فيه رأياً حائياً
ثم مرة به قطع آخر، فرى غيراً بسهم فأخطه السهم ، وصنع ما صنع أولاً ،
فأنشأ بقول :

يا أسفاً للشؤم والجدّ التكدُّ في قوسٍ صدق لم تزيّن بأود
أخلف ما أرجو لأهلٍ وولّد فيها ولم يفرّ الحذار والجلد
* نغاب ظنّ الأهل جمعاً والولّد *

ثم مرة به قطع آخر، فرى غيراً بسهم ، فأخطه السهم ، وصنع كما صنع أولاً ،
فأنشأ بقول :

أبعد خس قد حفظت عدّها أحل قوسي وأريد ردّها
أخزي الإله ليها وشدّها والله لا نسلم مني بمدّها
* ولا أرحى ما حيت ردّها *

ثم أخذ القوس ، فكسرها على حجر وبات ، فلما أصبح أبصر الأعيار
الخمسة مطروحة حوله ، فأسف وندم على كسر القوس ، وعضّ على إبهامه
فقطعها تلهفاً ، وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوّعني إذاً لقطعت نخسي
تبين لي سفاه الرأي مني لعمري أبئك حين كسرت قومي

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال : هتف بي داعي الشوق ، إلى رَحْبَةِ
مالك بن طوق ؛ فليئته مُتَطَيِّبًا شِمْلَةً ، وَمُنْتَضِيًا عَزَمَةً مُشْهَمِلَةً . فلمَّا
أَلْقَيْتُ بِهَا الرَّماسِي ، وَشَدَدْتُ أَمْرَاسِي ، وَبَرَزْتُ مِنَ الْحَمَامِ بَعْدَ
سَمْتِ رَامِي ، رَأَيْتُ غُلَامًا أَفْرِغَ فِي قَالِبِ الْجَمَالِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْحُسْنِ
حُلَّةَ السَّكَمَالِ .

° ° °

هتف بي ، أى دعانى ، يقال : هتف بي هتفًا وهتافًا : دعاه ، وهتفت الحمامة :
مدت صوتها . والشَّوْقُ : تحريك الحب ، يريد أن شوقه إلى الرَّحْبَةِ يهيج عليه
حتى سار إليها ، وجعل له داعيًا مجازًا . والرَّحْبَةُ : مدينة شهيرة من عمالة الفرات ،
بناها مالك بن طوق ، ووليها فنُسبت إليه ، وإليها تنسب الثياب الرحبية ، وتعرف
برحبة الشام ، وهى على يسار الطريق هى والرققة فى استقبالك الفرات جاثيا من
حران ، وهى فى آخر ديار ربيعة ، وأول بلاد الشام والفرات ، بين ديار ربيعة
والشَّام ، فإذا عبرته صرت فى حد الشام .

[ذكر مالك بن طوق]

ومالك - كنيته أبو كلثوم - بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جُشَمِ
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب . وقال حبيب يمدحه ويذكر
الرَّحْبَةَ :

بأمالٍ قد علمت ربيعةً أنه
طلالت يدي لما رأيتك سالماً
وشممت ترب الرحبة العبق الثرى
كم حلّ في أكنافها من معدم
ما كان مثلك في الأراقم أرقم^(١)
وأنىخ عن خدّى ذاك العظام^(٢)
وشفى صدأى البحر منها الخضر^(٣)
أسمى بها بأوى إليه المعدم

وقال فيه:

رأته في النوم عتابٌ فقال لها
فجاء والنسب الوضاح جاء به
طعان عمرو بن كلثوم وناثله
لو كان يأمل عمرو مثله خلقاً^(٤)
ذوو القراسة : هذا صفوة الكرم^(٥)
كأنه بهمة فيهم من البهم^(٥)
إن السيور التي قذت من الأدم^(٦)
من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم ، وأين هذا من قول دعبل

بهجوه :

الناس كلهم يمدو لحاجته
بمالك ظل مشغولاً بنسبته
بيني بيوتاً خراباً لا أنيس بها
ما بين طوقى إلى عمرو بن كلثوم^(٨)
ما بين ذى فرج منهم ومهموم^(٨)
يرؤم منها بناء غير مهدوم^(٩)

(١) ديوانه ٢٧٥ ، والأراقم بنو تغلب .

(٢) الديوان : « وأنحت عن خدى » . والعظام ، كزبرج : نبت يصنع به .

(٣) الخضر : الماء الكثير .

(٤) ديوانه ٢٦٨ .

(٥) البهمة : الشجاع .

(٦) النائل : العطاء . والأدم : الجلد .

(٧) الديوان : « ولنا » .

(٨) ديوانه ١٤٤ ، ديوان الماعنى ١ : ١٨١ .

(٩) الديوان « خراباً غير مهدوم » .

وكان مـكـا شجاعاً ، جواداً ممدوحاً أميراً على الجزيرة مسكن قومه
بنى ثعالب .

* * *

قوله « لبتيه » ، أى أجبته . محتطياً : راكباً . شِمْلَة : ناقة سريعة . منتضياً :
مجرّداً . عزمة مشمعة ، أى عزمة سريعة لاتوائى فيها . المراسى : هى محابس
السفينة . أمراسى : حبالى ، يريد أنه استعد الإقامة وترك السفر ، وضرب لذلك
المثل بإلقاء المراسى وشدة الأمراس . برزت : خرجت وظهرت . سَبَت : حَاقَ ،
ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلّقوا رؤوسهم . أفرغ : وُضِع ليصنع . والقالب :
الذى تطيع فيه الدراهم ، ودرهم مفرغ ، إذا أذيت فضته وصُبَّتْ فى قالبه ، فيريد
أنّ هذا الغلام لإفراط حسنه أفرغ فى قالب الجلال .

[نبذ وحكايات وأشعار مما ورد فى الحسن والجمال]

ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ، ونضيف إلى
ذلك ما قيل فى الملمان من الأشعار الحسان ممّا يابق بهذا المكان وندعها من كل
مقامة يقع فيها ذكر الملمان . قال ابن عبد ربه : الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه
الصفرة مع طول المكث فى السكن والتضخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الأدحى .
وقال أعرابى :

وما تطيّبت من صفراء خالية كالعاج صفرها الأكثان والطيبُ

وقال آخر :

كأنّ لون البيض فى الأدحى لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تضمتخ بالجادى ، وهو الزعفران ، وصفرة النعمة لا تبلغ صفوته .

وقالوا : إن الجارية الحساء تتلون بلون الشمس ، فهى بالصّحى بيضاء ،

وبالعشى صفراء ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالمرارة^(١)

المرار : البهار .

وقال الحريري في الدرّة : فأما^(٢) قولهم في الحسن : أحمر ، فعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال إلا بتحتل مشقة يحمر^(٣) منها الوجه ، كما قالوا : السّنة الحمراء المجذبة^(٤) ، وكنّوا عن الأمر المستعصب بالموت الأحمر ، وأما قوله :

هيجانٌ عليها مُحرّة في بياضها تروق لها العينان والحسنُ أحمرُ
فإنه عني به الحسن في حمرة اللون مع البياض ، دون غيره من الألوان .

وقالوا في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كرّرت بصرك فيها زادتلك حسناً .

وقيل : الجميلة السمينة ؛ من الجميل ، وهو الشحم^(٥) ، والمليحة البيضاء من الملحّة^(٦) ؛ وهي البياض ، والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه .

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشّر الصافي الأديم إذا خجل يحمرّ ، وإذا فرق بصفر ، ومنه قولهم : ديباج الوجه ، يريدون تلوّنه من رفته .
وقال عدئ بن زيد في تلون الوجه :

مُحرّة خلط صفرة في بياضٍ مثل ما حاك حائك ديباجا

(١) ديوانه ١٥٣ . والمرارة : شجر لها نور أصفر .

(٢) درة النواص ١٠٤

(٣) الدرّة : • يحمر • .

(٤) الدرّة : • للسنة المجذبة حمراء • .

(٥) في القاموس : • الجميل : الدسم الذائب • .

(٦) في القاموس : • الملحّة : بياض يخالط سواد • .

وقال ابن عبد ربه في ذلك :

يَاؤُلُوْا بِنَبِيِّ الْعَقُوْلِ أُنِيْقًا وَرَشًا بِنَقْطِيعِ الْقُلُوْبِ رَفِيْقًا^(١)
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِشَأْنِهِ دُرًّا يَعُوْدُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيْقًا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ أَلْفَيْتُ وَجْهَكَ فِي سَنَاءِ غَرِيْقًا
 يَأْمَنُ تَقْطَعُ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُوْنُ رَقِيْقًا !

وأعاد معنى : « دُرًّا يَعُوْدُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيْقًا » ، في بيت آخر فقال وأحسن :

كَمْ سَوَسَنِ لَطْفَ الْحَيَاءِ بِلَوْنِهِ فَأَصَارَهُ وَرْدًا عَلَى وَجَنَاتِهِ
 قَالَتْ امْرَأَةُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لَخَالِدٍ : لَقَدْ أَصْبَحْتَ جَمِيْلًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ
 وَمَا فِي رَدَاءِ الْحُسْنِ وَلَا عَمُوْدِهِ وَلَا بُرْنَسِهِ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عَمُوْدِهِ
 الشُّطَاطُ^(٢) ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَبُرْنَسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ .

وقالوا : الْحَلَاوَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْحُسْنُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْمَلَاةُ
 فِي الْفَمِ .

وقال بعضهم : الظَّارِفُ فِي الْقَدِّ ، وَالْبِرَاعَةُ فِي الْجِدِّ ، وَالرَّقَّةُ فِي الْأَطْرَافِ
 وَالْخَصْرُ ، وَالشَّأْنُ كُلُّهُ فِي الْكَلَامِ ، وَالْمَدَارُ عَلَى الْعَقْلِ .

وقال علي بن عبيد الرِّيحَانِيُّ : الْحُسْنُ تَنَاسُبُ الصُّوْرَةِ ، وَزِينَتُهُ اعْتِدَالُ
 الْحَرَكَةِ ؛ ثُمَّ مَا لَا يَحْسُنُ اللِّسَانُ التَّرْجُمَةَ عَنْهُ مِنْ خَفَةِ الرُّوحِ وَالْقَبُولِ .

وسئل عن اختياره من الحُسْنِ ، فقال : أَمَا مَا يُمْكِنُ نَعْتُهُ فَخَلَّلْتَانِ

(١) مطمح الأنس ٥٢

(٢) الشطاط : الطول وحسن القوام .

وثلاثة بينهما ، ايسر من صفة اللسان تعجني صورة أكثر نعمتها الملاحظة ،
وبراعة بفصاحة ، والخلة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس ومهابة الشوق ،
وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل ، فهذه زبدة
هذا الباب .

وأحسن الحسن ، ما لم يُجَلَّب بتزيين وتضييق ، وتحلية وتزويق ، وأطيب
الطيب أنفاس عَيْقَةٌ من كبديسايمة ، ومزاج معتدل ، ونفرتي ، قال امرؤ القيس :
ألم ترَ آني كلما جئتُ طَارِقًا وجدتُ بها طيبًا وإن لم تطيب^(١)
ويعكى أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقياً ، ثلاثاً يشغله بحسنه
عن تعليمه . ومعنى «سيبويه» بالفارسية رائحة النفاح ، وكان يقال : إنه أطيّبُ
الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه ، فكان إذا استأذن عليه سيبويه
يقول : مرحباً بزائر لا يمل .

وكان أبو حاتم السجستاني يحتم القرآن في كل أسبوع ، ويتصدق كل يوم
بدينار ، ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرّد ، وكان أبو العباس
يلزم حاتمته وهو غلام وسيم ، فقال فيه :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتَجَنِّ خَفِثَ الكلامُ^(٢)
وقفَ الجلالَ بوجهِهِ فسمتُ له حديقُ الأَنَامِ
حركتهُ وسكونُهُ يُجَنِّي بها ثمرَ الأَنَامِ
فإذا خلوتُ بمثله وعزمت فيه على اغترامِ^(٣)
لم أعدُ أفعالَ العَفَا ف ، وذلك آكدُ للغرامِ
نفسى فذاؤك يا أبا العباس يا جِلَّ اعتصامي

(١) ديوانه ٤١ .

(٢) الشعر والخبر في ابن خلكان ١ : ٢١٨ ، والآيات الثلاثة الأخيرة في نزعة الألباء ١٩٠٠ .

(٣) ابن خلكان : « اغترام » .

فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ نَزَرَ الْكَرَى بِأَدَى السَّقَامِ
وَأَنَّ اللَّهَ مَادُونُ الْحَرَامِ مَ قَلِيلٌ يَرْغَبُ فِي الْحَرَامِ

وَالْوُكُوعُ فِي الْجَمَالِ سَجِيَّةٌ رَكِبَهَا اللَّهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَأَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ ، فَمَنْ دُونَهُمْ
مِنَ السُّوقَةِ وَالْفَوْغَاءِ . وَعَلَى قَدَرِ ذِكَاةِ الْأَرْضِ يَطْيِبُ زَرْعُهَا ، وَعَلَى قَدَرِ طَيِّبِ
الْتُّرْبَةِ يَطْيِبُ تَبْعُهَا ، فَهِيَ الْمَذْبُوبُ وَالْأَجَاجُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَعَلَى قَدَرِ شَرَفِ النَّفْسِ يَكُونُ
حُبُّهَا ، فَهِيَ الْمُسْتَحْسَنُ وَمِنْهُ الْمُسْتَقْبَحُ .

• وَكَلَّ إِنَاءً بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ •

فِي كِتَابِ الْوَشَاحِ : الْعَشَقُ إِذَا تَزَيَّنَ بِالْعَفَافِ فَهُوَ مَعْنَى شَرِيفٍ ، وَيَتَلَوَّ
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ؛ فَمَنْ اتَّقَى
اللَّهُ فَهُوَ خَلِيلٌ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَغْدَادِيِّينَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا مَحَبَّةُ النَّاسِ
بِالْهَوَى ، لِأَخَذُوا أَنْفُسَهُمْ بِطَاعَةِ مَنْ يَهْوَوْنَهُ ، وَلِيَشْقَ عَلَيْهِمْ سَخَطُهُ ، وَيَسْرَتَهُمْ رِضَاؤُهُ ؛
فَيَسْتَدَلُّونَ بِذَلِكَ عَلَى قَدَرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ
غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ ، وَرَازِقُهُمْ مُبْتَدِئُ الْمُنَّ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أُوجِبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَاعَةَ
لِسِوَاهُ كَانَ هُوَ تَعَالَى أَوْلَى أَنْ يُقْبَعَ رِضَاؤُهُ .

قَالُوا : وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَنْكِرَ عِلَاقَةَ شَخْصٍ بِشَخْصٍ ،
وَحَنِينَ شَكْلٍ إِلَى شَكْلٍ ، وَمُؤَالَفَةً إِلَّا إِلَى الْإِلَهِ ، فَالْقُلُوبُ صَافِيَةٌ قَابِلَةٌ ، وَالْعَيُونُ
إِلَيْهَا نَاقِلَةٌ .

وَقَالُوا : لَا عَاشِقَ عَلَى الْأَغْلَبِ إِلَّا مَوْفُورَ النَّعْمَاءِ ، مَكْنَى كَدِّ الْمَعِيشَةِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ
فِرَاقِ نَفْسِهِ وَرَقَّةِ حَاشِيَتِهِ .

وقد قيل : إن جيلًا وُثِّينة لوقعدا ليلتين دون غداء وعشاء لبزق كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه .

ومن شرط المعشوق أن يكون ثَمَنٌ يؤيس ويُطْمَع ، ويستتر ويلمع ، ويبدو ويُحْجَب ، ولبين ويصعب ، ويرضى ويسخط ، ويقرب ويشحط ، كما قال أبو الطيب :

وأخلى الهوى ما شكَّ في الوصل رَبَّهُ
في المجر فهو الدهرَ يزجو ويتَّقَى^(١)
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى

بحالٍ لدمعِ القلَّةِ المترقِّقِ
والحسن أول سعادة المرء ، ورائد الثمن ، وسائق النجح ؛ لأن الله تعالى بلطف الحكمة ، وبشرف الإبداع والصنعة ، لم يخلق الصورة مختارة الصفات ، سليمة من الآفات ، إلا عن فضل الاحتفاء ، ولم يطابقها من الأخلاق إلا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء . ولما تجد الخلق إلا تبعاً للخلقة ، تناسباً بطرد ، وأصلاً لا بنعكس ، وإجمالاً لا بفرد ، وما خلق الله نبياً قط إلا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه ؛ فإذا نظرته لأوّل وهلة رأيت أحسنهم صورة ، وأتقنهم بنية ، فهو أوّل مرتبة ، وأعلى منقبة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يمدب حسان الوجوه ، سودا لخدق» .
وورد عليه وفد عبد القيس ، وفيه غلام وضى الوجه ، فأقعدته وراء ظهره ، وقال : إنما أتى أخى داود من النظر .
وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن ؛ فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام موكّانه بصف الفتى الذى ذكره الحريرى :

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ ، وفيه البيت الأول بعد الثانى .

يَأْمَنُ تَسْرِبَلٌ بِالْمَلَاةِ وَارْتَدَى فَعَلَيْهِ تَمَكَّفَ الْعَيُونُ إِذَا بَدَا
 فَيُرَى هِلَالًا زَاهِرًا وَيُرَى قَضِيبًا نَاضِرًا وَيُرَى كَثِيبًا أَمْلَدَا
 إِذَا نَهَضَتْ تَرْجَرًا وَإِذَا سَفَرَتْ تَبَاجَا وَإِذَا مَشِيَتْ تَأَوَّدَا
 فَتَرَى الْجَبِينَ كَتَاغَ مَلِكٍ زَانَهُ دَرَّ تَرَامٍ مَفَرَّقَا وَمَنْصَدَا
 وَيَجُولُ ذَاكَ الرَّشْحُ فِي أَقْطَارِهِ كَالْيَاسْمِينِ جَرَى بِهِ قَطَرُ النُّدَى
 الْوَجْهَ قَضَى أَحَاطَ بَوَجْنَتِي ذَهَبٌ ، فَأَنْبَتَ عَارِضِينَ زَرْجَدَا
 وَفَمَّ عَقِيْقِي تَضَمَّنَ لَوْلَا رَطْبًا وَنَظَمَ فَوْقَ ذَاكَ زُمْرَدَا
 وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِي^(١) :

وَأَعْيَدَ أَهْدَى تَرْجَسًا مِنْ مَحَاجِرٍ وَكُنَى فَأَبْدَى سَوَسَنًا مِنْ سَوَالِفِ
 وَقَدْ مَاجَ مِنْ عِطْفَانِيَةِ مَاءِ شَبِيبَةِ تَعَبَ وَلَا أُمُوجَ غَيْرِ الرُّوَادِفِ
 تَطْلُعَ مِثْلَ الرَّمْحِ بِسَطَةِ قَامَةٍ وَفُتْكَةَ الْحَاطِظِ وَلَيْنَ مَمَاعِفِ
 وَلَابَنُ وَكَيْعَ :

يَأْمَنُ إِذَا لَاحَتْ مُحَاسَنُ وَجْهِهِ غَفَرَتْ بِدَائِمِهَا جَمِيعَ ذُنُوبِهِ^(٢)
 إِنْ كَانَ فِي تَعَذُّبِ قَلْبِي رَاحَةٌ لَكَ فَاجْتَهِدْ بِاللَّهِ فِي تَعْذِيْبِهِ
 وَلَأَبَى إِسْحَاقُ الْخَفَاجِي :

يَارَبَّ وَضَّاحَ الْجَبِينَ كَأَنَّمَا رَسَمُ الْعِذَارِ بِصَفْحَتِيهِ كِتَابُ^(٣)
 تُعْرَى بِطَلْمَتِهِ الْعَيُونُ مَلَاةً وَتَبَيَّتْ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
 خَلِمَتْ^(٤) عَلَيْهِ مِنَ الْعَصَبِاحِ غِلَالَةٌ تَذْدَى وَمِنْ شَقِّ السَّعَابِ هَابُ

(١) هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ، والأبيات في ديوانه ٣٣٦ .

(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٣٤٠ ، وبمده هناك :

النَّجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ عَيْنِي فِي الدُّجَى مَعْفُودَةٌ بِطُلُوعِهِ وَغُرُوبِهِ

(٣) ديوانه ٣٣٧ .

ولأبي نواس :

أساء فزادته الإساءة حُطُوءاً حبيبٌ على ما كان فهو حبيبٌ
بعداً على الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجليل ذنوب !
ولأبي إسحاق الخفاجي :

تعلقته نَشْوَانٌ من خمر رِيقةٍ له رشها دوني، ولي دونها الشُّكرُ^(١)
ترقرق ماء مُقْلَمَتَيَّ ووجهه ويذكّي على قلبي ووجنته الجُرُ
أرق نسيبي فيه رِقَّةٌ حسنة فلم أدر أيّ قبلها منها السُّحُرُ
وطبنا مآثراً وشعراً، كأنما له منطقي نغراً، ولي نغره شعراً

وَقَدْ اغْتَلَقَ شَيْخُ بُرْدْنَه، يَدْعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابِنَه، وَالْعَلَامُ
مُنْكَرُ عِرْفَتِهِ، وَيُسَكِّبُ قِرْفَتَهُ، وَالْخِصَامُ يَذْنِبُهُمَا مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ،
وَالزَّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِلَى أَنْ تَرَاضِيَا بَعْدَ
اشْتِطَاطِ اللَّدَدِ، بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ، وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْمُنَاتِ،
وَيُغْلَبُ حُبُّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ، فَأَسْرَعَا إِلَى نَدْوَتِهِ، كَالسَّلِيلِكِ فِي
عَدْوَتِهِ.

قوله : « وقد اعتلق شيخ بُردنه »، أي تعلق بكه وأطراف ثوبه . فتك :
قتل ، والفتك : أن تأتي رجلاً آمناً منك وتقتله، أو تكمن له في موضع لا يعرف
بك، فإذا أذاك قتلته، ثم مُتَّى من هجم على الأمور العظام فاتسكاً ، فإذا أدخلت

رجلاً منزلاً أو موضعاً لا مغيث له فيه ، فقتلته فذلك الغيلة ، فإن كان رجلاً يخافك فأمنته وآنسته حتى آمذك ، ثم قتلته فذلك القدر . عِزُّهُ : معرفته . يُكْبِرُ : يراه امرأً كبيراً قِرْفَتُهُ : تهمة ، وقد قِرْفَتُهُ بَذَنْبٍ ، إذا حملته عليه وأتهمته به ، وشبه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار اشتطاط اللدِّ : اشتدُّ الخصاص . التنافر : التعاكم . يزن بالهفات : يتهم بالقبايح ، والهفات : الدواهي والهن والهنّة من السكنايات العامة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء .

[فصل في ذكر بعض أخبار الولاية]

قوله «ويغلبُ حبُّ البنين على البنات» نذكر هنا من الولاية المتهمين بهذه الهفات ما يليق بالموضع . قال أهل الأخبار: إن القاضي يحيى بن أكثم^(١) ، كان مشتهراً بحبِّ الغلمان ، وإن أهل البصرة رفعوا أمره إلى المأمون قبل اتصاله به ، وقالوا فيه: إنه قد أفسد أولادهم، وظهرت منه الفواحش، وأنه القاتل في صفة الغلمان:

أربعةٌ تُعَشِّقُ الحافظهم	فعبين من بمشقههم ساهرة
فواحد دنياه في وجهه	منافقٌ ليست له آخرة
وآخر دنياه منقوصةٌ	من خلفه آخرةٌ وأفيرة
وثالث فاز بكاتيهما	قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابعٌ قد ضاع ما بينهم	ليست له دنيا ولا آخرة

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم .

ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ، وناداه ، فخرج معه في يوم عيد ، وقد ركب الجند أمامه ، ويحيى يحادثه ويضحكه ، فنظرت إلى غلام أمرّد من أولاد

(١) انظر أخبار يحيى بن أكثم في ابن خلّكان ٢ : ٢١٧ - ٢٢٤ وأخبار القضاة لوكيع ٢ : ١٦١ - ١٦٢ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٩١ - ٢٠٤ ، وثمار القلوب ١٥٦ ، ١٥٧

الجنّد في غاية الفَرَاة ، عليه ثوب حرير أخضر ، ودرع موشاة مزرّرة بالذهب .
فالتفت إلى يحيى ، وقال له : ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنّ هذا لتبيح من إمام ، مثلك مع فقيه مثلى ، قال : فمن الذى يقول :

قاضي يرى الحدّ في الزّناة ولا يرى على من يلوّط من باسٍ
قال : من عليه لمة الله وغضبه ، ابن أبي نعيم^(١) ، الذى يقول :
أميرنا يركبني وحاكمنا يلوّط والشرّ بيننا راسي
قاضي يرى الحدّ ... البيت ، وبعده :

لا أحسب الموت ينقضى وعلى الـ أمة والـ لآل عباس^(٢)
قال : أو صحيح هذا ؟ قال : نعم ، قال : يُنقِ إلى السند ، وإنما ما زحناك ، ثم
قال المأمون في الغلام :

أيها الراكب ثوباً • حريراً وحديدُ
جئت للعيد وفي وجهك للأعين عِيدُ
أنت جندي ولكن فيك للحسن جنودُ
وفي يحيى يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلد له أكثمةُ ولم تظأ أرضَ العراق قدّمه^(٣)
ألوطُ قاضي في البلاد نعلهُ أى دواة لم يُلقَها قلمهُ
* وأى جُحر لم يبلغه أرقمه^(٤) *

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٢ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) الضاف والنسوب ١٥٨ .

(٤) ذكر في الضاف والنسوب بعد الأبيات : * فقال يحيى : دواتك أيها الأمير • .
(٢٥ - شرح مقامات الحريري ١)

وهذا كقول الآخر :

* يَدْخِلُ الْأَفْعَى إِلَى خَيْسِ الْأَسَدِ *

ويحيي خراساني من مَرُو . وبلغ من محكمته على المأمون أن فرض لأربعائة غلامٍ مُرْد ، واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه ، فقال راشد بن إسحاق :

خَلِيلِيْ	انظُرَا مَتَعَجِّبَيْنِ	لَا ظَرْفَ مَنَظَرٍ تَقْلَاهُ عَيْنِيْ
لِفَرْضٍ	لَيْسَ يُقْبَلُ فِيهِ إِلَّا	أَسِيلُ أَخَذَ حُلُوَ الْمُقْلَتَيْنِ
يَقُودُهُنَّ	إِلَى الْمِهْجَاءِ قَاضٍ	شَدِيدُ الطَّعْنِ بِالرُّفْحِ الرَّدَّيْنِ
إِذَا شَهِدَ	الْوَعَى مِنْهُنَّ غَلَامٌ	تَجَدَّلُ لِلجَبِينِ وَلِلْيَدَيْنِ
وَبَاتَ الشَّيْخُ	مَنْحَنِيًّا عَلَيْهِ	وَصُدْغَاهُ تَحَاذِي الرُّكْبَتَيْنِ

وقال فيه :

وَكُنَّا نَرْجِي أَنْ نَرَى الْمَذَلَّ يَتَنَّا فَأَعْقَبْنَاهُ بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنُوطُ
مَتَى تَصْلُحَ الدُّنْيَا وَيَصْلُحَ أَهْلُهَا إِذَا كَانَ قَاضِي السَّامِنِ يُلُوطُ

* * *

وكان القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي^(١) مولعاً بالفلماني ، وكان له غلام اسمه نسيم ، في نهاية من الحسن ، وكان يُؤثره على سائر غلمانه ، ويخصّه بتفريبه واستجدانه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هَلْ عَلَى مَرَجٍ لَامُهُ مَدْعَمَةٌ لَا ضَرَارَ الشَّعْرِ فِي مِيمِ نَسِيمٍ

فوقع تحت البيت : نعم ، ولم لا !^(٢)

وسندكر من شعره في هذه اللقاة ما يستباح .

(١) انظر أخبار تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ ، وابن خلكان ١ : ٣٥٣ .

(٢) الخبر في معجم الأدباء ١٤ : ١٦٦ .

ومن كان يميل إلى الغلمان من الأمراء أبو العشائر الحمداني^(١) الذي يقول
فيه المتنبي :

فيا بحرَ البحُور ولا أُرَى وياملكَ الملوك ولا أحاشي^(٢)
كأنك ناظرٌ في كلِّ قلبٍ فما يخفي عليك محلُّ غاشٍ

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة ، قلت : ما
يجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، كأن رضوان قد غفل عنه فأبى من
الجنة ، ثم أنشأ يقول :

أستقم هذا الغلامُ جسمي بما بعينه من سقام^(٣)
فتورُ عينيه من دلالٍ أهدي فتوراً إلى عظامي
وامتزجت روحه بروحي تمازج الماء بالدمام

ولأبي العشائر :

سطا علينا حرمَ حاز الجلال سطا - ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا
له عذاران قد خطا بوجنتيه فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فكل قال من شفق : ياليت في سواد الناظرين خطا !

ومع هذا الليل ، كان نزيه النفس ، رفيع الهمة ، سليم الناحية ، وكان في
الجلود غاية ، وفي الشجاعة نهاية ، وفي الشعر آية . وإذا كان المتنبي الذي هو
أشعرُ الناس عند الأكرية ، يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره :
قد تجوزت في شعري ، وأعفيت طبعي ، واغتنت الراحة ، مذ فارقت آل
حمدان ، ومنهم الذي يقول - يعني أبا العشائر :

(١) انظر أخبار أبي العشائر في بئمة الدهر ١ : ٧١ - ٧٥ .

(٢) ديوانه : ٢١١ .

(٣) بئمة الدهر ١ : ٧٢ :

أخا الفوارس لو رأيت موافقي والخليل من تحت الأسنّة تَنحَطُّ^(١)
 لقرأت منها ما تخطُّ يد الوعى والبيض تُشكّل والأسنّة تنقُطُ
 فهكذا تستعار المعاني البدعة في الألفاظ الرفيعة؛ فما ظنك بمن يُبني عليه.
 المتنبي هذا الثناء !

* * *

ومن وصف غلاماً فأحسن ، الأمير تميم بن المعزّ صاحب مصر ، حيث يقول :
 وبات ضجيجي منه أهيفُ ناعمٌ وأدعجُ وسنانٌ وألّسُ أشنبُ^(٢)
 كأنّ الدجى من لون صدغيه طالعٌ
 وشمس الضحى في صحن خديّه كفربُ
 وقال أيضاً :

يا ليلةً باتَ فيها البدرُ معتنقٍ وكانت الشمس فيها بعض جلاسى^(٣)
 وبثّ مستغنياً بالثغر عن قدحى وبانخدود عن التفاح والآسِ
 وقال أيضاً :

ورّدُ الخدود أرقُّ من ورّدِ الرياض وأنعم^(٤)
 هذا تَنَشُّهُ الأثو فُ وذا يقبّله الفمُ
 فإذا عدلت فأفضل الـ ودين ورد يُلسمُ
 قوله : « فدوته » ، أى مجلسه .

[ذكر الشّليك بن الشّلكة]

والشّليك ، هو ابن الشّلكة ، معروف بأمه ، وكانت أمة سوداء شديدة

(١) بقيمة الدهر ١ : ٧١

(٢) ديوانه ٤٠٤ ، ٤١٠ . القس : سواد مستحسن في الشفة . والشنب : رقة وعذوبة ويرد .
 في الأسنان .

(٣) ديوانه ٢٠٠ .

(٤) ديوانه ٣٨٦ .

السواد ، وكان هو أسود ، وأبوه عمرو بن سنان بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى .

وكان يسبق الخيل على رجليه ، وكان من العدائين ومن رجلى العرب - وهم الذين يسمون على أقدامهم ، ويسبقون الخيل ، فيستغنون بأرجلهم عنها - وكان من أشجع الناس ، وكان لا يُغيرُ إلاَّ وحده ، وكان يقال له : الرئبال :

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، فقال : أى العرب كان أبغضَ لك أن تلقاه ؟ فقال : أمّا من معدّ فعدى بن قزارة ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والأرقام من تغلب ، ثم لو جئت بفرسى على مياه سعد ماخفت هنيج أحدٍ ؛ ما لم يلتقى حرّاهَا أو عبداها ، قال : أمّا حرّاهَا فعامر بن الطفيل وعُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب ، وأمّا عبداها فعترة الفوارس وسليك اللقانب .

وأما عدوّته المذكورة ، فيقال : إنه أحاط به عدوّه فنزا نزوة عدّ فيها أربعاً وعشرون خطوة ، وعدّ أيضاً فى نزوة للشنفرى إحدى وعشرون خطوة .

يُقال فى المثل : أعدى من الشنفرى ، وأعدى من السليك .

فأما الشنفرى فإنه أغار على بجيلة مع تأبط شرّاً وعمرو بن براق ، فرصدتهم بجيلة على الماء ، فقال تأبط شرّاً : إنّ بالماء رصدّاً ، فقالا : ليس عليه أحد ، ولا بدّ من وروده ، فورد الشنفرى ثم عمرو ، فقال تأبط شرّاً : القوم إنما يريدونى ، فلذلك لم يعرضوا لكما ، وإذا وردتُ أنا الماء فيسشدّون علىّ ، ويأسرونى ، فاذهب يا شنفرى ، كأنك تهرب ، وكن فى أصل ذلك القرن ، فإذا سمعتنى أقول : خذوا خذوا ، فتمال فأطلقنى ، وقال اممرو : إأتى سأمرك أن تستأسر لهم ، فلا تبعد ، ولا تمكّنهم من نفسك . ثم ورد الماء ، فشذّوا عليه ، وكتفوه ، وقملا

ما أمرها ، فقال : تأبطشراً : يامعشر بجيلة ، هل لكم في أن تيسروا فداءنا ، ونستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم . فقال باعمرؤ : هل لك في أن تستأثرو بيكسرونا في الفداء ؟ قال : حتى أروض نفسي شوطاً أو شوطين ، فجرى الأول كالريح ، والثاني كالخيل ، ثم أراد أن يجرى ثالثاً ، فجعل يقع ويقوم فشلاً ؛ يُطعمهم بذلك ، فقال لهم تأبطشراً : خذوا خذوا ، فأسرعوا إليه بأجمعهم ، وهوى الشنفري كالريح فقطع وثاقه ، ثم أحضروا ثلاثهم ، فنجوا ، فقال تأبطشراً من قصيدة :
 ليلة صاحوا وأغرؤا بي سراعهم^(١) بالعبيكة بين لذي عمرو بن براق^(٢)
 لا شيء أسرع مني غير ذي عذري^(٣) أودى جناح بجانب الربد خفاق^(٤)
 فالثلاثة عدّاءون ، والمثل مقصور على الشنفري .

وأما السليك ، فرأته طلّاع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا مجردين ليغيروا على تميم ، فقالوا : إن عام السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ، فلما صالحاه خرج يحص^(٥) كأنه ظبي ، فطاردها يوماً أجمع ، ثم قال : إذا كان الليل أعياناً أخذته ، ووجدنا أثر بوله قد خد^(٦) في الأرض ، فقالا : قاتله الله ! ما أشدّ متته ! فتبعاه لياتهما : فلما أصبحا وجداه قد عثر بأصل شجرة ، فنذر^(٧) منها مكان قدمه ، وسقطت قوسه في جريه فانحطمت ، فوجدوا قطعه منها قد ارتزت^(٨) بالأرض ، فقالا : ما بعد هذا شيء ، والله لا تبعناه بعد هذا . ومّر السليك إلى أهله ، فأنذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية ، فقال :

(١) من قصيدة مفضلية ٢٧ - ٣١ ، مظلها :

ياعيد مالك من شوقي وإبراق^(١) ومّر طيف على الأهوال طراق^(٢)
 والميكتان : موضع ، ورواية المفضليات : « معدي ابن براق » ، ومعدي مصدر ميمي من عدا يعدو .

(٢) المنذر : جمع عنزة ، وهي ما قبل من شعر الناصية على وجه الفرس . والربد : الشمراخ الأعلى من الجبل ، يقول : لا شيء أسرع مني إلا الفرس ، وإلا الطائر الجارح التي يأوى إلى الجبل .

(٣) يحص : يسرع (٤) خد في الأرض : شقها .

(٥) ندرت : سقطت . (٦) ارتزت : أثبتت .

يَكْذِبُ بَنِي الْعَمْرَانِ: عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذَّبُ أَكْذَبُ^(١)
 نَكَلْتَكُمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسَ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ
 كَرَادِيسَ فِيهَا الْخَوْفَازَانُ وَحَوْلَهُ فَوَارِسَ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ بَرَكَبُوا
 فَصَدَقَهُ قَوْمٌ ، فَجَئُوا ، وَكَذَّبَهُ آخَرُونَ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمُ الْجَيْشُ فَانْتَحَسَمُوا .
 وَمِنْ شَعْرِ السَّيْكِ يَرْتِي فَرْسَهُ — وَكَانَ يُقَالُ لَهَا النَّحَامُ — وَأَنْشَدَهَا
 الْمُبَرَّدُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ مِنَ الْكَامِلِ :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَهَا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا نَحَارُ^(٢)
 عَلَى قَرْمَاءَ عَالِيَةٍ شَوَاهُ كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتِهِ خِجَارُ^(٣)
 وَمَا يُذَرِّبُكَ مَا قَرَى إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَوْ أَوْ أَعَارُوا^(٤)
 وَيُخْفِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْخَضِرِ نَصًّا بِصَيْدِكَ ذِيلاً وَالْمَخْرَارُ^(٥)

أَيُّ بِصَيْدِكَ . وَنَافِلًا : ثَانِيًا ، وَرَارَ : ذَائِبٌ مِنَ الْهَزَالِ ؛ وَحِكَايَةُ السُّلَيْكِ
 عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَحِكَايَةُ الشَّنْفَرِيِّ عَنْهُ وَعَنِ الشَّيْبَانِيِّ ؛ وَكَلَّتَاهَا عَلَى اخْتِصَارٍ .
 وَنَزَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ كِنَانَةَ ضَيْفًا ، فَأَكْرَمُوهُ ، وَجَمَعُوا لَهُ إِبِلًا كَثِيرَةً ،
 وَأَعْطَوْهُ إِيَّاهَا ، وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَشَاحَ ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْتَقَصَ عَدُوُّهُ ، فَقَالُوا
 لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَرِينَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدُوِّكَ ! قَالَ : نَعَمْ ، ابْعَثُوا لِي أَرْبَعِينَ شَابًا ،

(١) الْأَغَانِي ٢٠ : ٣٥٣ (طَبَعَةُ بَيْرُوت)

(٢) الْكَامِلُ ٣ : ٣ : ٦٩ ، قَالَ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : الْخَارُ : الصَّدَقَةُ ، يُرِيدُ الْمَلَاةَ
 وَأَنَّهُ قَدْ ارْتَفَعَتْ قَوَائِمُهَا لِلْمَوْتِ . وَالْأَصْلُ : جَمْعُ أَصِيلٍ ، وَالْأَصِيلُ : الْعُشْبِيُّ .

(٣) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : قَرْمَاءُ ، مَمْدُودَةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ : وَشَوَاهُ : قَوَائِمُهُ .

(٤) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَلَوْ أَوْ أَعَارُوا ؛ إِذَا طَلَبُوا أَوْ مَرَبُوا .

(٥) قَوْلُهُ . « بِصَيْدِكَ » ، أَيُّ بِصَيْدِكَ ، يُقَالُ : صَدَنَكَ طَلِيًا ، قَالَ أَفَقَ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَإِذَا كَأَلْتُمُ الْمَوْتُ أَوْ وَزَنْتُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

وأَتُونِي بِدِرْعٍ ثَقِيلَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَأَتَوْا بِهَا وَاخْتَارُوا مِنْ شَبَانِهِمْ أَرْبَعِينَ أَقْوِيَاءَ .
عَدَاثِينَ ، فَلَبَسَ سُلَيْكُ الدَّرْعَ ، ثُمَّ قَالَ لِلشَّبَانِ : الْحَقُونِي ، ثُمَّ عَدَا عَدْوًا وَسَطًا ،
وَعَدَا الشَّبَانُ وَرَاءَهُ جِهْدَهُمْ ، فَلَمْ يَلْحَقُوهُ حَتَّى غَابَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا حَتَّى عَادَ
إِلَى الْقَوْمِ وَحْدَهُ يَحْطِرُ ، وَالدَّرْعَ عَلَيْهِ ، وَسَبَقَ الشَّبَانُ .

وَخَرَجَ فِي لَيْلَةٍ مَقْمَرَةٌ يَطْلُبُ الْإِغَارَةَ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ آخِرَ اللَّيْلِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
مَلْتَفٌ بِكِسَاءٍ ، جَثَمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِثْلُهُ ، شَدِيدُ الْبَأْسِ ، عَظِيمُ الْقُوَّةِ ، وَأَمْسَكَ عَلَى
يَدَيْهِ ، وَمَنَعَهُ التَّحَرُّكَ ، وَجَعَلَ يَلْمِزُهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَيَقُولُ لَهُ : اسْتَأْذِنْ يَا خَبِيثَ ،
فَاجْتَهَدَ سُلَيْكُ حَتَّى خَلَّصَ إِحْدَى يَدَيْهِ ، فَضَمَّ الرَّجُلَ إِلَيْهِ كَضْمَةٍ ، وَعَصَرَهُ عَصْرَةً ،
فَضَرَطَ ، فَقَالَ لَهُ : أَضْرَطًا وَأَنْتَ الْأَعْلَى ^(١) ! فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، فَلَمَّا تَخَلَّصَ مِنْهُ ،
قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ افْتَقَرْتُ فَقُلْتُ : لِأُخْرِجَنَّ وَلَا أَرْجِعَنَّ إِلَى
أَهْلِي حَتَّى آتِيَهُمْ وَأَنَا غَنِيٌّ . فَقَالَ لَهُ السُّلَيْكُ : انْطَلِقْ مَعِيَ ، فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا ثَلَاثًا ،
قِصَّتُهُ قِصَّتَهُمَا ، فَاصْطَحَبُوا حَتَّى أَتَوْا وَادِيًا لِمُرَادَ ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَيْهِ إِذَا فِيهِ نَعَمٌ ،
قَدْ مَلَأَ نَوَاحِيَهُ مِنْ كَثْرَتِهِ ، فَقَالَ لَهَا السُّلَيْكُ : كَوْنَا قَرِيبًا مَنَى حَتَّى آتَى الرَّعَاءُ ،
فَأَعْلَمُ عِلْمَ الْحَيِّ : أَهْوَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ؟ فَإِنْ كَانَ قَرِيبًا رَجَعْتُ ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا
أَوْحَيْتُ إِلَيْكُمَا بِقَوْلِي فَأَغِيرَا . فَأَتَى الرَّعَاءُ فَاسْتَخْبَرَهُمْ عَنِ الْحَيِّ ، فَأَخْبَرُوهُ
بِبَعْدِ الْحَيِّ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ طَلَبُوا لَمْ يَدْرِكُوا ، فَقَالَ لِلرَّعَاءِ : أَلَا أَغْنِيكُمْ ؟ قَالُوا :
بَلَى ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ فَفَتَى :

يَا صَاحِبِي أَلَا لَا حَيَّ فِي الْوَادِي سِوَى عَبِيدٍ وَأَمٍّ بَيْنَ أَذْوَادٍ ^(٢)
أَتَنْظُرَانِ قَرِيبًا رَيْثَ غَفَاتِهِمْ أَمْ تَعْدَوَانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِي !
فَلَمَّا سَمِعَا ذَلِكَ أَتَيَاهُ ، وَطَرَدُوا الْإِبِلَ فَذَهَبُوا بِهَا ، وَلَمْ يَلْغِ الصَّرِيخُ الْحَيَّ ،
حَتَّى فَاتُوا بِالْإِبِلِ ^(٣) .

(١) المبدأى ١ ٤٢٠ ، جهره الأمثال ١ : ١٣٠

(٢) الرِّيحُ هُنَا : الْقُوَّةُ

(٣) الشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

قال ابن الأعرابي : آم مقلوب آيم ، وهم العزَاب ، جمع أمة^(١) .
 وكان السليك من أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وكان يستودع
 ثلثاء بيض النعام في الشتاء ، ويدفنه في المقاور العظيمة ، فإذا كان الصيف
 وانقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة ، وشرب من ذلك الماء . وكان يقول :
 اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، وأما الهيبة فلا هيبة .

* * *

قوله : «عِدْوَتُهُ» ، العدو بالكسر : الحالة ، وبالفتح المرة الواحدة ، فريد
 الحريري أن إسرعهما إلى الوالي كان كعدوة السليك .

* * *

فلما حضره ، جدّد الشيخ دعواه ، واستدعى عدوّاه ، فاستنطق
 الغلام وقد فتّنه بمحاسن غُربته ، وطُرّ عقله بتصفيف طُربته ، فقال :
 إنها أفيكّة أفاك ، على غير سفاك ؛ وعضيّة مُحْتال ، على من لبس
 بِمُتّال . فقال الوالي للشيخ : إن شهد لك عدلان من المسلمين ،
 وإلا فاستوف منه اليمين . فقال الشيخ : إنه جدّ له خاسيا ،
 وأفاح دمه خاليا ، فأتى لي شاهد ، ولم يكن ثمّ مُشاهد ! ولكن
 ولّني تليقينه اليمين ، ليعين لك : أصدق أم يمين ! فقال له : أنت
 المالك لذلك ؛ مع وجدك المتهاك ، على ابنك المالك !

* * *

واستدعى عدواه ، أي طلب إغاثة وأعداه الحاكم : أغاثه . استنطق :
 أمره أن ينطق ، وقد بين سر هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام .

(١) نقله في اللسان ١٨ : ٤٧ .

قال : « ثم استنطقته عن اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ، وكيف لهجته من بهجته ^(١) . وكذلك لم يُردِ الوالى أن يستنطقه ليقول حجته ؛ بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته . وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان .

[إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره]

وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب بإبراهيم بن سيار النظام ، الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام ؛ وذلك أنه تقيّ غلاماً جميل الوجه ، مقبول الصورة ، فاستحسنه ، وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة ، فقال له : يا غلام ، إنه لولا ما سبق من قول الحكماء ، لما جعلوا السبيل لثلى إلى مثلك . بقولهم : لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول ، ولا أن يكبر عن أن يقال له ، أما أنستُ إلى مخاطبتك ، ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان ، فقال له الغلام - وهو لا يعرفه : لئن قلت ذلك أيُّها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالجنانسة ، وتميل إلى ما قارنها بالمواقفة ، وكيانى مائل إلى كيائك بكأيتى ؛ ولو كان الذى انطوى عليه لك عرضاً لم أعتد به ودأ ، ولكنه جوهر جسمى ، فبقاؤه ببقاء النفس ، وعدمه بعدمها ، وأقول كما قال الهذلى :

فتنبئنى أنى بكم كلف^(٢) ثم اصنعى ما شئت عن علم^(٣)

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت ، وأنت عندى حسن الصورة غلام ، ولولا أن محلك محل مقيم ما تعرّضت لك ، ثم اعتلقة النظام بعد ، وقال فيه جرباً على علمه :

(١) متن القامات ص ٣٧٣ (طبع الحسينية) .

(٢) ديوان الهذليين ٩٧٣ ، ونسبه إلى أبى صخر (طبعة مدنى) .

توهمه طرفى فآلم خدء فصار مكان الوهم من نظرى أتر^(١)
 وصالحه كنى فآلم كفه فمن لس كنى فى أنامله عَمُرُ
 ومَرَّ بفسرى خاطراً فخرته ولم أر خلقاً قطَّ يجرحه الفِكْرُ^(٢)
 وقال فيه أيضا :

وإذ تأمل فى الزّجاجة ظلّه جرحته لحظة مقلة الظّل
 وقال فيه أيضا :

أفرغ من نور سماوى مصوّرٍ فى جسم إنسى
 وافتر الحسن إلى حسنه فجَلَّ عن تحديد كفى
 وقال فيه :

يا مشرقاً ملأ العيوى ن فلحظها ما يستقل^(٣)
 أوفى على شمس الضُّحى حتى كَانَتِ الشمسُ ظلّ
 أتريد قتلى عامداً ولَفَتْلُ منى ما يحلّ !

فصرت فى شعره من صناعته ، وأبدع فى تخيله ببراعته .

* * *

قوله : « غرته » ، أى وجهه . طَرَّ ، أى قطع وأذهب . تصفيف طرّته : شعره .
 المعتدل على جبهته . أفيكة أفاك : كذبة كذاب . سفاك : قتال . عضيهه : بهتان .
 وباطل . مغتال : قاتل النيلة . استوف : استكمل . جدّله : صرعه وألقاه على .

(١) أمالى المرتضى ١ : ١٨٨

(٢) بدمه فى أمالى المرتضى :

يمرّ فمن لينٍ وحُسنٍ تعطفٍ يقال به سكرٌ وليس به سكرُ

(٣) ديوان المعانى ١ : ٢٣١

الجدالة ، وهى الأرض : خاسياً : متباعداً ممنوع الكلام ، كأنه فهره ومنعه أن يصبح عند قتله ، ولذلك لم يجد عليه شاهداً ، وأصله الهمة فستهله ليوافق « خالياً » إن أخذته من خسات السكلب ، وإن أخذته من خسي البصر إذا كل ، فلا تسهيل فيه ، ومعناه قريب من الأول ، أى أنه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله . أفاح دمه ، بجاء مهمل : أراقه . قال أبو زيد فى نوادره : أفحت دمه ففاح فيحاً وفيحانا ، وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجعججاً ولم ندع لاسرح مراحاً
* إلا دياراً أو دما مفاخاً *

وقال أبو حاتم : أراد : ودما مفاخاً أى مهراقاً . خالياً : بمعنى « مفرداً » . أى ، بمعنى كيف . مُشاهد : من شاهد حاله وحضر عليها . ولئى : مكثى . تلقينه : تفهيمه وإلقاءه عليه . يمين : يكذب . وجدك : حزنك . التهالك : الكثير التفاوت ، وتهالكت المرأة عليه : تراخت عليه ، وتكاسلت ، قال الأعشى ^(١) :
تهالك حتى ينكر المرء عقله وتُسبى الحكيم ذا الحجبى بالتقتل ^(٢)

* * *

فقال الشيخ للفلام : قل : واللذى زين الجبأ بالطرير ،
والعيون بالهور ، والحواجب بالبلج ، والمباسم بالفلج ،
والجفون بالسقم ، والأنوف بالشمم ، والخدود باللآب ، والنفور
بالشنب ، والبنان بالترف ، والخصور بالهيف ، إني ما قتلت ابنتك

(١) اللسان - فيج ، ونسبه إلى ابن حرب بن عقيل .

(٢) ديوان الأعشى ٣٠٣

(٣) الديوان : « حتى ينكر المرء عقله » . وتهالكت المرأة فى مشيها : تمايلت .

سَهَوَا وَلَا عَمْدًا ، وَلَا جَمَلْتُ هَامَتُهُ لِسِنِّي غَمْدًا ، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ
جَفَنِي بِالْعَمَشِ ، وَخَذَنِي بِالنَّمَشِ ، وَطَرَّقَنِي بِالْجُلُخِ ، وَطَلَعَنِي بِالْبَلْعِ ،
وَوَرَّدَنِي بِالْبَهَارِ ، وَمَسَّكَنِي بِالْبُخَارِ ، وَبَذَرَنِي بِالْحَقِ ، وَفِضَّنِي
بِالْأَحْزَاقِ ، وَشَعَّأَنِي بِالْإِظْلَامِ ، وَدَوَّأَنِي بِالْأَقْلَامِ .

° ° °

قوله : « الذي زين الجباه بالطرر ... » ، إلى آخر يمينه ، إنما ذكر صفات
الحسن شيئاً بعد شيء ، يُرى هذا الوالى كال الغلام ، فيشتد حبه فيه ، فإذا ذكر صفة
من صفاته تبه الوالى بذكرها على النظر إليها ، فوجدها كما يصف ، فهو الآن فى
هذه اليمين مجلّو محاسن الغلام عليه .

الطَّرَر : جمع طُرَّة ، وهى اعتدال الشعر على الجبهة ، والطُّرَّة عندهم أن يقطع
للجارية من مقدّم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها ، فيبقى ما بين شعر
ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقياً ، والشعر عليها معتدل ، كطُرَّة الثوب ثم نسي .
الشعور الحسن طُرراً .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث فائتات : الشعر
الحسن ، والوجه الحسن ، والصوت الحسن » .

عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملائكة السماء
يسبحون بذوات النساء وبلحى الرجال ، فيقولون : سبحان الذى زين الرجال
باللهى ، والنساء بالدواب » .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسال عن
شعرها كما يسأل عن وجهها » .

قالوا : الشعر الحسن يزيد الوجه حسناً وجالاً ، وقال ابن صارة^(١) - وكأنه وصف طرة هذا الغلام - يصف بها أبا الفضل بن الأعم ، وكان من أجل الناس وأذكهم^(٢) في علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحق ، فقال فيه :

أكرم بجمفر اللبيب فإنه ما زال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاح»^(٣)
 ماء الجمال بخدّه متفرقٌ فالعين منه تجول في صَحْضَاحٍ^(٤)
 ما خدّه جرحته عيني ، إنمّا صَبَّغَتْ غِلَالَتَهُ دِمَامَهُ جِرَاحِي
 لله زأى زبرجد في عجدٍ في جوهر في كَوْنٍ في رَاحِ
 ذى طَرَّةٍ سَبْجِيَّةٍ ذى غَمَرَةٍ عاجية كالليل والإضباح
 وشأله خدّ البرى ولحظه أبداً شريك الموت في الأرواح

* * *

[مما قيل في أنواع الحسن والجمال]

ونذكر بعد هذا الخور في العينين ، وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل ، وكل ذلك عندهم مدوح . وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر ، على أننا نلّم ببعض ما قيل في ذلك ، وأما ما يزهّد فيه من ذلك ، ويقلّ ذكره في أشعارهم فالزرق ؛ على أنه قد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الزرق في العينين يُمن» .

(١) ط : « صارة » ، مصحف . (٢) فتح الطيب : « وأذكاهم » .

(٣) فتح الطيب ٥ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وكتاب الإيضاح في النحو لأبي عل الفارسي .

(٤) الضحضاح : الماء القليل .

وقال معاوية لضحار العبدى : إنك أحر ، قال : والذهب أحر ، قال :
إنك لأزرق ، قال : والبازى أزرق .

ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بعينيك زُرْقَةً كذاك عِناق الطير زُرْق عيونها

وقال الصنوبرى :

قالوا به زُرْقَةٌ ، قلت لهم بذاك تمت خصاله البهجة^(١)
ما كحل العين مثل زُرْقها كم بين ياقوتة إلى سَجْنة!

وقال آخر :

ما مثلُ ذا الظبي في الطَّباء الأزرق الأزرق القَباء
يجول في مقتلته طرفي في زُرْقَة السماء والسماء
يا أبى الشَّتر ما عليهم من ذلك النور والبهاء
شُمرة شمسٍ على بياضٍ شعاع شمس على هواء

وكلّ هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الألوان ، لسواد الألوان في
التاسعة فصل مستظرف قفف عليه .

واختلفوا في الحور ، فقال أبو عبيدة : الحوراء : الشديدة بياض بياض العين
في شدة سواد سوادها .

وقال أبو عمرو : الطيبة الحوراء : السوداء العين التى ليس في عينها بياض ،
ولا يكون هذا في الإنس إنما يكون في الوحوش .

وقال يعقوب : الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض .

وقال قطرب : الحوراء : الحسنة المحاجر ، صغرت العين أم كبرت .

واشتقاق « ح و ر » يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة ؛ لأنهم إنما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض ونحوه ، وقلما يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ، ألا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك في النقاء ، وقال القاضى التذوخى فى أحور :

حَوْرٌ بعينه أطال تحيُّرى ترك الدموع بخدَّي المتصفر^(١)
غصنٌ تأوَّد فوق غُصْنٍ من نقاً ليل تبلِّح عن نهارٍ مُسفرٍ
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكة متبسِّم عن جوهرٍ

والتلج : أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشعر ، وهو من علامات السيادة عند العرب ، ويُتمدح به ويُتيمن بصاحبه ، ويُتطير بمقرون الحاجبين ؛ ويقال : أبلج وأبلد ، وهى البلجة والبلدة ، قال كثير :

جميلٌ الحميَّا أبلجُ الوجه واضحٌ حلیم إذا ما زلزلته الزلَّارِلُ
الفَّاج : أن يكون بين منابت الأسنان تباعد ، وقد فليح ثفره فلجاً ، وهو مستحبٌ فى الثفر . قال وجيه الدولة : وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافاً ذكرها الحريرى رحمه الله هنا :

إذا عدم الرِّوَضَ المنوَّرَ ناظرى أرانيه ظيُّ فاطر الطَّرف أدعجُ
فصدُّغاه رِيحائى وعيناة رُجسِ ومن ثفره لى أقحوان مفجُّ
وواحرَ بآ من حسن وردٍ بخدَّه يُطيف به من عارضيه بنفسجُ

(١) الأبيات فى بنية الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٢) بمدى فى القيمة :

وأطال من لى وقصر ليله ألى سهرت وأنه لم يسهر

الجنون : أغشية العيون ، ثم تسمى العين جفنًا مجازاً .

والسقم : فتور العين ، ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس :

فطبت بحديث من نديم مساعدٍ وساقية بين الراحق والحلم^(١)
ضعيفة كثر الطرف تغيبُ أنها قريبة عهد بالإفاقة من سُقمٍ
وقال أيضاً :

وشادن قال لي أنا رأيت سقمي

وضعف جسمي والدَّمع الذي انسجماً

أخذت دمعك من لفتي ، وجسمك من

خصري ، وسُقمك من طرفي الذي سقمًا

وقال ابن الرومي :

قلبي من الطرف السقيم سقيمٌ لو أن من أشكو إليه رجمٌ

وقال ابن الزقاق :

ومقلع شادن أو دت بجسمي كأن الثمَمَ لي ولها لباس^(٢)

يسل اللحظ منها مشرفيها لفتلي ثم يفرقده النقاسُ

ولأبي العلاء بن زهر في مثل ذلك :

يا راشقي بسهامِ ما لها غرضٌ إلا قوادى وما منها له عِوضُ

(١) ديوانه ٣٢ ، حاسة ابن السجري ١٩٥ ، وذكر البيت الثاني وبمعه :

تفوق مالي من طريف وتالد تفوق الصَّبياء من حلب الكرم

قال : قوله « تفوق مالي » هو من الفوق ؛ وهو ما بين الحلبتين .

(٢) ديوانه ١٩٠

(٢٦ - شرح مقامات الحريري ١)

ومرضى بجفون كلها سقم
امن ولو بخيال منك يؤنسني
صحت وفي طبعها التريض والمرض
قد يبد مسد الجواهر العرض

الشم : ارتفاع في لين الأنف ، وهو من علامات الجلال والسودر ،
قال الفرزدق :

بسكفه خيزران ربحه عبق
من كف أروع في عز نينه شم^(١)
يغضى حياء ويغضى من مهابة
فلا يكلم إلا حين ينسم
وقال آخر :

في باعه طول وفي وجهه نور
وفي المرين منه شم
وقال النابغة^(٢) :

* شم المرانين ضرابون للهام *

اللهب : اشتعال النار بغير دخان ، فشبّه الحرة في الخلد وضياؤه بحمرة النار ،
كفى به أبو لهب لجاله .

وقال ابن وكيع : لجمع السقم واللهب :

واحزنى من جفون ظبي
أقام عذري بها عذاره^(٣)
أسقم جسمي بسقم طرف
حبرني في الهوى اخوراره
عجبت من بحر جنتيه
يحرقني دونه استعاره
هو اختياري فأبصروه^(٤)
شاهد عقل النتي اختياره

(١) ديوان الحاسة - بشرح الرزوقي ١ ، ١٦ .

(٢) ديوانه ٧٣ . صدره :

* مستحقني خلق الماذي يقدمهم *

(٣) يتيمة الدهر ١ : ٣٤٢ ، وفيه : « واحزنى » .

(٤) البنية : « هذا اختياري » .

وله قريب منه :

كَأَنَّ صَدْعًا لَهُ تَرَاهُ
يَتَّ مِنْ الْحَسَنِ لِي إِلَيْهِ
ولا بن الزقاق :

بَابِي مَنْ لَمْ يَدْعُ لِي لِحْظَهُ
جَعَلَتْ نَكَبَتُهُ فِي تَفْرِه
وَبَدَتْ خَجَلَتُهُ فِي خَدِّهِ
وقال الخفاجي (٣) :

يَابَانَةٌ تَهْتَزُّ فَيَنْبَانَةٌ
كَمِ دَمْعٍ عَيْنٍ فِيكَ قَدْ أَجْرِيَتْهُ
كَتَمْتُ فَسَبَى قَوْسَهُ حَاجِبًا
فَإِنْ رَمَى يَمْحُخُنِي طَرْفُهُ
فَيَصْبِغُ الدَّرَّ عَقِيقًا بِهِ
يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ
قَدْ طَبَعَ الْحَسَنُ بِهِ دَرَاهِمًا
فَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجْجُوسِيَّةٌ

غيره :

وَأُعِيدُ تَذْمِي وَجَنَّتَاهُ مِنَ اللَّحْرِ
غَدَا قَاتِلِي أَنْ ظَلْتُ أَجْرَحُ خَدَّهُ
تَخْلُقُ إِلَّا مِنْ صُدُودِي بِالشَّحِّ
مَتَى صَارَ بِالْقَتْلِ الْقِصَاصُ مِنَ الْجُرْحِ !

(١) ينمة الدهر : ١ : ٣٣٣ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خلفاجة ، ويعرف بالخفاجي أيضا ، والأبيات في ديوانه ١٢٥ .

(٤) الديوان ٥ : وأصبغ التواريخ .

الثغور : جمع ثغر وهو السن . وتقدم الشَّب في الثانية .

وقال العباس بن الأحنف في طيب النعم :

ذكرتكِ بالتفاح لَمَّا شَمَمْتُهُ وبالراح لما قَابَلْتِ أَوْجَهَ الشَّرْبِ^(١)
وتذكرتِ بالتفاح منكِ سِوَالِنَا وبالراح طعماً من مَقَبَلِكِ العَذْبِ

وقال ديك الجن ، واسمه عبد السلام :

بأبي فمٌ شهد الصَّمِيرُ لَهُ قبل المذاقِ بأنه عَذْبُ
كشهادةِ اللَّهِ خالصةً قبل العيانِ بأنه الرَّبُّ

وقال أحمد بن محمد الفاسي :

له ميسمٌ برقهُ خاطفٌ عقولُ الرجالِ إذا ما ابْتَسَمَ
أقولُ له إذْ بدا دُرُّهُ شهدنا لسانه بالحِكمِ
أرى الدَّرَّ تنقبه الناظِمُونَ وما تقبوا إذا فكيف انتظَمَ!

وقال أبو بكر البلوي :

تَقَطِّفُ من ثَغَرِهِ ووجنَّتِهِ أناملُ الطَّرَفِ زهرةً عَجَبًا
شقيقها مذهباً يُرى خجلاً وأقحواناً مفضضاً شنبًا

وقال ابن بشر الكاتب :^(٢)

ولم تَزَلْ ، والظلام حارسُنا جسمينِ مستودَعَيْنِ في جِسمِ
ألئمهُ في الدُّجَى وبرقِ ننا ياهُ يريني مواقعِ الشَّمِ

(١) ديوانه ٤٤

(٢) هو الحسن بن علي بن بشر الكاتب ، والأبيات في نهاية الأرب ٢ : ١٠٤

ثم افترقنا عند الصُّباح وقد اُتْر فيه كهيئة الخـتم

وقال الشريف الرضى :

بقنّا فجميعين في تَوْبَى هَوَى وَتَوْبَى بَعْنَا الشَّوْقَ مِنْ فَرَقٍ إِلَى قَدَمٍ^(١)
وبات بارق ذاك الشَّعرُ بوضوح لى مواقع اللّمْ فى داجٍ من الظلم

وقال المتنبي :

حِسان النشئ ينقش الوشى مثله إذا مِشَنَ فى أثوابهنَّ النَّواعِمُ^(٢)
ويستمن عن دُرٍ تقلدن مثله كأنَّ التراقي وُشِّحتْ بالبنيم
فهذه معانٍ مختلفة فى أوصاف الشعر كلها حسان .

* * *

قوله : « والبنان بالتrof » ، أى الأصابع باللين والنعمة ، وأحسن ما قيل فى ذلك قول النابغة :

بمَخَضِبٍ رَخِصٍ كَانَ بَنَانَهُ عَمَّ بِسَكَادٍ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعَقِّدُ^(٣)
فهذا تشبيه بدیع .

وقال امرؤ القيس :

وتعطو برَخِصٍ غَيْرِ شَمْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِعُ ظَنِي أَوْ مَسَاوِيكَ إِسْجَلٍ^(٤)
وقال غيره :

يا قمرأ أبصرتُ فى مائِمٍ يندُبُ شجراً بين أترابٍ^(٥)

(١) ديوانه ٧٢٣

(٢) ديوانه ٢ : ١١١ ، وفيه : « و أجسامهن » .

(٣) ديوانه ٣٠

(٤) ديوانه ١٧

(٥) لأبي نواس ، ديوانه ٣٦١ ، مختار الأغاني ٣ : ١٣٠

أبرزه الماتم لي كارهاً
بيكي فيذري الذر من نرجس
من بين رايات وحجاب
وبلطم الورد بعناب
وقال عكاشة^(١) :

سقىا لمنزلنا الذي كا به
إذ نحن نسقاها شمولاً قرقنا
يوم الخميس عشيةً أضحاباً
تدع الصبح بعقله مرتاباً
من كف جارية كأن بناتها
وكان يمنها إذا ضربت بها
تلقى على يدها الشمال حساباً

وقال آخر :

وحوراء الواحظ بين قلبي
تري ماء النعيم يحول فيها
وبين جفونها حرب البسوس
كمثل الخمر في صافي الكنوس
كان بناتها أقلام عاج
مرصعة الرأس بآبنوس

ووصف الخصور بالهيف ، وهو الضمر والرقعة ، وسنذكر معها ما يستظرفه
وقد تقدم قول ابن عبد ربه :

يا مَنْ تَطْعَ خَضْرُهُ مِنْ رِقْمٍ
ما بال قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقاً^(٢)

وقال ابن الرومي :

وَهَبَتْ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا
ظِيَّ كَأَنَّ بَخْضَهُ
فَأَنَابَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا
مِنْ ضَمْرِهِ ظَلَمًا وَجُوعَا

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد المصمى ، منسوب إلى بني المصم ، من شعراء الأغاني .
والأبيات في مختار الأغاني ٤ : ٥٠٨ .
(٢) مطلع الأفس ٥٢ .

وقال عبيد^(١) الله بن عبد الله :

سَلَمَى وما سَلَمَى تَفُوقُ الْمَنَى والحسنَ أوصافاً وأنوَّاناً
وِشاحها يَحْسُدُ خَلْخالها كجائعٍ يحْسُدُ شَبَعاناً

وقال كشاجم في مقلوبه :

مَسْرولة الكَلِّ غير بطن مَثَقَلٍ فَهِيَ نَعَكَبُوتُ
حَجُّوْها الدَّهْرَ في اضطرابٍ ووشحها كاظِمٌ صَمُوتُ

وقال حبيب :

مَهْما الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَانَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَائِلُ^(٢)
مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنْ الْخَلَاخِيلَ صُيِّرَتْ لَهَا وَشُجَا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِيلُ

أخذه القاضي ابن لبّال فقال :

جَلُوتَ لَنَا شَيْئاً مِنَ الدَّرِّ عَاطِلاً بِمِيشِكَ لِمَ جَنَّبْتَهُ الْجِيدَ وَالنَّجْرَا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيتُ سُقُوطَهُ وَأَوَمْتُ إِلَى فِيهَا فَنَظَّمْتَهُ تَغْرَا
كَذَلِكَ إِنْ عَضَّ السَّوَارُ بِمَعْصَمِي وَحَازَرْتُ أَنْ يَدْمِيهِ حَمَلَتُهُ الْخَضْرَا

وأكثر ما يذكرُون الخضر بالرفقة مع ذكر الكفل بالعظم ، كما قال

ديك الجن :

وَتَمَائِلَتْ فَضَحَكَتُ مِنْ أَرْدَا فِيهَا عَجَباً ، وَلَيْكِنِّي بَكَيْتُ لَخَضْرَاهَا^(٣)
تَسْقِيكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا وَرَدِيَةً ، وَمُدَامَةٍ مِنْ تَغْرِهَا

وقال القاضي أبو حفص بن عمر :

(١) ط : « عبد الله » ، وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وأخباره وشعره في
أمين خلكان ١ : ٢٧٣ ، والبيتان في ديوان المعاني ١ : ٢٥٠ .

(٢) ديوانه ٢٥٦

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٥ .

مُسْتٌ كَأَنصَن يَنْبِيهِ النَّسِيمُ وَيَمْدُوه النَّسِيمُ فَيَسْتَقِيمُ
 لَهَا رِدْفٌ تَعْلُقُ مِنْ ضَعِيفٍ وَذَاكَ الرِّدْفُ لِي وَلَهَا ظُلُومُ
 يَعَذِّبُنِي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ وَيَتَعَبَانِ إِذَا رَأَيْتُ تَقُومُ
 وَمَا حَجَّتْ لَهَا إِلَّا عَذَابٌ عَلَيْهِ مِنْ نَضَارَتِهَا نَعِيمُ

قوله: «سهوًا». أى خطأ. والهامة: الرأس. وإلا فَرَمَى اللهُ جَفْنِي بِالْعَمَشِ،
 إنما ذكر العمش والنَّمَشَ وما بعده لأنها أضداد لما تقدم، وعند الإشارة لها بتبيين
 من الغلام عند الوالى أضدادها، فيزداد حسنًا .

* وَبُضْدَهَا تَدْبِينُ الْأَشْيَاءُ * (١)

والعَمَشُ : انتثار شعر العينين . والنَّمَشُ : أخفى من البَرَشِ . الجَلَجَحُ : الصَّلَعُ ،
 وهو انحسار الشعر من التزعتهين ، وفعله جَلَحَ الرجل واجْلَحَ ، كاسودَّ . والطلعُ
 قد تقدّم في الثانية ، وإذا علته خضرة سُمِّيَ بِلُحَا . والبهار : برجس المغرب ،
 وهو أصفر ، والورد أحمر ، فدعا له بعلّة تذهب جمال وجهه وتصفّر حمرة خده .
 والبخار : كالبخَرِ : الدُّنَن . والمسكة : أطيب العطر ، فدعا له بتغيز الرائحة . وتقدّم
 أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة . وتقدّم في الثانية معنى قوله :
 « ووردتني بالبهار » منظرًا ، وقال الصّابى فى البحر :

نطق ابن نصر فاستطارت جيفةٌ فى العالمين لنتن فيه الفاسدِ (٢)
 فكان أهل الأرض كلهم فسّوا متواطئين على اتّفاق واحدٍ
 وقالت جنان فى أبى نواس :

فإذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك شُكْرًا
 فليكن ذاك بالضمير فن سَبَّحَ بالفـو نال إنما ووَزَّرَا

(١) لدنبي ديوانه ١ : ٢٢ ، وصدره :

* وَنَذِيْمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ *

(٢) ينبئة الدهر ٢ : ٢٦٣ .

وقال آخر :

أهدى زريق قطه لقمه قد لا كهافى فيه الأبخر
فبادر القط إلى دفتها يحسبها من بعض ما قد خرى

قوله: «وبدرى بالمحاق» ، المحاق: أن يتمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شيء .
واحتراق الفضة : اسودادها . وشعاعى بالظلام ، أى صباحة وجهه ووضاءته
بسواد اللحية ، أى عاجلنى لله بالالتحاء ، ويريد بهذا كله أن يكسوا بياض
وجهه سواد الشعر ، فيكسد ولا يلتفت إليه .

وقال ابن المعتز في مثل هذا الدعاء :

يا رب إن لم يكن فى وصله طمع^(١) وليس لى فرج من طول هجرته^(٢)
فاشف السقام الذى فى طرف مقتلته واستر ملاحه خدته باجيتته
ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسين النفرى^(٣) ، وهو من شعراء القيمة:
لى حبيب يزهى بحسن عجيب وبقد مثل القضيبي الرطيب
أحدثت بالسواد فضة خديبه ، فقد أحرقت سواد القلوب

[ذكر العذار والالتحاء]

ونذكر هنا ما يلىق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح
به وذم ، قال ابن عبد ربه :

ومعذري نقش الجمال بمشكبه خداه لى بدم القلوب مضرهجا^(٤)
لما تيقن أن سيف جنونه من نرجس جمل النجاد بنفـهجا

وقال ابن صارة^(٥) :

(١) ديوانه ١ : ٧١

(٢) هو أبو الحسين محمد بن عمر النفرى الكاتب ، من شعراء العراق ، والبيتان فى
القيمة ٢ : ٣٤٦ . (٣) القدر ١ : ٣٣

(٤) ط : « صارمة » ، تصحيف ، والبيتان فى نهاية الأرب ٢ : ٨٦ .

ومعذّر رقت حواشي حسنه
لم يكس عارضه السواد وإنما
فقلوبنا حذرًا عليه رفاق
نفقت عليه سوادها الأخداق^(١)
وقال عبد المحسن الصوري :

ومعذّر العذار إلى فؤادي
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي
وإنما قلت إن الشعر بستي
لجسم سابق من مُقلتيه^(٢)
عن الأعراض خضرة عارضيه
لقلبي في الخلاص سعى عليه
وقال أبو القاسم الزاهي :

لولا عذارك ما خلت عذاري
ما كنت أحسب أن أعابن أو أرى
حتى نظرت إلى عذارك فاعتدي
وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسنُ بالعذار
أخضر في أبيض تبدى
لقد حوى مجلسي تمامًا
واختلط الليل بالنهار^(٣)
ذلك آبي وذابهار
إن بك من ربه عماري

وقال ابن حمدون :

ظل على خده العذار
وأبيض هذا واسود هذا
أغض عيني عنه لآني
فافضح الأس والنهار
واجتمع الليل والنهار
عليه من مُقلتي أغار

(١) والبيتان أيضا في الذخيرة ١ : ١ : ١٢٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٥٧ .

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٩٩ .

(٤) الذخيرة ١ - ق ٢ : ١١ ، ١٤ - ق ٢ : ١٤ .

فهذا كله حسن في مدح المِذار؛ وإن كان النذير بموت الجلال، فإذا تقوى
المِذار واسود؛ صاروا إلى نعيه، كما قال أبو بكر البلوي:

انظرْ إلى مَيِّتٍ وَلَسْكَتْهُ خَلَوْا مِنَ الْأَكْفَانِ وَالْفَاسِلِ
قَدْ كَتَبَ الدَّهْرُ عَلَى خَدِّهِ بِالشَّعْرِ: هَذَا آخِرُ الْبَاطِلِ
وَلَهُ فِي ضَدِّهِ:

لَمَّا التَّحَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ وَقَلْتُ رَسْمٌ قَدْ دَرَّ
عَايَنْتُ مِنْ طَلَّابِهِ زُمَرًا مُوَاصِلَةً زُمَرِ
وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ نَفَاقِهِمْ عِنْدَ الْكِبَرِ
وَكَمَا قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحَاجِّ:

أَبَا جَعْفَرٍ مَاتَ فِيكَ الْجَلَالُ فَأُظْهِرَ خَدَّكَ لُبْسَ الْحِدَادِ
وَقَدْ كَانَ يَنْبِتُ زَهْرَ الرِّيَاضِ فَأَصْبَحَ يُنْبِتُ شَوْكَ الْقَعَادِ
أَيْنَ لِي مَتَى كَانَ بَدْرُ السَّمَاءِ بِذُرِّكَ بِالسَّكُونِ أَوْ بِالْفَسَادِ!
وَهَلْ كُنْتُ فِي الْمَلِكِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ فَأَخْنَى عَلَيْكَ ظُهُورُ الْفَسَادِ
وَقَالَ سَمِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي غِلَامِ التَّحَى:
هَلَّا وَأَنْتَ بِنَاءَ وَجْهِكَ يُسْتَفَى
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحْيَةٌ
مِثْلَ السَّلَاقَةِ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بِسَامٍ فِي أَخِيهِ جَعْفَرٍ^(١):

بَا مَنْ نَعَّمْتُهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لَحْيَتُهُ أُدْبِرْتَ وَالْدَّهْرُ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ
قَدْ كُنْتُ تَمَنَّيْ يَهْشَ النَّاضِرُونَ لَهُ تَفَضَّلَ دُونَكَ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارُ
أَيَّامُ وَجْهِكَ مُصْقُولٌ عَوَارِضُهُ وَلِلرِّيَاضِ عَلَى خَدِّكَ أَنْوَارُ

(١) هو علي بن محمد بن نصر بن بسام البغدادي، والآيات في الدخيرة ١ - ق ١: ١١٩.

فيا لدهرٍ مَضَى ما كان أحسنه
حانت مَنِيَّتُهُ فاسودَّ عارضه
إذ أتت ممتنعٌ ، والشَّريطُ دِينارُ
كما تُسودُّ بعد المَنِيَّةِ الدَّارُ
وفيه بقول أبصا :

حانت وفاتك يا أبا العباسِ
ما بال وجهك بعد كثرة نُورِهِ
فدع المكاسِ فلات حينٍ ومكاسِ
أين الدَّنايرُ التي عودَناها
قد سوَّدوه بحالك الأناصِ !
كانت بخد ثيابه ديباجةً
فمَيَّات جاء الشَّمرُ بالإفلاسِ
كأنَّ بُنْدَ ثيابه ديباجةً
فاستبدلت حِلًّا من الأُحلاسِ
كانت بليته من الآسِ
وكذا البناءُ فعيرٌ مرتفعٍ إذا

وقال مُصعبُ المالحِ :

قد صافحتُ أقطارَ خدكِ حُلْمَةٍ
فكانَ خطُ الشَّعرِ في جَنابِهِ
تركتُهُ وهو مسودُّ الأقطارِ
ليلٌ أقام على نُجومٍ أو نهارِ
وكان لحمد بن بشر بابان يُدخِلُ من الأكبر أصحابه ، ومن الأصغر أصحابه ،
جاء يوماً غلامٌ مليح ، وأراد الدخول من الأصغر على عادته ، فَنِيع ، فجعل يخاصم
البواب لإِدلاله ، فبلغ ذلك ابنُ بشرٍ ، فكتب إليه :

قل لمن رامَ بجهلٍ
بعد أن علق في خدي
مدخلَ الظَّبيِّ القَـريرِ
مخلَّةَ الشَّعيرِ
لَيْتَهُ يَدْخُلُ إن جا
ء مِنَ البابِ الكَـبِيرِ

وقال ابن الأَبار :

لستُ بَصَابٍ إلى مَعْدَنٍ
لا أعشَقُ الظَّبيَّ ذا الجَـامِ
بل أنا في حُبِّهِ مَعْدَنٌ
لأنه في الظباءِ مَنكَرٌ

أحسنُ ما فيه أن تراه بين مهابةٍ وبين جؤذَرٍ

ينظر قوله : «لأنه في الظبا منكر» إلى قول حبيب:

تمشُّقُ الكبارِ بدلَ عُنْدِي على أنَّ الرحي قَلِبْتَ ثِفَالاً^(١)

وقال آخر :

لى فى أبى يحى وممشوقه شغل على ذى شغل شاغل
يا ليت شعري قول ذى حيرة من منها الممول والفاعل!

وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بأبي ظبي صغير السن حازت ثلث سيئي
سررتني أن ليس يدري مذهبي فيه وقتي
فهو يدعوني عمّا وأنا أدعوه بابني

وللعجيز أرزى :

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في ربيع حسن دعائي لاتباع هوى
روض الحاسن حتى يدرك الثمر^(٢) لما تفتح فيه النور والزهر
وقال التَّنُوخِي في جسيم :

من أين أستر وجدى وهومنتهك ما للميتيم في نيل الهوى دَرَكَ^(٣)
قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشمس أعظم جسم ضمّه الفلك
والفقيه ابن حزم :

وذى عدلٍ فيمن سباني حسنه يُطيل ملاهى فى الهوى ويقول^(٤) :

(١) ديوانه : ٤٢٠ : (طبع المعارف) (٢) ينمية الدهر : ٣٣٨ .
(٣) ينمية الدهر : ٢ : ٣١٨ . (٤) الأخيرة ، القسم الأول : ١ : ١٤٧

أَفِي حَسَنٍ وَجْهِ لَاحٍ لَمْ تَرِغِيرَهُ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجِسْمِ، أَنْتَ قَتِيلُ !
فَقُلْتُ لَهُ: أَسْرَفْتُ فِي اللَّوْمِ ظَاهِرًا وَعِنْدِي رَدٌّ لَوْ أَرَدْتُ طَوِيلُ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي ظَاهِرِيٌّ وَأَنْتَ عَلَى مَا بَدَأَ حَتَّى يَفُومَ دَلِيلُ !

وَأَحْسَنَ حَبِيبٌ حِينَ قَالَ :

قَالَ الْوَشَاءُ بَدَأَ فِي الْخُلْدِ عَارِضُهُ قُلْتُ لَا تَنْكُرُوا وَمَا ذَاكَ عَائِبُهُ^(١)
الْحَسَنُ مِنْهُ عَلَى مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ وَالتَّمَرُ حِرْزٌ لَهُ مِمَّنْ يَطَالِبُهُ
أَحْلَى وَأَعَذِبُ مَا كَانَتْ شَمَائِلُهُ إِذْ لَاحَ عَارِضُهُ وَاخْضَرَ شَارِبُهُ
وَصَارَ مَنْ كَانَ يَلْحَى فِي مَوَدَّتِهِ إِنْ سِيلَ عَنِّي وَعَنهُ قَالَ صَاحِبُهُ

وَقَالَ الْخُلَوَانِيُّ :

قَالُوا النَّحْيُ فَاتَحَتْ بِالشَّعْرِ بَهْجَتُهُ قُلْتُ : لَوْلَا اللَّهُجَى لَمْ يَحْسَنَ الْقَمْرُ^(٢)
خَطَّتْ يَدُ الْحَسَنِ فِيهِ فَوْقَ وَجْنَتِهِ : هَذِي مَحَاسِنُ - يَا أَهْلَ الْهَوَى - أُخْرُ

وَلَهُ أَيْضًا :

لِي حَبِيبٌ إِذَا شَكُوتُ إِلَيْهِ سَامَنِي بِالْهَوَى عَذَابًا شَدِيدًا^(٣)
لَسْتُ أَدْنُو بِالشَّعْرِ غِيظًا عَلَيْهِ خِيفَةٌ أَنْ يَكُونَ حَسَنًا جَدِيدًا
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو بِقَلْبٍ نَرِيجٍ أَنْ أَرَاهُ مِثْلِي مُحِبًّا عَمِيدًا

وَقَالَ غَيْرُهُ :

قَدْ حَلَّ فِي سَوْرِكَ الْكَسَادُ مَذْ لَاحٍ فِي خَدِّكَ السَّوَادُ^(٤)
كَأَنَّمَا الشَّعْرُ فِيهِ زَرْعٌ وَالتَّنْفُ مِنْهُ لَهُ حَصَادُ

(١) ديوانه ٤٣٢ ، وفيه : « لَا تَنْكُرُوا » .

(٢) نهاية الأرب ٨٥ : ٢ ، من غير نسبة الذخيرة ٤ - ١ : ٢٢٠ .

(٣) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٠٠ (٤) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٢٢ ونسبها إلى الخلواني أيضاً .

وقوله : « ودواتي بالأقلام » ، أى ابتلاه الله أن يُلاطبه ، قال الفنجديهي :
أُنشدني بعضُ الشعراءِ بمُرورِ رُوزٍ لبعضهم :

دوادار الأمير له دواةٌ كمثل الياسينِ بغيرِ صُوفٍ
يُرى قلمُ الأميرِ يغوصُ فيها مناص عَصيدةٌ في حلقِ صوفي
ونقل لفظ الدواة والأقلام من قول ديك الجن : وكان يهوى غلاماً من
حِصص ، اسمه بكر ، فجلس معه ليلة يتحدّث بها حتى غاب القمر ، فقام بكر
فيمشي ، فقال :

دع البدر فليغرُبْ فأنْتَ لنا بدرٌ إذا ما تجلَّى عن محاسنك الشَّعرُ^(١)
إذا ما انقضى سحرُ الذين يبابلُ فأنْتَ لنا سحرٌ وريقك لي نحرٌ
ولو قيل لي قُمْ فادع أحسنَ مَنْ ترى

لصِحت بأعلى الصوتِ : يا بَكْرُ يا بَكْرُ !

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمتع ، فاحتال عليه قومٌ من حِصص ،
فأخرجوه إلى متنزهٍ ، فأسكروه وفسقوا به ، فبلغ ذلك ديك الجن فقال :
يا بَكْرُ ما فعلت بك الأَرْطَامُ يا دارُ ما فعلت بك الأيامُ^(٢)
في الدار بعدُ بقيّة نستمها أم ليس فيك بقيّة نُستامُ
شغل الظلامُ كراكَ في أبوابهم^(٣) فتفرَّغت لدواتك الأقلامُ
وله فيه أيضاً :

قولا لبكر بن مهدي إذا اعتكرت

عساكرُ اللَّيْلِ بين الطَّاسِ والجِسامِ^(٤)

(١) الأغاني ١٤ : ٦٠ ، وفيه : « من عاسنك النجر » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « ما فعلت بك الأَرْطَال » .

(٣) الأغاني : « في ديوانه » .

(٤) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « قولا لبكر بن دهمرد » .

ألم أقل لك إنَّ الكبر مهلكةٌ والتبغى والمعجب إفسادٌ لأقوام
قد كنتَ تفرق من سهم تعابنه^(١) فصرتَ غيرَ رميم رقة الرامي
وكنتَ تفرع من لسي ومن قبل فقد ذلتَ لإسراج وإلجام
إن تَدَمَّ نَحْدَاكَ من ركض فربما أمسى وقلبي منك الموجه الدامي

قال أبو علي بن رشيقي : كنت أوصي غلاماً وضيئاً ، كان يختلف إلى ،
وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه ، فأوقع به ،
فأخبرت بذلك ، فقلت :

ياسوء ما جاءت به الحالُ إن كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنأ صيغ من الخاتم خلخالُ
وهذا من قول ابن المعتز :

مضى خالدٌ والمال تسعون درهماً وآب ورأس المال ثلث الدرهم^(٢)

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعمد التسمين والثلاثين في اليد .

وقال ابن رشيقي :

سقطت ثنيته فأوجع قلبه لسقوطها وجرى عليه عظيم^(٣)
فإذا مررت به فسلّ فؤاده عنها وقلّ صبراً كذاك الريم
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها والسلك لا واه ولا مفصوم
أتمدياً يا خطبُ وهو مصون أبداً بخاتم ربه مختوم

(١) الأغاني : « لغانية »

(٢) نقله في التنف ٨٠ .

(٣) نقله في التنف ٦٥

ويستحبّ لمن وُسمَ بوشمة الجمل ، أن يكون شديد التصاؤن ، قليل
للتبذّل ، فذلك أدعى للسلامة ، وقد قال ابن وكيع في ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعاً فقلت : هيهات عنكم أطيبة^(١)
لو جاد هان ، وقلت الجود عادته وإنما عزّ لنا عزّ مطلبه

فإذا تبدّل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ، ونبت عن محاسنه
للعيون ، لأنّ النفس الحرّة لا تنفك من غيرة ، وقد قال العباس بن الأحنف :

يا قوم لم أجزكم لللالة مني ولا لمقال واش حاسد^(٢)
لكنني جزيتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

وقال أبو الوليد بن حزم :

لنا استمالك مشر لم أرضهم والقول فيك كما علمت كثير
داويت دونك مهبجي فماسكت من بعد ما كادت إليك تطير
فأذهب فغير جوانحي لك منزل واسمع فغير وفائك الشكور
وله أيضاً :

يقول وقد لمت في الهوى فلان، وعرضت شيئاً قليلاً :
أتحدّني؟ قلت : لا ، والذي أحلك في الحب مرعى وبيلاً
وكيف وقد حلّ ذلك الإزار وقد سلك الناس تلك السبيلاً

(١) يلبة الدهر ١ : ٣٣٢

(٢) ديوانه ١٠٦ ، الزهرة ١٥٠ ، الأغاني ١٥ : ١٣٧ (ساسي) ، الشعر والشعراء

وقال محمد بن السري :

قَابَسْتُ بَيْنَ جَمَالِهِ وَفَعَالِهِ فَإِذَا الْمَلَاخَةُ بِالْحَيَانَةِ لَا تَنِي ^(١)
وَاللَّهُ لَا كَلَمَتَهُ وَلَوْ أَنَّهُ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالسَّكَنِيِّ

وقال آخر :

أَيَا حَسَنًا أَزْرَتْ قُبَايُحَ فَعَلِهِ عَلَيْهِ كَمَا أَزْرَى الْكُفُوفُ عَلَى الْبَدْرِ
لَقَدْ فُقِّتَ كُلُّ النَّاسِ حَسَنًا وَزِينَةً وَلَكِنَّا قَبَّحَتْ ذَلِكَ بِالْفَدْرِ

وقال ابن عيينة :

ضَمِيتْ عَهْدَ فَتَى لِمَهْدِكَ حَافِظٌ فِي حِفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
إِن تَقْتَلِهِ وَتَذْهَبِي بِفَوَادِهِ فَيَحْسَنُ وَجْهَكَ لَا يَحْسَنُ صَنِيعُكَ

* * *

فَقَالَ الْعَلَامُ : الْإِصْطِلَافُ بِالْبَلِيَّةِ ، وَلَا الْإِيْلَاءُ بِهِذِهِ الْآلِيَّةُ ،
وَالْإِتْقَانُ لِلْقَوْدِ ، وَلَا الْإِحْلَافُ بِمَا لَمْ يَخَافْ بِهِ أَحَدٌ . وَأَبَى الشَّيْخُ
إِلَّا تَجَرِيْمَهُ الْيَمِينَ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَأَمَرَ لَهُ جُرْعَهَا . وَلَمْ يَزَلْ
الْأَلَاحِي يَدْنُهُمَا يَسْتَعِيرُ ، وَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعِيرُ ، وَالْعَلَامُ فِي ضَمْنِ
تَأْيِيهِ ، يَحْلُبُ قَلْبَ الْوَالِي بِتَلْوِيهِ ، وَيُطْعِمُهُ فِي أَنْ
يُلْبِيهِ ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَلْبَ بِلْبِيهِ ،
فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تِيَمُهُ ، وَالطَّمَعُ الَّذِي تَوَهُمُهُ ، أَنْ

(١) إنباء الرواة ٣ : ١٣٧ ، ابن خلكان ١ : ٥٠٣ ، وببده هناك :

حلفت لنا ألا نَخُونُ عَهْدَنَا فكأنما حلفت لنا ألا تني

يُخَلِّصُ الْفَلَامَ وَيَسْتَخْلِصُهُ ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حَبَالَةِ الشَّيْخِ
ثُمَّ يَقْتَصِمَهُ .

• • •

قوله : «الاصطلاح» ، أى الاتصال والتلؤس . والبلىة ، أراد دعوة الباطل
التي ادعى عليه الشيخ . والإيلاء : الحلف . والألئبة : اليمين . والقود : قتل النفس
بالنفس ، فيقول : الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف
بها أحد اخترعها : استنبطها . أمتر : أمر ، من المقر ، وهو الصبر .

[من ألوان من الحلف]

وهذه اليمين المخترعة ، حكى الأصمعيّ شبيها ، فقال : اختصم أعرابيان عند
بعض الولاة في دين ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال المدعى :
دعنى من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، فقال : ما قولك ؟ قال : قل : لا ترك
الله لك خفاً يتبع خفاً ، ولا ظلفاً يتبع ظلفاً ، وحتك من أهليك وولدك ، كما
يحات الورق من الشجر ؛ إن كان بقي لي هذا الحق قبلك . فأعطاه حقه ولم
يحلف له .

وحكى السعوى أن الفضل بن الربيع قال : صار^(١) إلى عبد الله بن مصعب
ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فقال : إن موسى بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد أرادنى على بيعته ، فأخبرت
الرشيد بذلك ، فجمع بينهما ، فقال الزبير لموسى : سعيتم علينا ، وأردتم تقض
بيعتنا ودولتنا ، فقال له موسى : ومن أنتم ! فغلب الرشيد الضحك حتى رفع
رأسه إلى السقف لئلا يظهر منه الضحك ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا
الشنع على ، خرج مع أخى محمد على جدك المنصور ، وهو القائل [من أبيات]^(٢) :
قوموا ببيعتكم نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن

(١) ط : « سار » ، وما أتبعه من ا ، ب . (٢) من السعوى .

وليس سعايته حباً لك ، ولا مراعاةً لدولتك ؛ ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت^(١) ، وأنا أستحلفه بيمين ، فإن حلف بها أتت قلت ذلك ، فدمى حلال لأمر المؤمنين . فقال له الرشيد : احلف له يا عبد الله ، فامتنع ، فقال له الفضل : لم تمتنع وقد زعمت أنه قال ما ذكرته ؟ قال : فإني أحلف له ، قال موسى : قل : تقابلت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ، إن لم يكن ماقلته حقاً . خاف له ، فقال موسى : الله أكبر ! حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما خاف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله العقوبة قبل ثلاث » ، وهانذا بين يدي أمير المؤمنين في قبضته ، فإن مضت ثلاث ولم يحدث له حادث ، فدمى حلال لأمر المؤمنين .

قال النضل : فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم ، حتى سمعت الصراخ من داره^(٢) . فدخلت عليه ، فوالله ما كدت أعرفه : لأنه صار كالزق العظيم ، ثم اسود حتى صار كاللحم ، فمررت الرشيد في الحين ، فما انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد مات ، فبادرت بتعجيله ، وتوليت الصلاة عليه . فلما وُوري في قبره انخسف به ، وأخرجت رائحة مفرطة الذن ، ومررت أحال شوك على الطريق ، فأمرت بها فطرحته في قبره ، فانخسف ثانية ، فأمرت بالواح ساج ، فطرحته على قبره وألقى التراب عليها ، وانصرفت ، وأعلمت الرشيد . فأكثر التعجب ، وأحضر موسى ؛ فأعطاه ألف دينار ، وقال له : لم عدلت عن اليمين للتعارفة عند الناس ؟ فقال : أخبرت بالسند المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف بيمين كاذبة مجّد الله فيها ، استحيا الله من تعجيل عقوبته ، ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيه حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث^(٣) » .

* * *

قوله : « التلاحى » ، السباب والتشائم . على رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله

(١) بمدها في المسمودي : « ولو وجد من ينتصر علينا جميعاً لكان معه ، وقد قلنا باطلاً » .

(٢) ب واللمودي : « من دار عبد الله » .

(٣) الخبر في المسمودي ٣ : ٣٥١ - ٣٥٣ .

عليه وسلم : « من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ، وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني من عبادة الأوثان » . وفي المثل : من لاحاك فقد عاداك .

يستمر : يتقد . بحجة التراضي : أى لطريق الرضا . تعرُّ : تصعب . وفي ضمن تربيته ، أى فى أثناء كلامه وامتناعه . يخلب : يخدع وبأخذ قلبه . تلويح : انعطافه . يطعمه : يدعوه للطعم . يلبثه : يحببه لمراده . وران : غلب وغطى . أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقلت ، وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك الران » ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَلَا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) .

ألب : أقام . لبه : عقله : سؤل : زين . الوجد : حرقه القلب . تيمه : عبده وذلكه ، والمتيم : المستعبد لهواه . توهمه : ظنه . يستخلصه : يختصه لنفسه . حباله : آلة الصيد . يمتنصه : بصيده ؛ يقول : إنَّ هذا الغلام فى أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يطعم الوالى فى الانقياد له ، وإنه إذا دعاه لما يريد منه أجابه ، وإنما قل هذا حين رأى إدامة نظر الوالى فى وجهه ، واستحسانه كلامه ، ولو فسّر الوالى حال الغلام بمنظوم لأنشد :

يهدى لك الدرّ من لفظٍ ومبتسمٍ	ضربان : منتشر منه ومنظوم
يحنى الذنوب ، وأحنو أن أوأخذه	من أجل ذلك قيل الحسن مرخوم
ولأنشد إذا غلب عليه هواء :	
مرآك مرآك لا شمس ولا قمر	وورد خديك لاورد ولا زهر (٢)
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه	إن بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محلك من قلبى لما أسفت	نفسى عليك ، فرقاً أيها القمر
هذه الأبيات لأبى الوليد بن حزم ؛ وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :	

أذكيت من قلبي بنأبك لوعةً حتى خثيت على محلك فيه
ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

والأرمانى بالسهم نمداً وفيها نصال الهجر حتى امتلا صدري ،
قلت له لا ترم قلبي فإنه مكانك والمرمى أنت ولا تدري
وقال آخر :

حملتك في قلبي فهل أنت عالم بأنك محمول وأنت مقيم !
ألا إن شخصاً في فؤادي محله وأشتاقه ، شخص على كريم
وقال التهامي :

قلبي فداؤك وهو قلب لم يزل تذكى شهاب الشوق في أنثائه^(١)
جاورته شرّ الجوار وزرته لنا حلات فناءه بفنائيه
حرق سوى قلبي ودعه فإني أخشى عليك وأنت في سودائيه
وقال آخر :

أودع فؤادي حرقاً أودع نفسك تؤذى أنت في أضلعي
أمسك سهم اللحظ أو فارمها أنت بما ترى مصابٍ معي
موقعها القلب وأنت الذي مسكته في ذلك الموضع

* * *

فقال للشيخ : هل لك فيما هو أليق بالأقوى ، وأقرب
للأقوى ! فقال : إلام تشير لأتفهيه ، ولا أقف لك فيه ؟ فقال :
أرى أن تقصر عن القيل والقال ، وتقتصر منه على مائة مثقال ،

لَا تَحْمِلَ مِنْهَا بَعْضًا ، وَأُجْتَبِيَ الْبَاقِي لَكَ عَرْضًا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
مَا مِثِّي خِلَافٌ ، فَلَا يَكُنْ لَوْعَدِكَ إِخْلَافٌ ، فَتَقَدَّه الْوَالِي عِشْرِينَ ،
وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَكْمَلَةً خَمْسِينَ . وَرَقَّ قُوبُ الْأَصِيلِ ، وَانْقَطَعَ
لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيلِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا رَاجَ ، وَدَعْ عَنْكَ اللَّجَاجَ ،
وَعَلَى فِي غَدٍ أَنْ أَتَوَصَّلَ ، إِلَى أَنْ يَنْضَى لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ ،
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ الْأَزِمَّةُ لِيَمَتِي ، وَيَرْعَاهُ إِنْسَانٌ
مُقَلَّتِي ، حَتَّى إِذَا أَعْنَى بَعْدَ إِسْفَارِ الصُّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ
الصُّلَحِ ، تَخَلَّصْتَ قَائِمَةً مِنْ قُوبٍ ، وَبَرِيَّ بَرَاءَةِ الذَّنْبِ مِنْ
دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : مَا أَرَاكَ سَمُنْتَ شَطَطًا ، وَلَا
رُمْتَ فَرَطًا .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَّجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَّجِ
الشَّرِيعِيَّةِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عِلْمُ الْمَرْجِيَّةِ

• • •

قوله : « أليق » أى أشكل وأصقل . بالآقوى : بصاحب القوة . والذي
هو أقرب للتقوى ، هو العفو لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) .
أقنتيه : أتبعه . لا أقف لك فيه ، أى لا أتوقف فيما تشير به . تقصر : تكف . عن
القول والقال ، أى عن كل كلام . أجتبى : أجمع . عَرْضًا : كل ما ليس فيه
روح من الأمتعة غير العين ؛ وهو ليس بنقد من السِّلَعِ التى يُتَجَرُّ فيها من متاع
ورقيق وغير ذلك . أضمن : أضمن ، وفلان حيل بكذا ، أى ضامن له . إخلاف :
كذب وعد . نقده : أعطاه نقداً . وزع : فرق . وزَعْتُهُ : شُرْطَتُهُ الذين يكفون

(١) - سورة البقرة ٢٣٧ .

عنه الناس ، واحدهم وازع مثل كافر وكفرة ، وقد وزعته وَزَعًا كَفَفْتَهُ ،
 وأيضاً دفعته . وقال الحسن البصري رحمه الله : لا بدّ للسلطان من وَزَعَةٍ . الأصيل
 العشي . وثوبه : ضوء الشمس ، وهو في ذلك الوقت رقيق . صَوْب : وقع ، وصاب
 السهم صوباً وصَيَّناً : وقع بالرماية ، وصاب السحاب الموضع : أمطر . والتحصيل : أن
 يحصل بقية المال . راج : حضر ونيسر ، ويقال : راج الشيء رَوْجاً فهو رائج إذا
 جاء جاء سريعاً . قوله : « إنسان مقاتي » ، أي سواد عيني . يرعاه : يحفظه وينظره .
 أعنى : أتى بالبقية ، والمفاوة : بقية المرق في القدر . تَخَلَّصت : انصلت . والقائبة :
 البيضة . والقُوب : الفرخ ، وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصَّحبة ،
 وجاء مقولاً لأن الذي ينفصل ويخرج إنما هو الفرخ من البَيضة ، والقُوب ، من
 تقوَّب الشيء إذا انتشر ، ومنه القوباء لداء الحِرَاز^(١) . وابن يعقوب هو يوسف
 عليهما السلام ، وبراءة الذنب من دمه ، هو ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى
 أبيهم ليكون على يوسف ، علموا أنه لا يصدقهم ، فاصطادوا ذئباً فطأخوه بدم ،
 وأتوه ليكون ، وقالوا له : هذا الذنب قد ضري ، أكل أغنامنا وأكل يوسف
 أخانا ، قال لهم : أطلقوه ، ودعا الله يعقوب أن ينطقه له ، فقال للذنب : أدن مني ،
 فجعل يبصص بذنبه ويدنو منه ، حتى وضع خذله على فخذ يعقوب ، فقال له :
 إيم أكلت ابني ، وفعنتني فيه ؟ فقال : لا والله يا بني الله ، ما رأيته ولا أكلته ،
 وإني لغريب في أرضكم اليوم ، وصلت من مصر في طلب أخ لي فقدته ،
 فأوتقني هؤلاء وساقوني إليك ، فقال لهم يعقوب عليه السلام : الذنب مع أخيه
 أو في منكم مع أخيك .

قوله : « سُمِت » : أي كَلِمَت . شَطَطاً : شيئاً بعيداً ، والشَّطَط : مجاوزة القدر .
 ورمت قَرَطاً : طلبت شيئاً متفاوتاً ، وكيف لم يسَّه شططا ، وقد حرمة لذة
 ليلة مع هذا العلام أحسن من ليلة الخفاجي^(٢) حيث يقول :

(١) و القاموس : الحراز : ككتاب : وجه في القلب من غيط أو نحوه .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة الأندلسي ، صاحب الديوان المنسوب إليه .

وليلة طَلَقَةٍ قَضَيْتُ من موعدٍ للحبيب دُبْنًا^(١)
 بَنَتَا نَجْمَ الذُّيُولِ فِيهَا والحر تَمْشِي بِنَا الهَوِيِّ
 أُرْسِلَ فِي رَوْضٍ وَجَنَّتِيهِ لحظةً عَيْنٍ تَفِيضُ عَيْنًا
 كَأَنَّمَا الْمَحْظُ كَيْمِيَاءُ تَذْهَبُ مِنْ وَجْهِ لُجَيْنَا
 وَمَا تَوَقَّعْتُ أَنَّ طَرْفَا يَظَلُّ عَيْنَ اللُّجَيْنِ عَيْنًا

أو ليلة الآخر حين يقول :

لَمَّا رَأَى مَنْ خَلَّتْ فِيهِ مَتِيًّا جَسَى ضَيْلًا وَالْفُؤَادَ مَوْلِيًّا
 جَادَتْ شَمَائِلُهُ عَلَى بَلِيلَةٍ أَهْدَتْ إِلَى الصَّبِّ الْمَعْنَى مَا شَتَبَسَى
 عَاقَتْ فِيهَا الْبَسْدُ لَيْلَةً تَمُّهُ يَا مَنْ رَأَى بِدْرًا يَافِقُهُ الشَّهَابُ !

[ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية]

قوله: «الحجج الشريحية» منسوبة إلى أحمد بن سريج، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة .

وقال الفنجديهي: الشريحية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن عمر ابن سريج إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق، ومن لافست ذات درّ بمثله في الآفاق، حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج، وأقواها وأمتنها على مرور الأيام والحجج، وكان يلقب بالبازي الأشهب، وبالشافعي الثاني، لتبحره في استنباط المعاني، من غوامض الأخبار والثاني، دلالة في فنون العلم متينة، وبراهينه مبينة. وقال: رأيت في المنام كأننا أمطرنا كبريتاً أحمر، فلات كمي وحجري وجيبي منه، فعبر لي أني أرزق علماً غزيراً كعزة الكبريت الأحمر .

وسمع يتمثل بهذه الأبيات :

(١) ديوانه : ٣٤٠ ، المقرب ٢ : ٣٦٩

فلا تحمد الكلب أكلَ العظامِ - فمئد الخسرة ما ترحمة
 تراه وشيكاً شيكاً إسته - كلوما جناها عليه فمة
 إذا ما أهان امرؤ نفسه - فلا أكرم الله من يكرمه

وكان يناظر محمد بن داود ، فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه .
 السؤال : أبلغني ربي ، فقال له : قد أباحتك الدجلة والفرات ^(١) .

وقال له مرة : أمهلني ساعة ، فقال : قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم
 الساعة ^(٢) .

وقال له ابن داود يوما : أكلت من الرجل وتجيني من الرأس ! فقال له :
 كذلك البقر إذا حفيت أظلافها ، وهنت قرونها .

واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الأصهباني في مجلس .
 عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإبلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك : من
 كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، أبصر منك في الكلام في الإبلاء ، فقال له
 ابن داود : لئن قلت ذلك ، فإني أقول :

أنزه في روض الحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال مُحَرَّمًا ^(٣)
 وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه يُصَبُّ على الصَّخَرِ الأصمِّ تهْدَمًا :
 وَيَنْطِقُ طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رَدَّه لتكَلَّمًا
 رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فلست أرى حبا صحيحا مسلما .

وقال له ابن سريج : بم تفتخر ؟ ولو شئت قلت :

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ (طبع الحلبي) .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ .

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .

وَمُساهِرٍ بِالْفُتُوحِ مِنْ أَحْظَاتِهِ قَدْ بَتَّ أَمْنُهُمُ لَدَيْدِ سِنَاتِهِ^(١)
 أَصْبُو لِحْنِ كَلَامِهِ وَحَدِيثِهِ وَأَكْرَرَ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
 حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ
 فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! يَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَال ، حَتَّى يَقِيمَ عَلَيْهِ
 شَاهِدِينَ عَدْلِينَ ، أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَرِيحٍ : فَيَلْزَمُنِي فِي
 هَذَا مَا يَلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ :

• وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمًا •

فَضَحِكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جَرَمْتُمَا ظَرْفًا وَلُطْفًا وَعَدْلًا وَنَهْمًا .
 اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الْعَالَمَيْنِ عَلَى اشْتِهَارِهِمَا بِالْعِلْمِ
 وَالْفَضْلِ وَالدِّينِ كَانَا يَرْتَاخَانِ إِلَى التَّعَشُّقِ عَلَى سَبِيلِ التَّطَارُفِ وَالتَّزَامِ التَّمَقُّفِ
 عَلَى مَا يَلِيقُ وَيَشْكُلُ بِمَنْصَبِهِمَا ؛ وَإِذَا كَانَ التَّعَشُّقُ بِشَرِطِ الْعَفَافِ ، فَإِنَّمَا يَزِيدُ
 الرَّجُلَ الْفَاضِلَ رَقَّةً طَبِيعَ ، وَحِلَاوَةً شَمَائِلَ .
 وَقَالَ ابْنُ سَرِيحٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ الْبَارِحَةِ كَأَنَّ
 قَائِلًا يَقُولُ : هَذَا رَبُّكَ يَخَاطِبُكَ ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَقُلْتُ :
 بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، قَالَ : قَقِيلُ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ
 يُرَادُ مِنِّي زِيَادَةُ الْجَوَابِ ، فَقُلْتُ : بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، غَيْرَ أَنَا قَدْ أَضْبَأْنَا مِنْ
 هَذِهِ الذَّنُوبِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي سَأَغْفِرُهَا لَكَ .

وَتُوُفِّيَ لَخْسٍ مُضَيْنٍ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، وَبَلَغَ سَنَهُ
 سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَدُفِنَ فِي حِجْرَةِ بَسُوقَةِ غَالِبٍ بِبَنْدَادِ رَحْمَةِ
 اللَّهِ عَلَيْهِ .

[طَائِفَةٌ مِنْ شَعْرِ النَّسِيبِ]

وَنَذَكُرُ الْآنَ مِنْ نَتِيسِ الشَّعْرِ الْمَضْمُونِ « مَنْ ظَهَرَ مِنْ مَحْبُوبِهِ بِإِرَادِهِ مِنْ .

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .

الوصول ، ثم عف عما يخل بأهل الجلال » ، قال إدريس بن اليمان :

لم تدر ما خلّدت عينك في خلدي من الغرام ولا ما كابدت كيدي
أفديك من زائر رام الذنوب فلم يسطعه من حرق في الدمع متقد
خاف العيون ، فوافاني على عجل معطلاً جيدُهُ إلا من العبد
عاطيته الكأس فاستحييت مدامتها من ذلك الشئب المعسول والبرد
حتى إذا غازلت أجفانه سنة وصيرته يدُ الصنهاء طوعَ يدي
أردتُ توسيده خدي وقل له فقال : كنك عندي أفضل الوُسد
فبات في حرم ، لا غدر يُزعجه وبث ظمان لم أضدِر ولم أريد
بدر ألم وبدر التّم منحق والأفق محلوك الأرجاء من حسد
تخيّر الليل فيه ، أين مطامه أما درى الليل أن البدر في عضدي !
وقال الرمادي :^(١)

وليلة راقبتُ فيها الهوى على رقيب غيرِ وثنانٍ
والراح ما تنزل عن راحتي وقتاً ومن راحة ندماني
وربّ يوم قيظه منضج كأنه أحشاء ظمان
أبرز من خدي به لي رشحه طلاً على وردٍ وسومانٍ^(٢)
وكان في تحليل أزراره أفودلي من ألف شيطانٍ
فتحتُ الجنة من جيبه فبت في جنة رضوانٍ
مروءة في الحب تنهى بأن مجاهر الله بعضيان

وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعد أهيف الكشح ، مُنقل الأرداف

(١) هو يوسف بن هارون الرمادي ؛ والأبيات في المطرب لابن دحية ؛

(٢) الرشع : العرق ؛ والاطل : فطرات الندى .

غالب الخوف حين غالبه الشَّوْ ق فأخفى الهوى وَايسَ بِخَافِي
 غَضَ طَرَفِي عَنْهُ تَقَى اللَّهَ وَاخْتَرْتُ عَلَى بَذْلِهِ بَقَاءَ التَّصَافِي
 ثُمَّ وَلَّى وَالْخَوْفُ قَدْ هَزَّ عِطْفِي ۝ وَلَمْ تَحُلْ مِنْ لِبَاسِ التَّقَافِ
 وَقَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ :

رَمَوْنِي وَإِيَّاهَا بِشَنَآءِ هُمُ بِهَا أَحَقُّ ، أَدَالِ اللَّهُ مِنْهُمْ وَعَجَّلَا
 بِأَمْرِ تَرْكِنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ جَمِيعَا ، فَإِنَا عِنَّا أَوْ تَجَمَّلَا
 وَسَنَزِيدُ مَا يَسْتَحْسِنُ فِي الْعَنَافِ وَضَدَهُ فِي الثَّانِيَةِ عَشَرَ .
 قَوْلُهُ : « عِلْمُ السَّرُوجِيَّةِ » ، أَيُ مَشْهُورَهَا . وَالْعِلْمُ : الْجَبَلُ .

* * *

فَلَبِثْتُ إِلَى أَنْ زَهَرَتْ نَجُومُ الظُّلَامِ ، وَانْتَشَرَتْ عُقُودُ الزُّحَامِ ،
 ثُمَّ قَصَدْتُ فَنَاءَ الْوَالِي ، فَإِذَا الشَّيْخُ لَلْفَتَى كَالِي ، فَتَسَدَّتْهُ اللَّهُ : أَهْوَى
 أَبُو زَيْدٌ ؟ فَقَالَ : إِي وَحِلِّ الصَّيِّدِ ! فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا الْغَلَامُ ،
 الَّذِي هَفَّتْ لَهُ الْأَحْلَامُ ، نَالَ : هُوَ فِي النَّسَبِ فَرَخِي ، وَفِي
 الْمَكْتَسَبِ فَحْيٌ ، قُلْتُ . فَهَلَا كَفَيْتَ بِعَاسِرِينَ فِطْرَتِهِ ، وَكَفَيْتَ
 الْوَالِي الْإِفْتِنَانَ بِطُرَّتِهِ ؟ قِيلَ : لَوْ لَمْ تُتَبَرِّزْ جِبْهَتَهُ السَّيْنُ ، لَمَا
 قَنَفَشْتُ الْخُلَمَسِينَ ، ثُمَّ قَالَ : بَتِ اللَّيْلَةُ عِنْدِي انْطَفَى نَارُ الْجَلْوَى ،
 وَتَدَبَّلَ الْهَوَى مِنَ النَّوَى ، فَقَدْ أَتَجَمْتُ عَلَى أَنْ أَنْسَلَ بِسُحْرَةٍ ،
 وَأَصْلَى قَنَابَ الْوَالِي نَارَ حَمْرَةٍ .

* * *

لبثت : أقيمت . عقود : جمع عقد ، أراد ما يعتمد من جموع الناس في الزحام .
 انتشرت : افتقرت . زهرت : أضاءت . الفناء : ما حول الدار . ناشدته : سأله .
 هفت ، أى طارت . الأحلام : العقول . فطرته : خلقت . تبرز : تظهر . والطرّة :
 قد تقدمت ، وشبه اعتدال الشَّمَر على الجبهة بشكل السين على السُّطر ، وأخذه
 من قول التّهامي :

يأربَ معنى بعيد الشأن نَسْلُكُهُ في سلك لفظٍ قريب الفهم مُحْتَصِرٍ^(١)
 لفظٌ يكون لِمَقْدَرِ القول واسطةً ما بين منزلة الإسهاب والخصرِ
 إن الكتابة صارت تحت أنمله^(٢) والجود فالتقيا منه على قَدَرٍ^(٣)
 تردّ أقلامه الأرماح صاغرةً عكساً ، كمكس شعاع الشَّمس للقمَرِ^(٤)
 وفي كتابك فاعذُرْ مَنْ يهيم به من المحاسن ما في أحسن الصُّورِ
 الطُّرس كالخدّ والنونات دائرة^(٥) مثل الحواجِبِ والسَّيْنَتِ كالطُّرِّ
 ومن ملح الخبز أرزى :

وبنفسى من إذا خَشِشْتُهُ نثر الوردُ عليه وَرَقَهُ
 وإذا مَسَّتْ يَدِي طَرَّتَهُ أفلتت منه فعادت حَامِقَهُ

أخذها من حكاية لعمر بن أبي ربيعة ؛ حدّث المغيرة بن عبد الرحمن ، قال :

(١) ديوانه ٤٥ ، وفيه : « أسلكه » .

(٢) الديوان : « سارت » .

(٣) الديوان : « فالتقيا فيه » .

(٤) بماء في الديوان :

يَحْمُو بِيَاضَ المعاني سودُ أحرِفِها إنَّ الظَّلَامَ ليجلُورونق السَّحَرِ

(٥) الديوان « الطرس كالوجه » .

حجبت مع أبي وأنا غلام ، عَلَى جُمَّة^(١) ، فحجنت عمرَ فسَلَّت عليه ، فجلست عنده ، فجعل يمدّ الخَصْلَةَ من شعري ثم يرسلها ، فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتى فعل ذلك مرارا ، ثم قال لي : يا بن أخي ، قد سمعتني أقول في شعري : قالت وقلت ... وكلّ مملوكٍ لي حرّاً إن كنتُ كُشِفْتَ عن فَرْجِ امرأةٍ حرامٍ قطّ ، فسألت عن رقيقه ، فقيل لي : أما في الحوْكِ فسيبعون سوى غيرهم^(٢) .

وساير عمرَ عُرْوَةَ بن الزبير يحدثه ، فقال : وأين زين المواقب ؟ - يعني ابنه محمداً ، وكان يُعرف بذلك لجماله - فقال عُرْوَةُ : هو أمامك ، فركد يطلبه ، فقال له عُرْوَةُ : يا أبا الخطاب ، أولسنا أكنفاه كراماً لحادثتك ! قال : بلى ، بأبي أنت وأمي ، ولكنني مغرّى بهذا الجلال حيث كان ، ثم التفت إليه ، وقال :

إِنِّي امرؤٌ مُوَلِّعٌ بِالْحَسَنِ أَتْبِعُهُ لَاحِظًا لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ^(٣)

أخذه العباس بن الأحنف ، فقال :

أَتَأْذَنُونَ لَصَبٍ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
لَا يَضُرُّ الشَّوْءَ إِنْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ عَفْ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ

[مما قيل في حلق الشعر]

ومما يتعلق بذكر الشعر حِلَاقُه ، والشعر فيه كثير ؛ فنلّم منه بالبسير .

وأول من قرّع هذا الباب - فيما يذكر - القائل :

حَلَقُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا خِيفَةَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَشُحًا

(١) الجمة : شعر الرأس .

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٧٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

كان من قبل ذلك ليلاً وصُبحاً فحوا كَيْلَهُ وأبقوه صُبحاً
وقال أبو العباس القرَبيّ :

كان إلّا قَمَرًا تحت دُجَى فانجلى اللَّيْلُ ولاح القَمَرُ
أو كزهرٍ في كَأَمٍ كَأَمٍ شَقَّتْ عَنْهُ قَمَّ الزَّهَرُ

وقال أبو العباس بن حَيَّون :

حلقوك في تغيير حسنك رغبةً فازداد حسنك بهجةً وضياءً
كالخمر فُضَّ ختامه فتشمشتُ والشمعُ قُطَّ ذُبَالُهُ فأضاء

قوله: «قَفَضْتُ» ، أى أخذت بسرعة ، تقول : قَفَضْتُ الشَّيْءَ ، قَفَضًا إِذَا
جَمَعْتَ عَلَيْهِ كَفَفَكَ بِسُرْعَةٍ ، وقد انقَفَضَتِ العَنَكِبُوتُ ، إِذَا دَخَلَتْ حُجُرَهَا .

قوله: «العجوى» ، أى مرض القلب . نُدِيلُ : نَعْوَضُ ، والإِدَالَةُ : أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ
لَكَ مَرَّةً وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَرَّةً أُخْرَى وَهِيَ مِنَ الدَّوْلَةِ . النُّوَى : البَعْدُ أَوْ يَرِيدُ : هَلَمْ تَجِدْ الدَّوْلَةَ
فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَرَضًا مِنْ طَوْلِ الْفِرَاقِ ، فَقَدْ عَزَمْتَ عَلَى أَنْ أُنْصَلَ
بِالسَّحَرِ وَأُفَرَّ ، وَالْإِنْصَالُ : الْخُرُوجُ مُسْتَخْفِيًا . أَصْلَى قَلْبَ الْوَالِي : أَجْعَلْهُ مُتَعَرِّقًا
بِالتَّحَسُّرِ وَالتَّجَنُّعِ .

قال : فَقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فِي سَمَرٍ ، آتَقَ مِنْ حَدِيقَةِ زَهَرٍ ،
وَحَمِيلَةِ شَجَرٍ ، حَتَّى إِذَا لَا أَلَا الْأَفُقُ ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، وَأَنَّ
إِنْبِلَاجُ الْفَجْرِ وَحَانَ ، رَكِبَ مَثْنِ الطَّرِيقِ ، وَأَذَاقَ الْوَالِي عَذَابَ
الْحَرِيقِ ، وَسَلَّمْ إِلَى سَاعَةِ الْفِرَاقِ ، رُمَّةً مُخَكَّمَةً الْإِلْمَاقِ ،

وَقَالَ : اذْقَمْهَا إِلَى الْوَالِي إِذَا سَلِبَ الْقَرَارَ ، وَتَحَقَّقَ مِنَّا
الْفِرَارَ ؛ فَفَضَضْتُهَا فِعْلًا التَّمْلَسَ ، مِنْ مِثْلِ صَحِيفَةِ التَّمْلَسِ .

• • •

قَضَيْتُ : أَتَمَمْتُ . سَمَرُ : حَدِيثٌ بِاللَّيْلِ يُسَمَّرُ عَلَيْهِ . آفَقُ : أَحْسَنُ . حَدِيقَةُ :
بِسْتَانٌ ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا تَحْتَ حَائِطٍ أَوْ زَرْبٍ . زَهْرُ : نُورٌ . خَمِيلَةٌ : رَوْضَةٌ فِيهَا
شَجَرٌ . لَأَلَا : لَعَنَ وَأَضَاءَ . الْآفَقُ : جِهَاتُ السَّمَاءِ . ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، هُوَ الْفَجْرُ
الْكَاذِبُ ، وَهُوَ ضَوْءٌ يَظْهَرُ قَبْلَ الْفَجْرِ دَقِيقٌ مُتَصَعِّدٌ إِلَى السَّمَاءِ . وَالسَّرْحَانُ : الذَّنْبُ ،
مُشَبَّهٌ ضَوْءُهُ بِذَنْبِهِ . آنَ : حَانَ وَقَرُبَ . انْبِلَاجُ الْفَجْرِ : ظُهُورُ ضَوْئِهِ . مَتْنٌ : ظَهَرَ .
الْحَرِيقُ : النَّارُ . سَلَّمَ : تَرَكَ . مُحْكَمَةُ الْإِلْصَاقِ : مُتَقَنَةُ الطَّيِّ . الْقَرَارُ : السَّكِينَةُ ، يَرِيدُ
أَنَّ الْوَالِيَّ إِذَا أَخْبَرَ بِهِرًا بَنَاءَ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَجَعَلَ يَتَمَلَّلُ وَلَا يَقَرُّ . فَضَضْتُهَا : كَسَرْتُ
خَتَامَهَا .

[ذِكْرُ التَّمْلَسِ وَصَحِيفَتِهِ]

والتَّمْلَسُ ، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ ، اسْمُهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ ، وَسَمَّى التَّمْلَسَ بِقَوْلِهِ :

فَهَذَا أَوَانُ الْعَرَضِ جُنَّ ذُبَابُهُ زَنَايِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ لِلتَّمْلَسِ^(١)

وَهُوَ مَا خُذَ مِنْ تَمْلَسِ الرَّجُلِ الْحَاجَةِ ، إِذَا طَلَبَهَا سِرًّا مِنْ غَيْرِهِ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ
مِنَ اللَّئْسِ بِالْيَدِ ، كَالَّذِي يَلْمَسُ يَدَهُ فِي الظَّلَامِ مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ يَطْلُبُ مِنْهَا شَيْئًا ضَاعَ
مِنْهُ ، أَوْ كَلَسَ الْأَعْمَى شَيْئًا يَدُهُ .

(١) الْعَمْرُ وَالْفَرَاءُ ١٢٢ ، قَالَ قِيٌّ تَرْجُمَةُ الْعَرَضِ : الْوَادِي ، وَيُرْوَى : فِي ذُبَابِهِ .
(٢٨ — تَرْجُمَاتُ الْحَرِيرِيِّ ١)

ومن كلام عامتنا: فلان يتلمس، بسكون التاء، أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يُشعر به .

والتلمسُ أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر القلّين في الجاهلية ، وهم : التلمس والسّيب بن علس وحُصين بن الحَمام .

والتلمس ، بالميم قبل اللام ، هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة ، وقد أُمس إذا خرج من بين القوم هارباً وهم لا يشعرون ، وقد أُمس الشيء ، إذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته .

والصحيفة : الكتاب . وقصتها^(١) أن التلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو ابن هند ملك الحيرة - وكان سيّء الخلق شديد ، وهو الذى حرق من تميم مائة رجل ، فهجوه ، فقال فيه التامس - وكان طرده لشيء بلغه عنه :

أطردتنى حَذَرُ الهجاء ولا والألآت والأنصاب لا تثل^(٢)
أى لا تنجو .

وقال فيه أيضاً :

إن الخيانة والمغالة وانلنا والفذر تركه ببلدة مفسد^(٣)
ملك يلعب أمّه وقطينها رخو المفاصل أيزه كالبرد
فإذا حلت ودون يتي غاوة^(٤) فابرق بأرضك ما بدالك وارعد
وقال طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوفاً حول قبتنا تخور^(٥)

(١) جبهة الأمانال ١ : ٥٧٩ - ٥٨٢ ، الميداني ١ : ٣٩٩ .

(٢) الأغاني ٢٣ : ٥١٦ (طبع الثقافة ببيروت) .

(٣) شعراء النصرانية .

(٤) غاوة : قرية من قرى حلب .

(٥) ديوانه ٩٠ - ٩٦ ، والرغوثة : الذبجة الموضع .

لعمرك إني قابوس بن هندی ليخلط ملكه نوك^(١) كثير

في أبياتٍ شهرتها تنبي وتغني عن ذكرها ؛ فاستحيا أن يقتلها بحضرته ،
ويدينها لإدلال المتأدبة ، فكتب لهما بصحيفتين ، وختمهما لثلاً يعلم ما فيهما -
هو أول من ختم الكتاب - وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرته
أن يصلكما بجواز - فذهبا فمرا بطريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ،
ويتناول القمل من ثيابه ويقصمه ، فقال المتأدب : ما رأيت شيخاً كالיום أحق
من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من مُحَقِّقٍ ! أخرج الداء ، وآكل الدواء ،
وأقتل الأعداء . وروى : أقتل عدوًّا ، وأدخل طيباً ، وأخرج خبيثاً ، أحقُّ والله
مُنَى مَنْ يحمل حنقه بيده .

فاستراب المتأدب بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب
العرب ، فقال له المتأدب : أقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك الصحيفة فإذا فيها : فإذا
أتاك المتأدب فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً : فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك ،
فإن فيها مثل هذا ، فقال طرفة : كلاً لم يكن لي جترى على - وكان غراً صنير السن -
فقذف المتأدب بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قذفتُ بها في النُهي من جنب كافرٍ كذلك أقنوا كل فظ مضال^(٢)
رضيت لها بالماء كُتاً رأيُها يحولُ بها البُيَّار في كل جدول
وأخذ نحو الشام وقال :

ألقي الصحيفة كي يخفف رَحْله والزاد حتى نمله ألقاها
أراد : أنه تخفف للفرار ، فألقى مالا يُثقل ، وما لا بد للسفر منه .

(١) النوك : الحماة

(٢) الشعر والشعراء ١ : ١٣١ . الثاني : منطلف التمر . كافر : اسم علم لنهر الحيرة ،
هو أفتو ، أى أجزى .

وقال حينئذ :

مَنْ مَبْلَغُ الشَّمْرَاءِ عَنْ أَخْوِيهِمْ خَبْرًا فَتَصَدُّقَهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسِ^(١)
أُرْزَى الَّذِي عَاقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا - حِذَارِ حَبَائِهِ - الْمُتَلَمَّسُ
أَلْتَرَى الصَّحِيفَةَ ، لَا أَبَالِكَ إِمَامًا يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ الدُّقْرِسِ^(٢)

وأما طرفة فوصل إلى البحرين ، فلما قرأ العامل صحيفته ، وسأله عن المتلمس .
فأخبره بفراره ، عفا عنه لصدقه ورعايته لطابع الملك حيث لم يفكه .

وقيل : إنه سجنه ، وبعث إلى عمرو بن هند ، وقال له : ما كنت لأقتل طرفة ،
وأعادي قبيلته ، فإذا أردت قتله ، فابعث إليه مَنْ يَقْتُلُهُ . ففعل وخبر في قتله ؛
فأخبر أن يُسقى الخمر ، ويُفَصَّدَ أَكْحَلُهُ^(٣) ؛ ففعل به ذلك حتى مات نزفاً ، ودفن .
بِهَجَرَ . وقيل في قتله غير ذلك .

وقال البحترى بصدق ما تقدم :

ولقد سكنت إلى الصدود من الدوى

والشرى أرى عند طعم الحنظل^(٤)

وكذلك طرفة حين أوجس ضربة في الرأس هان عليه ففَصَّدَ الْأَكْحَلَ

وقال ، وهو في السجن يخاطب قومه :

أسلمنى قومي ولم يفضبوا لسوءِ حَاتٍ بهم فادحة^(٥)

كل خليل كنتُ خالاهُ لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلبٍ ما أشبهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ !

(١) الشمر والشمراء ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) الدقرس : داء معروف للرجلين ، ونسره في اللسان ٨ : ١٢٧ بالذاهية .

(٣) الأكهل : عرق في اليد ، ويسمى عرق المياة .

(٤) ديوانه ١٧٤٣ .

(٥) المقدم الثمين ٥٤ .

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن :

أبا منذرٍ كانت غروراً محيقتي ولم أعطكم بالطَّوعِ مالى ولا عِرضي^(١)
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستنقِ بعضنا حنأتِكَ بعضُ الشرَّاهونَ من بعضِ
وقتل وهو ابن عشرين سنة ، والعرب تقول : أشعر الناس ابنُ العشرين
وتعنيه ، إلا أن أبا العباس أنشد لأخته تربيته :

عَدَدْنَا لَهُ سَنًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فلما توفى واستوى سَيِّداً ضَخْمًا^(٢)
فُجِّعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ على خَيْرِ حَالٍ ، لا وليداً ولا قَحْطًا^(٣)
وهلك المتلمس في الجاهلية ببُصرى.

* * *

فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

قُلْ لَوَالِ غَادَرْتُهُ . بَعْدَ بَيْنِي سَادِمًا نَادِمًا يَمَضُ الْيَدَيْنِ
سَلَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ ، وَفَنَاهُ لُبَّهُ ، فَاصْطَلَى لَطَى حَسْرَتَيْنِ
جَادَ بِالْعَيْنِ حِينَ أُنْمِيَ هَوَاهُ عَيْنُهُ فَانْتَشَى بِلَا عَيْنَيْنِ
خَفَضَ الْحُزْنَ يَامَعْنَى فَا يُجْ بِدَى طِلَابُ الْآثَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
وَكَيْنَ نَجَلَ مَاعِرَاكَ كَمَا جَلَّ لَدَى الْمُسْلِمِينَ رِزْءُ الْحَسَنِ
فَقَدَرِ اعْتَضَتْ مِنْهُ فُهْمًا وَحُزْمًا وَاللَّيْبُ الْأَرَبُ يَبْغِي ذَيْنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَيْدَ الطَّبَاؤِ كَيْسَ يَهَيِّنِ

(١) ديوانه ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ : ٢٥٨ . وروايته : « فلما توفى » .

(٣) القمع : الرجل المتناهي سنا .

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلْبِغُ الْفَسْحَ وَلَوْ كَانَ مُنْذَقًا بِالْحَجَيْنِ
وَلَكُمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِرْ يَدَ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفٍّ حُنَيْنِ

* * *

قوله : « غادرته » ، أى تركته . بعض الـيدين : تندماً . سادماً : متغيراً ،
والسادم : المتغير العتل من الغم ، من قولهم : ماء سديم ، ومياه سديم وأسدام ،
أى متغيرة ، وقيل : السديم : الحزين الذى لا يطيق ذهاباً ولا بقاءً ، من قولهم :
بغير مسدّم ، إذا منع من الضراب ، فكان الحزين منع من الذهاب والرجوع ، فيقول :
تركته بعض يديه تندماً وتأثماً . اللظى : لهب النار ، وقد لظت النار : علأ لهبها ؛
فيريد أن الشيخ أخذ ماله والذى عقله ، فاحترق بنار فجتمعتين . جاد : سمح .
العين : الذهب . هواه : تمشقه وصيله : انثنى . رجع . بلا عينين ، أى بغير مال
ولا بصر . خفّض : سكن . معنى : معذب . يجدى : ينفع ، والعين ها هنا :
الشخص .

* * *

[أصل المثل : طلب أثراً بعد عين]

وقولهم : طلب أثراً بعد عين ، كأن رجلاً تمكن من عدوه أو من صيد
ليرميه ، فتراخى عنه حتى فاته ، ثم شدّ في طلبه بعد القوت ؛ وأوّل من قال ذلك
مالك بن عمرو العامري ؛ وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سهماً كآ بسبب
قتيل كان له في عمالته ، فحبسهما زماناً ، ثم قال لهما : إني قاتلُ أحدكما ، فعمل كل
واحد منهما يقول : اقتلني مكان أخى ، فقتل سهماً كآ وخلى مالكاً ، فقال سهماً كآ
حين ظن أنه مقتول :

وأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حيةً راصدةً
برأس سنبيل على مرقبٍ ويوماً على طرقي واردةً
أمّ سمالكٍ فلا تجزعي فللموتِ أمّا تليدُ الوالدةِ

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زماناً . ثم إن ركبا مروا بهم وأحدهم
يغني بهذا البيت :

* وأقسم لو قتلوا مالكا *

فسمعتُ بذلك أمّ سمالك ، فقالت : يا مالكا ، قَبِّحَ اللهُ الحياةَ بعدَ سمالك ! أخرج
في طلبِ ثأرِ أخيك ، فخرجَ فلَاقَى قاتلَ أخيه في ناسٍ من قومه ، فقال : مَنْ أَحْسَنُ
لِي الْجَلِ الْأَحْمَرِ ! فعَرَفُوهُ ، فقالوا له : لك مائة من الإبل ، وكَفَّ عنه ، فقال :
لا أطالبُ أثراً بعدَ عينٍ ، فذهبت مثلاً ، ثم حَمَلَ على قاتلِ أخيه فقتله ^(١) .

* * *

قوله : «جَلَّ» ، أى عظم . عراك : قصدك . رزء الحسين : المصاب بقتله حين
قتل بكر بلاء .

[رزء الحسين *]

وحديثه أن معاوية لما مات أرسل إليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا
على بيعتكَ . وطُوبى بالمدينة أن يبيع يزيد ، فخرج إلى مكة ، وأرسل ابن عمه مسلم
ابن عَقِيل إلى الكوفة وقال له : إن كان حقاً ما كتبوا به ، فعرفني أُلْحِقْ بِكَ .
فخرج من مكةَ للنصف من رمضان ، وقَدِمَ [الكوفة] لخمسِ خَلَوْنٍ

(١) جبهة الأمثال ٢ : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، وأورد في معنى الأثر قول حبيب :

قالوا أتبكي على رسمٍ فقلتُ لهم من فاتهُ العينُ هَدَى شوقهُ الأثرُ

(*) انظر خبر مقتل الحسين في تاريخ الطبري حوادث سنَى ٦٠ ، ٦١ .

من شِوَال ، وأميرها النعمان بن بشير ، فدخل مستتراً ، فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً . فكتبه ^(١) بذلك . فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال له : يا بن عم ، أهل العراق أهل غدرٍ ، وإنما يدعونك للحرب ، فقال له : يا بن عم ، كتب إلى مسلم باجتماع أهل الكوفة على ، فقال له : قد جرت بهم ، وهم أصحاب أبيك وأخيك ، وقتلتك غداً مع أميرهم ، إذا بلغ ابن زياد خبرك استفرزهم ، فكان الذين كتبوا إليك أشدّ عليك عن عدوك ، فإن أبيت إلاّ الخروج فلا تخرجنّ بنسائك ووليك معك ، فإنى لخائف أن تُقتل كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه . فردّ عليه : لأن أقتل بموضع كذا ^(٢) ، أحبّ إلىّ من أن أستمحلّ بمكة .

واتصل الخبر بيزيد ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة . ففرج مسرعاً ، فدخلها في حشمه وهو مائتٌ ، والناس يتوقعون قدوم الحسين ، فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ، والناس يقولون : وعليك السلام يا بن رسول الله ، قدمت خير مقدم ، حتى انتهى إلى القصر .

خسر اللّئام ، ففتح له النعمان الباب ، وتنادى الناس : ابن مَرْجَانة ، فحصبوه بالحصى ، فقاتهم . ووضع الرّصد في طلب مسلم ، فصاح مسلم : يا منصور — وكان شعارهم — فاجتمع له في ساعة واحدة ثمانية عشر ألفاً . فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد ، فلم يُمسِ المساء ومعه مائة رجل . فلما رأى تفرّقهم سار نحو أبواب كِنْدَةَ ، فبلغ الباب ومعه ثلاثة ، فخرج وليس معه أحد ، فبقى حائراً لا يدرى أين يتوجّه ، فنزل من على فرسه ، ودخل أحد أزقة الكوفة ، فأنهى إلى باب مولاة لحمد بن الأشعث ، فاستسقاها ففقت ، وأعلمها حاله ،

(١) أى كاتب الحسين .

(٢) تاريخ الطبرى « فقال له حسين : إني أستعير الله وأتظر ما يكون . »

فرقت له ، فأوته وأعلنت محمد بن الأشعث بمكانه ، فشى إلى ابن زياد ، فأعلمه ، فوجه معه سبعين رجلاً ، فافتخموا عليه ، فقاتلهم مُسلم ، وأمنه محمد بن الأشعث ، وسلمه إلى ابن زياد فضرب عنقه ، وبعث برأسه إلى يزيد بن معاوية ، فصَلَبَ جُثَّتَهُ .

وانتهى الأمر إلى الحسين ، وقد بلغ القادسيّة ، فهم بالرجوع ، فقال له إخوة مسلم : لا ترجع أو تُقتل ، أو نأخذ بثأرك ، فقال الحسين : لا خير في العيش بعدكم ، فسار حتى لقي خيلاً لابن زياد ، وعليها عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فعُدل إلى كربلاء ، وهو في نحو خمسمائة فارس ، فلما كثرت المساكر أيقن أنه لا محيص له ، فقال : اللهم احْكُم بيننا وبين قوم دَعَوْنَا لِنَصْرِنَا ، ثُمَّ هُمْ يقاتلوننا ! ثم خطب قومه فقال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحدٍ ، أو بقي عليها أحد ، لكانت الأنبياء أحقَّ بها وبالبقاء ، غير أن الله خلقها للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر ، والدار قلع ، والمنزل تَلَمَّةٌ ^(١) ؛ فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . ثم قاتل حتى قُتل رضي الله عنه وفيه ثلاث وثلاثون ضربة وأربع وثلاثون ضربة ؛ وتولى قتله سنان بن أنس التميمي ، واحتز رأسه ، وانطلق به مسرعاً إلى ابن زياد ، وهو يقول :

أَوْقِرْ رَكابِي فَضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْحَجَّابَا
* قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا * ^(٢)

وبعث معه الرأس إلى يزيد بن معاوية ، وعنده أبو بَرَزَةَ ، فجعل ينكت بالهضيب على فيه ، وهو يقول :

نَفَّلَقْ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا ^(٣)

(١) يقال : هو على قلعة ، أي على رحلة ، والتلعة : مجرى الماء من أعلى بطون الأرض والزول عليه مخوف .

(٢) بمد في الطبری :

* وَخَيْرُهُمْ إِذَا يُنْسَبُونَ نَسَبًا *

(٣) عصب بن الحزام المديني ، من الفضلية ١٢

فقال له أبو برزّة : ارفع قضيبك عن فمه ، فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتئم .

وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وقتل معه سبعة وثمانون ، منهم عليُّ ابنه الأكبر ، ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ، ومن إخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو عليّ ، ومن بنى عمه جعفر ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر . ومن ولد عميل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ، ودفنهم أهل القادسيّة بعد قتلهم بيوم ، وقتلوا هم من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانين .

* * *

قوله : «اعتضت» : اقتلعت من العوض . يعني ذين : يطلب هذين . الظباء : الغزلان . يلبج : يدخل . محذّراً باللجين ، أى محاذراً بالقضة ، والصائد يفرق حول الذئح حبّ القمح وشبهه ، فيلقطه الطائر حتى يتوصّل إلى ما نصب له . فيقع ، فقال : ما كلُّ طائر يُخدع ، ولو حُلّق له الفخ بحبّ اللجين بدلا من القمح ، وإني من هذا الصنف .

قوله : «ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد» ، من قول الصابي :
يا قمرّاً كالحشف في نظرتي وكالقضيب اللدن في نضرتي
خلتكَ صيداً كان في قبضتي ففرت من صيدى في قبضتي
والسابق له كعب زهير بن في قوله :
طاف الرّؤاة بصيدٍ راعهم فإذا بعض الرّؤاة بنبل الصيد مقتول^(١)

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في ديوانه ، وأورده الميمنى في ملحى الديوان ٢٥٩ ، ٢٤٢
عن الشريش .

[أصل المثل : رجع بخفي حنين]

وُخِفَا حُنَيْنٌ ، يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختلف في حُنَيْن ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيًا ، فجاء إلى عبد المطلب ، وعاليه خُفَّان ، فقال : يا عمّ - إني من ولد هاشم ، فأَنعمَ النَّظَرُ فيه ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شِمالًا - هاشم ، فارجع خائبًا خاسرًا .

وقيل : كان رجلاً مفتيًا ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . لِيُطَرِّبَهُمْ في نزّهة . فخرجوا به إلى الصحراء ، فضربوه وسلبوا ثيابه ، وتركوا عليه خُفَّيْهِ ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما بفضل من أطعمة النزّهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رَجَعَ حُنَيْنٌ بِخُفَّيْهِ .

وقيل : إنه كان صانعًا ، فساومه أعرابي بخُفَيْنِ ، وما كسده حتى أخرجّه . فلما ارتحل الأعرابي ، أخذ حنين إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وألقى الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرّ الأعرابي بالْخُفِّ قال : ما أشبه هذه بخُفِّ حُنَيْنِ ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، ندِمَ على ترك الأولى ، فأنّاه راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عمّد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابي إلى قومه المُخَفِّينَ ، فسكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بخُفِّي حُنَيْنِ . فصار مثلاً .

وقيل : كان حنين لصًا حقيرًا فأُخِذَ وَصِّلَبَ ، فجاءته أمّه وعليه خُفَّان . فأنزعتهما ورجعت ، فقيل : رجعت بخُفِّي حُنَيْنِ ، أي رضيت منه بذلك .

تَبَصَّرَ وَلَا تَشْمَ كُلَّ بَرْقٍ رَبِّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ
 وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرَامٍ تَسْكُنِي فِيهِ ثَوْبٌ ذَلِ وَشَيْنٍ
 فَبَلَاءُ الْفَتَى اتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذَرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنٍ
 قال الراوى : فَمَزَنْتُ رُفْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أَبَلْ أَعْدَلَ
 أَمْ عَذَرَ .

• • •

قوله «تبصر» : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع
 الرعد والتبرق ، وجمعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،
 وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاقعة ؛ وقد صقع . غرام : عذاب الحب . شين :
 عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أصل العشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى
 عليه السلام : « لا يزنى فزكك ما غضضت بصرَكَ » ؛ وقد تقدّم : من كثرت
 لحظاته دامت حسراته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة

وطول الهوى رَيْنٌ عَلَى الْقَلْبِ رَائِنٌ

فكُنْ دافِئاً لِلشَّرِّ بِالْخَيْرِ تَسْتَرِحْ مِنْ الشَّرِّ إِنَّ الْخَيْرَ لِلشَّرِّ دَائِنٌ

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِرِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى

إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

وقال المتنبي:

عزيرٌ أسيٌّ من دأوه الأعين النجلُ عناء به مات المحبون من قبل^(١)
 فمن شاء فلينظر إلى قمنظري نذيرٌ إلى من ظن أن الهوى سهلُ
 وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قابله رَحْلُ العَملِ

وقال ابن زيدون :

من يسأل الناس عن حالٍ فشاها محض العيان الذي يُبنى عن الخبر^(٢)
 أما الضئى فجنته نظرة عَنِّ كأنها والردي جاء على قدرِ
 فهمتُ معنى الهوى من وحي طرفك لي
 إن الحوار لفهمٌ — وم من الحورِ

وقال العباس بن الأحنف :

الحبُّ أوَّل ما يكون لـ حاجةٍ تأتي به وتسوقه الأقدارُ^(٣)
 حتى إذا انتعمتِ الفتى لـججِ الهوى جاءت أمورٌ لا تطاقُ كِبَارُ
 فهذا كله يبين بيت الحريري .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذر مذر : قطعاً متفرقة في كل جهة .
 وأصل الشذر قطع الذهب ، ومذر اتباع لما .
 لم أبَل : أى لم أهال . عذل : لام . عذر : قبل المذر .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١١٦ .

فهرس المقامات

سنة	صدر المقامات
٤٦ - ١٢	المقامة الأولى ، وتعرف بالصنعانية ؛ تتضمن ظهور أبي زيد في مظهر الواعظ ثم كشف حاله بعد ذلك
٧٤ - ٤٨	المقامة الثانية ، وتعرف بالحلوانية ، تتضمن محاسن من التشبيهات الرائعة في الشعر .
١٢٧ - ٧٦	المقامة الثالثة ، وتعرف بالدينارية ، تتضمن أشعاراً في مدح الدينار وذمّه .
١٥٧ - ١٣١	المقامة الرابعة ، وتعرف بالدمياطية ، تتضمن محاوره أبي زيد مع ابنه في المواصلة والقطيعة .
١٨٦ - ١٥٨	المقامة الخامسة ، وتعرف بالكوفية ، تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه ، يطلب منه القرى ومجاوبته له
٢١٩ - ١٨٩	المقامة السادسة ، وتعرف بالمراغية ، وتتضمن الرسالة التي فيها كلمات معجزة ، وكلمات غير معجزة
٢٦٨ - ٢٢٤	المقامة السابعة ، وتعرف بالبرقعيدية ، تتضمن تعامى أبي زيد ، وقيام امرأته بقيادته ، وهو يبيع الرقاع المكتوبة
٣٠٧ - ٢٧٢	المقامة الثامنة ، وتعرف بالمعرية ، تتضمن خصامه أبي زيد وابنة في الليل والإبرة
٣٣٠ - ٣٠٨	المقامة التاسعة ، وتعرف بالإسكندرانبة ، تتضمن خصامة أبي زيد لامراته ، وقيامه ببيع أثاثها ومتاعها .
٣٦٥ - ٣٣٣	المقامة العاشرة ، وتعرف بالرحبية ، تتضمن دعوى أبي زيد على شخص أنه اعتدى على ابنه
٤٤٤ - ٣٧٥	

فهرس الموضوعات^(*)

صفحة	
٣ - ١١	مقدمة الشارح
٢٢ - ٢٤	بديع الزمان الهمذاني
٢٤ - ٢٥	ذكر همذان
٢٦ - ٢٨	السبب في إنشاء الحريري للقوامات
٣٣	ذكر قدامة بن جعفر
٣٤	عدى بن الزناع
٣٥ - ٣٦	القديم والحديث في الأدب
٣٦ - ٤٠	القول في الحمام
٤١ - ٤٢	من أقوالهم في الحق ذمًا وحمداً
٤٤ - ٤٥	مما ورد من الحكم على السنة البهائم وغيرها
٥٠ - ٥١	مدينة صنعاء
٥٦ - ٥٧	نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر
٦٣ - ٦٤	من لطائف التجنيس
٦٦ - ٦٨	نبذ من الأشعار في ذم الدنيا
٧٠ - ٧١	أبو نواس في مجالس الوعظ
٧٨	ذكر مدينة حلوان

(*) وهي الموضوعات التي وردت في أثناء الترح.

شعار السكديّة	
٧٩ - ٧٨	مما قيل في النّحي من الشعر
٨٩ - ٨٤	البحترى وبمض أخباره وشعره
٩٦ - ٩٠	وصية أبي تمام للبحترى
٩٧	ذكر النرجس ومآقال الشعراء في تشبيه العيون به
١١٠ - ١٠٣	ذكر الوأواء الدمشقي وبمض شعره
١١٤ - ١١٠	من قولهم في الامتحان
١١٦	يديهة السّلامى
١١٨ ، ١١٧	من نوادر صاعد بن الحسن الربيعى
١٢٣ ، ١٢٢	مما قيل في البديهة الحاضرة
١٢١ - ١١٨	نقد شعر الحريرى
١٢٥ - ١٢٣	من أقوالهم في الفراق
١٢٦ ، ١٢٥	فصل في الحسد وما قيل فيه
١٣٨ - ١٣٥	قصة المثل : أنجز جرّ ما وعد
١٤٤ - ١٤٣	مما قيل في وصف الدينار من الشعر
١٤٤	فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه
١٤٧ - ١٤٥	فصل في مدح الشيء وذمّه في وقت واحد
١٥٦ - ١٥٤	مما قيل في سواد الليل
١٦٢ - ١٦٠	مذاهب الشعراء في الغزو أو الانتصاف
١٧٢ - ١٧٠	مما ورد في الصبح من الشعر
١٧٣	نبذ مما قيل في الحمام شعراً ونثراً
١٨٠ - ١٧٧	قولهم : حديث خرافة
١٨٨ - ١٨٦	

صفحة

١٨٩ - ١٩١	الكوفة
١٩١ - ١٩٣	مما ورد في وصف الهلال من الشعر
٢٠٣ - ٢٠٥	قصة موسى عليه السلام قبل مبته
٢٠٧	إبراهيم عليه السلام
٢٠٧ - ٢٠٨	مما قيل في القرى والأضياف
٢٠٩ - ٢١١	نبذ وحكايات في البؤس والحرامان
٢١١ - ٢١٣	ذكر مدينة فيد
٢١٩ - ٢٢٣	ذكر الكهيت في بعض أخباره وشعره
٢٣٢ - ٢٣٦	ذكر قناري بن النجاة
٢٣٩ ، ٢٤٠	الخطيئة وسعيد بن القاص
٢٤١ - ٢٥١	فصل في الدواء والقلم والمداد
٢٦٢ ، ٢٦٣	الضباع وما قيل فيها
٢٦٣ - ٢٦٥	نبذ مما قيل في أحوال الدهر
٢٦٥ - ٢٦٧	نبذ وأقوال في ذم الزمان
٢٨٦ - ٢٨٩	ذكر ابن عباس وبعض أخباره
٢٨٩ - ٢٩٢	ذكر إياس القاضي وبعض نوادره
٢٩٦ - ٣٠٠	ذكر المعنى وما ورد فيه من الشعر
٣٠٣ - ٣٠٦	استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائعة
٣٠٨	ذكر معرة النعمان
٣١٤ ، ٣١٥	القطا
٣٧٦ ، ٣١٨	مما قيل في رفو الثياب من الشعر

٣٢١ - ٣٢٨	مما قالت الشعراء في الأطمار البالية
٣٣٩ - ٣٣٥	مما ورد من الشعر في السواد والبياض
٣٣٤	ذكر فرغانة
٣٣٥ ، ٣٣٤	ذكر غانة
٣٤٥ - ٣٣٩	باب في الحضر على السفر وترك المعجز
٣٤٧ ، ٣٤٦	ذكر الإسكندرية
٣٥٤ ، ٣٥٣	أصل المثل : لا عطر بعد عروس
٣٧١ - ٣٦٨	ذكر الفرزدق وبعض أخباره
٣٧٣ - ٣٧١	ذكر خبر الكسبي وقوسه
٣٨٣ - ٣٧٦	نبذ وحكايات مما ورد في الحسن والجمال
٣٨٨ - ٣٨٤	فصل في ذكر بعض أخبار الولاة
٣٩٣ - ٣٨٨	ذكر السليك بن السليكة
٣٩٥ - ٣٩٤	إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره
٦١٨ - ٤٠٩	مما قيل في أنواع الحسن والجمال أيضا
٤٠٩ - ٣٩٨	ذكر المذراء الانحاء
٤٢٠ - ٤١٩	من أنواع الحلف
٤٢٧ - ٤٢٥	ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية
٤٢٩ - ٤٢٧	طائفة من شعر النسيب
٤٣٢ - ٤٣١	مما قيل في خلق الشعر
٤٣٧ - ٤٣٣	ذكر المتلمس وصحيفته
٤٣٩ - ٤٣٨	أصل المثل : طلب أثراً بعد عين
٤٤٢ - ٤٣٩	رزاء الحسين بن علي رضي الله عنه
- ٤٤٣	أصل المثل : رجع بخفي حنين

استدراك وتعليق

صفحة	مطار	
٦	٢٠	أبو الحجاج الأندلسي خطأ ، وصوابه : « الأندى » ، منسوب إلى أندة ، مدينة من كورة بلنسية بالأندلس . وانظر الروض للمطار ٣١ ، وبقية للمتمس للضي ٤٧٧ .
١٠	١٣	أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ، هو محمد ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أحد ملوك دولة الموحدين بالمغرب ، بويج بالخلافة سنة ٥٩٥ هـ وتوفي في سنة ٦١٠ هـ ، وابنه يوسف ولى عهده . وانظر المعجب في أحوال المغرب ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢٥	٩	هو أبو بكر بن اللبابة الداني .
٥٦	٨	الصواب أن اسمه أبو حفص بن عمر السلي ، قاض قرطبة . من أهل أغات ، وولى أيضاً فضاء فاس وتلمسان وإشبيلية ، وله شعر كثير مطبوع . توفي سنة ٦٠٤ هـ . وانظر نفح الطيب ١ : ٢٧٣ وصلة الصلة لابن الزبير رقم ٣٠ ، والتكلمة لابن أبار برقم ١٨٣١ .

(١) ومعظم هذه الاستدراكات مما أفدته من الصديق العلامة الدكتور محمود
مكي عند قراءته لهذا الجزء بعد طبعه .

- ص ٦٣ ٢ صواب كتاب البيت :
 فاحذر هدايا الناس تأمن من المنّ
 بها أو قول واش بشى .
- ص ٦٣ ١٧ انظر والأبيات في زهر الآداب ٧٧ ، ٧٨
- ص ٦٦ ٢٢ (حاشية ٤) في ترجمة أبي عمران بن موسى بن عمران : توفي .
 سنة ٦٠٤ ، وله تراجم أخرى في التكملة لابن
 أبار برقم ٢١٤٧ والمصون اليانعة ١٣٥ ، وألف
 بابه للبلوى ١ : ٢٣ ، ٣٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٣٨٩ .
- ص ١٠٧ ١ أبو جعفر بن برد ، خطأ والصواب أن اسمه
 أبو حفص بن برد ، والبيتان في الذخيرة ق ١
 ج ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، وله ترجمة في جذوة المقتبس .
 للحميدى ١٩٢ والذخيرة لابن بسام ق ١ ج ٢ :
 ١٨ - ٥٢ ، ومطمح الأنفس ٢٧ ، ٢٨ .
- ص ١٠٨ ٢ أبو بكر الأبيض ، وهو أحمد بن محمد الأنصارى
 الإشبلى ، وانظر ترجمته في المطرب لابن دحية .
 ٧٠٦ .
- ص ١٢٨ ٢١ الحلوانى القيروانى ، هو عبد الكريم بن فضال
 الحلوانى القيروانى ، وله ترجمة في المطرب .
 ٥٩ ، ٧٥ ، والذخيرة لابن بسام ٤ : ٢١٩ ،
 والآيات لابن سعيد ١٠٧
- ص ١٣٩ ٣ هو أبو بكر بن الجدد

هو موسى بن عمران المارتلي	١٦	١٧٧
الصواب أن الأبيات لأبي عامر بن شهيد ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧	١٧ ، ١٦	١٧٧
هذه الأبيات تنسب للمنفقل ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧ .	٦ - ٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٨	٨ ، ٧	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٢ ، ١١	١٧٨
نسبة البيتين لأبي بكر بن بقي ، وهما بهذه النسبة في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	٢٨ ، ١٧	١٧٨
هو وهب بن سلمة القرطبي ، من أهل النسك والورع بالأندلس ، ذكره الرازي في كتاب أعيان الموالى برقم ٢٧٢٨ .	١٢	٢٠٩
الصواب : « الليكى » ، بالياء ، واسمه أبو بكر ابن يحيى بن سهل ، وانظر ترجمته في المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٦٦	٢	٣١٢
الحلواني ، هو عبد الكريم بن فضال القيرواني ، والأبيات في الذخيرة ٤ : ٢٢٠	٩	٣١٧
الأبيات في قلائد العقيان ٣٠٠	١٣	٣٢٠
الفنارة في الاصطلاح الأندلسي ضرب من العبادة أمر الطاهر .	٢٢ (الحاشية ١)	٣٢١

- كذا في جميع الأحوال بنسبة هذا البيت ، ٦ ٣٤٢
 إذا لم أجد في بلدة ما أريده
 فعندي لأخرى عزمة وركاب
 إلى أبي الطيب ، والصواب أن البيت لأبي فراس
 من قصيدته البائية الرومية ، ديوانه ٣٨
 يكتب هكذا : عما قيل في أنواع الحسن والجلال ٩ (المنوان) ٣٩٨
 أيضاً .

ادارة القرآن والعلوم الاسلاميه کی چند جديد و مفيد اردو کتب

- اسوۂ رسول ﷺ حضرت ڈاکٹر عبدالحمیؒ = / ۱۵۰
- احکام میت حضرت ڈاکٹر عبدالحمیؒ = / ۶۹
- جدید فقہی مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمی ۵ جلد = / ۹۰۰
- طبی اخلاقیات مولانا مجاہد الاسلام قاسمی = / ۱۹۵
- جدید فقہی مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمی جلد نمبر ۱۰ (طبی اخلاقیات) = / ۱۹۵
- جدید فقہی مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمی جلد نمبر ۱۱ (مشروط نکاح) = / ۱۹۵
- اہم فقہی فیصلے مولانا مجاہد الاسلام قاسمی = / ۷۵
- دل کی دنیا مفتی اعظم پاکستان حضرت مولانا مفتی محمد شفیع رحمۃ اللہ علیہ = / ۷۲
- متاع نور (سوانح حیات حضرت مولانا نور احمد صاحب رحمۃ اللہ علیہ)، رشید اشرف سیفی = / ۱۵۰
- جو تم مسکراؤ تو سب مسکرائیں حضرت سید رضی الدین احمد فخریؒ = / ۱۵۰
- نبیوں کی سچی کہانیاں حضرت سید رضی الدین احمد فخریؒ = / ۱۲۰
- درود شریف کے فضائل و آداب (ترجمہ القول البدیع) رضی الدین فخریؒ = / ۹۰
- دور نبوی کا نظام حکومت (ترجمہ التراتیب الاداریہ للکفانیؒ) رضی الدین فخریؒ .. = / ۱۵۰
- رہنمائے سعادت تلخیص کیمیائے سعادت سید رضی الدین فخریؒ = / ۱۲۰
- تلخیص حجۃ اللہ البالغہ سید رضی الدین احمد فخریؒ = / ۱۲۰

ادارة القرآن والعلوم الاسلاميه

ناشران قرآن مجید و اسلامی، عربی، اردو، انگریزی کتب، مرکز مطبوعات پاکستان، بیروت / و بلاد عربیہ، تفسیر، حدیث، فقہ، اسلامی قانون، تاریخ اسلام، اصلاحی، تصوف، لغت، ادب عربی، اعلیٰ معیار کی عربی، اردو، انگریزی، فارسی کمپیوٹر کمپوزنگ ہر قسم کی اسلامی کتب کی طباعت کیلئے رجوع فرمائیں
۷۲۲۳۶۸۸ / ڈی گارڈن ایسٹ نزد لیبیلہ چوک۔ کراچی پاکستان۔ فون : 7216488 / فون / فیکس : 7223688

E.Mail: quran@biruni.erum.com.pk

Maktaba Tul Ishaat.com